الحقيقة الغراء في تفضيل
سيِّدتنا الصدّيقة الكبرى زينب الحوراء عليها السلام
على السيِّدة مريم العذراء عليها السلام

الحَقِيقَةُ الغَرَّاءُ فِي تَفْضِيْلِ سيِّدتنا الصدّيقةِ الكُبْرَى زينبَ الحوراءِ عليها السلام على السيِّدةِ مَريمَ العذراءِ عليها السلام

دراسةٌ فِقهيَّةٌ عَقائديَّةٌ رِجَاليَّةٌ نقديَّةٌ رَدّاً على الشيخِ ياسر حبيب الكُوَيْتيّ

تصنيف:

فقيه عصره آية الله المحقق

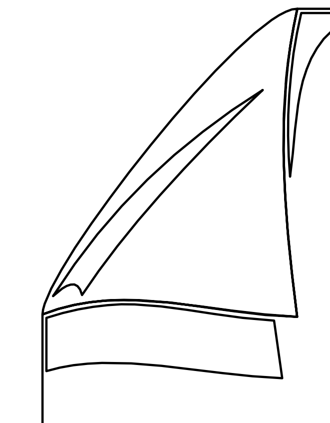
الشيخ محمَّد جميل حمُّود العاملي

«دام ظلّه الوارف»

مركز العترة الطاهرة للدراسات والبحوث

الطبعة الأولى: دار المحجة البيضاء
لبنان، بيروت/ 1436هـ - 2015م

إصدار: مَرْكَزُ العِتْرَةِ الطاهرة للدِّراساتِ والبحوث



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩]

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾

[الإسراء: ٨١]

﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾

[الأنعام: ١٤٩]

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

[البقرة: ١٤٩–١٥٠]

الإهداء

لا أجدُ مَنْ هو أحقُّ بالإهداء ممن خُطَّ هذا السِّفر الجليل لأجلها... إنَّها الصدِّيقة الكبرى الحوراء زينب (سلام الله عليها)... التي يعجز البيان عن الإحاطة بعصمتها، وفضائلها وخصائصها، ومقاماتها، وكراماتها التي أبهرت العقول... تلك الحرَّة الطاهرة الزكيَّة التي لولاها لما كان لصوت مولى العالمين الحسين بن علي أمير المؤمنين (سلام الله عليهما) صدى في أجيال المؤمنين... إنَّها ابنة سيِّدة نساء العالمين الصدّيقة الشهيدة فاطمة الزهراء عليها السلام التي دارت على ولايتها القرون الأُولى من الأنبياء والمرسلين والأولياء المقربين... فيا سيدتي أيتها الحوراء زينب.. يا جوهرة القدس الإلهي... يا خزانة الرسالة والولاية.. إليكِ يا سيِّدة النساء أيتها الحوراء الإنسية... أهدي هذا المجهود الذي أرجو أن يكون زادي في قبري ومعادي... وأنْ أفوزَ برضاكِ، بعد أنْ نلتُ منكِ البُشرى في دار الفناء هذه؛ خلال تصنيفي لهذا الكتاب دفاعاً عنكِ يا شمسَ اللهِ الطالعة وقمرَهُ المنير... فأرجوكِ يا روح عمري أن لا ينقطع عونكِ لي على فراش موتي وفي لحدي ويوم شفاعتكِ يا جنَّةَ الأرضِ والسماء... يا مشكاةَ النبوة ونورَ الولاية... يا روحَ الحياة وجنَّة الخلد.. يا سيدتي أيتها المظلومة في الحياة عند مَنْ لا يعرف قدرَك وسموَ شأنِكِ...

آهٍ آهٍ لظلامتكِ سيدتي يا زينب سلام الله عليكِ... يا مهجة كبد أبيها ونور بصر أُمّها ودمعة أخوَيها... يا كفيلة اليتامى والأرامل، ويا حافظة الإمامة.. يا سلوة إمامنا المعظم الحجَّة القائم المهديّ عليه السلام... يا سند رفيقي عمرها الوليين العظيمين أبي عبد الله الحسين وأبي الفضل العباس عليهما السلام... إليكِ أرفعُ هذا المجهود فأرجو قَبولَهُ مجدداً عندَكِ...!!.

أطوفُ ببابِكم في كلِّ حينٍ كأنَّ ببابكم جُعلَ الطوافُ

عبدكِ محمَّد

المقدمّة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، قاصم الجبارين، مبير الظالمين، قامع شوكة المعتدين ورافع المستضعفين، والصلاة والسلام على الرسول المسدَّد والمصطفى الأمجد.. نور الأنوار، رحمة الله على العالمين، حبيب إله العالمين رسول الله محمد وآله الغر الميامين، الأنوار المقدسين، سفن النجاة وقادة البلاد وساسة العباد وسبل الرشاد، العروة الوثقى واليد العليا لله تعالى في المُلك والملكوت واللاهوت والجبروت، واللعنة الدائمة على أعدائهم ومبغضيهم ومنكري فضائلهم ومعارفهم ومقاماتهم ومعاجزهم وظلاماتهم من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين... وبعد..

إن ما دعانا إلى تصنيف هذا الكتاب سببان لا ثالث لهما:

(السبب الأول): الحميَّة الشيعية على المعارف الإلهية المتمثلة بعترة النبيّ الأعظم ﷺ التي أضحت ألعوبةً بأيدي عمائم لا نصيب لها في التحصيل العلمي بشقيه العقائدي والفقهي وما يتفرع عنهما من علوم كالدراية، وأسانيد الحديث، وأُصول الفقه، وقواعد التعادل والترجيح... فأقمحت نفسها فيما لا يعنيها، فوقعت في الفضول والحَيْرَة، وأوقعت غيرها في الضلال والشتات؛ فتناسوا المعارف الإلهية التي من أهمها معارف الولاية الدالة على المقامات العالية لأهل بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم) وعلو درجاتهم الرفيعة لا سيَّما مقام سيّدتنا الحوراء زينب (سلام الله عليها) التي لم يُعْرَف قدرها وعلو مقامها عند الكسالى من أهل العلم في الحوزات الشيعية المعاصرة.

(السبب الثاني): أنْ نردَّ المعالمَ من هذا الدين، ونُظْهِرَ كلمةَ الحقِّ والهدى بين المؤمنين الموالين... لأننا نعتقد بأنَّ إظهارَ الحقِّ ونشره بين العباد أمانةٌ

نحملها في أعناقنا، وأنَّ أيَّ تقاعسٍ اتجاهها يعتبر خيانةً عظمى بحقِّ الدين وأهله؛ لأن مهمة العالم الربانيّ هي أنْ يحلَّ المشكلات العقائدية والفقهية التي يواجهها المؤمنون في حياتهم الفكرية والثقافية والاجتماعية خصوصاً فيما يرتبط بما هو من اختصاصه ومن صميم مهماته العلميَّة والدينيَّة. . . فلا بدَّ له أنْ يحسم أمره بالوقوف إلى جانب الحق والدفاع عنه لا سيَّما ذاك المرتبط بمقام الولاية الإلهية المتمثلة بالعترة العلوية الفاطمية (على صاحِبَيها آلاف السلام والتحية). . . وليس من حقِّ العالم المتخصِّص أنْ يترك الآخرين يعبثون بعقول المؤمنين الموالين فيملأونها شكوكاً وشبهاتٍ تؤدي إلى تضعيف إيمانهم بمعارف الدين ومقامات سادة الخلق من آل محمد (سلام الله عليهم أجمعين). . كما ليس من حق أيِّ معمم أنْ يثقف الناسَ بمشكوكاتِهِ وموهوماتِهِ التي لم يستطع أن يحصِّلَ اليقينَ فيها، أو لم يجهد نفسه بالسؤال والفحص والتنقيب للحصول على اليقين بها. . . . !.

هذان السببان؛ كانا المحرّكين لنا في تصنيف كتابنا هذا وغيره من الكتب التي صنفناها للردِّ على الشبهات التي طرأت حديثاً على ساحتنا العلميَّة الشيعية. . . ولم يكن همنا - واللهُ شاهدٌ علينا - سوى الذود عن حياض التشيع الذي صار هدفاً لكل رامٍ بسهامه السَّامَّةِ يريدُ مقتلاً فيه لغايات دنيوية محضة. . . ولم نكن نريد - والله يشهد على ما نقول - التجني على بريءٍ أو أنْ ننال من سمعته وشخصيته رغم أنّه نالنا من بعضهم الكثيرُ من التهكم والتجنِّي علينا والازدراء بنا والاستخفاف بحقنا. . . ولنا موقفٌ معهم يوم الحساب الأعظم، ولم يكن تهكمهم علينا إلا لأننا تصدينا لباطلهم وأوصدنا الطريقَ عليهم، فمات في مهده بفضل الله تعالى وعون حججه الطاهرين (سلام الله عليهم أجمعين). . .

ولعلَّ السببَ الرئيس في تجنِّيهم علينا - عدا عمَّا ذكرنا من التصدي لباطلهم - هو أننا لا نملكُ الأموالَ والأعوانَ التي بها نصول ونجول على أعدائنا كما يفعل غيرنا من بعض المرجعيات الدينيَّة - والسياسيَّة منها تحديداً - في هذا العصر ممن يملكون الأموال المكدَّسة التي تذكّرنا بأموال قارون، ولديهم من

الرجال مثل ما كان لفرعون ونمرود، بهم يهددون كلّ مخالفٍ لهم برأيٍّ، ويرعدون ويبرقون على كلِّ مجاهدٍ يقف في الثغر الذي يلي إبليس وجنوده يذود عن حياض التشيع وردّ السهام المتوجهة إلى جسمِ معارفِهِ الحقَّة ومقامات قادته الميامين (سلام الله عليهم أجمعين). . .

نحن كبقية الفقراء والمساكين نعيش الكفاف - بحمد الله وفضله - لا نبتغي جمعَ الأموالِ ولا الأعوان. نعم ؛ نحبُّ أن يكون معنا أنصارٌ فاطميون زهرائيون يواصلون طريقَ الجهاد في سبيل معالم التشيع ورفعة معالمه وبيان معارفه الحقّة في عصرٍ شحَّ فيه المناصرون المخلصون، فمن عضدنا في مسيرتنا الجهادية فهو الفائز عند الله تعالى وحججه الطاهرين (سلام الله عليهم) وإلا سنبقى لوحدنا نجاهدُ الأعداءَ ولو مشينا على جمر اللظى، نقلع الشوك ونبري العِدَى، ونتمثل بقول الإمام الأعظم والإكسير الأكبر أمير المؤمنين أسد الله الغالب مولانا عليّ بن أبي طالب (سلام الله عليهما) بشعرٍ منسوبٍ إليه:

نصول على الأعادي حين تعشي ... ونلقى جمعهم بالمرهفات
بأيدينا صوارم ليس تنبو ... وأرماح لنا متطاولات
وخيل ضمر ليست بهجن ... إذا ريضت تباري العاصفات
وفتيان عليها لا يبالوا ... بنقع الحرب يغشون الممات

ومهما يكن من أمر: فإننا ألمحنا بالإجمال إلى السبب الذي دعانا إلى تصنيف كتابنا الجليل الموسوم بـ(الحقيقة الغراء في تفصيل سيّدتنا زينب الحوراء عليها السلام على مريم العذراء عليها السلام) وهو خصوص قضية إسقاط سيدتنا الحوراء زينب الكبرى عليها السلام عن مقامها السامي باعتبارها أفضل النساء وأعقلهنَّ وأخيرهنَّ بعد أُمها الصدّيقة الكبرى سيِّدة نساء العالمين مولاتنا فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) بلا منازع، غيرةً منا وحميَّة على تلك الطاهرة الزكية غير مكترثين بما ستعج به أندية الفضائيات والمنتديات من مهارشات الصبيان علينا، أولئك الذين سيعلو صراخهم وضجيجهم ونحيبهم ونعيقهم وشهيقهم عند قراءة كتابنا هذا، واستعير شعر المقري حينما قال:

بنو الدنيا بجَهْلٍ عظَّموها فجلت عندهم وهي الحقيرة
يهارش بعضهم بعضاً عليها مهارشة الكلاب على العقيرة

وقد علا هراشهم سلفاً – منذ سنة تقريباً – لمَّا عرفوا أننا شرعنا في الردّ على شبهة مَنْ يحبون من دون وعي وإدراكٍ كغيرهم من المتحازبين يصفِّقون من دون تأملٍ وتدبرٍ، ويباركون من دون وعيٍ وإدراك. . . لكنَّ الحقيقة الغراء ستعلو في سماء الولاية الزينبيّة الفاطمية (على صاحبتها آلاف السلام والتحية)، فإن الحقَّ يعلو ولا يُعلى عليه. . . فغايتنا هي أنْ نرفعَ – بمقتضى الأدلة والبراهين العلمية – من مقام السيِّدة الكبرى زينب الهاشمية عليها السلام، كما نريد أنْ نسهمَ في حفظ السلامة العامة من الوقوع تحت تأثير بعض الأفكار التي سجلها بعض المعممين هنا وهناك في الكتب والمقالات والمواقع الإلكترونية الرائجة ليتداولها الناس في شرق الأرض وغربها. . .

ونحن مسؤولون شرعاً عن معالم الدين، لذلك كان لزاماً علينا أنْ نردَّ على الشبهة بالدليل والبرهان وِفْقَ القاعدة التي سنَّها لنا رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا ظهرت البدع في أُمتي، فليظهر العالمُ عِلمَه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله».

وشبهة تفضيل مريم وآسية لم يتفرد بها الشيخ ياسر حبيب فحسب؛ بل وافقه عليها ثلةٌ من المعممين الذين لم يحسنوا الصِّناعة الأخبارية ولم يتقنوا دراسة المعارف الإلهية المتعلقة بذوات أهل البيت عليهم السلام ومقاماتهم وخصائصهم ومنازلهم. . . . وقد آلمنا كثيراً حينما سمعنا كلاماً – خلال كتابتنا لمقدمة كتابنا هذا – نفثه أحدُ المعممين على قناة الأنوار في مقابلة له حول مريم العذراء عليها السلام يزعم فيه كمالَ آسية بنت مزاحم على عامة نساء أهل البيت (عليهنَّ السلام) بمن فيهنَّ مولاتنا فاطمة بنت أسد عليها السلام وبنات سيّدة نساء العالمين (سلام الله عليها) اعتماداً على خبر عكرمة الذي اعتمده الشيخ ياسر حبيب، وهي نفس النغمة التي كررها جماعة من المعممين منهم الشيخان ياسر حبيب الكويتي وياسر عودة اللبناني وأضرابهما من عمائم موتورة كسلى. . . وهذا إنْ دل على شيء فإنما يدل

على الجهل الذي يغرق فيه المعمّمون في الحوزات الشيعية إلا من رحم ربي وقليل ما هم. . . .

ليت شعري! ما هذا التعنت الكبير والجهل العظيم الذي به يتمظهرون وعليه يتنافسون ولأجله يحبون ويكرهون، وهم عن الحقّ معرضون، يتناطحون لأجل الحطام: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝٥١﴾[1] وكأنهم لم يطالعوا الأخبار في بحار الأنوار الزاخر بمعارف السادات الأطهار من عترة النبي المختار ﷺ!!

إنَّ أكثر ما تحتاج إليه الحوزات العلميَّة في وقتنا الحاضر هو دراسة متون الكتب الحديثية بكدٍّ واجتهادٍ وارتشاف المعارف العقيديَّة من منابعها الأصلية وإلا فإنَّ مستقبل الحوزات الشيعية إلى زوال وسيؤول ذلك إلى اضمحلال المعارف اليقينية في صدور حملة العلم عن آل محمد (سلام الله عليهم). . . لذا فإنه يتوجب على طلبة العلوم إلى جانب دراسة أُصول الفقه بحلقاته التدريسية المتوسطة والعليا، الانكباب على دراسة متون الأخبار على أيادٍ أمينة وصدور سليمة في دراية الأحاديث لكي يشرقَ نورُ الإيمان في قلب الطالب السالك إلى الله تعالى والحجج الطاهرين (سلام الله عليهم) أجمعين باعتبار أن كلامَ الحجج المطهرين عليهم السلام نور إلهيٌّ أشرق من نور الأزل، فلاح على هياكل التوحيد آثاره. . . ويجب أن تكون دراسة المتون مادة أصليّةٍ أصيلةٍ في الحوزات العلميَّة لأن الجاهل بها لا نظن - بل لا نحتمل - أنه سيحمل عقيدةً صافيةً بمعارف أهل بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم). . . !.

إنَّ الكثيرين من المتزيين بزي أهل العلم اليوم هم من أجهل الجهلاء بمعارف الولاية والبراءة، بسبب الاعوجاج الفكري والاعتقادي، والسبات العميق الذي تغط فيه حوزاتنا العلمية الشيعية في وقتنا الحاضر. . .!!.

(1) سورة المدثر، الآيتان: 50، 51.

والسرُّ في ذلك أن القيِّمين عليها رجالٌ لم يأخذوا العلم من معدنه ولم يستغرقوا في محبة آل البيت والولاء لهم. . . فلو أنهم كانوا صادقين مع الله تعالى وحججه الطاهرين (سلام الله عليهم) لكان الله تعالى وفقهم إلى تحصيل المعارف الإلهية الخاصة بأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام ، ولأَحبَهم الأخيارُ من عبادِه المؤمنين، ففي الخبر عن الإمام الأعظم أمير المؤمنين (سلام الله عليه) قال: «إذا أراد الله بعبدٍ خيراً فقهه في الدين وألهمه اليقين».

وعن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله تعالى خلق المؤمنَ من طينةِ الجنَّة، وخلق الكافرَ من طينة النار». وقال عليه السلام : «إذا أراد الله بعبد خيراً طيَّبَ روحَه وجسدَه؛ فلا يسمع شيئاً من الخير إلا عرفه، ولا يسمع شيئاً من المنكر إلا أنكره».

وفي الخبر عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال: «لو أنَّ حملةَ العلمِ حملوه بحقه لأحبهم اللهُ وملائكتُه وأهلُ طاعتِهِ مِنْ خلقِه، ولكنَّهم حملوه لطلبِ الدنيا، فمقتهم الله وهانوا على الناس. . . . ».

نعم؛ لم يطلبوه لله تعالى لكي يحبهم الأخيار من المؤمنين، بل طلبوه للشهرة، فمقتهم الله ومقتهم الأخيار.

زبدة المخض: إنَّ مسؤوليةَ العالم كبيرةٌ جداً، وإذا قصّر أو تكاسل عن تحصيل المعرفة من أحاديثهم الشريفة فإنَّ حسابه عند الله عسيرٌ، وأيُّ تقصيرٍ في أداءِ الوظيفةِ الشرعيَّةِ الملقاة على عاتق المتزيين بزي العلماء ستودي بهم إلى نار جهنم؛ لا سيَّما عند التقصير في أداءِ حقِّ أهلِ بيت العصمة والطهارة (صلوات ربي عليهم) وعدم بيان رفيع مقامهم وعلو شأنهم، ففي موثقة حفص بن غياث عن إمامنا الصادق عليه السلام قال: «يا حفص يُغْفَر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يُغْفَر للعالم ذنبٌ واحد».

وبالإسناد المتقدّم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام : قال عيسى بن مريم عليهما السلام : «ويل لعلماءِ السوء كيف تلظى (أي تلتهب) عليهم النار».

وفي الصحيح عن جميل بن دراج قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إذا

بلغت النفس هاهنا وأشار بيده إلى حلقه لم يكن للعالم توبة، ثمَّ قرأ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾[1].

وفي الموثق عن أبي بصير عن الإمام أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾[2] قال: هم قوم وصفوا عدلاً بألسنتهم ثمَّ خالفوه إلى غيره»؛ أي: لم يعملوا بعلمهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن يحيى، عن طلحة بن زيد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنَّ رواة الكتابِ كثيرٌ، وإنَّ رعاته قليلٌ، وكم من مستنصح للحديث مستغشٍ للكتاب، فالعلماء يحزنهم ترك الرعاية، والجهال يحزنهم حفظ الرواية، فراعٍ يرعى حياته، وراع يرعى هلكته، فعند ذلك اختلف الراعيان، وتغاير الفريقان».

ولو أن المتزيين بزي العلم وقفوا عند الشبهة ولم يفتوا بغير علمٍ، لكانوا نجوا من الهلكة والسؤال في القبر ويوم يقوم الناس للحساب بين يدي الله (سبحانه وتعالى)، ففي خبر عن إمامنا أبي جعفر عليه السلام قال: «الوقوف عند الشبهة خيرٌ من الاقتحام في الهلكة، وتركك حديثاً لم تروه خيرٌ من روايتك حديثاً لم تحصه»؛ أي: إن الوقوف عند طروء الشبهة على المتصف بالعلم خير له عند الله تعالى مِنْ أنْ يقتحمَ مواردَ الهلكةِ بسبب تهوره وعدم تثبته للأحاديث وضمّ بعضها إلى بعض أو ترجيح بعضها على الآخر طبقاً لموازين التعادل والتراجيح المعمول بها في الوسط الفقهي، ولو أنَّ طالبَ العلمِ ترك حديثاً لم يتثبَّت منه خيرٌ له مِنْ أنْ يبتدع حديثاً لم يروه أئمةُ الهدى عليهم السلام.

وما نلاحظه اليوم في الوسط «المشيخي» هو عدم التثبت من الأحاديث التي يتناقلها بعضُ المعممين في وقتنا الحاضر، فإنهم كثيرو الاغترار بكتب القدامى مع ما في بعضها من أحاديث مغلوطة رواها علماءٌ مشهورون في الوسط العلمي

(1) سورة النساء، الآية: 17.
(2) سورة الشعراء، الآية: 94.

من مصادر العامة كالشيخ الصدوق على سبيل المثال حيث يُعرف عنه بأنه كثير الرواية من مصادر المخالفين، وقد اغتر به علماءٌ، فرووا كلّ غثٍّ وثمين، من دون تمييزٍ بين الصحيح والسقيم، والضعيف والقوي، والثقة والكذوب، كما هي الحال في شبهة الشيخ الكويتي ياسر حبيب وأمثاله من مشايخ وسادات هذا العصر. . . فلم يتثبت من خبر عكرمة المعروف بكذبه على ابن عباس وعداوته لأهل بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم)، فبمجرد أنْ وجَدَ الخبرَ المزعوم بتفضيل مريم وآسية على الحوراء زينب الكبرى (سلام الله عليها) في كتاب الخصال للصدوق، أخذ به وقطع بمضمونه من دون التثبت والمراجعة الدقيقة، فضلاً عن السؤال من علماء خبراء متخصصين في علمي الدراية والحديث يتصفون بالورع والتقوى ولديهم القدرة على تمييز الأحاديث المتعارضة والإحاطة بها، فينبغي الإحاطة بالأحاديث والتثبت من صحتها، وهو ما عبَّر عنه الخبر المتقدم بقوله: «وتركك حديثاً لم تروه خيرٌ من روايتك حديثاً لم تحصه»؛ أي: لا تعلم صدوره من أهل البيت عليهم السلام لأنَّ الإحصاءَ يعني الإحاطة العلميَّة بالأخبار. . . فمن لم يكن لديه القدرة العلميَّة والإحاطة الأخبارية فهو جاهل بمعارفهم وعلومهم وأحكامهم ومقاماتهم ومنازلهم. . !!.

وإني مذكركم أيها العلماء بما ورد في صحيحة حمزة بن الطيار لمّا عرض على الإمام الصادق عليه السلام بعض خطب أبيه حتى إذا بلغ موضعاً منها قال عليه السلام له: «كفَّ واسكت» ثم قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: «لا يسعكم فيما ينزل بكم مما لا تعلمون إلا الكفَّ عنه والتثبت والردَّ إلى أئمة الهدى حتى يحملوكم فيه على القصد ويجلوا عنكم فيه العمى ويعرّفونكم فيه الحقَّ، قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]».

وفي صحيحة هشام بن سالم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما حقُّ الله

(1) سورة النحل، الآية: 43.

على خلقه؟ فقال عليه السلام: «أن يقولوا ما يعلمون ويكفّوا عما لا يعلمون، فإذا فعلوا ذلك فقد أدّوا إلى الله حقّه».

وفي موثقة علي بن حنظلة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «اعرفوا منازل الناس على قدر روايتهم عنّا».

ونحن نسألُ الشيخَ ياسر ونظراءَه: هل وقفتم عند الشبهة؟ وهل رددتم ما لا تعلمونه إلى أئمة الهدى عليهم السلام بالرجوع إلى أهل الاختصاص في علوم العقيدة ودراية الأحاديث؟ وهل سألتم الأعلم منكم في حفظ الأحاديث ودرايتها وكيفية معالجتها على ضوء قواعد التعادل والتراجيح وضوابط الأُصول الفقهية والعقدية..؟ وهل اطلعتم على الأخبار المتعارضة مع خبر عكرمة؟ قطعاً لا!! لذا لا يجوز لكم أن تعرضوا بوجوهكم ونفوسكم عمَّا قلناه لكم وأشرنا به إليكم خلال بحثنا في هذا الكتاب الميمون، وإلا صدق عليكم ما قاله أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في مرفوعة ابن عائشة البصري قال عليه السلام: «أيها الناس اعلموا أنه ليس بعاقلٍ من انزعج من قول الزور فيه، ولا بحكيم من رضي بثناء الجاهل عليه، الناس أبناء ما يحسنون، وقدر كلُّ امرئ ما يحسن، فتكلموا في العلم تبين أقداركم».

فيا إخواني في الإنسانية والإيمان لا تنزعجوا من قول الحق ولا من قول الزور فيكم لأنَّ الحقَّ أحقُّ أنْ يتبع... فاعرفوا الحقَّ تكونوا من أهله «إعرف الحقَّ تعرف أهله»..

وها هي بضاعتي ألقيتها عليكم... فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضلَّ فعليها، وما ربُّك بظلامٍ للعبيد، اللهم اشهد أني قد بلّغت... ويا سيِّدي أبا صالح... يا بقية الله أُشهدكَ أني قد أديت الأمانة العلميَّة التي أمرتمونا بأدائها للناس... فكن لي المعين والمسدّد والملهم والناصر على من كاد لي لأجل ما أظهرته من جهلهم وتعنتهم... فإليك أشكو بثي وحزني من عمائم لم ترعَ لي حرمةً ولا ذمةً؛ فتهارشوا عليَّ كما تتهارش الذئاب على شاة ضعيفة غريبة... ذئاب لا تعرف الرحمة ولا ترعى فيك ذمة... فأنت كهفي حين تعييني المذاهب ويتكالب على

غربتي الذئاب والثعالب، ويتهكم عليَّ الأقارب والأباعد. . . ولن أخيب إذا التجأتُ إلى كهفك وحصنك يا من إليه يفر الخائفون، ويا من إليه يفزع الملمون. . . يا غوث كلّ مضطر وغريب. . فوضت أمري إليك، فأنت لا سواك مغيثي وسلوتي، يا رفيق الغرباء يا أبا صالح المهدي. . . صلّى الله عليك وعلى عمتك الحوراء زينب عليها السلام التي من أجلها تحملتُ من السفهاءِ قذعَ القولِ وقوارص الضغينة والبغضاء، وسأتحمل الأعاصير والأراجيف حبّاً لكم ولعمتكم المهضومة الحقوق مع رفيع شأنها عند الله وعندكم. . . وحقِّكَ عندي يا بنَ البتولِ الطاهرة فاطمة الزهراء روحي فداها سوف أكون بالمرصاد لكل متعنّت متزمّت ينال من مقاماتكم ومنازلكم الشريفة من قريب أو بعيد. . . وسوف تجدني شاهراً سيفي الذي هو قلمي لا أغمده إلا عند موتي. . . واللهِ يا سيدي لو كان لي في القبر فسحةٌ للدفاع عنكم لما توانيت، وساعتئذٍ أفوز بمحياك الطاهر. . . وابتسامة من ثغرك الطاهر تنسيني ما كدَّره عليَّ مَنْ ظنوا أنهم من شيعتك ومواليك. . . يا نعيمي ويا جنتي ويا دنياي وبرزخي وآخرتي يا قائم آل محمد. . اشفع لي عند الله تعالى في أن يجعل لي كرّة لأفوزَ بصحبتكم وطاعتكم وخدمتكم والانتقام ممن كادوا لكم والشهادة بين يديكم. . .

كلبك الباسط ذراعيه بالوصيد يترصد أعداءك. .

عَبْدُكِ محمّد



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الغايةَ التي دعتنا إلى تصنيف هذا البحث هو شيوع الاستخفاف بمقام الصدّيقة الصغرى الحوراء زينب (سلام الله عليها)[1] لدى البترية في الوسط الحوزوي الشيعي في الآونة الأخيرة، حيث راج القولُ بأفضليةِ آسية بنت مزاحم رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ومريم بنت عمران عَلَيْهَا السَّلَامُ على سيِّدة نساء العالمين زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ بعد أُمِّها الصدّيقة الكبرى سيِّدة نساء العالمين (سلام الله عليها) تحت ذرائع علمية مغلّفة بثوب المنطق الأرسطي؛ وهي أبعد ما تكون عن العلم والدراية والمنطق.. فطلّ علينا الشيخ ياسر حبيب من لندن بدعواه الماكرة تخفي تحت قناعها خلفيات أشعرية، أرادت - ولا تزال - إسقاطَ العقيلة الحوراء زينب الكبرى (سلام الله عليها) عن مقامها السامي بالفضائل والمقامات العالية والعصمة الكبرى...! ولم يكن الشيخ المذكور وحيداً في ميدان التشكيك بالفضائل والمقامات الخاصة بأهل بيت العصمة والطهارة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ..! بل سبقه إليها السيّد البيروتي حينما شكَّك في الكثير من ظلامات وفضائل ومقامات الصدّيقة الكبرى (صلوات الله وسلامه عليها)؛ فتارةً يصفها بأنها سيِّدة نساء العالمين ولكنه يقصد بذلك نساء عالمها - كما فعل ذلك في إحدى مصنفاته لما استشهد بخبر عامي في حلية الأولياء بأنها سيِّدة نساء عالمها - وأُخرى يصف تفضيلها على مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ بأنَّه «علمٌ لا يضر من جهله ولا ينفع من علمه، بل هو مجرد ترفٍ فكري»، وطوراً ثالثاً يقول بأنَّ «التفضيل سخافة ورجعية وتخلف!!»، ورابعةً يقول «لفاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ فضلها ولمريم فضلها ولا مشكلة في ذلك»...!.

(1) فهي صدّيقة صغرى بالقياس إلى أُمّها سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) وصدّيقة كبرى بالقياس إلى غيرها من نساء العالمين.

نعم، لكلٍّ واحدةٍ فضلُها ولكن من هي الأفضل؟! لم يجبنا السيِّد محمد حسين بصراحة على سؤاله التشكيكي بل أجمل وأبهم في جوابه بتفضيل الصدّيقة الكبرى الزهراء البتول (سلام الله عليها) على مريم بنت عمران عليها السلام كعادته في أجوبته المتشابهة التي لا يُعرف وجهُ الحقّ فيها لدى الشريحة الكبرى في الوسط الشيعيِّ. . . !.

وما اعتقده المذكور بعدم علو قدر سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) على مريم البتول عليها السلام لم يكن الإسقاط الوحيد له بحق السيِّدة الكبرى الزهراء البتول (سلام الله عليها) فحسب، بل له إسقاطات أُخرى ينفي من خلالها الجوانب الغيبية للصدِّيقة الكبرى (صلوات الله وسلامه عليها) كنفيه لاحتفال السماء بزواج الصدّيقة الكبرى عليها السلام بقوله: «إن التاريخ يفيض فيما لا حاجة لنا فيه في مسألة زواج الزهراء عليها السلام والجوانب الغيبية في ذلك الزواج فيما تحتفل به السماء وغير ذلك مما يتعلق بهذا الأمر. . . ».

ثم يقول في موضع آخر في جواب عن سؤال: أيهما أفضل مريم بنت عمران أم فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله بقوله: «هذا علم لا ينفع من علمه ولا يضر من جهله وإنما هو مجرد ترفٍ فكري أحياناً أو سخافة ورجعية وتخلّف أحياناً أخرى؛ وإذا كان لا خلاف بين مريم وفاطمة حول هذا الأمر، فلماذا نختلف نحن في ذلك؟ فلفاطمة فضلها، ولمريم فضلها ولا مشكلة في ذلك. . . ».

فكلا المشكّكَينِ من وادٍ واحدٍ وتوجهٍ فارد، حيث قدّما مَنْ حقّها التأخير، وأخَّرا مَنْ حقّها التقديم. . . ! فكلا الرجلين قدّما مريمَ بنتِ عمران عليها السلام على سيِّدة النساء الصدّيقة الكبرى وابنتها الصدّيقة الحوراء زينب عليها السلام، وتصافقا واتفقا من حيث النتيجة على إسقاطهما للسيِّدة الطاهرة الزكيَّة من المقامات الشامخة لأهل البيت (سلام الله عليهم)، فإنهما من مدرسة واحدة إلا أن الأدوار متنوعة، فأحدهما يتشنج ظاهراً ضد أصحاب السقيفة ولكنه في الوقت عينه يسقط أهل البيت (سلام الله عليهم) عن المراتب التي رتبهم الله فيها، والآخر قد انبطح على بطنه لنيل رضا أتباع مدرسة السقيفة، ولكنَّ النتيجة واحدة وهي رضا أتباع

مدرسة السقيفة في إسقاط أهل البيت عليهم السلام من عليائهم المقدّس ومقامهم السامي... ولا عجب في ذلك بعد أنْ سبرنا أخبارهما وتفحصنا أحوالهما، فظهر لنا أنهما من مدرسة حزب الدعوة فكراً ومنهاجاً؛ لأن القصد من الانتماء لأيِّ حزبٍ إنَّما هو في الانتماء الفكري المنهجي لا الانتماء التنظيمي فحسب.

والرجلان ينتميان إلى هذا الحزب الذي سعى دائماً ولا يزال يسعى جاهداً عبر عمائم هنا وهناك للتشكيك بفضائل وظلامات أهل البيت عليهم السلام؛ وكلاهما ينفيان الأخبار الكاشفة عن علو مقام سيِّدة نساء الجنة والحور العين وابنتها الحوراء زينب عليها السلام... فالشيخ حبيب اعتمد على خبر عكرمة في تفضيل مريم وآسية بنت مزاحم من دون النظر إلى الأخبار الأُخرى، أمّا فضل الله فقد اعتمد على رأيه واستحسانه طارحاً الأخبار الكثيرة الكاشفة عن سيادة الصدّيقة الكبرى (سلام الله عليها) على مريم وغيرها من نساء العالمين...!

والتشكيك - سواء أكان تقليلاً من أهمية مقاماتهم الشامخة أو كان تسخيفاً والعياذ بالله تعالى - فإنه انحراف عن جادة الصراط المستقيم وكفر بمقامات أولئك المطهرين (سلام الله عليهم) مع علمنا القطعي بأن الله تعالى قد رفعهم على عامة خلقه، وقدّرهم منازل عالية لم يسبقهم إليها سابق ولن يلحقهم فيها لاحق.. وإن أيَّ تضعيف أو تسخيف لمقام أو فضيلة أو ظلامة لأهل البيت عليهم السلام سيؤدي إلى انحسار الثقافة الغيبية بمعرفة أوليائه وأنبيائه وأصفيائه، وإلى انحسار كثير من حقائق الدين والمعارف الإلهية، ولسوف يؤدي أيضاً - بطريقة أو بأُخرى - إلى إضعاف الارتباط بهذه المواقع الإيمانية، وهذا ما مِن شأنه أنْ يضعف الحوافز الكثيرة التي تؤثر في السلوك والمواقف، وفي مستوى حقائق الإيمان بصورة عامة...!.

إن النصوص الشريفة التي تتحدث عن الجوانب الغيبية والخصوصيات العالية في شخصية سيدتنا الصدّيقة الكبرى سيّدة الحور والجنان أميرة عوالم الوجود الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء وابنتها الحوراء زينب (سلام الله عليهما) ليست ترفاً فكرياً رجعياً؛ بل هي حقيقة سماوية كشف عنها النص النبوي والوَلَوي،

وهي من العلوم التي تنفع من يعلمها ويضر جهلُها مَنْ جهلَها، ولولا ذلك لم يبادر المعصوم عليه السلام الذي لا ينطق عن الهوى إلى تعليمنا إياها، فهذه الحقائق المعرفية والمقامات العلوية ليست كقصص مجنون ليلى ولا قصص عنتر وعبلى حتى تنطبق عليها قاعدة هذا (علم لا ينفع من علمه ولا يضر من جهله)، وهي قاعدة سنّها النبيُّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لرفض قصص الجاهليين التي لا يترتب عليها نفع وقيمة كما جاء في أحد الأخبار الكاشفة عن هذه القاعدة؛ ففي خبر عن مولانا الإمام الكاظم عليه السلام قال: دخل رسول الله المسجد فإذا جماعة قد طافوا برجل فقال: ما هذا؟ فقيل: علّامة! قال: وما العلّامة؟ فقالوا: إنه أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها وأيام الجاهلية والأشعار العربية!»، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ذاك علم لا يضر من جهله ولا ينفع من علمه! ثم قال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنة قائمة، وما خلاهنَّ فهو فضلٌ».

فظهر لنا من خلال كلامه المتقدِّم: أن المشكّك المذكور لا يعتبر التحدث بفضائل سيِّدة نساء العالمين عليها السلام من الفرائض والسنن والآيات المحكمات بل يدخلها في قصص التاريخ الغابر الذي لا يضر من جهله ولا ينفع من علمه. . . !!.

وقد سرت أفكار الضلالة في الوسط الشيعي كسريان النار في الهشيم بفعل عوامل السلطة والمال اللذَيْنِ يملكهما البتريون الجدد في المجتمع الشيعي عبر عمائم غرستها جهاتٌ عامية في وسطنا الشيعي لتضليل القواعد الشيعية. كما تنوعت الأدوار في إضلال الناس، فمرةً يكون الإضلال صريحاً بإنكار الفضائل والمناقب والظلامات، وتارةً بكون الإضلال ملبساً بثوب البحث العلمي والولاء لأهل بيت العصمة والطهارة (صلوات الله عليهم) والبراءة من أعدائهم (لعنهم الله). . . ! وثالثةً منمقاً ومزخرفاً بكلمات الأكابر من علماء الطائفة بدعوى أن أعلاماً عظاماً ينكرون الفضيلة الفلانية والظلامة الفلانية. . . إلى أنْ تضخمت العقولُ الساذجة والأفئدةُ الضعيفة بسيولٍ من التشكيكات والضلالات والهرطقات، حتى إذا ما انبرى عالمٌ مجدٌ أو فقيهٌ مكدٌّ ليدفع الشبهة بالدليل

والبرهان اعترضته حواجز كثيرة من قبل عمائم لئيمة المعدن، خبيثة الطينة والمصدر، مجلببة بثوب الولاية والبراءة بمآزرة رعاعٍ من سفلة الناس فيبدؤون بحملات السبِّ والشتم واللعن والتكفير على كلّ مصلحٍ يبتغي ردّ المعالم العقائدية والفقهية إلى مسارها الصحيح بعد أنْ لوثتها أفواه اللئام من عمائم الأنصار كما قال الشاعر العربي:

ذهبت قريشٌ بالمكارم والعُلى والـلؤم تحت عمائم الأنصار

ونحن على يقينٍ بأننا سوف نتعرض إلى حملة شعواء عند انتشار كتابنا هذا تفوقُ حدّةً الحملات الأولى التي تعرضنا لها من قبل البتريين ولا سيَّما الرعاع من أتباع المدّعي الذي خصصنا بحثنا لأجل دفع شبهته حول أفضلية مريم بنت عمران عليها السلام على الصدّيقة الكبرى زينب (سلام الله عليها)... ! وقد بدأت فعلاً هذه الحملات الشعواء علينا لمَّا سمعوا بردّنا على شيخهم ياسر حبيب الكويتي فشتمونا وقدحوا بنا عبر المواقع الإلكترونية، بل تخطَّى بعضهم حدود الجرأة لينعتنا بالبترية والحمق والشيطنة في حين وصفوا شيخهم بالمحقق وشيخ الإسلام وثقته، وبعد مدة يدّعون له مرجعية الأُمة التي صارت سلعةً لكلِّ شاردٍ ووارِدٍ يملك الأموال والأعوان... ! أليست هذه مفارقة يا أُولي الألباب.. ! فإذا كان التحقيق كما هو عند هذا الشيخ مع ما هو عليه من الشبهات وضعف الاستدلال... فعلى الإسلام السلام، وعلى التشيع الرحمة والرضوان... حسبنا الله منهم، وهو كافينا من كلّ عدوٍ نصب لنا العداوة لأجل ولائنا لعترة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والبراءة من أعدائهم.

والحاصل: إن المدَّعي المذكور ينتمي إلى خطٍ مُبهمَةٌ أفكاره وتوجهاته، ولطالما تستر بالشعائر الشيعية البراءتية ليغطِّي على توجهاته التشكيكية؛ وخير شاهدٍ على ما ندّعي، ما قرأناه في كلمات هذا الرجل هنا وهناك في موقعه الإلكتروني من تسخيف لشخصيات علوية وولائية من رجالات الشيعة الأبطال وغيرها من العقائد والأحكام الأشعرية المنبع والطينة؛ ولا عجب مِنْ ذلك بعد أن نهج منهجاً دعوتياً أو يصب في خانة الدعوة الأشعرية؛ فإنَّ كتبَ ومقالات

وخطابات هذا الخط مليئة بالفقه السني والعقيدة الأشعرية. . . ولا يجوز للشيعة أن يغتروا بظاهر ولاء هؤلاء الذين يخفون عقائد أشعرية وتوجهات سياسية مريبة، غايتها السلطة والتحكم بالقواعد الشيعية في بلاد الله العريضة تماماً كغيرهم من الأحزاب الشيعية التي لا تفتر عن التحكم بالقواعد الشيعية تحت ذرائع الحرص على معالم التشيع وهي تخفي وراءها توجهات أشعرية وغايات سلطوية. . . . !.

إنَّ تكتلَ الأحزابِ الوحدويَّة في الوسط الشيعي بكافة فروعها وتنوعها الحركي لم تكن الغاية منه الحفاظ على التراث الشيعي ولا صون معالم التشيع. . . كلا! بل الغاية من وجودها وتكتلها هو طعن التشيع في صميم قلبه بعد أن عجز الأعداء عن ضربه والقضاء عليه من خارج الصف الشيعي فغرسوا عمائم من جنس طينتهم الخبيثة في صفوفنا لكي يقوموا بالدور المطلوب منهم ألا وهو التشكيك في ركني الإيمان وهما: التولي والتبري والآثار المترتبة عليهما كالكرامات والمعاجز وعلو الدرجات والمقامات والظلامات التي لحقت بآل البيت (سلام الله عليهم) من قبل أعدائهم. . . فلعبت هذه الأحزاب دوراً نشطاً في نشر الفكر الأشعري عبر التشكيك بالمقامات والظلامات المتعلقة بأهل البيت عليهم السلام، فقسَّموا الأدوار للوصول إلى النتائج المرجوة لديهم، من هنا فقد تبنوا نمط التشكيك تارةً وبالصراحة خفيةً أو علناً. . . ! وقد سلك المدّعي الذي خصصنا البحثَ لأجل الردّ على شبهته النمطَ الأول من الأنماط المتقدمة، وقد تأثر به رعاعٌ من المدرسة التي ينتمي إليها؛ وما ذاك إلا لأنهم يستفيدون منها استفادةً مادية تكفيهم مؤونة العيش وأكثر، حتى أتخمت كروشهم من فضول الحطام بسبب ما تنثره هذه المدرسة من أموال على رؤوسهم يكاد العالِمُ بأهل زمانه يطمئن إلى أنها ليست من الأخماس فحسب بل يعتقد بوجود مصادر سياسية أُخرى تمولها دول كبرى ذات نفوذ في المنطقة الشيعية. . . ! وقد حشدت هذه المدرسة كافة طاقاتها لترويج أفكارها الفاسدة وآرائها الكاسدة؛ وقد نجحت إلى حدٍ كبير في السيطرة على شرائح كبرى في المجتمع الشيعي عبر السلوك الجمعي، وهو ما نسميه بالسلوك اللاواعي الذي يتأثر بالعواطف الدينية نحو أهل

بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم)، فالمعالم الرئيسية لحياة الناس في قضايا الدين والحرب والسلم هي للمتحكم بهم فكرياً وعاطفياً وسياسياً. . . ! فالإرهاب والإكراه والترهيب والتشهير والتسقيط الإعلامي مشفوع بالترغيب والإغراء. . . ذلك كلُّهُ مدعوم بالجهل والسذاجة وقلة الوعي والضعف العقائدي الصحيح عند عامة الناس، بل يجهلون ما يكون عليه الأمير من حيث سرائره وغاياته، كما يجهلون - في الوقت عينه - عدوَهم أو مقاتلَهم وأسبابَ قيامه وغايته، وإذا أراد القائدُ السياسي السلامَ والمهادنة والتنازل عن معالم التشيع فما عليهم إلّا التصفيق والتصفير، لذا عليهم أن يلعنوا من لعن، وأنْ يشتموا من شتم، ويكرهوا من كره، ويحبوا من أحبَّ، ويهتفوا بألسنتهم هتافات لا يعون كنهها، ويتظاهرون بمظاهرات في الشوارع ويحملون اللافتات بلا هضم للواقع ولا استيعابٍ للظروف يصفقون لمن يأتي ويهتفون بحياته، ثم لا يلبثون قليلاً حتى يعرضوا عنه بنبذه وينادون بمماته، ثم إذا بسط لهم العطاء أو نفذ لهم مطلباً معيشياً يصفقون له من جديد. . . !

فلا تخلو حياة الناس من تكرار هذه الحالات بسبب التأثير الجمعي اللاواعي والعقل الجمعي الغبي الذي لا يرتكز على المفاهيم العقائدية السليمة والمناهج الفكريّة المستقيمة. . . !

فالغوغائية الجماعية طالما أثرت على أفكارهم الخاوية من صفاء العقيدة وروح التقوى والورع، لذا سار من سار ووقع كالأسير من وقع. . . !

إنّ إسلامنا الحنيف قد حارب الوقوع بمجاهيل الحياة والاستغراق في الجهل والغباء، لذا فقد ناشد كلّ من يؤمن به، ووجهه إلى اليقظة والوعي والبصيرة كي لا يفقد الفرد صوابه فيجرفه تيار السلوك الجمعي اللاواعي إلى المتاهات والظلمات ويحوّله إلى آلة صمّاء سالباً منه شعوره المرهف وإحساسه الذي حباه به المولى المتعال جلَّت أسماؤه وعظمت آلاؤه، كما لم يألُ الإسلامُ العظيم جهداً في التركيز على عنصر التقوى النظرية والعملية المتمثلة بركني العقيدة الشيعيَّة الحقّة: (التولّي والتبري) والسلوك العملي السّوي كي لا يذوب

الفرد المؤمن في تيارات أعداء أهل البيت عليهم السلام وما أكثرها اليوم تحت عناوين متعددة، فمرّةً بعنوان ديني وولائي، وأُخرى بعنوانٍ جهاديٍّ ثوريٍّ، وثالثة بعنوان إنقاذي من براثن الظلم والجور. . . وكلّها عناوين برّاقة استهلاكية تريد الوصول إلى السلطة والرياسة على أكتاف هؤلاء البسطاء الذين يميلون مع كلّ ريح وينعقون مع كلّ ناعق كما وصفهم بذلك أمير المؤمنين عليّ عليه السلام . . . !.

والإسلام أيضاً قد طلب من مريديه وأتباعه كشف الحجاب عن أنفسهم ومعرفة ذواتهم ومحاسبة الفرد لنفسه ليفهمها ويعرف شخصه ويعثر على ذاته، فينطلق إنساناً صلباً أبيّاً يعطي الحقَّ لصاحب الحق ويميل إلى الحقّ أينما وُجِد. . . كما أنّ عليه التحرّكَ بقناعاتٍ مبدئيّةٍ وعقائدية بحيث لا يتأثر بالتسيير الجمعي والسّلوك اللاواعي؛ لأنّ مَن كان بهذه النفسية الانهزامية هو إنسان خارج على ذاته بجهله لنفسه وإقصائه الهُدى الفكري عن نفسه، فسيّان العمل عنده مع الأحرار أو العبيد طالما أنّ هدفه منبعثٌ من دوافعَ لا يدريها هو نفسه. . . فمن كان متترساً بالعقيدة ومتدرِّعاً بالمبادئ الصافية النقيّة من أجل الكلمة الحرّة ونصرة الحق فلا تزعزعه المواقع الكبرى ولا تقف في وجهه سيوفُ الظلم العاتية. . . فمَن أراد أنْ يكون في الصفِّ الأول من المجاهدين في سبيل الدين فما عليه إلّا أنْ تكون لديه رغبة ذاتية وقناعة نابعة من إيمانٍ راسخٍ بالعقيدة المتمثلة بأهل بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم)، هذه العقيدة التي حملها أصحابهم الميامين رضي الله عنهم ، حيث كانت نصرتهم للأئمة الطاهرين عليهم السلام على أساس الرغبة الذاتية والقناعة النابعة من الإيمان العميق بهم عليهم السلام ، ولم تكن نصرتهم قائمة على أساس المنافع والمصالح الذاتية مدعومةً بالسلوك الجمعي المتأثر بالعواطف التي لا تركن إلى الدين والعقل السّليم. . . فحتى تكون - أخي القارئ - شيعياً مجاهداً عليك أن تتمثل بأصحاب البصائر من أنصار شيعة أئمة الهدى ومصابيح الدجى عليهم السلام . . . ومن أروع الأصحاب ذوو البصائر النافذة شهداء كربلاء الذين تحلّوا بمعنويات عظيمة وطاقات رفيعة سامية قلّما شهد من تاريخ الأبطال البواسل مثلها، فلم يستوحشوا من قلّتهم أو يخشوا كثرة العدوّ

اللدود، ولم يستاؤوا لندرة عددهم؛ وإنما تكون الندرة هنا أدلّ على جلالة المرتقى الذي تطيقه النفس الواحدة أو الأنفس المعدودات ولا تطيقه نفوس الكثيرين من عامة الشيعة. . . !.

فلقد أبرزت البطولات العقائدية في ملحمة كربلاء شرف التضحية على نحوٍ باهرٍ وجليل، فقد كان جهادهم الأغر رمز الوفاء والفداء، فكان سموّهم ناجماً عن سموّ دوافعهم، وعُلاهم مستمدٌّ من عُلا إمامهم عليه السلام، وجلالهم من جلال نهايتهم، فالإيمان الكبير والصدر الواسع الرّحب والثبات الخطير يمنح المرءَ كلّ مقوّمات الإكبار ويرفعه من مجرَّد إنسانٍ عاديٍّ بين الناس إلى إنسانٍ مُميَّز لا يُضاهى، ومن ثمَّ فإنّ إيمان الأقوياء بما هو إيمانٌ متميزٌ سوف يولّد ويعطي الكثير مما لا غنى للمجاهدين عنه، يعطيهم رياضة النفس وتهذيبها من علائق الدنيا، ويعطيهم صفاءها لتبلغ درجةً عالية من التقوى والورع للتخلص من الشوائب النظرية العقلية والسلوكية النفسية، فترتقي نحو مدارج العُلا وتصل إلى مستوى القدّيسين المقربين. . . !.

والتحليق الروحي والفكري النقي الذي يصاحب أهلَ اليقين والمؤمنين بقضايا الدين والعقيدة الحقة، لا بدّ أنْ يرعاه اللهُ تعالى برعايته ويسدّده بتسديده ليمنحَ المؤمنَ القدرةَ على رؤية ما لا يراه الملايين، وأنْ يتوصل إلى ما لا يتوصل إليه إلّا القلّة من البشر، ويصبح ممن تتكشّف له الخفايا التي لا يراها غيرُهُ من رُمْدِ العيون وعمَّه البصائر. . !.

والعقيدة الدينيَّة هي السبيل الوحيد لنيل الحظوة عند الله تعالى وعند حججه الطاهرين عليهم السلام، وكلما أتقنت - أخي المؤمن - تفاصيلَ عقيدتك كان ذلك أرضى للربّ وعَزَّزَ صِلتك بحجة الزمان الإمام المعظَّم بقيَّة الله الأعظم الحجَّة المهدي الموعود (صلوات الله عليه)، من هنا كان هشام بن الحكم الشاب اليافع الذي لم تُخطّ لحيته أحبَّ إلى إمام زمانه سيّدنا ومولانا الإمام المعظَّم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام من بقيّة أصحابه المقربين لما يمتاز به هشام من عقيدة صلبة لا تفلها معاول الفاسدين والظالمين والمستكبرين، ومن إتقانٍ لأُصول الكلام وفن

المحاورات العقائدية التي من خلالها يفحم أعداء أهل البيت عليهم السلام بحيث لا تأخذه في الله تعالى لومة لائم، إذ إنّ إلقاء نظرة بسيطة على محاوراته (رضي الله عنه) في أصول الكافي يسلّط الضوء على مدى إتقانه وإخلاصه للحجج الطاهرين عليهم السلام ما يقتضي القول بأنَّ تحصيل رضا الرب تعالى والحجج المعظمين عليهم السلام منحصرٌ بأمرين، أحدهما الحكمة النظرية المتعلقة بأصول العقائد، وثانيهما الحكمة العمليّة المتمثلة بالسير والسلوك العملي من خلال تطبيق منهج الأحكام على مرافق الحياة، ولا يكفي في الأمر الأول اكتناز المعارف دون السبق إلى إنفاقها على الآخرين سوآء كانوا من المؤمنين أو من المخالفين؛ لأنَّ زكاة العلم إنفاقه كما جاء في الحديث الشريف، بل إنَّ الغاية من علم الكلام هي إفحام المعاندين والمخالفين من النواصب والكافرين والمنافقين المتلبسين بمآزر الدين ومعالم التشيُّع، فحتى تُرضي إمام زمانك عليه السلام ، عليك بجودة التعلم من الثقات المأمونين على الدين والدنيا مستعيناً بهم (صلوات ربي عليهم) إذ الاستغناء عنهم علامة الكفر ودلالة على الإفلاس الفكري والروحي، لأنَّ الخير كلَّه عندهم كما عن إمامنا المعظَّم عليّ الهادي (سلام الله عليه) في الزيارة الشريفة الجامعة الكبيرة: «**إنْ ذكر الخير كنتم أوَّله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه. .**».

يجب على العالم أو المتعلم في حال واجه الخصوم أنْ يكون متوجهاً بأعماقه إلى من بيده أزمة الأمور من خلال إمام الزمان المهدي المنتظر عليه السلام حجة الله تعالى على خلقه في أرضه وسمائه؛ لأنّ الأعداء كثيرون جداً في زماننا هذا، لكنَّ وسائل تصدير المعارف الشيعيّة باتت متوفرة ولا يخلو منها صقعٌ أو بيتٌ لا سيّما عبر المواقع الالكترونيّة التي خرقت الجدار الحديدي الذي اصطنعته السلطات المعادية للتشيع حيث حظرت - ولا تزال - هذه السلطات دخول الكتب الشيعيّة إلى دول الخليج التي تزعم أنَّها على خطى الديمقراطية المستوردة من دول العالم الغربي المتحضر، ولكن شتان ما بين دول الغرب التي لا مشكلة لديها في كتب المسلمين بعامة فرقهم ومذاهبهم وبين دولنا التي تتزيَّا بزيّ الدين،

وما ذلك الخوف إلَّا لأنَّ سلاطين تلك الدول لا زالوا في عقلية القرون الوسطى بل عقليّة سلاطين القرون الأولى التي لا تعرف قيمةً للبيان والقلم بمقدار اهتمامها بالسيف والمقصلة بحقّ من ينتقد أسباب اعوجاجها عن جادة السبيل، ولو أنَّهم تبصّروا في دنياهم وكانوا على دراية من الحكمة والتعقل - كما كان غيرهم ممن حكم بإنصافٍ - لكان عمَّ السلام ربوع بلادهم، ولأمطرت عليهم السماءُ بركاتها وأخرجت الأرض لهم خيراتها؛ ولكنَّهم تعسفوا وظلموا وسفكوا الدماءَ لأجل البقاء في سدّة الحكم..!!.

ومما يقرح قلب الغيور أن دولةً شيعية تدعم خطَّ المدرسة البكرية، وتدعمها أحزابٌ شيعية هنا وهناك، قد حاربت العلماءَ الموالين في داخل بلدها، وسدَّت عليهم المنافذ التبليغية عبر المواقع الإلكترونية... لأجل أن يبقى الناسُ في جهلٍ مطبقٍ حيال معارفهم الاعتقادية والأحكام الشرعية المستقيمة، ولكي لا يعوا الحقائق، فلا يقدرون بالتالي على التمييز بين الظالم والمظلوم، وبين الفاسد والصحيح، وبين النور والظلام... إنها شهوة الحكم والسلطان والتوفيق بين الحقّ والضلال...! وهل بعد الحق إلا الضلال..!.

والحاصل: إن المشكلة التي وقع فيها صاحب الشبهة الشيخ ياسر حبيب هي عدم إلمامه بالأخبار وقلة باعه في تحصيل المعارف الربانية عند الشيعة الإمامية، وسيتضح للقارئ المنصف بأنَّ صاحبَ الشبهة ضعيفُ الدراية في علم الرجال والعقيدة والفقه فهو كمن خاض غمارَ بحرِ المعرفة دون إلمامٍ بقانون السباحة...! وما ذاك إلا لأن الحوزات العلمية باتت وكراً لكلِّ طامحٍ وطامع بالرياسة والسلطة ليس بأداة علمية، بل بأداة إعلامية ومادية، فمن يوزع الأموال هو المرجع البطل، ومن يكتسب الأعوان هو المجتهد المغوار حتى لو كان هذا وذاك من أجهل الجاهلين بقضايا الفقه والعقيدة والحديث والتاريخ... إلخ، فلا قيمة للعلم ولا للخلق الرفيع ولا للورع والعفاف... مع العلم بأن المذكور لم يتخرج من حوزة ولم يتربَّ علمياً على يد أُستاذ مأمون على الدين والدنيا ومتخصص بعلوم العقيدة والدراية والفقه... فأين أساتذته وأين مربوه!!؟ ولا

يكفي إطراء هذا العالم وذاك المعمم عليه لأجل كلمة صدع بها هنا وهناك فدغدغت مشاعرهم الشيعية وأظهرت ما كان مكتوماً من المحبة لأهل بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم) من دون أن يتدبروا الخلفية التي يقف خلفها هذا الرجل الذي سحرهم بلعن عائشة أو لأنه من جنس طينتهم الملتوية التي لا تطري إلا على محازبيها وخريجي مدرستها. . . . !.

ومن غريب ما سمعنا من أحد معجبيه: أنَّه لا يهم في تحصيل المعارف الإلهيَّة التدرب على يد أُستاذٍ حاذق والجلوس بين يديه لتعلم طرق الاستدلال العقدي والفقهي، فالعبرة - بحسب الدعوى المذكورة - هي في النتائج والغايات لا في الوسائل والمقدمات. . . وهي دعوى مجافية للحقيقة العلمية ومخالفة للوجدان والضرورة الدينية وسيرة المتدينين والعقلاء الذين لم يخرجوا عن السلوك الطبيعي الفطري في تلقي المعارف والعلوم والتدرب في طرقها والعروج في مسالكها الوعرة ورموزها الغامضة، لأن لكلّ علم مفاتيح وأبواب لا يعرفها إلا الخبراء المتمرسون فيه؛ وإلا غدا كلّ علم سلعةً بائرة لكلِّ مدَّعٍ وطامعٍ أو طامحٍ فيصير عاليها سافلها وصحيحها سقيمها وجيدها رديئها. . . لا سيَّما المعارف الإلهيَّة وقضايا الفقه ودراية الأحاديث المتعلقة بمعرفة قواعد الترجيح، وتمييز الناسخ من المنسوخ، والمحكم من المتشابه، والناسخ من المنسوخ، والمبيَّن من المجمل والمبهم، والضعيف من القوي. . . فالولوج في علوم الشريعة من دون التدرب على يد خبيرٍ ثقة يستلزم الدخول في بحرٍ عميقٍ قعره، وعرةٍ طرقه، شائكةٍ مسالكه؛ بسبب ما يعتريه من أخبار متعارضة ومجملات بحاجة إلى ترجيح وتفسير وعلاج ضمن قواعد رجالية وأُصولية وفقهية وكلامية. . . فخوض غمارها من دون تدريب على أيادٍ أمينة مستقيمة تقحم سالكها في مزالق خطيرة على المستوى العقدي والفقهي تودي به إلى نار جهنم. . . فلا يمكن لأيِّ مدَّعٍ أنْ يقتحم أسوارها، زاعماً أن الغاية هي النتيجة لا المقدمات؛ وإلا لاستغنى الشيعة عن الحوزات العلمية والمعاهد الدينية، ولكان تحصيل العلم الديني سهل المنال لكلِّ راغبٍ يروم الوصول إلى تزعم الطائفة

للإفتاء لهذا وذاك. . . فينكب على مطالعة الكتب المتباينة في مشاربها وتوجهاتها العقدية والفقهية طبقاً لمباني مصنفيها وطرق استدلالهم على تحصيل المطالب مع ما في بعضها - إن لم يكن أكثرها - من اعوجاج في الاستدلال وضلال في المنهج والاستنباط. . . فكيف يمكن - والحال هذه لمبتدئٍ لم يدرس في حوزةٍ مأمونةٍ ولم يتلمذ على أيدي أساتذة متمرسين - أن يكون في مصافّ العلماء المكّدين. .؟! لأنّ من اعتمد على عقله في فهم المطالب الشرعية لا يحصد سوى الخَيْبة والافتراء على الشريعة الغراء وقادتها الأطهار (سلام الله عليهم)، لذا أمر أئمتنا الطاهرون (سلام الله عليهم) بأخذ علومهم من العلماء الثقات الأجلاء، وهو ما أكد عليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾[1] وقد فسرت الأخبارُ الطعامَ بالعلم عمَّن يأخذه، وهو ما دلت عليه الأخبارُ الأُخرى الآمرة بوجوب أخذ العلم من الثقات كقول إمامنا الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ لما سأله ابن المسيب الهمداني: «ممن آخذ معالم ديني؟»، قال: «من زكريا بن آدم القمي، المأمون على الدين والدنيا».

وعلى هذا جرت سيرة أعلام الإمامية قديماً وحديثاً، حيث أمروا بأخذ العلوم من أفواه الرجال الثقات لا من الصحف والأقوال، وقالوا: «من أخذها من الكتب لم يأمن من التصحيف والتحريف».

فمَنْ لم يعرف أُستاذاً موثوقاً يتعلّم على يديه فنون الاستدلال كيف يمكنه أن يبرع في النتائج والوصول إلى الغايات المأمونة شرعاً وعقلاً؟!!. . . . اللهم إلا إذا كان ملهماً ومسدداً من قبلهم (سلام الله عليهم) فتكون نتائجه العلمية رافعةً من مقام الولاية الإلهية للعترة العلويَّة الفاطميَّة، ومبعدةً عنها كلّ ما يوجب تضعيفها أو التشكيك فيها. . . ولكنَّ هذا مشروطٌ بقطع أشواطٍ من التعلم والتدرب على معرفة القواعد والضوابط التي جاءتنا من جهتهم (سلام الله عليهم)؟! وأين هذا ممن تسافل في نتائجه العلمية بحقّ الحوراء الطاهرة الزكيَّة زينب الهاشميَّة التي

(1) سورة عبس، الآية: 24.

هي تاج الولاية العلويّة ونبراس الهداية الفاطميّة (على صاحبها آلاف السلام والتحية). . . ؟! هذا فضلاً عن هشاشة استدلاله في المطالب الأُخرى، ليس المقام محل استقصائها واستعراضها والإيراد عليها، فلها مجال آخر لعلَّنا نتطرق إليه إن دعت الحاجة إلى ذلك. . . !.

زبدة المخض: إنَّ موضوع تفضيل سيدتنا الصدّيقة الكبرى الحوراء زينب عليها السلام على الصدّيقة مريم العذراء عليها السلام لم يطرقه أحدٌ ممن سبقنا، ولعلَّ ذلك لوضوح أفضليتها على مريم عليها السلام باعتبارها من أهل بيت النبوة وموضع الرسالة، أو لجهل الأكثرين في الوسط العلمي الشيعي بمقام الحوراء زينب (سلام الله عليها).

ولعلَّ عدم إثارتها - بالشكل الذي أُثيرت فيه المسألة - عائد إلى غلبة العلماء المتقين في الوسط الحوزوي قبل خمسين سنة؛ وما دعانا للبحث فيها هو ما ظهر أخيراً على ساحتنا الشيعية من كثرة الكلام - عن جهل وغفلة أو تجاهلٍ وتقصير - حولها حتى غمطوا النعمة التي كانت - ولا تزال عليها - السيّدة الصدّيقة الحوراء زينب بعد أُمها سيِّدة نساء العالمين الصدّيقة الكبرى الزهراء البتول عليها السلام، فلم ندع للشبهة أيَّ منفذٍ للخروج والانتشار، وإنْ وجِدَ من قال بأفضلية مريم عليها السلام على الحوراء زينب (سلام الله عليها) فنجعله في خانة الكسالى من جهة تحقيق المطالب العقدية وعلوم دراية الأحاديث حتى لو كان من أكابر العلماء ونطحتْ عمامتُهُ حجابَ السماء. . . قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ﴾[1] فالعبرة في ما يقال وليس فيمن قال، وكما قال أمير المؤمنين الإمام الأعظم مولانا علي بن أبي طالب (سلام الله عليهما): «أنظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال».

وقال أيضاً عليه السلام: «إعرف الحق تعرف أهله».

(1) سورة الزمر، الآية: 18.

وقد أفلح الشاعر لبيد في هذا المعنى:

قوم لهم عرفت معد فضلها والفضل يعرفه ذووا الألباب

وقال ابن الرومي:

ومستخف بقدر الشعر قلت له لا ينفق العطر إلا عند معطار

لقد اعتمد المدّعي على الأفضلية المزعومة - أي أفضلية مريم بنت عمران عليها السلام على سيدة النساء بعد أمها الصدِّيقة الكبرى (سلام الله عليهما) - على خبر واحدٍ مصدره عاميّ رواه عكرمة عن ابن عباس، غاضّاً الطرف عن الأخبار الأُخرى والقرائن المنفصلة الكاشفة عن أفضلية السيِّدة المطهرة زينب وجدتها فاطمة بنت أسد عليها السلام رغم وضوحها وقوة أسانيدها ودلالاتها، إذ لا عبرة في رواية الصدوق لخبر عكرمة في الخصال؛ وذلك لأن الصدوق كثيراً ما روى عن المخالفين في عدة من كتبه كالخصال وعلل الشرائع، وليس كلُّ ما يرويه الصدوق (رحمه الله) يجب الأخذ به؛ لأن الرجل ليس معصوماً حتى نصدقه في الغثّ والسمين من دون تحقيق وتدقيق، وذلك خلاف ما أمرونا به عليهم السلام من عرض الأخبار على الكتاب والسنّة المطهرة، ونهونا عن الأخذ بأخبار العامة العمياء... لكنَّ المشكلة اليوم عند بعض العمائم أنهم لا يميزون في تعاطيهم مع الأخبار بين الصحيح والفاسد، فنراهم يلتقطون كلّ ما وجدوه في الكتب حتى لو كان مخالفاً للأُصول العقدية والتشريعية عند الشيعة الإمامية، فالمعتبر عندهم هو كتب القدامى من علماء الطائفة المحقّة ولا يهمهم وثاقة الراوي ومصدر الحديث وسنده... فما دام الحديث في كتب الصدوق وأضرابه فإنه عندهم غاية المنى ونهاية الدنيا، رغم أنّ الواجب هو الأخذ بما توافق مع كتاب الله والأخبار الأُخرى للحجج الطاهرين (سلام الله عليهم) وخالف أخبار المخالفين، ولو وجب الأخذ بكلِّ ما يقوله الشيخ الصدوق لقلنا على التشيع السلام، لا سيَّما أن للصدوق معتقدات تخالف الضرورة والمرتكزات، فقد اشتُهِر عنه أنَّه يعتقد بغلو كلِّ من ينزه المعصوم عليه السلام عن السهو والنسيان، وله مقالة مشهورة في باب السهو من كتابه «من لا يحضره الفقيه»: «أن أول درجة في الغلو نفي السهو عن المعصوم عليه السلام».

وقد عنفه المحققون القريبون من عصره كالشيخ المفيد ومن بعده الشيخ الطوسي وبعضُ من تأخر عنهما، لذا فإن التمسك بروايته تحت ذريعة أنه من المشايخ الثقات لا يعتقد بها إلا الكسالى من المنتسبين إلى حوزة أمير المؤمنين وأولاده المعصومين (سلام الله عليهم أجمعين).

وما فعله صاحب الشبهة لا يخلو من أحد أمرين: **إمّا** جهله بالمعارف العقائدية وعلوم دراية الأحاديث وقواعد الجمع العرفي في باب التعادل والتراجيح، **وإمّا** التجاهل للأخبار الأخرى والأدلة المنفصلة والمتصلة. . . فإنْ كان هو الأول فتلك مصيبة على التشيع في أنْ يتزعم أحدَ قنواتها الفضائية رجلٌ جاهلٌ بالجهل المركب، وإن كان الثاني فالمصيبة أعظم، لأنه يوحي لنا بالخلفيّة العاميّة التي يستبطنها صاحب الشبهة حتى لو تظاهر بالبراءة من أعداء آل محمد (سلام الله عليهم) طبقاً للقاعدة العلويَّة (على صاحبها آلاف السلام والتحية) حينما قال لكميل الذي اغتر بصلاة أحدهم: «يا كميل لا يعجبك طنطنة الرجل. .».

فالتظاهر بركن البراءة من أعداء آل محمد عليهم السلام حقٌّ وضرورة قطعية؛ ونحن مأمورون به، إلا أنَّه مشروط بعدم الاتكاء على أخبار المخالفين وسلوك نهجهم المعوج. . . وهو بالضبط ما جرى عليه الشيخ ياسر حبيب الكويتي، فقد شكَّك في الكثير من الفضائل والمناقب للعترة الطاهرة والتي منها مقام العلياء الحوراء زينب الكبرى (سلام الله عليها)، وهذا إنْ دل على شيء فإنما يدل على الخبث المبطَّن على معالم الولاية والبراءة ولكلّ حاملٍ للوائهما بحقٍّ. . . وقد فندنا في هذا الكتاب الجليل بالبراهين والأرقام العلميَّة ضعف دعواه الأشعرية غيرةً وحميَّةً وثأراً لسيدتنا الطاهرة الحوراء الزكيَّة زينب الكبرى (صلوات الله وسلامه عليها) طبقاً للقاعدة التي سنَّها لنا أبوها الإمام الأعظم أمير المؤمنين (سلام الله عليه وآله) بقوله الشريف: «ألا وإنَّ لكلِّ دمٍ ثائراً ولكلِّ حقٍ طالباً»، وقال في موضع آخر: «ولا يدرك الحق إلا بالجدِّ. . .» إذ ما ضاع حق وراءه طالب.

وها أنذا سيدتي ومولاتي أيتها الحوراء زينب. . . أثأر لكِ يا قرة عين سيِّدة

النساء الزهراء البتول ومهجة قلب إمام المتقين عليّ عليه السلام.. يا سلوة الإمام القائم المهدي وروح الحسين سيّد الشهداء عليه السلام.. وحبيبة الإمام المجتبى الحسن المسموم عليه السلام، ورفيقة المولى أبي الفضل عليه السلام، يا كعبة الثائرين وملاذ المضطهدين.. يا صرخة كلّ مظلوم وآهات كلّ مستضعف مكروب... إليكِ توسلي وندائي، ومن روحك المتصلة بنور الإله العظيم أستمد عطائي.. فاشفعي لي سيدتي في يوم فقري وفاقتي فإنكِ سلوة فؤادي وروح حياتي.. صلى الله عليك، ولعن الله ظالميك.

عَبْدُكِ بفنائِكِ يقرعُ بابَ إحسانِكِ
محمَّد



مضامين البحث

إنّ المسألة مورد البحث هي من المسائل العقائدية المهمة التي غطَّاها اللبسُ والغموضُ في الوسط الحوزويّ الذي غلب عليه اليوم طابع الجهل والعناد من جهةٍ، والنصب والعداوة لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام من جهةٍ أُخرى، وهو ما أوجب علينا بيان حقيقتها، لذا لا بدَّ لنا من البحث في المسألة مورد الشبهة ضمن فصلين:

الفصل الأول: قيامنا بدراسة تاريخية عقائدية حول موضوع التشكيك بمقامات وفضائل وأسرار أهل بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم): متى بدأ؟ وما هو مصدره التاريخي والعقائدي؟، وهو ما فصَّلناه بشكلٍ تحقيقي دقيق يبخع له العلماء المتواضعون للمعارف الربانية الخاصة بأهل بيت العصمة (سلام الله عليهم)، وسوف يستنكره علواً وشموخاً وتجبراً علماء السوء من مرضى القلوبِ والحُسَّادِ والأعداءِ الحاقدين علينا وعلى كلِّ عالمٍ يتصدى لباطلهم وبدعهم. . كما تناولنا البحث بعمق عن الفرقة البترية القديمة والحديثة: معالمها، وتوجهاتها، وتطلعاتها، وانتماءاتها. . .

الفصل الثاني: استعراض الشبهة التي وقع فيها الشيخ ياسر حبيب والإيرادات عليه من الأدلة والبراهين الفقهية والعقائدية والرجالية والأُصولية.

ملاحظة مهمَّة: ونلفت نظرَ القارىء الكريم إلى أننا تعمَّدنا اللجوء إلى تكرار بعض الأفكار بصيغٍ مختلفة في مناحٍ عدَّة مِن البحث وبأساليب متفاوتةٍ تتناسب ومستويات أفهام القرّاء على اختلافهم؛ وذلك لأنّ هذه المسألة لا بدَّ أنْ يحيط بها العالم والمثقف والعامي من الشيعة؛ لأنها من صلب العقيدة عند الشيعة الإمامية.

والله تعالى حسبي، عليه توكلت وإليه أُنيب، وغايتي رضاه ورضا حججه الطاهرين (سلام الله عليهم أجمعين)، شاء من شاء وأبى من أبى، والله من وراء القصد.

الفصل الأول:

معالم فرقة البترية القديمة والحديثة

إنَّ البحث حول فضائل أهل بيت العصمة والطهارة (صلوات الله عليهم) ليس أمراً سهل المنال يتمكن منه كلُّ شاردٍ ووارِدٍ لم يلج ذاك البحر الزاخر بجواهره ونفائسه، إذ إن ذلك يتطلب عدة علمية متينة وقلوباً سليمة من الغش والخديعة وحبّ الحطام، فكم من مدَّعٍ ولج فيه فغرق بسبب عدم معرفته بالسباحة والغوص في أمواج ذاك البحر الزخار المليء بنفائس ولآلئ آل محمد (سلام الله عليهم).. وعمي بصره من شدَّةِ وهج ذاك النور الباهر...!

المراد من آل محمَّد عليهم السلام:

والمراد بقولنا «آل محمد» (صلوات الله عليهم) هو العترة الطاهرة (سلام الله عليها) المخصوصة بالذرية المباشرة لأمير المؤمنين عليه السلام سيّد الأمم، ناموس الدهور، وإمام العصور، الوليّ الأكبر، والإكسير الشافي والنور الباهر، والهمام الكافي، الإمام الأعظم والترياق الأكبر سيِّدنا المعظم أبي الحسن عليّ بن أبي طالب (سلام الله عليه) وزوجته الطاهرة الزكيَّة سيِّدة نساء العالمين وليّة الله الكبرى ودرة الوجود، أُمّ أبيها وسر بعلها وبنيها، الحوراء الإنسيّة مولاتنا المعظمة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها)، وهذه الذرية المباشرة هي أولادهما المعصومون الأئمة الطاهرون لا سيَّما الخمسة الأوائل مِنْ رحمها الطاهر المطهر الإمامان الحسنان والصدّيقة الصغرى الحوراء زينب وأُختها رقية المكناة بأم كلثوم ومحسن عليهم السلام ... هؤلاء الخمسة من الذرية هم محور الولاية والإمامة وأركان الهداية وقطب الهداية والاستقامة؛ حيث أُخِذَ على عاتقهم حمل رحى التوحيد والإخلاص للولاية الإلهية بعد أمير المؤمنين والسيّدة الكبرى الزهراء الطاهرة الزكية (سلام الله عليهما)، ولولا هؤلاء السبعة - بعدد أيام الاسبوع وهم الأوائل المدافعون عن معالم التوحيد والولاية الإلهية - لاندثر الإسلام وتفتتت معالم

الفطرة والولاية والهداية والاستقامة، فهم العلّة الأولى في صياغة الإسلام الحقيقي الذي تلاعبت به الأهواء بعد شهادة النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم المؤسس الأول للإسلام بمعونة القطبين الأعظَمين أمير المؤمنين وسيدة نساء العالمين عليهما السلام .

ونحن إذ نشدد على الأركان السبعة الأوائل - الذين أشرنا إليهم آنفاً - لأنهم النواة الأولى للوَلاية الإلهيَّة من حيث كونهم السبّاقين أبداً ودائماً إلى حفظ معالمها والدفاع عن أركانها وأُسسها، ويبرز ذلك جلياً إذا تدبّرنا في مضامين ودلالات الأخبار الشريفة التي كشفت الستار عن عظمتهم وفضلهم وعلو مقامهم باعتبارهم البذرة الطاهرة التي تصدت للجبابرة والطواغيت وفضحت أكذوبتهم وتسترهم بثوب الإسلام الحنيف. . !.

من خلال هذا وذاك. . . انبرى أحدُ الأدعياء في الصف الشيعي - عنينا به الشيخ ياسر الحبيب - وهو واحدٌ من جماعة حشوية ذات ميول بترية تعلن العداوة قصوراً أو تقصيراً لفضائل وأسرار آل محمد عليهم السلام وإنْ أظهرت العداوة لمبغضيهم وأعدائهم لعنهم الله تعالى - للتشكيك بعلو مقام سيِّدة النساء بعد أُمها الطاهرة الزكية سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) مولاتنا عقيلة الهاشميين زينب الكبرى عليها السلام إحدى أركان هذه السبعة التي لولاها لما استقامت معالم النبوة والولاية ومناهج الملحمة الحسينية (على صاحبها آلاف السلام والتحية)، وقد أحاطها سيّد الشهداء (سلام الله عليه) بهالة القداسة وعبق العشق الإلهي لما لها من الفضل العظيم في استمرار نهج الوَلاية والإمامة. . . فحاول اللصيق بولاية أهل البيت (سلام الله عليهم) أن يسقطها من برج الوَلاية الكبرى وهرم القداسة العظمى وهي التي لولا وقوفها وأُمها الطاهرة الزكية (سلام الله عليهما) بوجه طواغيت زمانهما لما عُرِف التشيع بكامل تفاصيله وتفريعاته، ولكانت معالمه قد تقوضت وهو في طور بنائه وتشييد معالمه التوحيدية الكبرى. . . !.

إنَّها زينب الكبرى (سلام الله عليها). . . سيِّدة البيت العلوي الفاطمي ومنبع أسراره ومعارفه وأحكامه ومدبرة شؤونه وأحواله، من هنا سميت بعقيلة

الهاشميين باعتبارها المدبرة لذاك البيت العلوي الفاطمي المقدس... كيف لا؟! وقد تدَّخل اللهُ تبارك اسمه في شخصيتها وبلورة حقيقتها المطهرة فسماها «زينب» دون أن يكونَ لأحدٍ نصيبٌ في تسميتها حتى على مستوى رسول الله وأهل بيته الطيبين كأُمها وأبيها... كما قال رسول الله ﷺ حينما قال له أمير المؤمنين عليه السلام: «سمّها يا رسول الله!» فأجابه: «ما كنت لأسبق ربي تعالى في تسميتها».. فكان جواب الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ على لسان جبرائيل عليه السلام الذي لا يهبط على رسوله الكريم إلا بالأمور التشريعية والتكوينية الهامة في الإسلام: «سمها زينب فقد اختار الله لها هذا الاسم»، ثم أخبره بما يجري عليها من المصائب، فبكى النبي الأعظم ﷺ وقال: «من بكى على مصاب هذه البنت كان كمن بكى على أخويها الحسن والحسين عليهما السلام»؛ ما يعني أن منزلتها عند الله تعالى كمنزلة أخويها بلا فصل أو تنزيل مجازيٍّ..! بل هي حقيقة فاطمية علوية... إنَّها الحوراء الإنسية أُمُّ أبيها مولاتنا الصدّيقة الطاهرة زينب (سلام الله عليها) التي كني أبوها باسمها «أبي زينب»... وكما أنه تبارك شأنه قد تدَّخل في تسميتها بزينب فقد تدَّخل في تعليمها وتربيتها من دون أن يكون للقادة الإلهيين دور - على نحو العلَّة التامة - في صقل شخصيتها وتربيتها وعصمتها وإعدادها لتكون سفيرة لله تعالى والحجج الطاهرين عليهم السلام في إبلاغ الحجة وإتمام المحجة على عامة الخلق؛ فهي شريكة الأنبياء عليهم السلام في البلاغ والحجَّة، بل أعظم بالرغم من كونها امرأة ضعيفة البنية إلّا أنّها صلبة اليقين والتقوى والولاية، راسخة العلم والإيمان ذات الحجى والتعقل...! وهو ما أشار إليه ابن أخيها مولى العباد إمامنا السجاد عليه السلام بقوله الشريف: «يا عمَّة؛ أنتِ بحمد الله عالمة غير معلَّمة وفهمة غير مفهَّمة».

ولا يخفى على العالم اللبيب ما في هذه الكلمة الرائعة من شهادة الإمام زين العابدين عليه السلام لعمته الصدّيقة الكبرى زينب عليها السلام بعلمها الحضوري اللدني الذي لا يتشرَّف به إلا الأنبياء والأوصياء والأولياء العظام عليهم السلام.

إضافةً إلى أن شهادته عليه السلام بأنها مفهَّمَة وملهَمة يعني أنها ملهمة بالإلهام

الرباني الذي يكشف عن حقيقة سرِّها وعظم قدرها عند الله تعالى والحجج المطهرين عليهم السلام ، فالعلم اللدني والإلهام الربوبي صفتان من صفات الأولياء العظام وهما كرامتان خصهما الله تعالى بها كوليّة له تعالى وكوريثة للأنبياء والأوصياء تماماً كما كانت أُمها الطاهرة الزكية (صلوات الله عليهما). . . ونحن لسنا من أنصار الرأي السائد في الوسط العلمي الشيعي الكلاسيكي بأن وراثتها للمعارف والعلوم والخصائص بفضل تهذيب جدها وأبيها وأمها وأخويها. . . ! كلا ثم كلا! وإن كان لهؤلاء الفضل عليها وعلى عامة أنبياء الله ورسله وملائكته والمخلصين من عباده، فإنّه يكفي في ردّ هذا التصور الإطلاق في قول مولانا الإمام السجاد عليه السلام : «**أنتِ عالمة غير معلّمة وفهمة غير مفهَّمة**» بأنّه يفيد نفي كلّ تعليم وكل تفهيم تتلقاه من أيّ أحدٍ حتى على مستوى مقام النبوة والإمامة. . . فكما أن النبيّ والإمام عليهما السلام يتلقيان معارفهما من الله تعالى مباشرة فكذلك الوليّة لله تعالى لا تتلقى معارفها إلا من الله تعالى مباشرة؛ لأن معارف النبي والإمام والوليّ من مصدرٍ واحد هو العلم اللدني الذي لا تتوسط الوسائل العادية في تلقيها وتحصيلها، من هنا جاء في خبر زائدة أنها كانت تهدئ من روع الإمام السجاد عليه السلام لمّا كادت نفسه أن تخرج من لوعة المصاب ثمَّ قصَّتْ عليه ما جاء عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بشارته عن تلك الجسوم التي ذبحت على رمضاء كربلاء بأن الله تعالى سيرفع من ذكرها ويعلي قدرها مهما جهد أئمة الكفر والضلالة في محو علم قبر سيّد الشهداء عليه السلام في كربلاء وتطميسه فلا يزداد أثره إلا ظهوراً وأمره إلا علواً؛ وإليكم بعض ما جاء في الخبر قال عليه السلام :

«لمّا أصابنا بالطّفّ ما أصابنا وقتل أبي عليه السلام وقتل من كان معه من ولده وإخوته وسائر أهله، وحملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يراد بنا الكوفة، فجعلت أنظر إليهم صرعى ولم يواروا، فعظم ذلك في صدري واشتدّ لما أرى منهم قلقي، فكادت نفسي تخرج، وتبيّنت ذلك منّي عمّتي زينب الكبرى بنت عليّ عليهما السلام ، فقالت: ما لي أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدّي وأبي وإخوتي؟ فقلت: وكيف لا أجزع وأهلع وقد أرى سيّدي وإخوتي وعمومتي وولد عمّي

وأهلي مضرّجين بدمائهم، مرمّلين بالعرى، مسلّبين، لا يكفّنون ولا يوارون، ولا يعرج عليهم أحد، ولا يقربهم بشر، كأنّهم أهل بيت من الدّيلم والخزر، فقالت: لا يجزعنّك ما ترى فواللهِ إنّ ذلك لعهد من رسول الله ﷺ إلى جدّك وأبيك وعمّك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمّة لا تعرفهم فراعنة هذه الأمّة، وهم معروفون في أهل السّماوات إنّهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرّقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرّجة وينصبون لهذا الطّفّ علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء، لا يدرس أثره ولا يعفو رسمه على كرور اللّيالي والأيّام، وليجتهدنّ أئمّة الكفر وأشياع الضّلالة في محوه وتطميسه، فلا يزداد أثره إلّا ظهوراً، وأمره إلّا علوّاً؛ فقلت: وما هذا العهد وما هذا الخبر؟ فقالت: نعم حدّثتني أمّ أيمن أنّ رسول الله ﷺ زار منزل فاطمة عليها السلام في يوم من الأيّام، فعملت له حريرة، وأتاه عليّ عليه السلام بطبق فيه تمر، ثمّ قالت أمّ أيمن: فأتيتهم بعُسّ فيه لبن وزبد، فأكل رسول الله ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام من تلك الحريرة وشرب رسول الله ﷺ وشربوا من ذلك اللبن، ثمّ أكل وأكلوا من ذلك التمر والزبد، ثمّ غسل رسول الله ﷺ يده وعليٌّ عليه السلام يصب عليه الماء...» إلخ؛ والخبر طويل أخذنا منه موضع الشاهد، فليراجع الخبر في كامل الزيارات.

إن رواية الإمام زين العابدين عليه السلام عن عمته الحوراء زينب (سلام الله عليها) واستشهاده بما قالت لدلالةٌ كبرى على علو مقامها ورفعته، وهي شهادة لا ترتقي إليها أيُّ شهادة، إذ إنَّ من أدلى بها كان ابنه الإمام الباقر عليه السلام أول من أسس الحوزة الشيعية في الإسلام حيث صارت هذه المؤسسة ترفد العالم الإسلامي بملايين العلماء والفقهاء والمعارف والعلوم بشتى أصنافها... ولو لم يكن إلا قيامها بحمل أعباء الإمامة يوم الطف لكفى بها حجةً على مَنْ بخسها حقَّها وتعرَّض لإسقاط مقامها الشامخ - الذي كان ولا يزال الدعامة الأولى لرفع راية الولاية في وجه الطواغيت والجبابرة - على كرور الأزمنة والعصور والأيام لا سيَّما يوم كربلاء المثقل بالمحن والمصائب والأحزان وأداء الأمانات الإلهية والأسرار الربانية بحيث لا يقوم بحمله الأنبياء إلا العظام منهم.

إنّ ما قامت به سيّدتنا المعظَّمة الحوراء زينب (سلام الله عليها) يوم كربلاء دلالة واضحة على أنها (روحي فداها) كانت منصوبة من قبل الله تعالى وحججه الطاهرين عليهم السلام لتسدَّ مسدَّ حجة الله في أرضه وسمائه الإمام السجاد عليه السلام . . كيف لا! وهي الحجَّة مع الإمام الحجَّة زين العابدين وسيِّد الساجدين عليه السلام فهي قرينته بالحجيَّة الشرعية، تماماً كما كانت أُمّها سيّدة نساء العالمين قرينة أمير المؤمنين وإمام الموحدين عليّ بن أبي طالب سلام الله عليهما، وهي الحجَّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق. . !. فهي روحي فداها (وصلوات الله عليها) كانت الحجَّة المعصومة قبل أن يخلق الله تعالى عامة خلقه لمَّا كانت مع الأنوار الخمسة المقدَّسين وبقية أئمة الهدى المطهرين (سلام الله عليهم أجمعين)، وهي مع الخلق لمّا خلق الله أرواح الخلق في العوالم الأولى وبعد الخلق لمّا خلق الله أبدان الخلائق. . . ما يعني أنها مميزة بالعصمة والولاية والطهارة كوالديها وأَخويها الإمامين الحسنين صلوات الله عليهم أجمعين.

إنَّ المقامات العلميَّة والعرفانيَّة الخاصة بمولاتنا المطهرة زينب الكبرى (سلام الله عليها) تقرب من مقامات الإمامة على حدِّ تعبير العلامة الموفق البرغاني في كتابه مجالس المتقين، وهذا هو الحقُّ الذي يجب أنْ يُعلنَ ويُشتَهر بحقها (صلوات الله عليها)، وينبغي أنْ نزيدَ على ما قاله هذا النحرير بأن مقاماتها العالية جعلتها في مصافّ الأولياءِ العظام، ولا تُقْرن بنساءٍ طاهرات تقدَّمنَ عليها بالسبق الزماني دون السبق المقامي والأحوالي المدلول عليهما بعموم اللفظ - الكاشف عن سعة ولايتها وطهارتها - المجرد عن ذكر القيد مع كون المقام مقام البيان، كيف لا؟ وهي بنت السيّدة العظمى البتول الزهراء (سلام الله عليها) وثمرة فؤادها ومهجة كبدها، فهي أُمُّ الفوارس في الشجاعة وخيرة السيِّدات الطاهرات وأُم الهاشميين في التدبير والجلالة حيث سبقت جدَّها هاشم بالتعقل والتدبير. . . كيف لا! وقد لقبها أئمة الهدى عليهم السلام بعقيلة الهاشميين. . ! وهي نور عيني أبيها كما جاء في الخبر عنه (صلوات الله عليه)، ومن كانت نوراً لعيني الإمام المرتضى عليه السلام لا يجوز الميل إلى القول بأنها دون مريم بنت عمران وآسية بنت

مزاحم بالفضل والكرامات وعلو الدرجات... ذلك لأَن كونها نورَ عيني الإمام المرتضى (أرواحنا فداه وصلوات الله عليه) يعني أنها الحياة لعينيه الشريفتين المحيطتين بعوالم التكوين والتشريع والأسرار والجمال والكمال والجلال...!.

لقد قام الله تعالى بتعليمها وتفهيمها وتدبيرها، ومن كان اللهُ تعالى معلِّمَه ومدبره لا يمكن للبشر أن يحيطوا علماً به وليست لديهم القدرة لكي يسبروا غور أعماقه وسره... هكذا هي حال السيّدة المطَّهرة زينب (سلام الله عليها) فلا يمكن للبشر العاديين أن يدركوا علو شأنها ومقامها الشامخ الذي يضاهي علواً مقامات أهلها المطَّهرين (سلام الله عليهم أجمعين)، ولكنَّ وطاويطَ الليل لا يرون إلَّا في الظلمة، فرانت الحجبُ على عيونهم الملكية والملكوتية فلا تتعدى نظراتهم إلى ما وراء الغيب وأستار الملكوت الأعلى؛ لأنهم اعتادوا على العتمة والغشاوة والظلمة بسبب كثافة أرواحهم وظلمات نفوسهم الكدرة وعقولهم المهترئة..!!

لقد حاول المدَّعي صاحب الشبهة - الذي ادَّعى مفاهيم تختلف عن مفاهيم المحصّلين العارفين المتخصصين من أعلام طائفته - إسقاط مولاتنا الصدّيقة الكبرى وإنزالها عن المراتب التي رتبها الله تعالى فيها، ودفعها عن مقامها الذي جعلها الله تعالى فيه، وقد لعن الله تعالى في زيارة عاشوراء المقدّسة مَنْ أنزلها عن المرتبة التي رتبها فيها باعتبارها من أهل البيت (سلام الله عليهم أجمعين) بقوله عزَّ وجلَّ على لسان المعصوم عليه السلام مخاطباً أهل بيته الطاهرين عليهم السلام: «فلعن الله أُمَّةً أسست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت، ولعن الله أُمّةً دفعتكم عن مقامكم وأزالتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها..»؛ ومع هذا كلّه فقد جعلها ذاك المدَّعي واحدةً من النساء الصالحات القانتات من دون أن يكونَ لذاتها أفضلية غيريّة على عامة النساء، فقدَّم مريم بنت عمران عليها السلام مع آسية بنت مزاحم معتمداً على نصٍّ أشعريٍّ تفوح منه رائحة الدَّس والتمويه والدجل والكذب والنفاق... كيف لا! والراوي له هو عكرمة المنافق الذي طالما لفَّق على ابن عباس الراوي لهذا الحديث بزعم عكرمة...!.

ونحن في هذا الفصل، نريد أنْ نسلِّطَ الضوءَ على جهل المدَّعي صاحب الشبهة ونثبت بالأرقام العلمية جهله المركَّب بمعارف العقائد وفقه الشريعة وإكسير الدراية وعلم الرجال والحديث، ونتعرض فيه بالإجمال إلى نقطة مهمة نبيّن فيها السبب والخلفية التي من خلالها سقط المدَّعي المموِّه - قصوراً أو تقصيراً - للأباطيل والهرطقات عن شاهق دعواه بالولاية لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام . . . . ثم نترك التفاصيل الدقيقة إلى نهاية الفصل.

بيان النقطة بالإجمال حول ظاهرة الحشوية:

هذه النقطة هي ظاهرة الحشوية التي سلك منهاجها المدَّعي، فجعلها مناطاً ومِلاكاً لطرح النصوص الصحيحة الكاشفة عن واقع العقيدة والفقه الصحيحين، وهي ظاهرة ذات جذور عميقة في التراث الإسلامي القديم، ولها مناشئ وأسباب أدّت إلى ظهورها في عصر النص الوَلَوي، لكنْ قبل بيان الأسباب والمناشئ لبروز هذه الظاهرة وتجددها في عصرنا الحاضر لا بدَّ لنا من تقديمٍ علميٍّ حول المنهج الحشوي القشري عند أصحاب هذا المسلك الخطير على الساحة الإمامية، وهذا التقديم نجعله نقطة ارتكازٍ لمعرفة الخلفية العقائدية التي يرتكز عليها الشيخ ياسر حبيب وأمثاله في الوسط العلمي الشيعي، لذا نشرع بها متوكلين على الله تعالى، مفوضين أمرنا إليه وإلى حجته العظمى إمامنا الأعظم صاحب العصر والزمان (عجَّل الله تعالى فرجه الشريف)؛ فنقول:

إنَّ الفرقة الحشوية هي فرقة ظاهرية تجمد على النصوص الاستحسانية المتعارضة مع النصوص الوَلَويّة الصحيحة، ولكنها تنتخب وتنتقي ما تراه موافقاً للمنهج الذي يصب في خانة المخالفين وتتبنى عقائدَهم وأحكامَهم وترفض أدلةَ العقلِ المحكم المدعوم بقرائن الكتاب الكريم وسنَّة النبيّ وآله الطيبين الطاهرين (سلام الله عليهم أجمعين)، لا لشيءٍ سوى التكالب على الوجاهة والرئاسة والزعامة التي من حدَّث نفسه بها سقط من علياء الإيمان والجنان إلى حضيض التسافل والنيران. . !.

إنَّ الفرقة الحشوية القشرية لها جذور عميقة في الوسط الإسلامي العام والخاص، فقد بزغت أفكارُها في القرن الثاني للهجرة، وكان المؤسس لها أصالةً هو المدرسة الأشعريَّة، وتأثر بهم ثلةٌ من محدّثي الشيعة في القرن الثالث والرابع الهجري وعلى رأسهم ابن الوليد وتلميذه الشيخ الصدوق - وتابعهما على معتقداتهما أنصارٌ قميِّون كفَّروا كلَّ من لم يوافقهم في عقائدهم - إذ إنَّ بعضَ أفكارهما - لمن تتبع كلماتهما وعقائدهما - مستقاة من الفكر الأشعري الحشوي، ولو لم يكن إلا اعتقادهما بجواز السهو على المعصوم عليه السلام لكفى به دليلاً على ما ذكرنا، ويصبُّ اهتمام هذه الفرقة بالجمود على الحجية التعبديّة الظنية حتى لو كانت مخالفة للأُصول المعتبرة وحاكمية الدليل العقلي في المنهج الاعتقادي، وجلُّ اهتمامهم هو التعبد بقالبية وحَرْفِيَّةِ النصّ الظنيّ بنحوٍ سطحيّ ساذجٍ من دون أنْ يعالجَ أصحابُ هذا المنهجِ الترابطَ الحاصل بين المسائل العلمية بعضها ببعضٍ بشكلٍ منتظمٍ يعتمد على ضمّ القرائنِ والشواهد العقلية والنقلية الأُخرى، فلا تهمُّهم المقدِّمات المعتبرة شرعاً بمقدار ما يهمهم الوصول إلى النتيجة حتى لو كانت مناهضة للأدلة القطعية ومتعارضة بعضها مع بعض، فضلاً عن تعارضها مع البراهين الشرعية...!.

ومنهجهم يختلف اختلافاً جوهرياً مع المنهج العلميّ المعتمد على صرف الجهد في تتبع القرائن والشواهد المنفصلة والتأمل في دلالاتها ومضامينها من الروايات الأُخرى، ثم صرف الجهد والوسع في تحليل ودراسة القرائن العقلية للنصوص الشرعية التي يحتاجها النصّ الشرعي سوآءٌ أكان قرآناً أو حديثاً، فلا تخلو آية أو حديث إلا ويحتاج إلى تحليلٍ عقليّ قطعيّ وهو ما نسميه بالدليل المنفصل المتمم للدليل النقلي المعتبر، إذ ليس كلُّ دليلٍ نقليٍّ يمكن الاعتماد عليه والركون إليه والأخذ بمضمونه في حال كان مخالفاً لآيةٍ أُخرى أو حديثٍ معارضٍ له أو كاشفٍ عن دلالةِ النصِّ المعارضِ له.

إنَّ المنهج العلمي لا يقتصرُ على دراسة سند الحديث تقليداً لكلٍّ من هبّ ودبَّ، بل هو منهج علمي يعتمد على القرائن والشواهد العلميَّة التي تكتنف النصَّ

من الداخل والخارج. كما أنَّه لا يقتصرُ على دراسة النصِّ من حيث التوثيق والتضعيف فحسب؛ بل ينظر إلى النصّ بما له من دلالةٍ صالحةٍ للإثبات والتشريع. . .

والباحث العلمي هو من يجهد نفسه بالتأمل والتتبع لتحصيل المزيد من الروايات ذات الصِّلة بالمبحث الذي يريدُ إثباته من الناحية الثبوتية والإثباتية ولو من باب توسعة الأُفق في عرض الاحتمالات التصوريَّة فضلاً عن التصديقيَّة لا أنه يجمد على الاحتمالات التعبدية الصرفة. . !.

إنَّ الباحثَ الفطن المُكِدَّ هو من أفرغ وسعه وبذل جهده في التنقيب والفحص في مضامين النصوص الشرعية التي توقفه على براهين وبيانات ودلائل عقلية أو توقفه على براهين وبيانات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بضرورة قطعية نقلية، ففي هذه الحال يحكم العقل ويلزم صاحبَهُ الباحث بالعمل به والقيام بما يتوجب عليه من خلال ضمّ القرائن إلى بعضها البعض حتى لا يكون البحث عقيماً وفاسداً تترتب عليه نتائج عقائدية وفقهية سلبية مخالفة للشرع المبين، وذلك لأنَّ الانكباب على لمِّ القرائن والشواهد المنفصلة من مظانها أمرٌ لا يجوز للباحث التغافل عنه حتى يعطي البحث ثماره من النتائج العلمية الصحيحة. . . . فلا بدَّ للباحث المجدِّ من الانفتاح على الاحتمالات التصورية والتصديقيّة ليس في المجال العقائدي فحسب بل يتخطاه إلى المجال الفقهي ضمن شروط واجبة لا يجوز تخطيها حتى لا يدخل العالم - سوآء أكان فقيهاً أم عالماً مكداً - في دائرة القياس والاستحسان المنهيّ عنهما شرعاً.

والحكمة من الانفتاح على الاحتمالات بكلا قسميها - التصوري والتصديقيّ - هي أنَّ درجة الاحتمال في مضامين الروايات المنسوبة إلى أئمة الهدى عليهم السلام وكذلك الحال في الدلالة الظنية للآيات الشريفة توضح المقصود من تلك المضامين القرآنية والأخباريّة، وهي ذات أهمية تفوقُ بكثير المضامين الكلاميَّة والفلسفيَّة والتاريخية في كتب الحكماء والمتكلمين والمؤرخين؛ ذلك لأن البحث في علوم القرآن والحديث أهمُّ بكثير من التحليلات الكلامية

والحكمية والتاريخية التي يسعى الباحث إلى ضمّ القرائن إلى بعضها البعض لتكون النتيجة ذات فائدة مرجوة، ولأنَّ في القرآن الكريم وكذلك أحاديث النبيّ وأهل بيته الطيبين الطاهرين (سلام الله عليهم أجمعين) بطونٌ ومعانٍ لا ينكشف واقعها ولا تتضح صورتها إلا من خلال ضمّ القرائن الأُخرى إلى الآية أو الحديث، فالقرآن الكريم والحديث الشريف له سبعون بطناً وسبعون ظهراً، وهذه البطون لا تتكشف للباحث من خلال النظرة البدْوية العابرة في الآية أو الحديث من دون البحث عن آية وحديث محكمين يفسران الآية والحديث المتشابهين، كما أن هذه البطون لا تتكشف من خلال آية أخرى أو حديث آخر فحسب؛ بل تتطلبُ صرفَ الجهد لاستخراج المعاني من الآية أو الحديث. . . .

إنَّ البحث في القرائن والشواهد على كلّ مبحثٍ علمي لأجل التركيز على موارد النصوص الشرعية المعتبرة المؤيَدَة بما ذكرنا آنفاً، هو ضرورة علمية لا مناص منها وأمرٌ لا بدَّ من البحث فيه والفحص عنه في مسائل العقيدة كمسألتنا حول أفضلية السيِّدة الكبرى مولاتنا المعظمة الحوراء زينب (سلام الله عليها) على السيِّدة مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم الواردتين في خبر عكرمة الذي جعله صاحب الدعوى حاكماً على الأدلة الأُخرى التي تجاهلها أو أنه واقعاً كان جاهلاً بها، وما على الجاهل إلا السعي نحو التعلم ليرفع الجهل عن نفسه وعمَّن يتمسك بعروته الفاسدة من العوام الرعاع الذين ينعقون مع كلّ ناعق ويميلون مع كلّ ريحٍ. . . !!.

إنَّ المنهج العقلي المعرفي في آيات وأخبار المعارف اليقينية لا يتوخى الاعتماد على الحجية الظنية التعبدية الصرفة التي هي المدار في الحجية النقلية في كثيرٍ من الأحيان؛ بل هو منهجٌ يعتمد على تحصيل واستكشاف البراهين اليقينية التي ترشد إليها آيات وأخبار المعارف الإلهية، وهذا المنهج الفكري هو المنهج الصحيح في قراءة المنابع النقلية الصافية في المعارف العقلية كالعصمة والأفضلية وما شابههما.

إنَّ تبنّي الأخبار الضعيفة - وعلى وجه الخصوص أخبار مصدرها

المخالفون - بحجة التشدد على الدلالة الظنية في الأخبار التعبدية ليست من ملاكات الأدلة القطعية المطلوبة في باب الاعتقادات.

وبعبارةٍ أُخرى: إنَّ البحثَ في أسانيد الروايات واعتبار الكتب وأنحاء الدلالة أمرٌ لا ينبغي الإغفال عنه لمن يتوخى تقرير الحجية النقلية الفقهية لأهميته وضرورته كمؤكدٍ لحجية صدوره عن المعصوم عليه السلام ، كما لا ينبغي لمن يتوخى الحجية العقلية - كمورد بحثنا حول أفضلية مولاتنا زينب الكبرى (سلام الله عليها) على من سواها - أنْ يغفلَ عن البحثِ في الجهة الصدوريّة والدلاليّة لأيّ خبرٍ يريد تقرير الحجية منه وإلا لأدى عدم البحث إلى التمسك بأخبار العامة كما فعل صاحب الشبهة في تقديم مريم بنت عمران عليها السلام وآسية بنت مزاحم رضي الله عنها على مولاتنا الجليلة الحوراء زينب الكبرى (صلوات الله عليها). . . ! نعم، في المسائل العقائدية المبتنية على تقرير الحجية النقلية المؤيَدة بالقرائن والشواهد لا يكون البحثُ الصدوري ذا فائدة مستقلة إلا على نحو تتميم الحجية وتأكيدها ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[1] .

وما فعله صاحب الدعوى وغيره من الدعاة الجدد للمدرسة الحشوية اليوم يعتبر خارجاً تخصصاً وتخصيصاً عن الوسط العلمي الرائج بين المحققين وهو إغفاله المتعمد عن الجهة الصدوريَّة والدلاليّة لخبر عكرمة آخذاً به بالرغم من المشاكل التي تعترضه، لا لشيءٍ سوى الذوق الاستحساني المزاجي الذي اختمرت به منهجيته التشكيكية الحشوية، فقد أبعد عن ساحته البحث في جهة صدور الخبر ولم يتدبر في دلالته المعارضة للأخبار الأخرى لا سيَّما مبدأ العصمة في ذات الحوراء زينب الكبرى (سلام الله عليها) وهو أمرٌ قد أقر بوجوده في ذاتها المقدسة؛ لكنَّه أهمله جهلاً أو تجاهلاً لإسقاط الهيكل الروحاني والوَلَوي للمعظمة بنت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، كما أنَّه تجاهل المنهج العقلي المعتَمَد في المدرسة الكلامية للشيعة الإمامية التي يقومُ جُلُّ

(1) سورة النور، الآية: 35.

اهتمامها على البحث العقلي في بيان المطالب العقائدية سوآء المتكئة على المنهج النقلي أو لا.

ولعلّ حشويته المذكورة هي السبب الذي دعاه إلى شنِّ حملةٍ شعواء على المدرسة العقلية الفلسفية التي يقودها الفيلسوف الشيعي ملا صدرا تحت ذريعة اعتقاده بوحدة الوجود؛ وهي مقدمة ماكرة لنسف الأدلة العقلية التي اعتمدها - ولا يزال - المتكلمون من الشيعة الإمامية في إثبات الأُصول الاعتقادية، وفيهم أعاظم يُشْهَد لهم بالفضل والتقوى كالشيخ المفيد والمرتضى والطوسي والخواجا نصير الدين وتلميذه الفقيه الحلي والسيوري وميثم البحراني والكركي والشهيد الثاني العامليين والبهائي العاملي. وثلة من الأخباريين كالمجلسي والإحسائي والكرماني والبحراني وصاحب الحدائق... إلخ؛ فقد جعل الشيخ الكويتي الهجوم على ملا صدرا واجهةً عريضةً لنسف الأدلة العقلية المعتمدة في الوسط العلمي الشيعي في كاشفية المطالب العلمية الاعتقادية لئلا ينكشف منهاجه القشري الحشوي؛ وهو أُسلوب ماكر لبثِّ السموم التشكيكية في المنهج الاعتقادي المتكىء على الأدلة العقلية الداعمة والرافعة للأدلة النقلية الشرعية.

وبعبارةٍ ثانية: إن المنهج العقلي الكلامي في إثبات المطالب العقائدية لا ينفصل عن المنهج النقلي في إثبات المباحث العقلية، بل هو مزيج بين العقل وبين الآيات والأخبار المنفصلة، من هنا أُطلق عليه بالمنهج الكلامي، والملازمة بينهما ليست ضرورية، إذ ربما ينفصل الدليل العقلي عن الدليل النقلي في حال لم تتوفر الأدلة النقلية لإثبات المبحث العقلي الدائر حول الأُصول الاعتقادية والمطالب الكلامية، وحيث إن مسالة أفضلية الحوراء زينب (سلام الله عليها) لا تخرج عن دائرة المنهج النقلي والعقلي معاً فلا يمكن - والحال هذه - فصلها عن القرائن العقلية والنقلية الأُخرى، وقد تجاهلهما المدَّعي طبقاً لمنهجه الحشوي القشري الممزوج بالمنهج البتري الذي يمزج بين فضائل أهل البيت عليهم السلام وبين فضائل غيرهم.

الخلاصة: لقد اعتمد المدَّعي على منهجين هما: المنهج الحشوي القشري

والمنهج البتري المشكِّك، وكلا المنهجين يصبان في خانةٍ واحدةٍ من حيث النتيجة المؤدية إلى إسقاط عنصر الأفضلية لأهل البيت عليهم السلام على غيرهم تحت مسميات البحث العلمي في مقابل المنهج العلمي المتبع في الوسط العلمي الإمامي، ولا بأس هنا أنْ نتطرق إلى الخلفيات أو الأسباب المؤدية إلى ظاهرة الحشوية والبترية في الوسط الشيعي.

الخلفيات والأسباب المؤدية إلى ظاهرة الحشوية والبترية قديماً وحديثاً!

إنَّ لظاهرة الحشوية - البترية خلفياتٌ متعددة يجمعها شيءٌ واحدٌ هو التشكيك بمقامات أهل البيت عليهم السلام، وهذا التشكيك نعزوه إلى الأسباب الآتية:

(السبب الأول): الجهل بحقائق أهل البيت عليهم السلام وبالمنهج الذي أسسوه ودعوا إليه أتباعهم من خلال التشكيك بمقامات وفضائل أهل البيت (سلام الله عليهم)، فلم يسبر هؤلاء المشككون عمقَ هذا المنهج واكتفوا بالنظرة السطحية القشرية، ولعلّ السبب في جهلهم هو قصورهم العلمي وقلة باعهم في الآليات والقواعد العلمية المتبعة في الوسط العلمي الإمامي، وهي آليات محكمة يمكن بتوسطها إدراك حقائق معالم التشريع في المدرسة الشيعية. . .! وهؤلاء المشككون هم معممون بتريون نواصب مدعومون من دول وأحزاب لديها خلفيات سنيَّة ومشاريع وحدوية تبث السموم في القواعد الشيعية لجرهم إلى المدرسة البكرية تحت ذرائع درء الفتنة بين الطوائف. . ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

ونحن لا ندَّعي سلامة بعض الطرق التي يسلكها بعض الأعلام في الوسط العلمي الشيعي - أي المسلك الأُصولي المحض - وذلك لبداهة بطلانه عند المجتهدين المحققين؛ لأنَّ دعوى أن المنهج الأُصولي في الإستنباط هو المنهج العلمي الصحيح وما عداه باطل لا تقوم على أساسٍ صحيح؛ لأن ثمة أخباريين

(1) سورة التوبة، الآية: 49.

سلكوا الطريق الوسط في الاستدلال المبتني على المنطق السليم والطرق الصحيحة كالبحراني في الحدائق والمجلسي في البحار فإن لهما استدلالات قيمة مستوعبة للتحليل والنقد بتتبع الشواهد والقرائن واستقصائها وإحاطتهما بمتون النسخ ودراسة القرائن والوجوه المختلفة والقراءة العقلية للنصوص، إلا أننا لا ندَّعي العصمة للأخباريين في كلّ استنتاجاتهم واستدلالاتهم الفقهية، بينما نشاهد جماعةً من الأُصوليين يتبنّون جملةً من المباني الأُصولية إلا أن بعض استدلالاتهم هشة ومخالفةٌ للأُسس ومقتضبةٌ جداً لا تستقصى فيها مدارك الأدلة ولا تستوعب كلّ الوجوه التي قيلت في المسألة ولا تعمل على تنشيط قدرة التحليل في ألفاظ الرواية ولا تتوسع في وجوه الدلالة بل تجمد على قالب حرفية اللفظ بنهج سطحيّ قشريٍّ من دون معالجة ترابطِ المسائلِ العلميَّةِ بعضها ببعضٍ بشكلٍ علميٍّ منتظم، ولا تبدي بياناً علمياً حول العلاقة بين القواعد العلمية المختلفة بما لها من صلة مشتركة في المسألة الواحدة، ويقتصر هؤلاء في تتبع الروايات على ما أورده علماء سابقون عليهم أو معاصرون لهم ينظرون إليهم بعين العظمة فيقلِّدوهم في المجال الاستدلالي ولا يجهدون أنفسهم بالتأمل والتدبر في المزيد من الروايات ذاتِ الصلة بالبحث أو محتملة الدلالة، فلا يتوسعون ولا يطيلون الفحص عن الدليل الإجتهادي بل نراهم يتسرّعون في استنتاجاتهم الفقهية المتحللة من القيود من خلال الاعتماد على الأُصول العملية الوظيفية عند الشك في التكليف كأصل البراءة على وجه الخصوص كما هو ملموس بشكلٍ واضحٍ من خلال الاطلاع على استدلالات بعضهم المتهورة؛ مع أن التسرع في العمل بأصل البراءة - قبل الفحص والتنقيب وبذل الوسع - خطيئة كبيرة تجعل صاحبها من أهل النار.

وبعبارةٍ أُخرى: إنَّ المنهج الحشوي لا يقتصر على الأخباري فحسب بل يشمل الأُصولي الذي لا يبدي أهميةً للقرائن المنفصلة، فيتكاسل عن البحث والتنقيب عنها، أو يتعمد ترك التنقيب لضعفٍ في عقيدته؛ فيأخذ بالخبر المخالف الذي يصبُّ في خانة منهجه الحشوي البتري التلفيقي كما نلاحظ اليوم عند بعض العمائم المشهورة في الإعلام السياسي، حيث تقتصر في استقراء احتمالات

المسألة العلمية على صرف أقوال جماعة تميل إلى توجهاتهم الفكرية العقائدية أو الفقهية؛ دونما أيّ تدبرٍ في الآيات والروايات الواردة في المعارف اليقينية ولو من باب التوفر على توسعة الأُفق في الاحتمالات التصورية المستلزمة للتصديق اليقيني أو العلمي، ولا يتطرق الاحتمال عندها إلى إمكانية وجود أفق في الأدلة النقلية أوسع بكثير من آفاق الآراء البشرية التي اعتمدتها واتخذتها لنفسها طريقاً ومنهاجاً.

(السبب الثاني): الضعف النفسي والعقائدي في نفوس البتريين المنهزمين أمام المدّ الإعلامي وسيطرة الفكر الأشعري على ذواتهم والانبهار بهم، وسبب الضعف مردُّه إلى حبُّ الدنيا، والابتعاد عن فكر أهل البيت عليهم السلام، والوغول في أعماق المنهاج المخالف للعترة الطاهرة عليهم السلام من دون تدبر وتأمل واستقصاء لخيوط الحقيقة حول الإمامة والولاية ولوازمهما المتفرعة منهما كوجوب الاعتقاد بأهل البيت عليهم السلام وعلو مقاماتهم والبراءة من أعدائهم.

(السبب الثالث): ضيق القابليات والاستعدادات العقلية والنفسية عن تحمل عظمة صفات آل البيت عليهم السلام عموماً والخمسة من أصحاب الكساء وأولادهم خصوصاً، وسبب الضيق هو ظلمة النفس المانعة من التوسع في المدارك العقلية والروحية، وقد نطق الكتاب الكريم بهذه الحقيقة في عدة من آياته الشريفة نظير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[1]. ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾[2].

﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ

---

(1) سورة النور، الآية: 40.

(2) سورة الرعد، الآية: 17.

ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(1).

وإخراج الله تعالى للمؤمنين من الظلمة إلى النور ليس من دون استحقاقٍ وقابلية، بل كلٌّ بحسب سعته ومقدار قابليته، تماماً كالوادي يسع السيلَ بمقدار إحاطته وسعته، لأن مبدأ الفيض الإلهي لا يقوم على العبثية أو البخل والحدود الممنوعة، كما أن السحاب يسقط في كلّ مكان من دون شرط أو قيد، بل يتساقط على الوديان بحسب المصالح والمقتضيات الذاتية القائمة فيها وتستفيد الأرض منها على قدر سعتها، فالأرض الصغيرة تستفيد أقل، والأرض الواسعة تستفيد أكثرَ بمقدار سعتها وإحاطتها؛ وهكذا القلوب تستفيدُ من الفيض الإلهي بمقدار سعتها وإمكانية إحاطتها بالمعارف الإلهية.

وبعبارةٍ أُخرى: إن المقدَّرات في عالم الطبيعة فيها الطيب وفيها الخبيث، كلٌّ بحسب مادته التي يتشكل بها ويتمظهر بقالبها ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾(2) ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾(3) فالعمل إنما يكون على الشاكلة أو النيَّة، فلا عمل بلا نية، ولا ثواب وعقاب إلا بنيَّة أو عمل، فما يضمره المرء هو من لوازم القابلية الذاتية لصاحبها، فما يظهر على فلتات اللسان أو صفحات الوجه والجوارح إنما هو من تلك القابلية التي صبغت بالسعادة أو الشقاوة الذاتية، فلا أثر للأفعال - بما هي لوحدها - ما لم تقرن بالنية المترشحة من القابلية السعيدة أو الشقية.

وبعبارةٍ ثالثة: إنَّ المثلَ المضروب في الآية يترشح منه أمورٌ هي من كليات المعارف الإلهية وهي ثلاث:

---

(1) سورة البقرة، الآية: 257.
(2) سورة الإسراء، الآية: 84.
(3) سورة الكهف، الآية: 49.

الأمر الأول: إن الوجود النازل من عنده تعالى على الموجودات الذي هو بمنزلة الرحمة السماوية والمطر النازل من السحاب على ساحة الأرض خالٍ في نفسه عن الصور والأقدار، وانما يتقدر من ناحية الأشياء أنفسها كماء المطر الذي يحتمل من القدر والصورة ما يطرأ عليه من ناحية قوالب الأودية المختلفة في الأقدار والصور، فإنما تنال الأشياء من العطية الإلهية بقدر قابليتها واستعداداتها وتختلف باختلاف الاستعدادات والظروف والأوعية، وهذا أصل عظيم يدل عليه أو يلوح إليه آيات كثيرة من كلامه تعالى كقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[1] ومن الدليل عليه جميع آيات القدر.

ثم إن هذه الأُمور المسماة بالأقدار وإنْ كانت خارجة عن الإفاضة السماوية مقدّرة لها لكنها غير خارجة عن ملك الله سبحانه وسلطانه ولا واقعة من غير اذنه وقد قال تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾[2] وقال: ﴿بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾[3]؛ وهكذا فبانضمام هذه الآيات إلى الآيات السابقة يظهر لكَ أصلٌ آخر أدق معنىً وأوسع مصداقاً.

الأمر الثاني: إنَّ تفرق هذه الرحمة السماوية في أودية العالم وتقدُّرها بالأقدار المقارنة لها لا ينفك عن أخباثٍ وفضولات تعلوها وتظهر منها غير أنها باطلة؛ أي: زائلة غير ثابتة، بخلاف تلك الرحمة النازلة المتقدِّرة بالأقدار الحقَّة فإنها باقية ثابتة، وعند ذلك ينقسم ما في الوجود إلى حق وهو الثابت الباقي، وباطل وهو الزائل غير الثابت، والحق من الله سبحانه والباطل ليس إليه وان كان بإذنه كما قال تعالى: ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾[4] وقوله (عز وجل): ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾[5].

---

(1) سورة الحجر، الآية: 21.
(2) سورة هود، الآية: 123.
(3) سورة الرعد، الآية: 31.
(4) سورة البقرة، الآية: 147.
(5) سورة ص، الآية: 27.

فهذه الموجودات، يشتمل كلٌّ منها على جزء حقٍّ ثابتٍ غير زائل سيعود إليه ببطلان ما هو الباطل منها كما قال سبحانه وتعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[1] وقال: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾[2] وقال: ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[3]، وقال: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[4].

الأمر الثالث: إن من حكم الحق أنه لا يعارض حقاً غيره ولا يزاحمه بل يمده وينفعه في طريقه إلى كماله ويسوقه إلى ما يسلك إليه من السعادة.. ويدل على ذلك تعليقه البقاء والمكث في الآية ﴿فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[5] على الحق الذي ينفع الناس، وليس المراد بنفي التعارض ارتفاع التنازع والتزاحم من بين الأشياء في عالمنا المشهود، فإنما هو دار التنازع والتزاحم لا يُرى فيه إلَّا نارٌ يخمدها ماء، وماء تفنيها نار، وأرض يأكلها نبات، ونبات يأكله حيوان، ثم الحيوان يأكل بعضه بعضاً ثم الأرض تأكل الجميع؛ بل المراد إن هذه الأشياء على ما بينها من الافتراس والنهش تتعاون في تحصيل الأغراض الإلهية، ويتسبب بعضها ببعض للوصول إلى مقاصدها النوعية؛ فمثلها مثل القدوم والخشب فإنهما مع تنازعهما يتعاونان في خدمة النجار في صنعة الباب، ومثل كفَّتَي الميزان فإنهما في تعارضهما وتصارعهما يطيعان من بيده لسان الميزان لتقدير الوزن، وهذا بخلاف الباطل كوجود كلال في القدوم أو بخس في المثقال فإنه يعارض الغرض الحق ويخيب السعي فيفسد من غير إصلاح ويضر من غير نفع.

ومن هذا الباب غالبُ آياتِ التسخير في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[6]، فكلُّ شيء منها يفعل ما يقتضيه طبعه غير أنه يسلك في ذلك إلى تحصيل ما أراده اللهُ سبحانه من الأمر.

---

(1) سورة الأحقاف، الآية: 3.
(2) سورة يونس، الآية: 82.
(3) سورة الإسراء، الآية: 81.
(4) سورة الأنبياء، الآية: 18.
(5) سورة الرعد، الآية: 17.
(6) سورة الجاثية، الآية: 13.

وهذه الأُصول المستفادة من الآية الكريمة هي المنتجة لتفاصيل أحكام الصنع والايجاد، ولئن تدبرت في الآيات القرآنية التي تذكر الحقَّ والباطلَ وأمعنت فيها النظر رأيت عجباً.

واعلم أن هذه الأصول كما تُجرى في الأمور العينية والحقائق الخارجية كذلك تُجرى في العلوم والاعتقادات فمثل الاعتقادات الحقة في نفس المؤمن مثل الماء النازل من السماء الجاري في الأودية على اختلاف سعتها ينتفع به الناس ويحيي قلوبهم ويجلب إليهم الخير والبركة، ومثل الاعتقاد الباطل في نفس الكافر كمثل الزبد الذي يربو السيل لا يلبث دون أن يذهب جفاء ويصير سدى؛ قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾[1]، وهو مثال ضربه الله سبحانه وتعالى للتدبر في العقليات والشرعيات الموصلة إلى المعارف الإلهية الواقعية كما في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[2]. .

والحاصل: إن عقول الناس واستعداداتهم ليست على درجةٍ واحدةٍ من حيث الإدراك والفهم، بل هي متفاوتة الصعوبة والسهولة في إدراك المعارف الإلهية بحسب القابليات النفسية والعقلية لدى المتلقي، وهذا ما نصّت عليه الآيات السابقة والتي منها الآية السابعة عشرة من سورة الرعد ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ وكذلك الروايات وهي كثيرة منها:

ما في علل الشرائع في باب «علّة سرعة الفهم وإبطائه» بإسناده عن إسحاق بن عمار قال: «قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: الرجل آتيه أُكلّمه ببعض

(1) سورة الرعد، الآية: 1.
(2) سورة إبراهيم، الآية: 27.

كلامي فيعرف كلّه، ومنهم من آتيه فأكلّمه بالكلام فيستوفي كلامي كلّه ثمّ يردّه عليَّ كما كلّمته، ومنهم من آتيه فأكلّمه فيقول: أعدْ عليَّ.

فقال: يا إسحاق أَوَمَا تدري لِمَ هذا؟ قلت: لا.

قال: الذي تكلّمه ببعض كلامك فيعرف كلّه، فذاك من عجنت نطفته بعقله، وأمّا الذي تكلّمه فيستوفي كلامك ثمّ يجيبك على كلامك، فذاك الذي ركّب عقله في بطن أُمّه، وأمّا الذي تكلّمه بالكلام، فيقول: أعد عليَّ، فذاك الذي ركّب فيه بعدما كبر، فهو يقول: أعد عليَّ».

وكذلك ما في الكافي بإسناده عن يحيى بن أبان عن شهاب قال: «سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: لو علم الناس كيف خلق الله تبارك وتعالى هذا الخلق، لم يلم أحدٌ أحداً.

فقلت: أصلحك الله فكيف ذاك؟

فقال: إنّ الله تبارك وتعالى خلق أجزاء بلغ بها تسعة وأربعين جزءاً، ثمّ جعل الأجزاء أعشاراً، فجعل الجزء عشرة أعشار، ثمّ قسّمه بين الخلق: فجعل في رجل عُشر جزء، وفي آخر عُشري جزء، حتّى بلغ جزءاً تامّاً، وفي آخر جزءاً وعُشر جزء، وآخر جزءاً وعُشري جزء، وآخر جزءاً وثلاثة أعشار جزء، حتّى بلغ جزئين تامّين، ثمّ بحساب ذلك حتّى بلغ بأرفعهم تسعة وتسعين جزءاً.

فمن لم يجعل فيه إلّا عُشر جزء لم يقدر على أن يكون مثل صاحب العُشرَين، وكذلك صاحب العُشرين لا يكون مثل صاحب الثلاثة الأعشار، وكذلك من تمَّ له جزءٌ لا يقدر على أن يكون مثل صاحب الجزئين، ولو علم الناس أنّ الله عزّ وجلّ خلق هذا الخلق على هذا لم يلم أحدٌ أحداً».

الأسباب المؤدية إلى تفاوت قبول أحاديثهم الشريفة:

والنتيجة المترتّبة على هاتين النكتتين الواردتين في الروايتين المتقدِّمتين أنّ من أحاديثهم ما هو صعبٌ مستصعب، ثقيل، ونحوها من الأوصاف التي تحدثت عنها الأخبار الشريفة الكاشفة عن تفاوت المدارك العقلية، إلا أنّه لا بدَّ من

الإشارة إلى أنّ حيثيّة الصعوبة وعدم الاحتمال في بعض أحاديثهم تنشأ من جهات عدّة:

الجهة الأولى: قد يكون التفاوت العقلي ناشئاً ومتولداً من عدم إدراك الحقائق العقليّة فضلاً عن الحقائق الإيمانية، لعدم استعداد البعض لفهمها لدقّتها وعمقها؛ من هنا جاء النَّهْيُ لهؤلاء عن التعرّض لما لا يفهمون، وكذلك نُهي الخواصّ عن إلقاءِ مثل هذه المعارف إليهم كما ورد عن الإمام المعظَّم موسى بن جعفر عليه السلام حيث قال ليونس: «يا يونس ارفق بهم، فإنّ كلامك يدقّ عليهم». فمثلاً يعسر على غير المتدرّبين في العقليّات أن يفرّقوا بين العلَّةِ والمعلول كجهلهم في التفرقة بين العلّة المحدثة والعلّة المبقية، وبين الفاعل بالاختيار والعلّة التامّة، وكذلك يعسر عليهم التفرقة بين المحال العادي والمحال العقلي، وبين النادر الوقوع والمحال العادي، وبين العقل النظري والعقل العملي؛ كما لحظنا بوضوحٍ من بعض المعممين الذين يقودون المنهج البتري على الساحة اللبنانية حيث لم يقدر على التمييز بين العقل النظري والعقل العملي. . . ومنشأ ذلك ما ذكرناه من تفاوت المدارك العقلية والإعتقادية.

الجهة الثانية: قد يكون التفاوت العقلي بسبب قوّة الواهمة ومعارضتها لما قام عليه البرهان العقلي؛ وسرّ ذلك أنّه ما من مسألة من المسائل العقليّة والأُصوليّة إلّا وللوهم فيها معارضة ومكافحة، يجب التمرّن لدفع وسوسته حتّى يؤمن العقل من إبداء الأدلّة وإخضاع النفس لها، ولا بدّ أن يكون الناظر في الأدلّة متمرّناً على تفكيك مدركات الوهم عن مدركات العقل ويرتاض حتّى يعتاد، ولا يحصل ذلك بسهولة لأيٍّ كان، والمثال المعروف أنّ العقل يركّب قياساً من مقدّمات بيّنة، فيقول: الميّت جماد، والجماد لا يخاف منه، فينتج: الميّت لا يخاف منه، فيعترف العقل بهذه النتيجة ولا يعترف بالوهم، وكذلك الإيمان بالله يعارضه الوهم بأنّ كلّ موجود محسوس، والله تعالى ليس بمحسوس، فهو - نعوذ بالله - ليس بموجود، والإيمان بالوحي والنبوّة يعارضه الوهم بأنّ ليس للإنسان قوّة إدراكيّة غير هذه الحواس الظاهرة والباطنة، فكيف

يدرك النبيّ أو الوليّ الوقائع الماضية والآتية والأمور الحاليّة الحادثة في الأماكن البعيدة مع وجود الحائل؟ وكيف يسمع الصوت من عالم آخر لا يسمعه غيره؟ ويرى الملك والموجودات الغيبيّة، وليس لأحدٍ قوّة مدركة لذلك، وكذلك كلّ شيء معارض بشبهة، ولا يتخلّص منها إلّا من ارتاض وتمرّن بتمييز وساوس الأوهام من مدركات العقول.

والوهم متقيِّدٌ بالعادات، وانحصار الحقيقة في حدود خاصّة استأنسها، فإذا فاجأها غيرُ المأنوس أنكره واستوحش منه، وعدّ قائله سفيهاً أو نسبه إلى الضلال والكفر.

من هنا جاءت الرواياتُ مبيِّنةً لهذه الحقيقة، وأنّ الناس ليسوا على درجة واحدة من الفهم والإدراك والتحمّل لمثل هذه الحقائق والمعارف.

فمثلاً في بيان حقيقة التوحيد، تارةً يقولون إنّ التوحيد هو ما عليه عامة الشيعة، كما في النصّ الوارد عن سعد بن سعد قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن التوحيد، فقال: «هو الذي أنتم عليه»، وطَوْراً يبيّنونه بنحو عميق ودقيق لا يحتمله إلّا الأوحدي من خواصّ تلامذتهم، كما في النصّ الوارد عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم قال: «دخلت على أبي عبد الله الصادق عليه السلام فقال لي: أتنعت الله؟ فقلت: نعم. قال: هات، فقلت: هو السميع البصير. قال: هذه صفة يشترك فيها المخلوقون. قلت: فكيف تنعته؟ فقال عليه السلام: «هو نورٌ لا ظلمة فيه، وحياةٌ لا موت فيه، وعلمٌ لا جهلَ فيه، وحقٌّ لا باطلَ فيه. فخرجت من عنده وأنا أعلم الناس بالتوحيد».

وكذلك النصّ الوارد عن هشام بن الحكم، قال في حديث الزنديق الذي سأل الإمام أبا عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال له: أتقول إنّه سميعٌ بصير؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «هو سميعٌ بصير، سميع بغير جارحة، بصير بغير آلة، بل يسمع بنفسه، ويبصر بنفسه، وليس قولي: إنّه يسمع بنفسه أنّه شيء والنفس شيءٌ آخر، ولكنّي أردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسؤولاً، وإفهاماً لك إذ كنت سائلاً.

فأقول: يسمع بكلّه، لا أنّ كلّه له بعض، ولكنّي أردت إفهامك والتعبير عن نفسي، وليس مرجعي في ذلك إلّا إلى أنّه السميع البصير العالم الخبير بلا اختلاف الذات ولا اختلاف المعنى».

من هنا نجد أنّ بعض الناس عندما سمعوا ما بيّنه بعض خواصّ تلامذتهم لم يحتملوه وأنكروه، وهو ما أوضحه خبرٌ محمّد بن عيسى بن عبيد عن أخيه جعفر بن عيسى قال: «كنّا عند أبي الحسن الرضا عليه السلام وعنده يونس بن عبد الرحمن، إذ استأذن عليه قومٌ من أهل البصرة، فأومأ أبو الحسن عليه السلام إلى يونس: ادخل البيت، فإذا بيت مسبل عليه ستر، وإيّاك أن تتحرّك حتّى يؤذن لك.

فدخل البصريّون وأكثروا من الوقيعة والقول في يونس، وأبو الحسن عليه السلام مُطرق حتّى لمّا أكثروا فقاموا وودّعوا وخرجوا.

فأذِنَ ليونس بالخروج، فخرج باكياً، فقال: جعلني الله فداك إنّي أُحامي عن هذه المقالة، وهذه حالي عند أصحابي.

فقال له أبو الحسن عليه السلام: يا يونس وما عليك ممّا يقولون إذا كان إمامك عنك راضياً! يا يونس حدِّث الناس بما يعرفون، واتركهم ممّا لا يعرفون، يا يونس وما عليك أنْ لو كان في يدك اليمنى درّة، ثمّ قال الناس بعرة، أو بعرة وقال الناس درّة، هل ينفعك ذلك شيئاً؟ فقلت: لا، فقال: كذا أنت يا يونس، إذ كنت على الصواب وكان إمامُك عنك راضياً، لم يضرّك ما قال الناس».

وهذا ما أكده خبر محمّد بن عيسى بن عبيد عن يونس بن عبد الرحمن، قال: «قال العبد الصالح موسى بن جعفر عليهما السلام: يا يونس ارفق بهم، فإنّ كلامك يدقّ عليهم. قلت: إنّهم يقولون لي زنديق. قال لي: وما يضرّك أن يكون في يدك لؤلؤة يقول الناس هي حصاة، وما ينفعك أن يكون في يدك حصاة فيقول الناس لؤلؤة».

الجهة الثالثة: وقد يكون التفاوت المدركي المعرفي لمفاهيم أهل بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم) بسبب أنّ هذه المعارف لكي تُدرك على ما هي عليها تحتاج إلى نحوٍ آخر من الإدراك يختلف عن الإدراك الفكري والعقلي،

قال العلَّامة الطباطبائي في ذيل قوله ﷺ: «أُمرنا أنْ نكلِّمَ الناسَ على قدر عقولهم»: «إنّ هذا التعبير إنّما يحسن إذا كان هناك من الأمور ما لا يبلغه فهم السامعين من الناس».

وقوله ﷺ: «نكلّم» ولم يقل: نقول أو نبيّن أو نذكر ونحو ذلك، يدلّ على أنّ المعارف التي بيّنها الأنبياء عليهم السلام إنّما وقع بيانها على قدر عقول أُممهم، ميلاً من الصعب إلى السهل، لا أنّه اقتصر بهذا المقدار من المعارف الكثيرة، إرفاقاً بالعقول، واقتصاراً من المجموع بالبعض.

وبعبارةٍ أُخرى: التعبير الوارد في الرواية ناظر إلى الكيف دون الكمّ، فيدلّ على أنّ هذه المعارف حقيقتها التي هي عليها، وراء هذه العقول التي تسير في المعارف بالبرهان والجدل والخطابة، وقد بيّنها الأنبياء بجميع طرق العقول من البرهان والجدل والوعظ كلّ البيان، وقطعوا في شرحها كلّ طريق ممكن.

ومن هنا يُعْلَم أنّ لها مرتبة فوق مرتبة البيان اللفظي، ولو نزّلت إلى مرتبة البيان اللفظي لدفعتها العقول العاديّة، وهذا معناه أنّ إدراك هذه المعارف بحقائقها يختلف عن إدراك العقول المتفاوتة من حيث السعة والضيق، فافهم ذلك.

من هنا جاءت الروايات لتبيّن الدرجات المعرفية عند خواصّ أصحاب النبيّ ﷺ وتلامذة أئمّة أهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين)... وهذه الروايات الشريفة تعكس حجم الاختلاف المعرفي بين تلك الثلة العارفة بأهل البيت (سلام الله عليهم)..! وهذا إنْ دل على شيءٍ فإنّما يدل على التفاوت في القابليات الاعتقادية تماماً كالتفاوت الإيماني والمعرفي الكامن في نفوس الأنبياء والأوصياء (سلام الله عليهم).

فقد جاء عن الإمام المعظَّم جعفر الصادق عليه السلام قال: «الإيمان على عشر درجات، فالمقداد في الثامنة، وأبو ذرّ في التاسعة، وسلمان في العاشرة».

وجاء عن أبي بصير عن الإمام المعظم أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ لسلمان: يا سلمان لو عُرِضَ عِلمُك على المقداد لكفر، يا مقداد لو عرض صبرك على سلمان لكفر».

ونحن نحمل الكفر الوارد في الخبر على كفر العصيان أو الامتناع وعدم التحمل لا الجحود والارتداد؛ أي: أننا نحمل كفر أحدهما للآخر على نحو امتناعه عنه واستغرابه مما هو عليه صاحبه وعدم تحمله لما هو عليه، فلا سلمان المحمدي يحتمل صبر المقداد، ولا المقداد وأبو ذرّ يحتملان علم سلمان، من هنا جاء في خبر صالح الأحول قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين سلمان وأبي ذرّ واشترط على أبي ذر أن لا يعصي سلمان».

وسرُّ اشتراط النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله على أبي ذر أن لا يعصيه لما علمه النبي (صلوات الله عليه وآله) من أحوال سلمان العالية الغريبة التي لا يحتملها إلا الأوحدي من الناس.

وعن مسعدة بن صدقة عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ذكرت التقيّة يوماً عند عليّ بن الحسين عليه السلام فقال: «والله لو علم أبو ذرّ ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينهما، فما ظنّكم بسائر الخلق، إنّ علم العلماء صعبٌ مستصعبُ، لا يحتمله إلّا نبيٌّ مرسل أو ملكٌ مقرّب أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان. فقال: إنّما صار سلمان من العلماء لأنّه امرؤٌ منّا أهل البيت، فلذلك نسبته إلى العلماء».

ومن المعلوم أنّ تفوّق سلمان إنّما كان لأجل ما يحتمله من المعارف الإلهيّة الخاصّة، وإلّا فإنّ أبا ذر هو الذي ورد فيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما أظلّت الخضراء وما أقلّت الغبراء أصدق لهجةً من أبي ذرّ».

وكذلك المقداد فإنّه جاء فيه عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «ما بقي أحدٌ بعدما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا وقد جال جولة إلّا المقداد فإنّ قلبه كان مثل زبر الحديد».

فهم جميعاً وغيرهم كعمّار وأويس القرني وكميل بن زياد وميثم التمّار ورشيد الهجري من خواصّ خاصّة النبيّ صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، إلّا أنّ سلمان له فضله الخاصّ فهو أفضلهم وأعلمهم جميعاً.

وعن عيسى بن حمزة قال: «قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام، الحديث

الذي جاء في الأربعة؟ قال: وما هو؟ قلت: الأربعة التي اشتاقت إليهم الجنّة. قال: نعم منهم سلمان وأبو ذر والمقداد وعمّار. قلت: فأيّهم أفضل؟ قال: سلمان».

وعن ابن بكير عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «أدرك سلمان العلمَ الأوّل والعلم الآخر، وهو بحرٌ لا ينزح، وهو منّا أهل البيت».

قال المحدّث النوري في كتابه «نفس الرحمان في فضائل سلمان» معلّقاً على هذه الأحاديث: «إنّ المقصود من تلك الأخبار واضح بعدما عرفت أنّ للإيمان - ونعني به هنا التصديق التامّ الخالص بالله وبرسوله والأئمّة الأطهار (عليهم صلوات الله الملك الجبّار) - ولمعرفتهم مراتب ودرجات، ولكلّ مرتبة ودرجة أحكام وحدود مختصّة بها ما دام صاحبها فيها ولم يترقّ إلى ما فوقها، فإذا أخذ بالحظّ الوافر والنصيب المتكاثر انقلبت أحكامه وتكاليفه، كما انشرح صدره الذي كان ضيّقاً بنور معرفة الله وأوليائه، والعلم بحقائق الأشياء كما هي، فيرى حينئذ أنّ ما كان عليه قبل ذلك كان كفراً أو تقصيراً، لإحاطته بقصور المقام ونقصانه بالنسبة إلى ما هو عليه من المرتبة والكمال، كما أنّه - وهو في تلك الحال - لو كشف له ما لم يصل إليه يراه كفراً، لعجزه عن دركه ومخالفته لما بنى عليه أمره.

ومن هنا كانوا عليهم السلام يمسكون عن أشياء كان علمها مختصاً بذوي الهمم العالية والقلوب الصافية، وذلك واضح بعد التتبّع في تراجم الرواة وأصحاب الأئمّة الهُداة». انتهى كلامه (رحمه الله تعالى).

وقال المحدّث المجلسي (رحمه الله) في كتابه بحار الأنوار معلِّقاً على حديث مسعدة بن صدقة: «بيان قوله عليه السلام: ما في قلب سلمان، أي من مراتب معرفة الله ومعرفة النبي والأئمة (صلوات الله عليهم)، فلو كان أظهر سلمان له شيئاً من ذلك لكان لا يحتمله، ويحمله على الكذب، وينسبه إلى الارتداد أو العلوم الغريبة والآثار العجيبة التي لو أظهرها له لحملها على السحر فقتله، أو

كان يفشيه ويظهره للناس فيصير سبباً لقتل سلمان على الوجهين، وقيل: الضمير المرفوع راجع إلى العلم، والمنصوب إلى أبي ذر أي لقتل وأهلك ذلك العلم أبا ذر، أي كان لا يحتمله عقله فيكفر بذلك، أو لا يطيق ستره و صيانته فيظهره للناس فيقتلونه»؛ انتهى كلامه.

ولا يخفى ما في بعضه من البعد من دعوى احتمال الكفر لأبي ذر أو قتله لسلمان بسبب عدم تحمله لحديثه، إذ إنَّ أبا ذر وصل إلى مقام الإيمان المستقر الذي لا يتحول ولا يتبدل. . . ومن كان بهذا المستوى الراقي من الإيمان المستقر لا يمكن نسبة تبدل الإيمان إلى الكفر بحقِّه، فتأمل.

ويؤكد ما ذكرنا ما قاله السيِّد المرتضى رضي الله عنه في بعض فوائده حيث سُئِلَ عن هذا الخبر ونِعْمَ ما قال وهو الآتي:

«إن هذا الخبر إذا كان من أخبار الآحاد التي لا توجب علماً ولا تثلج صدراً، وكان له ظاهر ينافي المقطوع والمعلوم تأولنا ظاهره على ما يطابق الحق ويوافقه إنْ كان ذلك مستسهلاً، وإلا فالواجب إطراحه وإبطاله، وإذا كان من المعلوم الذي لا يحيل سلامة سريرة كلّ واحدٍ من سلمان وأبي ذر ونقاء صدر كل واحد منهما لصاحبه، وإنهما ما كانا من المدغلين في الدين ولا المنافقين فلا يجوز مع هذا المعلوم أن يعتقد أن الرسول يشهد بأن كلَّ واحدٍ منهما لو اطلع على ما في قلب صاحبه لقتله على سبيل الاستحلال لدمه، ومن أجود ما قيل في تأويله: أن الهاء في قتله راجع إلى المطلع، لا المطلع عليه، كأنه أراد أنه إذا اطلع على ما في قلبه وعلم موافقة باطنه لظاهره وشدة إخلاصه له، اشتد ضننه به، ومحبته له، وتمسكه بمودته ونصرته فقتله ذلك الضن أو الود بمعنى أنه كاد يقتله، كما يقولون: فلان يهوى غيره، وتشتد محبته له حتى إنه قد قتله حبه، أو أتلف نفسه أو ما جرى مجرى هذا من الألفاظ وتكون فائدة هذا الخبر حسن الثناء على الرجلين، وأنه آخى بينهما وباطنهما كظاهرهما وسرهما في النقاء والصفاء كعلانيتهما». انتهى كلامه (رفع الله في الجنان مقامه).

والحاصل: إن هذا التفاوت المدركي بحسب الملكات الإيمانية سعةً وضيقاً

هو ما نجده واضحاً في ذريح المحاربي كما روى الصدوق بسندٍ صحيحٍ عن عبد الله بن سنان، قال: «أتيت أبا عبد الله الصادق عليه السلام فقلت له: جُعلتُ فداك ما معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾[1]؟ قال عليه السلام: أخذ الشارب وقصّ الأظافير وما أشبه ذلك.

قال قلت له: جعلت فداك فإنّ ذريحاً المحاربي حدّثني عنك، أنّك قلت: ليقضوا تفثهم: لقاء الإمام. وليوفوا نذورهم: تلك المناسك؟

قال عليه السلام: صدق ذريح وصدقت، إنّ للقرآن ظاهراً وباطناً، ومن يحتمل ما يحتمل ذريح؟!. لذا نجد أنّ سفيان بن سعيد الثوري عندما يطلب من الإمام الصادق عليه السلام ويقول: يا بن رسول الله بيِّن لي أمر اللوح والقلم والمداد فضل بيان، وعلّمني ممّا علّمك الله؟.

قال عليه السلام: «يا بن سعيد، لولا أنّك أهلٌ للجواب ما أجبتك، فنون مَلَكٌ يؤدّي إلى القلم وهو مَلَكٌ، والقلم يؤدّي إلى اللّوح وهو مَلَكٌ، واللّوح يؤدّي إلى إسرافيل، وإسرافيل يؤدّي إلى ميكائيل، وميكائيل يؤدّي إلى جبرئيل، وجبرئيل يؤدّي إلى الأنبياء والرُّسل صلوات الله عليهم.

قال: ثمّ قال: قم يا سفيان، فلا نأمن عليك».

وبهذا يتّضح أنّ أصحاب الأئمّة الطاهرين عليهم السلام لم يكونوا على درجة واحدة في المعرفة الإلهية والمدارك العقلية، ولذا اختلفت إجابات الأئمّة الطاهرين عليهم السلام في المسألة الواحدة باختلاف درجات ومقامات السائلين، وما ذلك إلَّا لأن معارفهم عالية الجودة والقيمة لا يحتملها إلا ذوو القابليات العالية، فتفاوت التوزيع المعرفي على الأصحاب بحسب تفاوت المدارك المعرفية، على قاعدة أنَّهم عليهم السلام يكلّمون الناسَ على قدر عقولهم.

ففي الكافي بإسناده عن محمد عن أحمد بن عيسى عن ابن فضال، عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما كلَّم رسول الله صلى الله عليه وآله العباد بكنه

(1) سورة الحج، الآية: 29.

عقله قط وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّا معاشر الأنبياء أُمِرْنا أن نكلِّم الناس على قدر عقولهم».

من هنا جاء التعبير عن هذا المعنى في أخبارهم الشريفة بأنَّ حديثهم صعب مستصعب.

بيان ذلك بالتوضيح التالي:

إنَّ من الحقائق المعرفيَّة الإلهيَّة التي تعرضت لها مجموعة كبيرة من الروايات وأولتها عناية فائقة، ما جاء في وصف بعض أحاديث أهل البيت بالصعب المستصعب الذي لا يحتمله إلّا مَلَكٌ مقرّب أو نبيٌّ مرسل أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان، بل في بعضها أنّه لا يحتمله لا ملكٌ مقرّب ولا نبيٌّ مرسل ولا مؤمنٌ امتحن الله قلبه للإيمان. وهذه حقيقة مهمّة ينبغي تسليط الضوء عليها وبيان المراد منها، لأنّ لها ارتباطاً وثيقاً بمستوى المعارف والحقائق التي يحويها ويحيط بها أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

من هنا جاء التقسيم المعرفي في أخبارهم الشريفة الكاشفة عن المستوى المعرفي الراقي لدى حجج الله المطهرين (صلوات الله عليهم أجمعين)، وهو متعدد الأطراف، منه ما اختصوا به دون سواهم، ومنه ما خصوا به بعض شيعتهم، ومنه ما هو أدنى من ذلك قد وزعوه على شيعتهم كلّ بحسب سيره المدركي وقابليته المعرفية، ويمكن تقسيمها إلى أنحاء يتضح من خلالها العمق المعرفي عندهم وهي التالي:

النحو الأول: الحقائق والمعارف التي لا يحتملها إِلَّا أهل البيت عليهم السلام خاصة.

فقد جاء في نصوص كثيرة ما يدل على هذه الحقيقة المعرفية منها:

ما دل على أنّ من معارفهم ومقاماتهم ما لا يحتملها لا ملكٌ مقرّب ولا نبيٌّ مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان.

فعن أبي الصامت قال: «سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: إنّ من

حديثنا ما لا يحتمله ملكٌ مقرّب ولا نبيٌّ مرسل ولا عبدٌ مؤمن. قلت: فمن يحتمله؟ قال: نحن نحتمله».

وكذلك ما جاء عن محمّد بن عبد الخالق وأبي بصير قال: «قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: يا أبا محمّد إنّ عندنا والله سرّاً من سرّ الله، وعلماً من علم الله، والله ما يحتمله ملكٌ مقرّب ولا نبيٌّ مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، والله ما كلّف الله ذلك أحداً غيرنا ولا استعبد بذلك أحداً غيرنا».

قال العلامة المازندراني في شرحه لأُصول الكافي تعليقاً على الخبر الأول المتقدم: «إنّ المراد بذلك بيان ما هم من شرافة الذات ونورانيّتها والكلمات الفاضلة والأخلاق الكاملة والإشراقات التي تختصّ بها عقولهم، والقدرة على ما لا يقدر عليه غيرهم من العلم بالأمور الغيبيّة والأسرار الإلهيّة والأخبار الملكوتيّة والآثار اللاهوتيّة والأطوار الناموسيّة والأوضاع الفلكيّة والأوصاف الملكيّة، والوقايع الخالية والبدايع الآتية والحاليّة، والأحكام الغريبة والأقضية العجيبة»؛ انتهى.

إنْ قيل: لماذا اختصوا عليهم السلام بمعارف دون غيرهم؟ وما هي النسبة والعلاقة بين المعارف والحقائق التي أُمروا بإبلاغها إلى الناس وبين تلك المختصّة بهم والتي لا يحتملها أحدٌ سواهم عليهم السلام؟

قلنا: إنّ بعض النصوص الشريفة كشفت عن أنّ ما عندهم من المعارف الإلهية العالية لا يمكن لغيرهم - مطلقاً - أن يحتملها لعدم سعته لها وإدراكه لمعانيها بمقتضى قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾[1]؛ وذلك لأن المعرفة الكاملة لا يدركها إلا الكامل بمداركه الروحية والعقلية، مع التأكيد على أن المراد بها هو معرفتها بكمالها التي هي عليه بما هي هي بالحمل الذاتي، نعم إذا صارت محدودة بحدّ مَن ألقيت إليه فهي قابلة للفهم والدرك، كلٌّ بحسب قابليته وسعته وإدراكه، وكلُّ إناءٍ بما فيه ينضح، وهو ما أكد عليه النصّ الشريف

(1) سورة الرعد، الآية: 17.

الوارد عن المفضّل، قال: «قال أبو جعفر عليه السلام: إنّ حديثنا صعب مستصعب، لا يحتمله ملكٌ مقرّب ولا نبيٌّ مرسل ولا عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان. . . إلى أن قال: فأحسن الحديث حديثنا، لا يحتمل أحدٌ من الخلائق أمره بكماله حتّى يحدّه، لأنّ من حدّ شيئاً فهو أكبر منه».

وبعبارةٍ أُخرى: «قوله عليه السلام: لا يحتمل أحد من الخلائق أمره بكماله» يدلّ على أنّ حديثهم عليهم السلام أمرٌ ذو مراتب، يمكن أن يحتمل بعض مراتبه بواسطة التحديد، ويشهد له تعبيره عن الحديث في رواية أبي الصامت بقوله: «إنّ من حديثنا» فيكون حينئذ موردُ هذه الرواية مع الرواية التي قالت: «لا يحتمله إلّا ملك مقرّب أو نبيٌّ مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان» مورداً واحداً لكونه مشكّكاً ذا مراتب متفاوتة، وتحديد كلّ واحد من الخلائق حديثهم عليهم السلام، لكون ظرفه الذي به يحتمل ما يحتمل، وهو ذاته محدود، فيصير به ما يحتمله محدوداً، وهو السبب في عدم إمكان الاحتمال بكماله، فهو أمرٌ غير محدود، وعليه يكون خارجاً عن حدود الإمكان؛ لأنَّ مقامهم من الله سبحانه حيث لا يحدّه حدٌّ، وهو الولاية الإلهية المطلقة.

وهذا يكشف عن أنّ حقيقةً واحدة يمكن أن تكون لها مراتب متعدّدة:

مرتبة منها هي الحقيقة على ما هي عليها بكمالها، لا يحتملها إلّا هم عليهم السلام.

ومرتبة منها لا تعطى إلا لمن شاءوا كما في حديث عثمان بن جبلة عن أبي الصامت قال: «قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: إنّ حديثنا صعبٌ مستصعب، شريف، كريم، ذكوان، ذكي، وعر، لا يحتمله ملك مقرّب ولا نبيٌّ مرسل ولا مؤمن ممتحن.

قلت: فمن يحتمله جعلت فداك؟ قال: من شئنا يا أبا الصامت».

وهذا قسم خاصّ من معارفهم، لا يصل إلى فهمها والإقرار بها إلا من تلطّفوا عليه بتنوير قلبه كي يحتمل حديثهم، كسلمان المحمّدي، والمقداد، وعمار، وأبي ذر، وأويس القرني، وكميل بن زياد النخعي، وميثم التمّار، ورشيد

الهجري، وجابر بن يزيد الجعفي، وأبي هاشم الجعفري، وأمثالهم من حملة الأسرار الإلهية والمعارف اليقينية.

ومرتبة منها لا يحتملها إلّا ملكٌ مقرّب أو نبيٌّ مرسل أو مؤمن ممتحن.

ومرتبة منها هي للمؤمنين جميعاً الذين خلقوا من فاضل طينتهم، كما في النصّ الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام: «خلقنا الله من نور عظمته، ثمّ صوّر خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنّا نحن خلقاً وبشراً نورانيّين لم يجعل لأحدٍ في مثل الذي خلقنا منه نصيباً، وخلق شيعتنا من طينتنا، وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من تلك الطينة».

ولذا قال إمامنا المعظم الصادق عليه السلام: «فلولا أنّهم خلقوا من هذه لما كانوا كذلك، لا والله ما احتملوه».

وهذه هي المرتبة التي عبّرت عنها النصوص المستفيضة أنّهم أُمروا بتبليغها للناس عموماً، فقبلتها وأقرّت بها طائفة ونفرت واشمأزّت منها أُخرى، كما قال الإمام المعظَّم جعفر الصادق عليه السلام: «فأُمرنا أن نبلّغهم كما بلّغناهم - أي شيعتنا - واشمأزّوا من ذلك ونفرت قلوبهم وردّوه علينا ولم يحتملوه وكذّبوا به».

إذا اتّضح ذلك نقول: إنّ كلّ مرتبة أعلائيّة منها لا يمكن للداني أن يقف عليها كما هي عند من فوقه وإلا لكان الداني محيطاً بالعالي، وهو غير معقول كما هو ثابت في مظانّه، لذا قال العلامة المجلسي (رحمه الله) شارحاً لحديث «حديثنا صعب مستصعب»: «إنّ من أحاط بكنه علم رجل وجميع كمالاته، فلا محالة يكون متّصفاً بجميع ذلك على وجه الكمال، إذ ظاهر أنّ من لم يتّصف بكماله على وجه الكمال، لا يمكنه معرفة ذلك الكمال على هذا الوجه، ولا بدّ في الاطّلاع على كنه أحوال الغير من مزيّة كما يحكم به الوجدان، فلا استبعاد في قصور الملائكة وسائر الأنبياء الذين هم دونهم في الكمال عن الإحاطة بكنه كمالاتهم...».

من هنا جاء في النصوص ما يكشف عن هذه الحقيقة في بيان سعة المدارك وضيقها، ففي خبر صفوان بن يحيى عن عبد الله بن مسكان عن محمّد بن عبد الخالق عن أبي بصير قال:

«قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام : يا أبا محمّد إنّ عندنا والله سرّاً من سرّ الله، وعلماً من علم الله، والله ما يحتمله ملكٌ مقرّب ولا نبيٌّ مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، والله ما كلّف الله ذلك أحداً غيرنا ولا استعبد بذلك أحداً غيرنا، وإنّ عندنا سرّاً من سرّ الله وعلماً من علم الله، أمرنا الله بتبليغه، فبلّغنا عن الله عزّ وجلّ ما أمرنا بتبليغه، فلم نجد له موضعاً ولا أهلاً ولا حمّالة يحتملونه حتّى خلق الله لذلك أقواماً، خلقوا من طينةٍ خُلق منها محمّد وآله وذرّيته عليهم السلام ، ومن نورٍ خَلَق الله منه محمّداً وذرّيته، وصنعهم بفضل صنع رحمته التي صنع منها محمّداً وذرّيته، فبلّغنا عن الله ما أمرنا بتبليغه، فقبلوه واحتملوا ذلك، وبلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلى معرفتنا وحديثنا، فلولا أنّهم خلقوا من هذا لما كانوا كذلك، لا والله ما احتملوه.

ثمّ قال: إنّ الله خلق أقواماً لجهنّم والنار، فأمرنا أن نبلّغهم كما بلّغناهم، واشمأزّوا من ذلك ونفرت قلوبهم وردّوه علينا ولم يحتملوه وكذّبوا به».

هذا النصّ يكشف بشكلٍ واضحٍ أنّ المعارف والحقائق الإلهية التي يتوفّر عليها أهل بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم) تنقسم إلى قسمين: قسم يختصّ بهم عليهم السلام لا يشاركهم به أحدٌ مطلقاً، ولذا لم يأمروا بإخراجه إلى الناس، وقسم لا يختصّ بهم بل هم مأمورون بتبليغه إلى الخلق، والناس بإزاء ذلك بين من قَبِلَه منهم وبين من رفض ونفرَ منه، وهو ما أكدته النصوص الأُخرى الصادرة منهم في نصوص الكتمان وحرمة إذاعة الأسرار لغير مستحقها كما في صحيحة أبي عبيد الحذاء قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: أما والله إنّ أحبّ أصحابي اليّ أورعهم وأفقههم وأكتمهم لحديثنا، وإنّ اسوأهم عندي حالاً وأمقتهم إليّ الذي إذا سمع الحديث ينسب إلينا ويُروى عنّا فلم يعقله أو لم يقبله بقلبه اشمأزّ منه وجحده، وكفر به وبمن دان به، وهو لا يدري لعلّ الحديث من عندنا خرج، وإلينا أُسند، فيكون بذلك خارجاً من ولايتنا».

وورد في خبر المعلّى بن خنيس قال: يا معلَّى اكتم أمرنا ولا تذعه فإنه من كتم أمرنا ولم يذعه أعزه الله به في الدنيا وجعله نوراً بين عينيه في الآخرة يقوده

إلى الجنة، يا معلَّى من أذاع أمرنا ولم يكتمه أذله الله به في الدنيا ونزع النور من بين عينيه في الآخرة وجعله ظلمة تقوده إلى النار، يا معلَّى إن التقية من ديني ودين آبائي ولا دين لمن لا تقية له، يا معلى إن الله يحب أن يعبد في السر كما يحب أن يعبد في العلانية، يا معلى إن المذيع لأمرنا كالجاحد له».

وعلى فرض صحة الرواية المتقدِّمة باعتبارها من الروايات القادحة بالمعلَّى فيظهر أنه عليه السلام كان يخاف على المعلَّى القتل لما يرى من حرصه على الإذاعة، ولذلك أكثر من نصيحته بذلك، ومع ذلك لم تنجع نصيحته فيه، ولعلَّه قُتِلَ بسبب ذلك؛ وإن كان يظهر من ابن طاووس (رحمه الله) في مهج الدعوات قوله بأنَّ المعلَّى قُتِل بسبب جباية الأموال إلى إمامنا الصادق عليه السلام، وعلى فرض أنه قُتِل بسبب إفشائه للأسرار فلا يعني ذلك بالضرورة تقصيره في حقّهم وبالتالي عدم كونه مرضياً عندهم (سلام الله عليهم)... وذلك لما ورد عن إمامنا المعظم جعفر الصادق (صلوات الله عليه) الترضي عن المعلَّى بن خنيس في بعض الأخبار الشريفة، بل الظاهر - على فرض صحة الروايات الذامه له - أن نهيه له عن إفشاء أسرارهم لغير المؤهلين موجب لإنكارهم وجحودهم وهو يستلزم خروج المنكر من الولاية، والذلة للفاشي أو المذيع في الدنيا من جراء تكفير وتكذيب المنكر لراوي الحديث، وهو ما يستفاد من قوله في رواية أبي عبيدة الحذاء: «وكفّر من دان به» من عدم جواز الإنكار لما لا يعلم من الأسرار.

والحاصل: «أنه لا بدّ من الكتمان إلا عن أهله، ولعلَّه الغاية التي من أجلها سكت الأئمة الطاهرون عليهم السلام عن التصريح بالمعارف، لعدم قابلية العامة لفهمها، بل أمروا بالرفق مع الناقص.

ويؤيده ما جاء في جملة من الأحاديث الآمرة بكتمان أمر الولاية عن غير أهلها، وبكتمان أسرارهم عن غير أهلها، ولا يكون الحفظ لها إلا بالكتمان، وهم عليهم السلام حفظة سرّ الله بهذا الكتمان، بل الظاهر المستفاد ابتداء من قوله عليه السلام: «وحفظة سرّ الله» هو بيان مقام حفظهم لها وعدم إذاعتها كما دلت عليه الأخبار الآمرة بالكتمان والحفظ عن الأغيار.

ويدل على لزوم هذا الحفظ كما حفظوا هم عليهم السلام ما ورد في الوافي عن الكافي بإسناده عن إسماعيل بن مهران عمّن حدّثه عن جابر بن يزيد قال: حدثني محمد بن علي عليه السلام سبعين حديثاً لم أحدث بها أحداً قطّ، ولا أحدث بها أحداً أبداً، فلما مضى محمد بن علي عليه السلام ثقلت على عنقي وضاق بها صدري فأتيت أبا عبد الله عليه السلام فقلت: جعلت فداك إن أباك حدثني سبعين حديثاً لم يخرج منّي شيءٌ منها إلى أحدٍ وأمرني بسترها، وقد ثقلت على عنقي وضاق بها صدري، فما تأمرني؟ فقال: «يا جابر إذا ضاق بك من ذلك شيءٌ، فأخرج إلى الجبّانة واحتفر حفيرة، ثم دلّ رأسك فيها، وقل: حدثني محمد بن علي بكذا وكذا ثم طمّه فإن الأرض تستر عليك، قال جابر: ففعلت ذلك فخفّف عني ما كنت أجده».

ومن هذا القبيل ما ورد من النهي عن إذاعة أسرارهم العالية على مَن لا يحتملها مِن ضعاف اليقين ممّن يؤدي إخبارهم بها إلى تكذيب ناقلها بسبب ضعف قابلياتهم، ففي أخبار كثيرة ما يدل على حرمة الإذاعة بالشرط الذي أشرنا إليه، منها ما جاء في صحيحة البزنطي قال: قال: سألت أبا الحسن الرضا عن مسألته فأبى وأمسك، ثم قال: لو أعطيناكم كلما تريدون كان شراً لكم وأُخذ برقبة صاحب هذا الأمر، قال أبو جعفر عليه السلام: ولاية الله أسرها إلى جبرئيل عليه السلام وأسرها جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله وأسرها محمد إلى عليّ وأسرها عليٌّ (سلام الله عليه) إلى من شاء الله، ثم أنتم تذيعون ذلك، من الذي أمسك حرفاً سمعه؟ قال أبو جعفر عليه السلام: في حكمة آل داود ينبغي للمسلم أن يكون مالكا لنفسه مقبلا على شأنه عارفاً بأهل زمانه، فاتقوا الله ولا تذيعوا حديثنا، فلولا أن الله يدافع عن أوليائه وينتقم لأوليائه من أعدائه، أما رأيت ما صنع الله بآل برمك وما انتقم الله لأبي الحسن عليه السلام وقد كان بنو الأشعث على خطر عظيم فدفع الله عنهم بولايتهم لأبي الحسن عليه السلام وأنتم بالعراق ترون أعمال هؤلاء الفراعنة وما أمهل الله لهم فعليكم بتقوى الله، ولا تغرنكم [الحياة] الدنيا ولا تغتروا بمن قد أُمهل له، فكأن الأمر قد وصل إليكم».

النحو الثاني: المعارف التي لا يحتملها إلَّا شيعتهم:

كشفت مجموعةٌ من الروايات أنّ من معارفهم ومقاماتهم عند الله ما لا يحتمله إلا شيعتهم ومموالوهم، كما هي حال كونهم عليهم السلام أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخلفاءه حقّاً، وأنّهم معصومون، وأنّهم منصوبون من قبل الله تعالى أئمّةً وقادةً للأمّة، وأنّ الأرض لا تخلو من حجّة لله تعالى إلى أنْ يرثَ اللهُ الأرضَ ومَنْ عليها، وغيرها من الأُصول التي تقوم عليها مدرسة أهل البيت العقائدية.

وهذا ما صرّح به عددٌ من النصوص في هذا المجال، منها:

عن ابن سنان أو غيره رفعه إلى الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إنّ حديثنا صعبٌ مستصعب، لا يحتمله إلّا صدور منيرة أو قلوب سليمة وأخلاق حسنة، إنّ الله أخذ من شيعتنا الميثاق كما أخذ على بني آدم، حيث يقول عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[1]، فمَن وفى لنا وفى الله له بالجنّة، ومن أبغضنا ولم يؤدِّ إلينا حقّنا ففي النار خالداً مخلّداً».

من هنا أكّدت الروايات الواردة في أخذ الميثاق، أنّ الله تعالى أخذ على بني آدم الطاعة للأنبياء والأوصياء، منها:

ما ورد عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال: «أتاه ابن الكوّاء فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الله تبارك وتعالى، هل كلّم أحداً من ولد آدم قبل موسى؟

فقال أمير المؤمنين عليّ (سلام الله عليه): «قد كلّم الله جميع خلقه برّهم وفاجرهم، وردّوا عليه الجواب».

فثقل ذلك على ابن الكوّاء ولم يعرفه، فقال له: كيف كان ذلك يا أمير المؤمنين؟

(1) سورة الأعراف، الآية: 172.

فقال له: «أوَ ما تقرأ كتاب الله إذ يقول لنبيّه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ فقد أسمعهم كلامه وردّوا عليه الجواب، كما تسمع في قول الله يا بن الكوّاء: ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ فقال لهم: إنّني أنا الله لا إله إلّا أنا، وأنا الرحمن الرحيم، فأقرّوا له بالطاعة والربوبيّة، وميّز الرّسل والأنبياء والأوصياء وأمر الخلق بطاعتهم، فأقرّوا بذلك في الميثاق، فقالت الملائكة عند إقرارهم بذلك ﴿شَهِدْنَآ﴾ عليكم يا بني آدم ﴿أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾».

وعن يحيى بن سالم الفرّاء قال: كان رجل من أهل الشام يخدم أبا عبد الله الصادق عليه السلام فرجع إلى أهله، فقالوا له: كيف كنت تخدم أهل هذا البيت؟ فهل أصبت منهم علماً؟ قال: فندم الرجل، فكتب إلى أبي عبد الله عليه السلام يسأله عن علمٍ ينتفع به.

فكتب إليه أبو عبد الله عليه السلام: «أمّا بعد، فإنّ حديثنا حديث هَيوب ذعور، فإن كنت ترى أنّك تحتمله فاكتب إلينا، والسلام».

وعن سليمان بن صالح رفعه إلى الإمام أبي جعفر عليه السلام: «إنّ حديثنا هذا تشمئزّ منه قلوب الرجال، فمن أقرّ به فزيدوه، ومَن أنكر فذَروه، إنّه لا بدّ من أن تكون فتنة يسقط فيها كلّ بطانة ووليجة، حتّى يسقط فيها من كان يشقّ الشعر بشعرتين، حتّى لا يبقى إلّا نحن وشيعتنا».

وعن أبي بصير عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إنّ أمرنا صعبٌ مستصعب لا يحتمله إلّا من كتب الله في قلبه الإيمان».

من خلال هذا العرض الأخباري يتضح أن الغاية من كتمان الأسرار هي عدم وجود قابليةٍ عند بعض شيعتهم، فليس بإمكان كلّ الشيعة أن يتحملوا كامل أسرارهم بل بعضهم يمكنه ذلك، فيكون الكتمان ناظراً إلى من لا يملك القدرة على تحمل أسرارهم فقط على قاعدة: «لا تعلّقوا الجواهر في أعناق الخنازير».

الأسباب الداعية إلى كتمان الأسرار عن غير أهلها:

وثمة مبالغة في الحثِّ على كتمان الأسرار والمنع من الإفشاء والإذاعة والهتك بما لا مزيد عليه وذلك لثلاثة أمور هي:

إمَّا لغموض الأمر وقصور الأفهام العامية عن إدراكه، وإفشاءُ مثل هذا هو وضعٌ للحكمة في غير موضعها كتعليق الدر في أعناق الخنازير؛ ولأن إعطاءها لغير أهلها ظلم كما في الحديث: «لا تحدثوا الجهال بالحكمة فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم».

وإمَّا لأن إفشاءها إلى غير أهلها مشغلة لأذهانهم بما لا يرجع إلى طائل؛ وذلك مثل حقيقة الروح التي هي من عالم الملكوت، والنفوس الناقصة التي لم تتجاوز عالم الملك هي بمعزل عن إدراكها على حقيقتها.

وإمَّا لوجود مفسدةٍ فيه حال الكشف عنه للمستمعين حتى لو لم يتعسر عليهم ادراكه، عدا عن أنّه قد يكون سبباً لافتتانهم أو لتفويت مصلحة راعاها الشارع الحكيم في التعبير عن بعض المسميات بغير أسمائها وتصوير بعض المعاني في غير قوالبها المعروفة تمثيلا ورمزاً لكون ذلك أوقع في النفوس وأدخل في حصول الغرض المطلوب من الترغيب والترهيب والوعد والوعيد...! والنهي عن كتمانها والوعيد عليه محمول على المنع عمَّن كان من أهلها، كيف؟ وقد كتمها النبيّ ﷺ في أوّل البعثة عن كفرة قريش وفي غدير خم لمّا خاف من تبليغ ولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام حتى هدده الله تعالى بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1].

وهو ما يرشد إليه قوله عليه السلام أيام حكومته المباركة في الكوفة: «ها إنّ هاهنا لعلماً جمّاً - وأشار بيده الطاهرة إلى صدره الشريف - لو أصبت له حملة! بلى

(1) سورة المائدة، الآية: 67.

أصبت لقناً غير مأمون عليه، مستعملاً آلة الدين للدنيا، ومستظهراً بنعم الله على عباده وبحججه على أوليائه، أو متقلّداً لحملة الحقّ، لا بصيرة له في أحنائه، ينقدح الشكّ في قلبه لأوّل عارض من شبهة ألا لا ذا ولا ذاك، أو منهوماً باللذّة، سلس القياد للشهوة، أو مغرماً بالجمع والادّخار ليسا من رعاة الدِّين في شيء أقرب شيء شبهاً بهما الأنعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامله».

إذا تأمّلت بمضمون هذا الكلام علمت أنَّ أكثر الناس حريّ بكتمان الحكمة عنه، وكذلك كتمها جميع الأئمّة والأنبياء عليهم السلام كما يظهر لمن تفكّر في آثارهم، ثمّ بناء التقيّة على الكتمان، والتقيّة دين الله أمر بها عباده، فقد قال بعض الأكابر - ونِعم ما قال -: صدور الأبرار قبور الأسرار.

النحو الثالث: الحقائق والمعارف التي لا يحتملها إلا خواص شيعتهم:

ثمة طائفة من النصوص الشريفة تبيّن أنّ معارفهم التي أُمروا بتبليغها وإيصالها إلى الناس هي مما لا يحتملها إلّا ملكٌ مقرّب أو نبيٌّ مُرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، وهذه النصوص الواردة بهذا المضمون متواترة، نقتصر على باقةٍ منها:

عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: سمعته يقول: «إنّ حديثنا صعبٌ مستصعب، خشن مخشوش، فانبذوا إلى الناس نبذاً، فمن عرف فزيدوه، ومَن أنكر فأمسكوا، لا يحتمله إلّا ثلاث: ملكٌ مقرّب، أو نبيٌّ مرسل، أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان».

دلالة الخبر واضحة في تلقين المعارف الإلهية للشيعة نبذاً - أي شيئاً يسيراً - فمن قبله فيزاد له وإلا فلا تجوز الزيادة له لأنها مضرة به لضيق قابليته وضعف مداركه العقلية والنفسية والروحية ولأن المعارف العالية بحاجة إلى صدور أمينة وأفئدة سليمة طاهرة من الغل والغش والخديعة. . !.

وعن أبي الجارود عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: سمعته يقول: «إنّ حديث آل محمّد صعبٌ مستصعب، ثقيل، مقنّع، أجرد، ذكوان، لا يحتمله إلّا

ملك مقرّب أو نبيٌّ مرسل أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان، أو مدينة حصينة، فإذا قام قائمنا نطق وصدّقه القرآن».

وعن إبراهيم بن أبي البلاد عن سدير قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يقرُّ به إلّا ملك مقرّب، أو نبيٌّ مرسل، أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان.

فقال عليه السلام: «إنّ من الملائكة مقرّبين وغير مقرّبين، ومن الأنبياء مرسلين وغير مرسلين، ومن المؤمنين ممتحَنين وغير ممتحنين، فعرض أمركم هذا على الملائكة فلم يقرّ به إلا المقرّبون، وعرض على الأنبياء فلم يقرّ به إلا المرسلون، وعرض على المؤمنين فلم يقرّ به إلا الممتحنون».

وعن أبي الربيع الشامي قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام جالساً فرأيت أنّه قد قام فرفع رأسه وهو يقول: «يا أبا الربيع حديث تمضغه الشيعة بألسنتها لا تدري ما كنهه؟»، قلت: ما هو؟ قال: «قول علي بن أبي طالب عليه السلام: إنّ أمرنا صعبٌ مستصعب لا يحتمله إلّا ملكٌ مقرّب أو نبيٌّ مرسل أو عبدٌ مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، يا أبا الربيع ألا ترى أنّه يكون ملك ولا يكون مقرَّباً، ولا يحتمله إلّا مقرّب، وقد يكون نبيّ وليس بمرسل، فلا يحتمله إلّا مرسَل، وقد يكون مؤمن وليس بممتحَن، فلا يحتمله إلّا مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان».

هذه النصوص - في هذا النحو الثالث من أنحاء معارفهم - واضحة الدلالة في مقام بيان سنخٍ من المعارف والحقائق اليقينية تختلف بطبيعتها وماهيتها عن تلك التي تحدّثت عنها الطائفة الثانية من روايات المعارف، وهي التي لا يمكن أن يحتملها ويتقبّلها إلّا الخواصّ من شيعة أهل البيت عليهم السلام لسعة قابلياتهم وقوة مداركهم العقلية والنفسية.

ويشهد له ما ورد في بعض الأخبار من التمايز المعرفي والإيماني بين سلمان وأبي ذر فلم يطق أبو ذر ما في باطن سلمان من الأسرار الإلهية والمعارف اليقينية مع أنهما كانا من الخصيصين عند رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام فكيف بعموم شيعة أهل البيت عليهم السلام، فقد جاء في رواية مسعدة بن صدقة عن إمامنا

الصادق عليه السلام ما يكشف عن هذه الحقيقة العرفانية، قال: ذكرت التقيّة يوماً عند عليّ بن الحسين عليهما السلام، فقال: «والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينهما، فما ظنّكم بسائر الخلق، إنّ علم العلماء صعبٌ مستصعب، لا يحتمله إلّا نبيّ مرسل أو مَلَكٌ مقرّب أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان».

من هنا قال إمامنا المعظَّم زين العابدين عليه السلام معرّفاً حقيقة الكتمان عن الأغيار والغرباء عن باطن الولاية العلوية الفاطمية بالشعر المنسوب إليه:

إني لأكتم من علمي جواهره	**كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا**
وقد تقدم في هذا أبو حسن	**إلى الحسين ووصى قبله الحسنا**
ورب جوهر علم لو أبوح به	**لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا**
ولاستحل رجال مسلمون دمي	**يرون أقبح ما يأتونه حسنا**

وقال إمامنا المعظم أبو جعفر الباقر عليه السلام: «ما زال العلم مكتوماً منذ بعث الله نوحاً على نبينا وعليه السلام».

وقال إمامنا المعظم أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «خالطوا الناس بما يعرفون، ودعوهم مما ينكرون، ولا تحملوا على أنفسكم وعلينا؛ إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان».

فهذه المعارف العالية لا يحتملها إلا المؤمن الممتحن، لا مطلق المؤمن المعتاد على القشور وظواهر الأمور من دون الغوص في أسرار الملكوت واللاهوت، لذا ورد في نصٍّ آخر عنهم (سلام الله عليهم): «وعرض على المؤمنين فلم يقرّ به إلا الممتحنون».

مضافاً إلى أنّها جعلت المؤمن العارف الذي يحتمل هذه المعارف اليقينية الراقية في عَرْض النبيّ المرسل والملك المقرّب، ومن الواضح أنّه لا يمكن أن يكون المراد به مطلق المؤمن الموالي لأهل البيت عليهم السلام بل هو خاص بالخصيصين المقربين من حملة أسرار الولاية الإلهية.

وهذه المعارف الربانية لها خصائص صمدانية لا بدَّ من الوقوف على حقائقها وأوصافها حتى يمكن أن يتصف بها المؤمن العارف بآل بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم)، فهي مقرونة بالصعوبة والوعورة عند النفوس الغليظة، ولكي نقف على خصائص المعارف والحقائق التي ذكرت في هذه النصوص، لا بدّ من التوفّر على الأوصاف التي ذكرت فيها، فقد وصفت بالصعب المستصعب وهما وصفان يشتركان في الأصل اللغوي، والمراد بالصعب لغةً: «نقيض الذلول، يقال: صعُب الشيء - بضمّ العين - صعوباً: صار صعباً شاقّاً».

والمراد بهما هنا ما ورد عن إمامنا المعظم أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «أمّا الصعب: فهو الذي لم يركب بعد، وأمّا المستصعب: فهو الذي يهرب منه إذا رئي». وهذا كناية عن صعوبة فهم وإدراك وقبول بعض معارفهم ومقاماتهم الراقية عليهم السلام.

ومعنى كونها خشناً مخشوشاً: أنها مغلَّفة بالصعوبة والخشونة على متلقيها من ضعاف النفوس، وهو ما أكده الأعلام القدامى خلال شرحهم للحديث الشريف، قال العلامة المجلسي (رحمه الله): «الخشاش بالكسر، ما يدخل في عظم أنف البعير من خشب، فالبعير الذي فعل به ذلك مخشوش؛ وهذا الوصف أيضاً لبيان صعوبته بأنّه يحتاج في انقياده إلى الخشاش».

ومعنى كونها ذكوان أجرد مقنّع: كونها نورانية سهلة مستورة عن الأغيار كما جاء في عدد من النصوص، عن إسماعيل بن عبد العزيز قال: «سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: حديثنا صعب مستصعب، قال: قلت: فسِّر لي جعلت فداك. قال: ذكوان ذكي أبداً.

قلت: أجرد؟ قال: طريّ أبداً.

قلت: مقنّع؟ قال: مستور».

وعلّق المحدِّث العلامة المجلسي (رحمه الله) على ذلك بقوله: «الذكاء: التوقّد والالتهاب، أي: ينوّر الخلق دائماً. والأجرد: الذي لا شعر على بدنه، ومثل هذا يكون طريّاً حسناً، فاستعير للطراوة والحسن».

وفي نصّ آخر عن إمامنا المعظم أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «وأمّا الذكوان فهو ذكاء المؤمنين، وأمّا الأجرد فهو الذي لا يتعلّق به شيء من بين يديه ولا من خلفه، وهو قول الله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾[1] فأحسن الحديث حديثنا، لا يحتمل أحدٌ من الخلائق أمره بكماله. . .».

معنى «الاحتمال» في قولهم «لا يحتمله» لا يخلو من وجوه:

الوجه الأوّل: أنْ يُراد باحتمال أحاديثهم: التسليم والانقياد لما عليه أئمة الهدى (سلام الله عليهم) من خصائص ومقامات ودرجات وإنْ لم يقف عامة الشيعة على حقيقتها وتفاصيلها، ويخرج منها مقام الأُلوهية لتلك الذوات المطهرة؛ فإنَّ ذلك مما لا يمكن نسبته إليهم (صلوات الله عليهم) لاستحالته عقلاً، وهذا ما نصّ عليه عددٌ من الروايات، منها:

ما ورد عن ابن عيسى بإسناده إلى المفضّل قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «ما جاءكم منّا ممّا يجوز أن يكون في المخلوقين ولم تعلموه ولم تفهموه فلا تجحدوه وردّوه إلينا، وما جاءكم عنّا ممّا لا يجوز أن يكون في المخلوقين فاجحدوه ولا تردّوه إلينا».

وعن يحيى بن زكريا عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: سمعته يقول: «من سرّه أن يستكمل الإيمان فليقل: القول منّي في جميع الأشياء قول آل محمّد عليهم السلام فيما أسرّوا وفيما أعلنوا وفيما بلغني وفيما لم يبلغني».

لقد كشفت هذه النصوص عن وجوب التسليم والانقياد لهم في كلِّ ما يتعلق بخصائصهم ومقاماتهم العالية؛ لأن عدم التسليم والانقياد - لا محالة - يؤدّي إلى الخروج من ولايتهم ودينهم، وهذا ممّا لا يرتضونه لشيعتهم ومواليهم المتظاهرين بولايتهم، وهو خلاف دعوى التسليم لهم، إذ من المفروض على المنتسب إليهم والمتشدق بولايتهم أن يسلِّم لهم ولا يعترض عليهم بشيء أبداً

(1) سورة الزمر، الآية: 23.

وهذا ما أوضحته الآية المباركة: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1].

وكذلك الآية المباركة ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2].

الوجه الثاني: أن يراد باحتمال أحاديثهم: الفقه والفهم، ومعنى الفقه لغةً هو العلم بالشيء والفهم له والحذق والفطنة، وعكسه عدم الفقه والفهم لمعاني كلامهم ومغزى أسرارهم التي لا يفقهها إلا الخواص من الملائكة والرسل والعباد الصالحين، ويؤيده ما ورد عن أبي الصامت قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إنّ حديثنا صعب مستصعب، شريف، كريم، ذكوان ذكي وعر، لا يحتمله ملكٌ مقرّب ولا نبيٌّ مرسل ولا مؤمن مُمتحن» قلت: فمن يحتمله جُعلت فداك؟ قال: «من شئنا يا أبا الصامت».

ومعنى الحديث يدور حول الفهم والإدراك لأحاديثهم الشريفة، من دون أنْ يتناول شؤون ذواتهم النورانية وأحوالهم الصمدانية؛ لأنّ ذلك ممتنع عن عامة المخلوقين - بسبب قصور قابلياتهم وإدراكاتهم عن تحمُّل علو مقاماتهم - فضلاً عن الملائكة الكروبيين والرسل المصطفين والعباد المؤمنين، ويشهد لما قلنا ما ورد عنهم (سلام الله عليهم): «نزهونا عن الربوبية وارفعوا عنا حظوظ البشرية - يعني الحظوط التي تجوز عليكم فما ترونه لأنفسكم أيها المؤمنون لا يستلزم نسبته إلينا لترفعنا عن كلِّ ذلك - فإنَّا عنها مبعدون وعما يجوز عليكم منزهون ثم قولو فينا ما استطعتم..»، «وفي تعبير آخر لهم: «فلا يُقاسُ بنا أحدٌ من الناس».

وفي رواية الشيخ فرج القطيفي قال: وجدت بخط الشيخ عبد الله بن أحمد البصري البحراني على ظهر كتاب شرح التجريد ما يلي: روي عن أمير المؤمنين عليه السلام إنه قال لسلمان الفارسي: «يا سلمان نحن أسرار الله المودعة في

(1) سورة النساء، الآية: 65.

(2) سورة القصص، الآية: 68.

هياكل البشرية، ميتنا لم يمت وغائبنا لم يغب، نزهونا عن الربوبية وارفعوا عنا الحظوظ البشرية فإنَّا عنها مبعدون وعما يجوز عليكم منزهون، ثم قولوا فينا ما استطعتم، فإن البحر لا ينزف، وسر الغيب لا يعرف، وكلمة الله لا توصف، يا سلمان أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو من امتحن الله قلبه للايمان».

ومعنى الخبر الشريف: إننا نحسن الأسرار الإلهية المودعة في الهياكل البشرية، والكلمة الربانية الناطقة في الأجساد الترابية، وقولوا بعد ذاك ما استطعتم فإن البحر لا ينزف، وعظمة الله لا توصف؛ لأننا فوق ما تتصورون بعقولكم الفاترة وإدراكاتكم الناقصة، والناقص لا يُدرك الكامل. . . !.

وورد بالمستفيض قريبٌ منه بألفاظٍ متعددة:

ففي رواية عن إمامنا المعظم أبي عبد الله عليه السلام: «اجعلونا عبيداً مخلوقين وقولوا فينا ما شئتم».

وفي رواية ثانية: «لا تقولوا فينا ربّاً وقولوا ما شئتم ولن تبلغوا».

وفي رواية ثالثة: «فقولوا بفضلنا ما شئتم فلن تدركوه».

وفي رواية رابعة: «فإنكم لا تبلغون كنه ما فينا ولا نهايته، فان الله قد أعطانا أكبر وأعظم ما يصفه واصفكم أو يخطر على قلب أحدكم، فإذا عرفتمونا هكذا فأنتم المؤمنون».

وهذه الأحاديث الشريفة مؤكَّدة بالأخبار الأُخرى الدالة على أن آل محمد عليهم السلام لا يُقاس بهم أحدٌ على الإطلاق لا ملك مقرب ولا نبيّ مرسل، فهم أعظم من الجميع مطلقاً.

وفي رواية عباد بن صهيب قال: قلت للصادق جعفر بن محمد عليه السلام: أخبرني عن أبي ذر أهو أفضل أم أنتم أهل البيت؟ فقال: يا بن صهيب كم شهور السنة؟ فقلت: اثني عشر شهراً فقال: وكم الحرم منها؟ قلت: أربعة أشهر، قال: فشهر رمضان منها؟ قلت: لا، قال: فشهر رمضان أفضل أم أشهر الحرم؟ فقلت: بل شهر رمضان، قال: فكذلك **نحنُ أهلُ البيت لا يُقاسُ بنا أحدٌ**. . .

وفي عيون الأخبار بإسناده عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال: «نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد، فينا نزل القرآن، وفينا معدن الرسالة».

وعن إمامنا الباقر عليه السلام في حديث طويل قال لجابر: «يا جابر إنَّا من الله بمكانٍ ومنزلة رفيعة! فلولا نحن ما خلق الله تعالى سماءاً ولا أرضاً، ولا جنة ولا ناراً، ولا شمساً ولا قمراً، ولا جنيّاً ولا إنسيّاً.

يا جابر، **إنَّا أهل البيت لا يقاس بنا أحدٌ**، من قاس بنا أحداً من البشر فقد كفر، يا جابر: بنا الله أنقذكم، وبنا هداكم، ونحن والله دللناكم على ربكم، فقفوا عند أمرنا ونهينا ولا تردوا على ما أوردناه عليكم، فإنّا بنعم الله أجل وأعظم من أن يرد علينا، وجميع ما يرد عليكم منا، فما فهتموه فاحمدوا الله تعالى عليه..».

لا يخفى على العلماء المحصِّلين أنَّ التقييد بعدم قياسهم بالبشر لا يستلزم أن تكون الملائكة أفضل منهم - كما يتصور المخالفون وثلة من بترية الشيعة - وذلك لأن الأنبياء أفضل من الملائكة بالإجماع والنصّ، وأهل بيت العصمة (سلام الله عليهم) أفضل منهم باعتبارهم نفس النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بنص آية المباهلة والتطهير وهو أفضل من عامة الأنبياء والمرسلين، لذا فهم (سلام الله عليهم) أفضل من الأنبياء والمرسلين...

بالإضافة إلى أن الآيات والأخبار دلت على شموخ مقام آل محمد عليهم السلام وأنهم أفضل من كافة خلق الله تعالى على الإطلاق.

وفي كنز العمال للمتقي الهندي عن أبي البحتري قال: خطب [أمير المؤمنين] علي [عليه السلام] فقال: «نحن أهل البيت لا يوازينا أحدٌ».

وفي خبر عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**فمن ذا ينال معرفتنا، أو ينال درجتنا، أو يدرك منزلتنا، حارت الألباب والعقول، وتاهت الأفهام فيما أقول،** تصاغرت العظماء وتقاصرت العلماء، وكلَّت الشعراء وخرست البلغاء، ولكنت الخطباء، وعجزت الشعراء، **وتواضعت الأرض والسماء، عن وصف شأن الأولياء،** وهل يعرف أو يوصف، أو يعلم أو يفهم، أو يدرك أو يملك شأن من

هو نقطة الكائنات، وقطب الدائرات، وسر الممكنات، وشعاع جلال الكبرياء، وشرف الأرض والسماء؟ جلَّ مقامُ آلِ محمَّدٍ عن وصف الواصفين، ونعت الناعتين، **وأنْ يُقاسَ بهم أحدٌ من العالمين، وكيف وهُمُ النور الأول، والكلمة العليا، والتسمية البيضاء، والوحدانية الكبرى**، التي أعرض عنها من أدبر وتولى، وحجاب الله الأعظم الأعلى، فأين الأخيار من هذا؟ وأين العقول من هذا؟ ومن ذا عرف من عرف، أو وصف من وصف؟ ظنوا أن ذلك في غير آل محمد، كذبوا وزلت أقدامهم، واتخذوا العجل ربَّاً، والشيطان حزباً، كل ذلك بغضة لبيت الصفوة ودار العصمة، وحسداً لمعدن الرسالة والحكمة، وزين لهم الشيطان أعمالهم فتباً لهم وسحقاً، كيف اختاروا إماماً جاهلاً عابداً للأصنام جباناً يوم الزحام. . . .».

وورد في الزيارة الرجبية المشهورة ما يدل على عظمتهم وعلو قدرهم قولهم الكاشف عن قربهم من المولى المتعال: «لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك».

فقد روى ابن طاووس (رحمه الله) في مهج الدعوات هذا الدعاء وقد فهمه الأعلام بأن المراد من فقراته أهل البيت (سلام الله عليهم)، فهم المقصودون بولاة الأمر والعلامات الواردة في دعاء رجب الوارد من الناحية المقدسة. . . وإليكم الدعاء عن الإمام (سلام الله عليه) قال:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أدعِ في كل يوم من أيام من رجب:

«اللهم إني أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك، المأمونون على سرك المستسرون بأمرك، الواصفون لقدرتك، المعلنون لعظمتك، أسألك بما نطق فيهم من مشيئتك، فجعلتهم معادن لكلماتك، وأركانا لتوحيدك، وآياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كلِّ مكانٍ يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك، فتقها ورتقها بيدك، بدؤها منك وعودها إليك

أعضاد وأشهاد، ومناة وأزواد وحفظة ورواد، فبهم ملأت سماءَك وأرضَك حتى ظهر أنْ لا إله إلا أنت، فبذلك أسألك وبمواقع العزِّ من رحمتك وبمقاماتك وعلاماتك أنْ تصلي على محمدٍ وآله وأنْ تزيدني إيماناً وتثبيتاً، يا باطناً في ظهوره، ويا ظاهراً في بطونه ومكنونه، يا مفرِّقاً بين النور والديجور، يا موصوفاً بغير كنه، و معروفاً بغير شبه، حاد كل محدود، وشاهد كل مشهود، وموجد كل موجود، ومحصي كلّ معدود، وفاقد كلّ مفقود، ليس دونك من معبود، أهل الكبرياء والجود، يا من لا يكيف بكيف، ولا يؤيَّن بأينٍ، يا محتجباً عن كلِّ عين يا ديموم يا قيوم، وعالم كلّ معلوم، صل على عبادك المنتجبين، وبشرك المحتجبين وملائكتك المقربين، والبُهْمِ الصافين الحافين...».

وتفسيراً لفقرة «لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك» قال العلَّامة الخوئي: «لعلَّها تشير إلى أنهم مع بلوغهم في مرتبة الكمال إلى حدٍّ نفوذ التصرف منهم في الكون بإذنك، فهم مقهورون لك، لأنهم مربوبون لك، لا حيلة لهم دون إرادتك ومشيتك فيهم بما تشاء، والله العالم».

وكلامه متين إلا أن تعليقه في التفسير على «لعلّ» مشعر بالاحتمال مع أن في الدعاء قرائن واضحة تؤكد أن المقصود بالفقرة هم آل البيت (سلام الله عليهم) كالفقرات التالية: «ولاة أمرك المأمونون على سرك.. وبما نطق فيهم من مشيئتك.. الواصفون لقدرتك المعلنون لعظمتك... وأركاناً لتوحيدك وآياتك ومقاماتك..» فهي قرائن قطعية تقيّد ولاة الأمر بهم (سلام الله عليهم) لا سيّما ما ورد في القرائن المنفصلة الأُخرى الدالة على ذلك كالأخبار التي أشرنا إلى قسمٍ منها سابقاً... وما لم نشر إليه أكثر وأعظم.. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم!.

وجاء عن الشيخ الميرزا جوادي تبريزي (رحمه الله) معلّقاً على الفقرة المذكورة جواباً لمن سأله عن الفقرة التالية: أسألك بما نطق فيهم من مشيئتك، فجعلتهم معادن لكلماتك وأركانا لتوحيدك وآياتك، ومقاماتك التي لا تعطيل لها

في كل مكان يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها، إلا أنهم عبادك وخلقك».

فقال (رحمه الله): «الضمير في بينها في قوله: «لا فرق بينك وبينها» يعود إلى آياتك المراد منها الأئمة عليهم السلام وأما قوله: «أسألك بما نطق فيهم من مشيئتك» فهو إشارة إلى كلمته سبحانه وتعالى، التي عبر عنها في كتابه العزيز بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1] ويدخل في ذلك ما ذكره سبحانه وتعالى في آية التطهير، وفيها دلالة واضحة على أن ما امتاز به الأئمة عليهم السلام عن سائر الناس ليس أمراً كسبياً، بل هو أمر مما تعلقت به مشيئة الله تعالى، كما هو ظاهر آية التطهير أيضاً. نعم تعلق المشيئة مسبوق بعلمه سبحانه، على أنهم كانوا يمتازون عن سائر الناس أيضاً في إطاعتهم لله سبحانه وتعالى لولا اعطاء ما تعلقت به مشيئته، كما ورد في دعاء الندبة، والله العالم».

ونريد أن نؤكد أيضاً بأن اقتصاره (رحمه الله) على الأئمة الطاهرين (سلام الله عليهم) من دون سيّدة نساء العالمين (سلام الله عليها) لا يستلزم إخراجها من ولاة الأمر والآيات والمقامات الربانية الدالة على معالم الولاية والتوحيد.. وهكذا بالقياس إلى ابنتها الحوراء زينب الكبرى (سلام الله عليها) حيث لا ريب في أنها من آيات الله ومقاماته الدالة على معالم الولاية والتوحيد كأُمّها الصدّيقة الكبرى (سلام الله عليهما).. فحصر ولاة الأمر والآيات والمقامات إنما هو حصرٌ إضافي وليس حصراً حقيقياً كما هو واضح في علم البلاغة، وتؤكده القاعدة العقلية المحكمة القائلة: «إنَّ إثبات شيءٍ لشيء لا ينفي ما عداه»، فتأمل.

عودٌ على بدء: إنَّ هذه الأخبار الشريفة صريحة في علو مقام آلِ محمَّدٍ عليهم السلام، وبالتالي تفيد جواز التحدث بكلّ ما يخطر على البشر من فضائلهم وعلو مقامهم الشريف ومنزلتهم وقدرتهم وتصرفهم التكويني - أي الولاية التكوينية المطلقة - شريطة عدم ادّعاء الربوبية لهم لأنها خاصة بالله عزَّ وجلَّ.

---

(1) سورة يس، الآية: 82.

وإثبات الولاية التكوينية المطلقة لهم عليهم السلام ليس فيه محذور دعوى الربوبية بخلاف ما توهمه أحد الجهلة من أدعياء العلم، لبداهة أن كونهم واسطة في الفيض الإلهي أو أنهم يرزقون العباد ويحيون الأموات وما شابه من هذه الأمور، ليس خارجاً عن قدرة ومشيئة وإذن الله تعالى، نظير اعطاء الإحياء والإماتة للملائكة وكذلك الرزق، وليس المدَّعى بأكثر من ذلك كما برهنا عليه مبسوطاً في كتابنا القيّم (الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية) بشكلٍ لم يسبقنا إليه أحدٌ بعون الله تعالى وفضله، إذ المَدَدُ من معينهم الذي لا ينضب ونورهم الذي لا يخبو (سلام الله عليهم).

وأحاديث: «لا يقاس بهم أحد «تفيد أيضاً إعطاءهم الكثير من الولايات التكوينية الواسعة النطاق والصلاحيات الربانية، لأنهم لا يقاسون بإبراهيم عليه السلام مع أنه كان يخلق بإذن الله، ولا يقاسون بعيسى عليه السلام مع أنه كان يحيي الموتى ويبرىء المرضى بإذن الله تعالى، ولا يقاسون بآصف مع أنه كان يتصرف بالأرض، ولا يقاسون بمريم والخضر عليهما السلام مع ما تقدم لهم من الولاية التكوينية، وكذلك لا يقاسون بجبرائيل ولا بميكائيل ولا بإسرافيل ولا بعزرائيل مع كونهم وسائط في التدبير الإلهي في الاحياء والإماتة والرزق والخلق وتصريف أمور الله تعالى، فمع كلِّ هذه الولايات التكوينية للملائكة فإن آلَ محمَّدٍ عليهم السلام لا يقاسون بهم، ولا ولاية محمد وآله عليهم السلام تقاس بولايتهم، فهم أفضل وأكمل، وولايتهم التكوينية أوسع وأشمل نصّاً وإجماعاً.

إنْ قيل لنا: أليس ما ذكرتم من علو مقامهم الشريف على عامة خلق الله تعالى يعتبر غلواً فيهم وخروجاً لهم عن مضائق الطبيعة؟؟!.

قلنا لهم: ليس كل ما يستعظمه المرء يكون غلواً، وليس كلُّ ما يستكبره أو يستكثره الإنسان يكون خروجاً عن مضائق الطبيعة والحد الوسط، ويكون إفراطاً في الاعتقاد، ومتى كان الاستعظام دليلاً علمياً على طرح الأدلة والبراهين القطعية..؟! ومتى كان الحديث عن علو الفضائل والخصائص مناطاً لرفضها وطرحها..؟!.

إن الغلو إنما يكون فيما إذا استلزم القول والاعتقاد فيهم إخراجهم عن ناموس البشر، وجعلهم أرباباً، أو شركاء للخالق الرازق سبحانه في خلق أو رزق استقلالاً، أو ما سواهما مما اختص به الله جلَّ شأنه وتبارك مجده.

ومهما اعتقدنا فيهم من سعة العلم، أو ما سوى ذلك من الصفات العالية، فلا نعتقد فيهم إلا أنهم بشر مخلوقون مربوبون مرزوقون ولكنّهم متفوقون على سائر الخلق بما أودع فيهم القديرُ المتعال من قدراتٍ عالية بسبب كمال معرفتهم بالخالق العظيم عزَّ وجلَّ.

وأمَّا الاعتقاد فيهم بأن الله منحهم مواهب جليلة، وصفات نبيلة، لا يبلغ مداها ولا يعرف كنهها، فليس من الغلو في شيءٍ أيضاً، إذ لا يلزم من ذلك خروجهم عن البشرية، أو مشاركتهم لله سبحانه في شيء من صفاته الخاصة. . . ! ومهما اعتقدنا فيهم من شيءٍ فلا نبلغ فيه مراقيهم القدسيَّة الرفيعة، ولو لم يعلموا أننا لا نصل إلى تلك الرتب السامية التي يعرفونها لأنفسهم، لما قالوا لنا: «نزهونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم»، لعلمهم بأننا مهما سبق لنا فيهم من قول وكان دون القول في الله الخالق تعالى، فلا يكون خروجاً عن مستواهم وغلواً فيهم.

والخلاصة مما تقدَّم: إن من أحاديثهم مَن لا يفقهها بتمامها إلا هم، وبعضها لا يفقهها إلا خواص شيعتهم، وهو المؤيد بالأخبار الكثيرة الدالة على أنّ منازل شيعتهم على قدر معرفتهم.

فعن زيد الزرّاد عن إمامنا المعظَّم أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «يا بنيّ اعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم ومعرفتهم، فإنّ المعرفة هي الدراية للرواية، وبالدرايات للروايات يعلو المؤمن إلى أقصى درجات الإيمان، إنّي نظرت في كتاب لعليّ عليه السلام، فوجدت في الكتاب: إنّ قيمة كلّ امرئ وقدره معرفته، إنّ الله تبارك وتعالى يحاسب الناس على قدر ما آتاهم من العقول في دار الدُّنيا».

وعن ابن أبي عمير عن إبراهيم الكرخي عن الإمام المعظم أبي عبد

الله عليه السلام قال: «حديث تدريه خيرٌ من ألف ترويه، ولا يكون الرجل منكم فقيهاً حتّى يعرف معاريض كلامنا».

وعن المفضّل قال: «قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: خبرٌ تدريه خيرٌ من عشرة ترويه، إنّ لكلّ حقيقة حقّاً ولكلّ صواب نوراً، ثمّ قال سلام الله عليه: إنّا والله لا نعدّ الرجل من شيعتنا فقيهاً حتّى يلحن له فيعرف اللحن».

وفي مرفوعة المروزي المحمودي عن إمامنا المعظّم الصادق عليه السلام قال: «اعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنا، فانا لا نعد الفقيه منهم فقيها حتى يكون محدَّثاً، فقيل له: أوَ يَكونُ المؤمن محدثاً؟ قال: يكون مفهماً، والمفهَّم المحدَّث».

ومعنى كون الفقيه محدَّثاً أنه ملهم من قبلهم (صلوات الله عليهم) يلقنونه الفهم والحجى والدراية بحيث تكون استنباطاته مسددة وموفقة مصيبة لمعاني كلماتهم (سلام الله عليهم)، وهو ما أفصحت عنه الأخبار الأُخرى لا سيّما ما ورد في أصحاب إمامنا المعظم القائم (أرواحنا فداه) حيث يقوم بتسديدهم بإذن الله تعالى كخبر عبد الله بن حماد الأنصاري، عن محمد بن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام قال: «إذا قام القائم بعث في أقاليم الأرض في كلِّ إقليم رجلاً يقول: عهدك في كفك فإذا ورد عليك أمر لا تفهمه ولا تعرف القضاء فيه فانظر إلى كفك واعمل بما فيها..».

وفي الكافي للكليني (رحمه الله) بإسناده عن القمي عن الكوفي عن العباس بن عامر عن الربيع بن محمد المسلي عن أبي الربيع الشامي قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن قائمنا إذا قام مد الله لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو في مكانه».

والأحاديث السابقة الدالة على معاريض كلامهم على كثرتها تعنى الوقوف على مزايا الكلام واستخلاص المعاني من معاريضه ووجوه محتملاته، كلٌّ بحسب فهمه ومداركه العقلية والإيمانية.

الوجه الثالث: أن يراد باحتمال حديثهم: الكتمان وحفظ السرّ وعدم إذاعة

مقاماتهم العالية من دون ضوابط لئلا تصل إلى غير مستحقها، فيكون معنى قولهم «لا يحتمله» أنهم لا يستطيعون كتمانها وحفظها وعدم إذاعتها لحلاوتها وطلاوتها، ويدلّ على ذلك نصوص كثيرة في هذا المجال، منها:

عن محمّد بن أحمد عن بعض أصحابنا، قال: «كتبت إلى أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام: جُعلت فداك، ما معنى قول الصادق عليه السلام: حديثنا لا يحتمله ملكٌ مقرّب ولا نبيٌّ مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان؟ فجاء الجواب: إنّما معنى قول الصادق عليه السلام أي لا يحتمله ملك ولا نبيّ ولا مؤمن، إنّ الملك لا يحتمله حتّى يخرجه إلى ملك غيره، والنبيّ لا يحتمله حتّى يخرجه إلى نبيٍّ غيره، والمؤمن لا يحتمله حتّى يخرجه إلى مؤمن غيره، فهذا معنى قول جدّي عليه السلام».

وعن عبد الأعلى بن أعين قال: «قال أبو عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: إنّ احتمال أمرنا ليس هو التصديق به والقبول له فقط، إنّ من احتمال أمرنا ستره وصيانته عن غير أهله، فأقرئهم السلام - يعني للشيعة - وقل لهم: يقول لكم: رحم الله عبداً اجترّ مودّة الناس إليَّ وإلى نفسه، يُحدّثهم بما يعرفون، ويستر عنهم ما ينكرون».

تنبيه هام: ما ورد في صحيحة عبد الأعلى مولى آل سام محمول على ما لو كان المتحدث بعلو مقامهم يخرجهم عن حدّ البشرية كالقول فيهم بالأُلوهية ولا يحمل على علو مقامهم ورفيع درجاتهم، ويشهد له تكملة الحديث الشريف بقوله عليه السلام: «ثم قال: والله! ما الناصب لنا حرباً بأشدّ مؤنة من الناطق علينا بما نكرهه» كما يشهد لما قلنا ما ورد في خبرٍ آخر عنه سلام الله عليه: «**والله ما الناصب لنا حرباً بأشدّ علينا مؤنة من الناطق عنا بما نكره ولو كانوا يقولون عني ما أقول ما عبأت بقولهم ولكانوا أصحابي حقاً**». فالكلام عنهم بما لم يقولوه هو بعينه ما كرهوه وليس المكروه عندهم الحديث بما حدَّثوا به عن أنفسهم (صلوات الله عليهم) من علو مقاماتهم ورفيع درجاتهم. . !.

وعن حفص بن نسيب بن فرعان قال: «دخلت على أبي عبد الله

الصادق عليه السلام أيّام قتل المعلّى بن خُنيس وصلبه فقال لي: يا حفص حدّثت المعلّى بأشياء فأذاعها فابتُلي بالحديد، إنّي قلت له: إنّ لنا حديثاً مَن حفظه علينا حفظه الله وحفظ عليه دينه ودنياه، ومَن أذاعه علينا سلبه دينه ودنياه.

يا معلّى إنّه من كتم الصعب من حديثنا جعله الله نوراً بين عينيه ورزقه العزّ في الناس، ومَن أذاع الصعب من حديثنا لم يمُت حتّى يعضّه السلاح أو يموت متحيراً [وفي نسخة أُخرى: كبلاً] - أي حبساً - يا معلى بن خنيس وأنت مقتول فاستعد».

هذا الحديث من الأحاديث القادحة للوهلة الأُولى بالمعلَّى بن خنيس وفي سنده ضعفٌ، لجهالة حفص بن نسيب، فيسقط عن الاحتجاج به على المطلوب، ولو فرضنا صحة صدوره عنهم (سلام الله عليهم)، فهو محمول على ما لو حدَّث المؤمن بأحاديثهم العالية المضامين أمام المخالفين النواصب فيؤدي حديثه عن رفيع مقاماتهم الشريفة إلى قتله أو يؤدي إلى تحيره في علو شأنهم أو تحيره عند الجائر فيسلب دينه ودنياه.. والظاهر هو الثالث.

تحقيق في شخصية المعلّى رحمه الله: إن الرجاليين اختلفوا في وثاقة المعلَّى بن خنيس حيث يذهب بعضهم إلى تضعيفه من حيث كونه مغيرياً... والأخبار بحقه مختلفة إلا أن الصحيح وثاقته، وما ورد في ذمه له جهات غير نقية، والظاهر أن الخبر المتقدم من جملة الأخبار الذامة له وإلا فإن ثمة أحاديث ترفع من شأن المعلى بن خنيس وأنه من أهل الجنَّة، وصلبه محمول على إذاعة بعض أسرارهم التي لم يحتملها الحاكم الجائر فقضى عليه ما دَفَعَ بإمامنا الصادق (سلام الله عليه) إلى الترحم عليه وقضاء ديونه كما عبرت عن ذلك بعض الأخبار في حقه.. والظاهر من ابن طاووس (رحمه الله) كما أشرنا سابقاً أن صلبه إنما كان لأجل جبايته الأموال لإمامنا الصادق (سلام الله عليه)؛ إلا أنه بعيدٌ وليس هناك شاهد عليه يمكن الركون إليه.

عودٌ على بدء: ما أشرنا إليه من التقسيم الثلاثي للمعارف الإلهية التي يتلقاها الشيعة إنَّما هو كلٌّ بحسب سيره العقلي والنفسي والروحي، وليس من الحكمة أن

تلقى المعارف العالية لكلّ شاردٍ ووارد؛ بل يجب مراعاة درجات الإيمان وتفاوت النفوس من حيث التلقي والقبول، إذ إنّ أحسن المؤمنين تلقياً وقبولاً لها إنما هو المؤمن الممحَّص أو الممتحن، وذلك لأن الإيمان ليس على درجة واحدة عند عامة المؤمنين بل هم على درجات متفاوتة بمقتضى قوله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[1]، ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[2]. ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[3].

وهو ما أوضحته الأحاديث الشريفة الصادرة عنهم (سلام الله عليهم)، وهي أحاديث كاشفة عن التفاوت الاعتقادي بين فردين من المؤمنين:

أحدهما المؤمن العادي، وثانيهما المؤمن الممحَّص، وللمؤمن الممحَّص خصائص إيمانية مهمة لا توجد في غيره، فهو قادر على تحمل ما لا يمكن لغيره تحمله واستيعابه في كلّ الأمور المعنوية وغيرها، فهو يحتمل من معارفهم وعلومهم ما لا يحتمله غيره ممن تجلببوا بجلباب البدن وأنسوا بزخارف المادة وقشور الطبيعة، فقد استفاضت الأحاديث الشريفة الواردة في هذا المجال في أنّ الإيمان له درجاتٌ متعدّدة، نشير إلى بعضها:

ففي خبرٍ عن حمّاد بن عمرو النصيبي قال: «سأل رجلٌ العالمَ عليه السلام فقال: أيّها العالم أخبرني أيّ الأعمال أفضل عند الله؟ قال: ما لا يقبل عمل إلّا به. فقال: وما ذلك؟ قال: الإيمان بالله الذي هو أعلى الأعمال درجةً وأسناها حظّاً وأشرفها منزلةً. قلت: أخبرني عن الإيمان، أقولٌ وعمل أم قولٌ بلا عمل؟

قال (سلام الله عليه): الإيمان عملٌ كلّه، والقول بعض ذلك العمل بفرض من الله بيّنه في كتابه، واضحٌ نوره، ثابتةٌ حجّته، يشهد به الكتاب ويدعو إليه.

(1) سورة يوسف، الآية: 76.
(2) سورة الأنعام، الآية: 132.
(3) سورة المجادلة، الآية: 11.

قلت: صِف لي ذلك حتّى أفهمه.

فقال: إنّ الإيمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل، فمنه التامّ المنتهي تمامه، ومنه الناقص المنتهي نقصانه، ومنه الزائد الراجح زيادته. قلت: وإنّ الإيمان ليتمّ ويزيد وينقص؟ قال: نعم».

وعن القاسم بن بريد قال: «حدّثنا أبو عمرو الزبيري، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قلت له: إنّ للإيمان درجات ومنازل، يتفاضل المؤمنون فيها عند الله؟ قال: نعم.

قلت: صِف لي - رحمك الله - حتّى أفهمه.

قال: إنّ الله سبّق بين المؤمنين كما يسبّق بين الخيل يوم الرِّهان، ثمّ فضّلهم على درجاتهم في السبق إليه، فجعل كلّ امرئ منهم على درجة سبقه، ولا ينقصه فيها من حقّه، ولا يتقدّم مسبوق سابقاً ولا مفضول فاضلاً، تفاضل بذلك أوائل هذه الأمّة وأواخرها، ولو لم يكن للسابق إلى الإيمان فضل على المسبوق، إذاً للحق آخر هذه الأمّة أوّلها، نعم ولتقدّموهم إذا لم يكن لمن سبق إلى الإيمان الفضل على من أبطأ عنه، ولكن بدرجات الإيمان قدّم الله السابقين، وبالإبطاء عن الإيمان أخّر الله المقصّرين».

وعن عبد العزيز القراطيسي قال: قال لي أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «يا عبد العزيز إنّ الإيمان عشر درجات بمنزلة السلّم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة».

وكذلك استفاضت النصوص بالنسبة إلى المؤمن الممتحن وما يشتمل عليه من درجات الإيمان:

فعن عمّار بن أبي الأحوص عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إنّ الله عزّ وجلّ وضع الإيمان على سبعة أسهم، على البرّ والصدق واليقين والرضا والوفاء والعلم والحلم، ثمّ قسّم ذلك بين الناس، فمن جعل فيه هذه السبعة الأسهم فهو كامل محتمل...».

وعن سماعة بن مهران قال: «كنت عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام وعنده جماعة من مواليه، فجرى ذكر العقل والجهل.

فقال أبو عبد الله عليه السلام : اعرفوا العقل وجنده، والجهل وجنده تهتدوا .

قال سماعة : فقلت : جعلت فداك لا نعرف إلّا ما عرّفتنا .

فقال أبو عبد الله عليه السلام : إنّ الله عزّ وجلّ خلق العقل، وهو أوّل خلْق من الروحانيّين عن يمين العرش من نوره، فقال له : أدبر فأدبر، ثمّ قال له : أقبل فأقبل، فقال الله تبارك وتعالى : خلقتك خلْقاً عظيماً وكرّمتك على جميع خلقي .

قال : ثمّ خلق الجهل من البحر الأُجاج ظلمانياً، فقال له : أدبر فأدبر، ثمّ قال له : أقبل فلم يقبل، فقال له : استكبرت، فلعنه .

ثمّ جعل للعقل خمسة وسبعين جنداً . فلمّا رأى الجهل ما أكرم الله به العقل وما أعطاه، أضمر له العداوة فقال الجهل : ياربّ هذا خلق مثلي خلقته وكرّمته وقوّيته، وأنا ضدّه ولا قوّة لي به، فأعطني من الجند مثل ما أعطيته، فقال : نعم، فإن عصيت بعد ذلك أخرجتك من رحمتي، قال : قد رضيت، فأعطاه خمسة وسبعين جنداً، فكان ممّا أعطى العقل من الخمسة والسبعين الجُند : الخير وهو وزير العقل وجعل ضدّه الشرّ وهو وزير الجهل، والإيمان وضدّه الكفر، والتصديق وضدّه الجحود، والرجاء وضدّه القنوط» .

وهكذا يعدّ الإمام عليه السلام جنود العقل وما يضادّها من جنود الجهل، ثمّ يقول : «فلا تجتمع هذه الخصال كلّها من أجناد العقل إلّا في نبيّ أو وصيّ نبيّ أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، وأمّا سائر ذلك من موالينا فإنّ أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود حتّى يستكمل ويتّقى من جنود الجهل فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء. . . » .

وبهذا يتّضح أنّ المؤمن لا يصل إلى مقام الخلوص بحيث يصير فيه محتملاً لعلومهم الخاصّة إلا إذا بلغ هذه الدرجة من الإيمان التي تجتمع فيها جميع خصال الخير ويكون واجداً لكلّ هذه المراتب العلميّة والعمليّة، وهذه الدرجة هي المعبّر عنها في النصوص «الكامل المحتمل» أو «المؤمن الذي امتحن الله قلبه للإيمان»؛ أي : القلب المصفّى بنار التكاليف والرياضات الشاقّة والمحن الدنيويّة

حتّى يصير كالمرآة المجلوّة المنوّرة بنور الإيمان، فإنّ الإيمان نورٌ يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده بعد تطهيره وتهذيبه.

فإذا بلغ المؤمن هذه الدرجة من الإيمان، عند ذلك يكون محلّاً للعنايات الخاصّة الربّانية، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «بينا أبي يطوف بالكعبة إذا رجلٌ معتجرٌ (أي: متنقباً ببعض العمامة) فقطع عليه أُسبوعه حتّى أدخله إلى دار جنب الصفا.

ثمّ قال: أخبرني عن العلم الذي ليس فيه اختلاف، مَن يعلمه؟

قال عليه السلام: أمّا جملة العلم فعند الله جلّ ذكره، وأمّا ما لا بدّ للعباد منه فعند الأوصياء.

قال: ففتح عجيرته واستوى جالساً وتهلّل وجهه، وقال: هذه أردت ولها أتيت، زعمت أنّ علم ما لا اختلاف فيه من العلم عند الأوصياء، فكيف يعلمونه؟ قال: كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمه، إلَّا أنّهم لا يرون ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرى، لأنّه كان نبيّاً وهم محدَّثون.

ثمّ قال: أخبرني عن هذا العلم ما له لا يظهر كما كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: فضحك أبي عليه السلام وقال: أبى الله عزّ وجلّ أن يطلع على علمه إلّا ممتحناً للإيمان».

وبهذا اللّحاظ سُمّي المحتمل لهذه المعارف الإلهيّة والأسرار الربّانية بأنّه مدينةٌ حصينة، كما في رواية عمرو بن ربيع عن شعيب الحدّاد قال: «سمعت الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام يقول: إنّ حديثنا صعب مستصعب، لا يحتمله إلّا ملك مقرّب أو نبيٌّ مرسل أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان أو مدينةٌ حصينة.

قال عمرو: فقلت لشعيب: يا أبا الحسن، وأيّ شيء المدينة الحصينة؟

فقال: سألت الصادق عليه السلام عنها فقال لي: القلب المجتمع».

والواضح أن المراد من صاحب القلب المجتمع هو المؤمن الذي لا يزيغ عن الحقّ مهما كثرت الشبهات والتشكيكات، فهو ثابت على الإيمان، ومآله إلى

ثبات القلب فيما اعتقده من المعارف الحقّة من غير ميلٍ أو انجرافٍ إلى الشكّ ومساواة بين الحقّ والباطل، بل هو ثابت على لوازم ما علمه من الحقّ من غير تمايل إلى اتّباع الهوى ونقض ميثاق العلم والإيمان.

زبدة المخض: كلّ هذا السرد التحليلي الذي قدَّمناه حول ظاهرة الحشوية - البترية التي من أسبابها ضيق القابليات والاستعدادات العقلية والنفسية لدى الحشويين والبتريين الجدد لنكشفَ الغطاءَ عن هشاشةِ الفكر الذي يتصف به الشيخ ياسر حبيب وأمثاله من تيار الحشوية الجدد الذين تقمصوا - بقصد أو غير قصد - ثوب التشيع ليكون ستراً لهم من افتضاحهم؛ فتنكشف مخططاتهم الجهنمية في إماتة العقيدة الشيعية في نفوس معتنقيها، فبادروا إلى الكيد خفيةً تمويهاً على عقائدهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة.

والسر في هشاشة أفكارهم هو الضعف الإيماني والعقائدي بولاية أهل البيت (سلام الله عليهم) والبراءة من أعدائهم عند بعضهم، وانعدام اليقين بولايتهم عليهم السلام عند آخرين منهم، فعمدوا إلى التشكيك بمقاماتهم للوصول إلى إنكارها من الأساس. . . هذه الأسباب مجتمعةً أدَّت إلى نشوء الظاهرة الحشوية البترية التي تجمع بين الفكر الموالي لأهل البيت عليهم السلام وبين الفكر الأشعري المعادي لهم، وهي ظاهرة ابتدعتها المدرسة العمريَّة لتنفيذ مشروعها العقائدي والفقهي داخل الصف الشيعي بعدما عجزت عن الوغول فيه وحرفه عن مساره الصحيح، حيث عمدوا إلى التشكيك بمقامات أهل البيت عليهم السلام بواسطة أعوانهم من عمائم السوء الذين تنوعت أدوارهم وحيثياتهم التشكيكية التي أهَّلتهم ليكونوا اليدَ الطولى للقيام بالدور المنوط بهم، ومن المحتمل أن تكون جماعة منهم على غير دراية بالمخطط الأشعري بسبب جهلهم أو حبهم للجاه والشهرة فكانوا أداة طيعة بيد المنظِّرين في المدرسة البكرية - العمريّة، لذا نوزع البواعث للتشكيك بالمقامات العالية لأهل بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم) إلى الأسباب اللاحقة.

البواعث المؤدية الى التشكيك بمقامات آل محمَّد (سلام الله عليهم):

من أهم البواعث الداعية إلى التشكيك بمعارف ومقامات أهل بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم) في الوسط الشيعي هي الآتية:

1 - الجهل القصوري بالحقائق العرفانية والمقامات العالية الصمدانية والعقائدية والفقهية والتاريخية.

2 - التقصير المتعمد بتحصيل المعارف اليقينية المتعلقة بولاية أهل البيت عليهم السلام والبراءة من أعدائهم.

3 - الإنكار والجحود للمقامات اليقينية لأهل البيت عليهم السلام.

4 - العداوة والنصب لهم (سلام الله عليهم).

وما يهمنا هنا هو التحذير من دور هؤلاء النواصب والمشككين في التأثير على التراث الشيعي أكثر من غيرهم من الغلاة في أئمة الهدى (سلام الله عليهم)، هذا التراث الذي طالما تطاول عليه الموتورون من الشيعة المتحالفين أصولاً وفروعاً مع الأشاعرة النواصب تحت عناوين براقة منها العداوة لأعداء آل محمد (سلام الله عليهم)، وقد اشتبه بعض العلماء من الطائفة المحقّة حينما حصروا الدعوة بتنقيح التراث من الغلاة الشيعة فقط من دون النظر إلى الطرف الآخر من المشككين والنواصب المتسترين بثوب التشيع - وهم أخطر عليه من جيش يزيد بن معاوية - الذين ينخرون جسم التشيع تحت عناوين براقة ظاهرها شيعي وباطنها عمري، من تلك العناوين ما يسمَّى بالاعتدال الشيعي والحفاظ على الوحدة الإسلامية... فصبوا جام غضبهم على الغلاة من الشيعة؛ ولطالما قرع آذاننا دعوات شيعية تطالب بتنقيح التراث الواصل إلينا من رواة شيعة غلاة، فمنعت - هذه الدعوات - من الرواية عنهم والأخذ من مصادرهم أو بشيء مما قالوه ونقلوه لنا من أخبار، وذلك لعدم الأمن منهم على الصدق في النقل والأمانة في الرواية، فهذه الدعوات تقتصر على التحسس والحذر من الغلاة فقط، وتهمل دور النواصب والمقصِّرة في التأثير على تراثنا الشيعي الطاهر، لا لشيءٍ سوى

تصورهم بأنَّ الغلاة خطرٌ عظيمٌ على التراث الشيعي، غافلين بشكلٍ كبير عن خطورة الدور الذي يلعبه النواصب والمقصّرة في التأثير على مجمل العقائد والأحكام والأحاديث النبويَّة والوَلويَّة والتاريخ في الوسط العلمي الشيعي، ولعلَّ غفلتهم عن التوجه إلى محاربة هؤلاء والوقوف في وجههم نابعةٌ من سببين هاميِّن:

السبب الأول: شدة تستر هؤلاء بعداوتهم لأعداء آل محمد (سلام الله عليهم)، فهؤلاء كالحرباء تتلون بلون الشجرة التي تستقر عليها والبيئة التي تسكنها، فكان سبباً رئيسياً في الانصراف عنهم إلا نادراً.

السبب الثاني: التقصير في التحصيل العلمي للمعارف اليقينية بشقيها الرئيسين (التولي والتبري) وهو واضح المعالم عند المتبصرين بحقائق المعارف اليقينية ممن سبروا غورَ المعارفَ الإلهية المتعلقة بمفاهيم الولاية بشقيها المتقدِّمَين، فنرى بشكلٍ فاضحٍ معالم الفساد في الفقه الولايتي عند بعض المتهورين من المتقدِّمين والمتأخرين من العلماء في الطائفة المحقة، حيث يظهر لنا بوضوحٍ ضعف تحصيلهم المعرفي في آل محمد (سلام الله عليهم)، ولو لم يكن إلا شطحات المدرسة القميَّة أيام الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن بن الوليد وبعض تلامذته القميين وتقصيرهم بتحصيل المعارف اليقينية الحقة المتعلقة بمفهومي التولي والتبري وإحاطة المعصوم (سلام الله عليه) بالمعارف والعلوم نظير اعتقادهم الفاسد بمسألتي عدم عصمة المعصوم عن السهو والنسيان، وأكبر شاهد على ما ندَّعي هو وقوف الشيخ المفيد (رحمه الله) في كتابه الجليل «تصحيح الاعتقاد» لصدّ الأفكار الفاسدة التي تبناها الشيخ الصدوق تبعاً لأستاذه ابن الوليد حتى صارت أفكارهما من الضروريات في الوسط القمي آنذاك ولا زالت إلى الآن تتردد أصداؤها الفاسدة تحت ستار أنها عقائد صوبها الشيخ المعتمد محمد بن بابوية القمي للقواعد الشيعية، وقد قام الشيخ المفيد (رحمه الله) بتفنيد أفكار الشيخ الصدوق والنهج الذي سار عليه ذاك الشيخ من تبني أفكارٍ لا علاقة للمدرسة الشيعية بها على الإطلاق، فقد وقف موقفاً مشرِّفاً حيال عقيدة

ابن الوليد وتلميذه الصدوق بنعته لهما بالمقصِّرَين بحقِّ أئمة الهدى ومصابيح الدجى (سلام الله عليهم)، ويتجلى ذلك في مقام بيان رده على الصدوق الذي نعت كلَّ من ردَّ مقالة القميين بالمفوّضة والغلاة، فقال (نوّر الله ضريحه) في كتابه «تصحيح الاعتقاد» في فصل الغلوّ والتفويض: «وأما نصُّ أبي جعفر رحمه الله بالغلوِّ على من نسب مشايخ القميين وعلمائهم إلى التقصير فليس نسبة هؤلاء القوم إلى التقصير علامة على غلو الناس، إذ في جملة المشار إليهم بالشيخوخة والعلم من كان مقصِّراً، وإنما يجب الحكم بالغلو على من نسب المحقين إلى التقصير سواء كانوا من أهل قم أو غيرها من البلاد وسائر الناس، وقد سمعنا حكاية ظاهرة عن أبي جعفر محمد بن الحسن بن الوليد رحمه الله لم نجد لها دافعاً في التقصير وهي ما حكي عنه أنه قال: أول درجة في الغلو نفي السهو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإمام عليه السلام، فإن صحت هذه الحكاية عنه فهو مقصِّرٌ، مع أنه من علماء القميين ومشيختهم، وقد وجدنا جماعة وردت إلينا من قم يقصِّرون تقصيراً ظاهراً في الدين، ينزلون الأئمة عليهم السلام عن مراتبهم ويزعمون أنهم كانوا لا يعرفون كثيراً من الأحكام الدينية حتى ينكت في قلوبهم، ورأينا من يقول: إنهم كانوا يلجؤون في حكم الشريعة إلى الرأي والظنون، ويدَّعون مع ذلك أنهم من العلماء، وهذا هو التقصير الذي لا شبهة فيه»؛ انتهى كلامه.

ويظهر من المحدِّث المجلسي (رحمه الله) أنَّه قد وافق الشيخ المفيد بردّه العنيف على الصدوق وأُستاذه ابن الوليد؛ حيث لم يبدِ اعتراضاً على كلام الشيخ المفيد (رحمه الله تعالى) ما يعني موافقته الضمنية على اعتراضه على علماء قم.

والحاصل: إنَّ الشحَّ بمواجهة النواصب والمقصّرة المتغلغلين في الحوزات العلمية الشيعية وعدم الإكثار من التحسس منهم لم يقابل بعدم تحسس المخالفين من الرواة النواصب في وسطهم العلمي، فلم نجد أرباب الجرح والتعديل عند مخالفينا الأشاعرة والمعتزلة يتحسسون من الأخذ عن النواصب عندهم؛ بل الأمر معكوسٌ عندهم تماماً حيث يعتمدون عليهم ويجعلون الرواية عنهم بأعلى مراتب الوثاقة والمتانة لأجل نصبهم العداوة لآل البيت (سلام الله عليهم)، كما أنهم

كانوا ولا يزالون يردون شهادة الراوي الشيعي بسبب تشيعه تعصباً منهم لمذاهبهم المبتدعة بخلاف اللامبالاة عند الظاهريين الحشويين في الوسط الشيعي حيث نجدهم لا يحجمون عن رواية النواصب من المخالفين كما فعل الصدوق في عامة كتبه حيث اعتمد كثيراً على عكرمة وغيره ممن عرفوا بالنصب والعداوة لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام - كما في روايته لأخبار السهو والنسيان وتفضيل اثنتين من النساء الأربع على بنات أمير المؤمنين (سلام الله عليهم أجمعين) - وهذا إنْ دل على شيء فإنما يدل على الحشوية الانتقائية في المنهج القمي في تلك الفترة الزمنية البائدة، كما يدل على التقصير أو القصور في عدم الحميَّة والغيرة على عنصر البراءة من أعداء آل محمد (سلام الله عليهم)، ولكنّه أمر امتاز به المخالفون وتحمَّسوا له كثيراً من باب الحميَّة والغيرة لمعتقداتهم الفاسدة، ويشهد لما ذكرنا ما أشار إليه أعلامهم في مجال الدفاع عن الرواة النواصب لمجرد نصبهم العداوة لأهل البيت عليهم السلام وطرحهم لأخبارٍ شيعية لمجرد أن الراوي مشهور بولائه لأهل البيت عليهم السلام ، وكلماتهم في هذا المجال كثيرة نصنفها إلى نحوين:

النحو الأول: كلمات أعلام المخالفين في مقام مدح الرواة المشهورين بالنصب والعداوة لأهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين)، وهي كثيرة نقتبس منها الآتي:

قال ابن حجر في تهذيب التهذيب في ترجمة إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدي الجوزجاني قال: «إبراهيم جليل جداً كان أحمد بن حنبل يكاتبه ويكرمه إكراماً شديداً. وقال النسائي ثقة، وقال الدارقطني كان من الحفاظ المصنفين والمخرجين الثقات. وقال ابن عدي كان يسكن دمشق وكان أحمد يكاتبه فيتقوى بكتابه ويقرأه على المنبر. وقال ابن حبان في الثقات كان حروريّ المذهب ولم يكن بداعية وكان صلباً في السُنَّة حافظاً للحديث إلا أنه من صلابته ربما كان يتعدى طوره وقال ابن عدي كان شديد الميل إلى مذهب أهل دمشق في الميل على عليّ [سلام الله عليه] وقال السلمي عن الدارقطني بعد أن ذكر توثيقه لكن فيه

انحراف عن عليّ [سلام الله عليه]. اجتمع على بابه أصحاب الحديث فأخرجت جارية له فروجة لتذبحها فلم تجد من يذبحها فقال سبحان الله فروجة لا يوجد من يذبحها وعليٌّ [سلام الله عليه] يذبح في ضحوة نيفاً وعشرين ألف مسلم».

وقال الذهبي في ترجمة عمر بن سعد (لعنه الله) قاتل سبط النبيّ ﷺ: «وقال العجلي: روى عنه الناس، تابعي ثقة».

وهذا ابن حجر يذكر في كتابه تهذيب التهذيب: «أنّ عبد الله بن إدريس الأزدي كان صاحب «سُنّة وجماعة»، وكان صلباً في السُنّة مرضياً، وكان عثمانياً».

وينقل في توثيقه لعبد الله بن عوف البصري: «إنّه موثّق، وله عبادة وصلابة في السُنّة وشدّة على البدع؛ قال ابن سعد: كان عثمانياً».

تنبيه هام: اتضح من خلال هذا العرض لكلمات الجرح والتعديل عند القوم بأنَّ مرادهم من السُنّة والصلابة في السُنّة هي نصب العداوة لأمير المؤمنين وإمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام وولده (سلام الله عليهم)، ويلاحظها المتتبع في تراجم كثيرٍ من الرواة التّابعين وتابعيهم المعروفين بالنصب والجفاء للعترة الطاهرة (سلام الله عليها)، وهذه السُنّة أفرزتها السقيفة من إقصاء أهل البيت عليهم السلام عن الخلافة والوصاية، ومن الهجوم على بيت سيِّدة نساء العالمين الصدّيقة الكبرى مولاتنا المعظمة فاطمة عليها السلام، كما جاهر بها بنو أُميّة على المنابر، وهي طابع النهج المرواني الذي كان أول من سنَّ لعن أهل البيت عليهم السلام.

وحكى العلّامة العلوي الهدار الحدّاد في كتابه (القول الفصل) سنَّةَ اللعن على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ما لفظه: «ونداء أهل الشام وصياحهم لعمر بن عبد العزيز لمّا ترك لعن عليّ عليه السلام في الخطبة: السُنّة السُنّة! تركت السُنّة يا أمير المؤمنين...».

وأضاف العلامة الهدار بعد ذلك: «وتلك قاعدة الجوزجاني الشافعي في مَن لا يلعن [أمير المؤمنين] عليّاً عليه السلام؛ أي: يعتبره تاركاً للسُنّة..»؛ انتهى.

إنّ المتتبع لكلمات رجال الجرح والتعديل في علم الحديث عند القوم يجد أنّهم لم يطلقوا صفة الصلابة في السُنّة إلّا على مَن ثبت عندهم أنّه كان عثمانياً؛ أي: مَن عُرف ببغض أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ولعنه، والبراءة منه، واتّهامه بقتل عثمان بن عفّان. . . !.

وهذه الفتنة أشار إليها بعضُ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ قال ابن مسعود: «كيف بكم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، ويُتّخذ سُنّة، فإن غيّرت يوماً قيل: تركت السُنّة!! قالوا: يا أبا عبد الرحمن! ومتى ذلك؟ قال: إذا كثرت جهّالكم وقلّت علماؤكم، وكثرت خطباؤكم وقلّت فقهاؤكم، وكثرت أُمراؤكم وقلّت أُمناؤكم، وتفقّه لغير الدين والتمست الدنيا بعمل الآخرة».

نعم، لقد صار لعن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام من السنّة المتصلبة عند المخالفين، فالسنيّ لا يُعرف تدينه إلا بسبّ أمير المؤمنين عليه السلام والبراءة منه ومن أهل بيته الطاهرين عليهم السلام والبراءة من أوليائهم وشيعتهم إلى يومنا هذا. . . !!. وهذا ما أكده عوامهم يوم ترك عمر بن عبد العزيز سبَّ ولعن أمير المؤمنين عليّ (سلام الله عليه) في خطبة الجمعة بقولهم: «السُنّة السُنّة. . ! تُركت السُنّة».

وأصرّ أهل حران على الاستمرار على تلك السُنّة لمّا نهوا عن اللعن، وقالوا إنَّ الجمعة لا تصحّ من دونها، ولا غرو فقد خرَّجَتْ تلك السُنّة في تلك البلدان أجيالاً ممّن **تصلّبوا فيها** من الوقيعة واللمز في أهل البيت عليهم السلام .

فالتصلب باللعن والسبّ علامة الإيمان والتدين عند المخالفين، ومن لا يلعن ولا يسبُّ أهلَ البيت عليهم السلام لا يُعتَبَرُ متديناً ولا غيوراً على عثمان ومن سبقه من أئمة الضلالة. . !.

النحو الثاني: كلمات أعلام المخالفين في مقام قدح الرواة المتصلبين في العقيدة الشيعية، وهي كثيرة نقتطف منها الآتي:

ففي ترجمة عطية بن سعد العوفي يعلن أعلام العامة ردَّهم لروايته لأنه كان يتشيع لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقد ضعّف عطية جماعة، منهم:

النسائي وأبو حاتم، والسبب في تضعيفهم له إنّما هو من جهة المذهب، فقد أكدوا أنّه كان يُعدّ من شيعة أهل الكوفة، وأنّه كان يتشيع، وممّا يُعضد ما ذهبنا إليه قول الساجي فيه: «ليس بحجة وكان يقدّم عليًّاً على الكل»، وقول الجوزجاني قادحاً فيه بقوله: «مائل».

وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني في ترجمة علي بن عبد العزيز بأنه: «ساقط».

قال الخطيب البغدادي: «أظن إبراهيم طعن عليه لأجل مذهبه، فانّه كان يتشيع. . . ».

وقال البزار في ترجمة عمرو بن أبي المقدام: «كان يتشيع. . ».

وضعّفه جماعة لتشيّعه منهم: أبو زرعة وأبو حاتم، وقال النسائي: «متروك الحديث».

وفي ترجمة جابر الجعفي قال الثوري: «جابر الجعفي صدوق في الحديث إلّا أنه كان يتشيع».

وقال البيهقي في ترجمة (عمرو بن ثابت): «غير محتج به»، وقال فيه ابن معين: «ليس بشيءٍ»، وعنه أيضاً: «ليس بثقة ولا مأمون»، وقال النسائي: «متروك»، وقال ابن حبان: «يروي الموضوعات»، وقال ابن المبارك: «لا تحدثوا عنه فإنه كان يسب السلف»، وسأل الآجري أبا داود عنه فقال: «رافضي خبيث».

وقدح أبو حنيفة بالفضال بن الحسن لما أفحمه في محاورة حول الخلافة ناعتاً إيّاه بأنه رافضي، قال الشيخ المفيد (نوّر الله ضريحه): «مر فضال بن الحسن بن فضال الكوفي بأبي حنيفة وهو في جمع كثير يملي عليهم شيئاً من فقهه وحديثه، فقال لصاحب كان معه: والله لا أبرح أو أُخجل أبا حنيفة، فقال صاحبه: إن أبا حنيفة ممن قد علمت حاله ومنزلته وظهرت حجته، فقال: مه هل رأيت حجة كافر علت على مؤمن؟! ثم دنا منه فسلم عليه فردَّ وردَّ القوم بأجمعهم السلام.

فقال: يا أبا حنيفة رحمك الله إن لي أخاً يقول: إن خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّ بن أبي طالب (سلام الله عليه) وأنا أقول: إن أبا بكر خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعده عمر فما تقول أنت رحمك الله؟ فأطرق مليًّاً ثم رفع رأسه فقال: كفى بمكانهما من رسول الله كرماً وفخراً! أما علمت أنهما ضجيعاه في قبره فأيّ حجَّة أوضح لك من هذه؟ فقال له فضال: إني قد قلت ذلك لأخي، فقال: والله لئن كان الموضع لرسول الله يردونهما فقد ظلما بدفنهما في موضع ليس لهما فيه حق، وإن كان الموضع لهما فوهباه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقد أساءا وما أحسنا إليه إذ رجعا في هبتهما ونكثا عهدهما.

فأطرق أبو حنيفة ساعة، ثم قال قل له: لم يكن لهما ولا له خاصة ولكنهما نظرا في حق عائشة وحفصة فاستحقا الدفن في ذلك الموضع بحقوق ابنتيهما، فقال له فضال: قد قلت له ذلك، فقال: أنت تعلم أن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مات عن تسع حشايا فنظرنا فإذا لكلِّ واحدةٍ منهن تسع ثم نظرنا في تسع الثمن فإذا هو شبر في شبر فكيف يستحق الرجلان أكثر من ذلك، وبعد! فما بال عائشة وحفصة ترثان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمة ابنته (سلام الله عليها) تمنع الميراث؟ فقال أبو حنيفة: يا قوم نحوه عني فإنه **واللهِ رافضي خبيث**.

ونقل عن ابن طاهر قال سألت أبا إسماعيل عبد الله الأنصاري عن الحاكم أبي عبد الله النيسابوري، فقال: إمام في الحديث، **رافضي خبيث، وعدَّ له الذهبي شقاشق**، منها قوله أن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ولد مسرورا مختوناً، ومنها أن عليَّاً وصيٌّ. . ».

وذنب الحاكم أبي عبد الله النيسابوري أنه يتولى أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام ويعتقد بوصايته، لذا اعتبره القوم خبيثاً. . !.

وقال الذهبي في ترجمة الحافظ الكبير الحاكم النيسابوري: «الحافظ الكبير إمام المحدثين أبو عبد الله، محمد بن عبد الله ابن محمد بن حمدويه بن نعيم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، صاحب التصانيف، ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة في ربيع الأول. . . قال الخطيب أبو بكر: أبو عبد الله الحاكم

كان ثقة، كان يميل إلى التشيع، فحدثني إبراهيم بن محمد الأرموي - وكان صالحاً عالماً - قال: جمع الحاكم أحاديث وزعم أنها صحاح على شرط البخاري ومسلم، منها حديث الطير، وحديث (من كنت مولاه فعلي مولاه)، فأنكر عليه أصحاب الحديث فلم يلتفتوا إلى قوله. . . . وقال ابن طاهر: سألت أبا اسماعيل الأنصاري عن الحاكم فقال: ثقة في الحديث، **رافضي خبيث**، ثم قال ابن طاهر: **كان شديد التعصب للشيعة في الباطن**، وكان يظهر التسنن في التقديم والخلافة، وكان منحرفاً عن معاوية وآله متظاهراً بذلك ولا يعتذر منه. . . ».

وقال أحمد بن سنان: رأيت عبد الرحمن بن مهدي لا ينبسط لحديث جعفر بن سليمان؛ قال أحمد بن سنان: «استثقل حديثه»، وقال ابن سعد: «كان ثقة وبه ضعف **وكان يتشيّع**»، وقال جعفر الطيالسي عن ابن معين: سمعت من عبد الرزاق كلاماً يوماً فاستدللت به على ما ذكر عنه من المذهب، فقلت له: إنّ أساتيذك الذين أخذت عنهم ثقات، كلهم أصحاب سُنّة فعمّن أخذت هذا المذهب؟ فقال: قدم علينا جعفر بن سليمان فرأيته فاضلاً حسن الهدي فأخذت هذا عنه.

وقال ابن الضريسي: سألت محمّد بن أبي بكر المقدمي عن حديث لجعفر بن سليمان، فقلت: روى عنه عبد الرزاق قال: فقدت عبد الرزاق ما أفسد جعفر غيره - يعني في التشيع -. قال ابن حبان: كان جعفر من الثقات في الروايات غير **أنّه ينتحل الميل إلى أهل البيت** ولم يكن بداعية إلى مذهبه وليس بين أهل الحديث من أئمّتنا خلاف، أن الصدوق المتقن إذا كانت فيه بدعة ولم يكن يدعو إليها الاحتجاج بخبره جائز»؛ انتهى.

ملاحظاتنا على كلام أعلام الجرح والتعديل عند المخالفين:

من خلال هذا السرد لكلمات أئمّة الجرح والتعديل عند المخالفين نلاحظ الأُمور الآتية:

الأول: جعلهم حبّ الإمام الأعظم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ونقل الرواية

في فضائله بدعةً ويسمونه تشيعاً، وهم في ذلك يستحرمون الفريضة العظيمة التي أمر بها القرآن الكريم من مودّة القربى.

الثاني: جعلهم الميل إلى أهل البيت عليهم السلام مصدر طعنٍ وقدحٍ في الراوي، وتراهم يفصحون عن ذلك ويجاهرون به في كثير من تراجم الرواة من غير نكير؛ وهذا شقاق مع الله ورسوله ومحادّة، وقد طعنوا في كثير من أصحاب أمير المؤمنين علي عليه السلام وحوارييه بمثل ذلك.

الثالث: إعراضهم عن روايات فضائل أهل البيت عليهم السلام التي يرويها الثقات، فقد طُمس وضُيّع من الآثار النبوّية في مناقب العترة المطهرة (سلام الله عليها) الجمّ الغفير، حتى أنّك ترى تصريحهم بالإعراض المزبور في تراجم رواة ثقات كثيرين، ومن ذلك قول أحد أعلام المخالفين في حقّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ماذا أقول في رجل أخفت أولياؤه فضائله خوفاً، وأخفت أعداؤه فضائله حسداً، وشاع من بين ذين ما ملأ الخافقين. .».

وكيف لا يكون ذلك منهم وقد منع عمر بن الخطاب كتابة الحديث النبوي في الصدر الأوّل تحت شعار «حسبنا كتاب الله. . .».

وصدق مَنْ قال: «ماذا نصنع لعليّ بن أبي طالب (سلام الله عليه)! إنْ أحببناه خسرنا دنيانا، وإن أبغضناه خسرنا آخرتنا!».

الرابع: جريهم على استبشاع الروايات الواردة في فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام فتارة يعبِّرون بقول: «لا ينبسط لحديثِ فلان»، وأُخرى: «لا يكتب حديثه»، وثالثة: «استثقل حديثه»، وغير ذلك من عبائرهم التي تفوح بالاشمئزاز والنفرة ممَّن قال فيه النبيّ صلى الله عليه وآله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»، «وعليٌّ مع الحقّ والحقّ مع علي يدور معه حيثما دار»، «لا يبغضك يا عليُّ إلّا منافق أو ابن زنا أو ابن حيضة»، وغيرها من الأحاديث النبويّة.

الخامس: جعلهم الانقطاع عن أهل البيت عليهم السلام والابتعاد عنهم وتركهم سُنّة، والعاملين بها أصحاب سُنّة كما عبّر بذلك ابن معين في كلامه مع المحدّث الحافظ عبد الرزاق الصنعاني، وجعل موادّة عبد الرزاق لأهل البيت عليهم السلام فساداً

في الدين. ولا يخفى أن جعفر بن سليمان ممّن روى حديث الطير، وحديث «ما تريدون من عليّ عليه السلام! عليّ مني وأنا منه وهو وليّ كل مؤمن بعدي» كما ذكر ذلك الذهبي في الميزان.

التصريح العلني المتقدِّم دلالةٌ واضحةٌ على اهتمام واعتماد أرباب الجرح والتعديل على النصَّاب من رواتهم، فقد جعلوا النصب لأهل البيت (سلام الله عليهم) سنّة يتدينون بها ودستوراً يعملون به، ولا نجدهم يتحرزون عنهم كما هي الحال عند بعض أعلام الإمامية حيث يتحرزون من رواة الغلاة ولا يتحرزون كثيراً من الرواة النواصب والمقصّرة مع أن خطورة النواصب والمقصِّرة أعظم من خطورة الغلاة على التشريع والتقنين الفقهي والعقائدي من جهة أنَّ الناصبي يجحد مقام الولاية لأهل البيت عليهم السلام وكلّ ما يرتبط بها من معارف وأسرار بخلاف المغالي فإنه يغالي في أصحابها حتى ينزلهم منازل الألوهية ويتجاوز الحدَّ الوسط فيهم، مع أن تعريف المغالاة عند المتقدِّمين في المدرسة القميَّة يختلف عن تعريف المدرسة العراقية له كما هو واضح في الوسط الجدلي بين المدرستين، لذا نرى الهوة واسعة بين التعريفين لمفهوم الغلوّ حيث عدّه القميون شاملاً لكلّ متحدثٍ بعلو الفضائل لأهل البيت عليهم السلام كما يشهد له مقالة الشيخ الصدوق تبعاً لأستاذه ابن الوليد حسبما أشرنا إليه مراراً. . . . وهي ظاهرة تستبطن إنكار علو الدرجات عند أصحاب الولاية الإلهية تحت ستار التشيع ومسوحات البحث العلمي في وقتنا الحاضر المغلَّف بالنفاق والكذب، والمزخرف بآليات منطق أرسطو المتعارف عليها في الوسط الحوزوي وهو ما فعله صاحب الشبهة الشيخ ياسر حبيب الكويتي. . . حيث غلّف إنكاره لعلو مقام سيدتنا الحوراء زينب (سلام الله عليها) بتقديم المنطوق اللفظي في رواية عكرمة على المفهوم الحملي بحسب دعواه. . . جاعلاً من القضية المنطقية سُلَّماً منطقياً لإنكار المفهوم الحملي - بحسب زعمه - الدال على علو مقامها، مع أن المقام ليس من هذا القبيل؛ وذلك لأن إثبات مقامها وعلو قدرها ليس من باب المفهوم الحملي المزعوم بل هو من باب حاكمية المنطوق الولايتي الزينبي الأكبر (على صاحبها

آلاف التحية والسلام) على المنطوق المريمي الأصغر، فيدور الأمر بين منطوقين، بين الأكبر والأصغر فيترجح الأكبر على الأصغر عقلاً ونقلاً. . . . ولكنَّ صاحب الشبهة أراد التدليس على السائل باستعماله المصطلح المنطقي لعدم دراية السائل به باعتباره عامياً جاهلاً بمعرفة الأقيسة المنطقية ودلالات استعمالاتها العرفية والعلمية. . . ! بل نعتقد عدم دراية الشيخ المذكور بمواضع الاستعمال المنطقي المتقدِّم. . . أو أنَّه تعمَّد زخرفة الجواب بمصطلح أرسطو الفلسفي ليظهر نفسه بمظهر العالم المتقن للمصطلحات المنطقية الرائجة في الوسط العلمي. . . لا لشيءٍ سوى التدليس على العوام وتشكيكهم بمقامات العقيلة الحوراء زينب الكبرى (سلام الله عليها وأرواحنا فداها)، وهي طريقة سلكها غيره من المشككين بالمقامات العرفانية لأهل بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم)، وهي تخفي وراءها خلفيات بترية؛ وذلك لأن البتر ليس منحصراً برفض الولاية لأهل البيت (سلام الله عليهم) من أساسها فحسب بل له درجات متدنية ومتفاوتة بالبعد عنهم (سلام الله عليهم)؛ والعداوة لفضائلهم ومقاماتهم المقدَّسة تشمل الاعتقاد بضعف مقام أهل البيت عليهم السلام وإزالتهم عن مقاماتهم التي رتبهم الله تعالى فيها، وقد سبقه إليه وتفوق عليه الناصبي محمد حسين فضل الله أحد أعمدة البترية الناصبيَّة الحديثة حينما ساوى بين الصدّيقة الكبرى مولاتنا فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) وبين الصدّيقة الصغرى مريم بنت عمران عليها السلام، فوافق شَنٌّ طبقه. . !.

الخلفيات المؤدية إلى سقوط الكثيرين في مهاوي التشكيك:

وفي نهاية الفصل الأول، نؤكد ما ذكرناه سابقاً على جهل المدّعي بمعارف العقائد وفقه الشريعة وإكسير الدراية والحديث. . . ونسجِّل بالأرقام التفصيليَّة عدة نقاط مهمة نبيّن فيها الأسباب والخلفيات التي من خلالها سقط المدّعي صاحب الشبهة وأمثاله - مورد البحث - من شاهق دعواه بالولاية لمولاتنا الصدّيقة الكبرى الحوراء زينب (سلام الله عليها)، وأهم هذه الخلفيات هو الآتي:

(**النقطة الأولى**): ظاهرة النفاق في الوسط الشيعي الإمامي.

لقد عُرّفَ النفاق بأنه إبطان الكفر أو الشك وإظهار الإسلام أو الإيمان، والشك تارةً يكون في الله تعالى أو في أحد الأنبياء أو أحد الأولياء المطهرين (سلام الله عليهم) وهي ظاهرة تتصف بالازدواجية بين الكفر والإسلام، بين التصديق والتكذيب بسبب ضعف اليقين أو انعدامه... فالمنافق ظاهره إسلام وباطنه كفر وشك وجحود... سوآء أكان الشكُّ في الذوات الطاهرة عليهم السلام أو كان في المعاجز والكرامات والفضائل والمنازل والخصائص والدرجات والظلامات التي لحقتهم من قِبَل خلفاء الجور مِن أعمدة السقيفة وحكام بني أُمية وبني العباس لعنهم الله تعالى، ذلك لأن منهاج الإسلام أخذ زيّاً وطقوساً خاصة بالمسلمين يجب الالتزام بها، فمجرد الشك أو الجحود بواحدٍ منها يخرج بصاحبه من الإسلام، وكذلك منهاج الإيمان أخذ زيّاً وطقوساً ونواميس خاصة منضمة إلى زيّ ونواميس وطقوس الإسلام، فمجرد جحود أو شك أحدٍ في واحدٍ منها يخرج بصاحبه من الإيمان فضلاً عن الإسلام؛ لوجود ترابط بين مفاهيم الإسلام ومفاهيم الإيمان كما أوضحناه في بحثنا الفقهي «معنى الناصبي»، فأصبح للإيمان شكلاً في الظاهر ولباساً وقميصاً كما هو الحال في ظاهر الإسلام، فكما أن للإسلام سبباً للاعتناق في الظاهر وهو الإقرار بالشهادتين، فإن للإيمان أيضاً سبباً في الظاهر وهو الإقرار بالشهادات الثلاث، فأيُّ خللٍ في واحدةٍ من شعائر الإيمان يخلُّ بإيمانِ الفرد الجاحد أو الشاك، يجعله في خانة الجاحدين واقعاً وإنْ تظاهر ببقية شعائره ظاهراً..!.

وبعبارةٍ أُخرى: النفاق ظاهرة تتصف بنواميس ومناسك إسلامية وإيمانية لكنها في الواقع متنكرة لمعارفه وحقائقه ولبّ أحكامه وتشريعاته وحاكميته بعامة مراتبه التوحيدية والإيمانية... وليس من الضروري أنْ يلتفتَ المنافقُ في نفاقه إلى تلك الازدواجية التي يتصف بها ويعيش كنهها، كما ليس من الضروري أن يشعر بتناقضه بين السلوك الديني الذي يتلبس به وبين تمرده على معالم الولاية

والتوحيد الذي يتظاهر به أمام المسلمين والمؤمنين بمعالم التشيع، فهو فردٌ يعيشُ حالةَ التناقضِ وانفصامِ الشخصية المتدافعةِ بين الظاهر والباطن من دون أن يقرَّ بتناقضه وتدافعه؛ بل يكابر على الحقيقة مازجاً بين الأفعال العدائية لقادة الولاية ومسارها ومنهاجها وبين تقمصه لزيِّ النسك والعبادة وطقوس الإسلام والولاية. . . !.

هذه الازدواجية النفسية المتأرجحة بين الواقع واللاواقع، بين الإيمان والكفر، بين التصديق والتكذيب، لها مصاديق كثيرة في الوسط الشيعي منذ عصر النصّ الوَلَويّ إلى يومنا هذا، بل إنه ازداد في وقتنا الحاضر بسبب كثرة المغريات والتفنن في عوالم اللذة والشهوة والإغراء والرذيلة بحيث لم يفلت منها حتى المتلبسين بزيّ العلماء ومآزر القداسة والطهارة حيث طلبوا العلم للجاه والرياسة والسطوة على القرار الشيعي ليتسنى لهم جرّ الطائفة بعامة قواعدها إلى حيث يريد أصحاب القرار البكري العمري، وهؤلاء يحلمون بجرّ الطائفة إلى خندقهم وثغورهم، معتمدين ومعوِّلين على جنودهم من داخل الصف الشيعي، فابتدعوا عمائم تتظاهر بالتشيع، فبسطوا لها وسائد السلطة وآليات الحكم والقدرة حتى يبطشوا بكلّ موالٍ يقف بوجههم ويصدّ حملاتهم المبطنة بأفكار المدّ الأشعري. . . !.

وحالة التظاهر هذه هي امتداد طبيعي لحالة النفاق التي وجِدَتْ إبَّان العصر النبوي المتمثلة بثلةٍ من منافقي صحابة النبيّ الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن بمقدوره مناهضتها وأهل بيته الطيبين عليهم السلام بالرغم من محاولاتهم الحثيثة مع الأخيار من بعض الصحابة بسبب قلة العدد وعدم توفر الظروف الموضوعية للقضاء على الحركة النفاقية يومذاك. . . ! وإنْ كنا نعتقد بأنَّ النبيَّ وآله وبعض صحابته المخلصين كانوا قادرين على القضاء على قادة تلك الثلة المنافقة إلا أنه صلى الله عليه وآله وسلم ترك الأمر يجري طبقاً لمقتضيات آنية ومستقبلية ومصالح تشريعية لعلَّ منها الافتتان والاختبار والامتحان لعامة المسلمين يومذاك بمقتضى قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ

لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

وقد ركَّز الإسلامُ الحنيف كثيراً على حالة النفاق المتفشية في الإسلام منذ نشأته إلى يوم الظهور الأعظم لبقية الله القائم من آلِ محمَّدٍ (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) تبعاً لآيات الكتاب الكريم والسُنَّة المطهرة، ولطالما نبَّه أئمتنا الطاهرون (سلام الله عليهم) لا سيَّما السبعة الأوائل من أهل بيت العصمة والطاهرة مِن ظاهرة النفاق في الإسلام، وأول من تصدَّى لهذه الظاهرة منهم هو سيِّدة نساء العالمين الصدّيقة الكبرى الزهراء البتول (سلام الله عليها وأرواحنا فداها)؛ عندما وقفت بوجه تلك الزمرة المنافقة في صدر الإسلام فكشفت عن زيفهم ونفاقهم وعرَّتهم عن ظاهرهم المزيف وأعانها على ذلك سيِّد المؤمنين الإمام الأعظم أمير المؤمنين عليه السلام ثم تلاهما الإمامان الحسنان عليهما السلام ثمَّ الصديقة الصغرى مولاتنا العقيلة الطاهرة الزكية زينب الكبرى (سلام الله عليها).

وكما أن ظاهرة النفاق في الإسلام كانت هي السائدة في عصر الرسالة؛ فكذلك هي ظاهرة وواضحة في معالم الولاية والإيمان، ولطالما سلّط الإسلام كثيراً الضوء على ظاهرة النفاق في الإسلام وحذَّر منها، كما أنه سلَّط الضوء على ظاهرة النفاق في الإيمان ولكن بدرجة أقل مما هي عليه في الإسلام، وما ذلك إلّا لأن الإسلام كان مجرد طقوس ظاهرية لا تتعدى الجوارح الظاهرية، ولم يعتنِ الإسلام كثيراً بالجانب الباطني في بداية الرسالة الإسلامية بل حتى في أواخرها إلا بشكلٍ عابر.... وما ذلك إلا لأمرين:

(الأمر الأول): ما أشرنا إليه آنفاً من عدم توفر العدد الكافي من المؤمنين الكاملين للقيام بمهمة جهاد المنافقين في المدينة وأطرافها من جهة، وعدم توفر الظروف الموضوعية المؤاتية للقضاء على المنافقين يومذاك من جهةٍ أُخرى.

(1) سورة الأنفال، الآية: 42.

ويشهد لما قلنا ما ورد عن أمير المؤمنين وإمام الموحدين مولانا أبي الحسن عليّ بن أبي طالب عليه السلام - كما في رواية سليم بن قيس رضي الله عنه - قال لابن الأشعث: «ولو كنت وجدت يوم بويع أبو بكر أربعين رجلاً مطيعين لجاهدتهم. . ».

وقال في موضع آخر عليه السلام: «يا بن قيس! أما والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، لو وجدت يوم بويع أبو بكر الذي عيرتني بدخولي في بيعته، أربعين رجلاً كلَّهم على مثل بصيرة الأربعة الذين وجدت، لما كففت يدي ولناهضتُ القومَ ولكن لم أجد خامساً. . ».

وقال إمامنا الأعظم عليّ بن أبي طالب عليه السلام لمّا اقتحم عمر بن الخطاب داره الشريفة فطرحه أمير المؤمنين (سلام الله عليه) أرضاً ووجأ أنفه وعنقه وهمَّ بقتله فقال له: «يا بن صهاك! لولا كتاب من الله سبق لعلمت أنك لا تدخل بيتي. . . ».

وفي موضعٍ آخر، قال عليه السلام وأرواحنا فداه: «أما واللهِ لولا قضاء من الله سبق وعهد عهده إليَّ خليلي لستُ أجوزه، لعلمتَ أيُّنا أضعف ناصراً وأقلُّ عدداً. . ».

هذا كلُّهُ؛ على قاعدة مقالتهم الشريفة: «إنّا أهل بيتٍ لا يُقاسُ بنا أحدٌ. . »؛ وهو مطلق يشمل البسالة الهاشمية والبطولة الحيدرية التي لا يضاهيها أحدٌ على الإطلاق، وصدق قول الشاعر الحكيم الكاشف عن عظمة قدرته المعطاة من واهب العطايا:

«لولا القضاء لمحا الوجود بسيفه   والله يقضي ما يشاء ويحكم»

(الأمر الثاني): إنَّ أهل الإسلام يومذاك كانوا بأكثرهم أُمَّة متهالكة لم تتذوق حلاوة الطقوس الواقعية ومعالمها الرئيسيَّة بسبب ما اعتادته من أدران وأوساخ الجاهلية التي تغلغلت في قلوب الظاهريين ممن دخل في ظاهر الإسلام ولم يدخل الإيمان حشاشة قلبه. . .! فكانت الردة الواقعية التي ظهرت علانية بمجرد احتضار النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله على فراشه. . . فكشروا عن أنيابهم وأظهروا ما كان

مستوراً. . . . وهكذا الحال في الإيمان بمجرد أن غاب وليُّ الله الأعظم عليه السلام حتى ظهر النفاق في الإيمان المتمثل برفض الولاية لآل محمد والبراءة من أعدائهم. . . . !.

أنواع النفاق في الإسلام:

والنفاق في الإسلام على درجات وأنواع، فقد ينتسب المنافق إلى الإسلام ويوالي بزعمه الله تعالى ورسوله ويعادي أميرَ المؤمنين عليّاً عليه السلام وعترته الطاهرة أو قد يوالي بزعمه الله تعالى ويعادي رسوله - كما كانت الحال عند بعض الصحابة المنافقين الذين شككوا بنبوة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم - فكذلك الحال في النفاق في الإيمان، فإنه على درجات وأنواع، فقد يوالي المنافقُ أميرَ المؤمنين عليّاً (سلام الله عليه) والإمامين الحسنين عليهما السلام ولكنه يعادي سيِّدةَ نساءِ العالمين الصدّيقة الكبرى الزهراء البتول (سلام الله عليها) أو أحد أركان بيتها كالصدّيقة الصغرى زينب وأُم كلثوم عليهما السلام، أو يوالي بقية الأئمة الطاهرين (سلام الله عليهم) أو واحداً منهم ولكنه يعادي واحداً أو اثنين أو ثلاثة وهكذا. . . . وقد تكون ولايته لعامة أهل البيت عليهم السلام ولكنه يعادي مقاماتهم العالية أو بعض مقاماتهم وكراماتهم وفضائلهم ودرجاتهم وظلاماتهم وأسرارهم العظمى. . . . !.

وقد أشارت النصوص الطاهرة إلى ظاهرة النفاق الايماني بعامة مراتبه ومصاديقه، وهي ذات أنماط وأشكال مختلفة هي الآتية:

(الظاهرة الأولى): ظاهرة النفاق بضعف البراءة من أعدائهم التي تنخر قلوب المرضى من الشيعة. . . بمعنى أنَّ هناك أفراداً يوالون أميرَ المؤمنين عليّاً وأهل بيته الطاهرين (سلام الله عليهم) مع الموالاة لأعدائهم، وهذا المسلك كان له أتباعه في الوسط الشيعي في عصور سادة الخلق الأئمة الطاهرين عليهم السلام وظل قائماً إلى يومنا هذا بشكلٍ كبير في القرن الحادي والعشرين بسبب قيام سياسيين دنيويين وأحزاب شيعية مبسوطة اليد والنفوذ لها خلفيات أشعرية لعبت دوراً كبيراً في توسعة الرقعة الوحدوية بين الشيعة والسنَّة من خلال إزالة الفوارق المذهبية

بينهما بتنازل الفريق البتري الشيعيّ عن معظم المفاهيم الأساسيَّة في الطائفة الشيعية المحقّة كمبدأ العصمة والإمامة وتوزيع الخمس وإنكار البراءة من أعداء آل محمد ومنع التعرض لمساوئ الصحابة وبعض نسوة النبيّ ممن عُرِفنَ بعداوتهنَّ للإمام الأعظم أمير المؤمنين وسيِّدة نساء العالمين عليهما السلام كعائشة على وجه الخصوص. . . !! وكأنَّ الوحدة المزعومة لا تقوم إلا على الجمع بين الحق والباطل بالتنازل عن المعارف اليقينية والمعالم الأساسية لولاية أهل البيت عليهم السلام والبراءة من أعدائهم. . ! والأنكى من ذلك؛ أرادوا الغضَّ عما كشفه المخالفون في مصادرهم عن المخالفات القطعية التي ارتكبها بعض الصحابة المنافقين، وهو أمر مستهجن ومستغرب حصوله بالرغم من إقرار المخالفين به واعترافهم بحصوله من بعض الصحابة، فصار المنظِّرون من الشيعة ملوكاً أكثر من الملك. . !!.

هذا الخط الأشعري المتكئ على المنهج العمري أخذ يتنامى بفعل العامل السياسي والضعف العقائدي عند أصحاب السلطة والحكم من الأحزاب الشيعية المنسقة مع التيارات السلفية والإخوانية في الحاضرة السنيَّة في مجتمع الشرق الأوسط. . . مستغلين بذلك ترنح وغفلة التيار الشيعيّ الموالي عما يحوكه المخالفون وأذنابهم على الحركة الولائية في الحاضرة الشيعية في ظلّ ضعف إمكاناتها المالية والإعلامية في مقابل النشاط الإعلامي والثروة المالية الهائلة التي يمتلكها الطرف المقابل في الصف الشيعي. . . !.

كلُّ هذه العوامل والأسباب لعبت دوراً كبيراً في تضعيف مفهوم البراءة من أعداء آل محمد (سلام الله عليهم) في نفوس الشيعة بشكلٍ عام، وفي المقابل تنشيط الولاء للمخالفين بحجَّة الوحدة الإسلامية المزعومة تحت ذريعة تقوية الإسلام أمام مشاريع الغرب وبسط نفوذه حسبما يزعمون وله يروِّجون. . . !.

وهي حجَّةٌ داحضةٌ لا علاقة لها بما يدَّعون؛ بل إنّ ما ادَّعوه مجردَ غطاءٍ لتمرير مشاريعهم السياسية والعقائدية النابعة من قناعات بالعقيدة البترية التي تساوي بين أئمة الهدى عليهم السلام وبين أعدائهم من بعض صحابة النبيّ وبعض نسائه. . . ! ذلك كلّه لأجل الدنيا التي عليها يتنافسون ومن أجلها يحبون

ويبغضون وهو ما نبهت منه أخبارنا الشريفة كما في خبر مولانا الإمام المعظم الحسن العسكري عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن جده أمير المؤمنين الإمام الأعظم سيّدنا الأكبر أبي الحسن عليّ بنِ أبي طالبٍ (صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين) قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبَعْض أصْحابه ذاتَ يوم: «يا عبدَ الله أحبِبْ في الله، وأبْغِضْ في الله، ووالِ في الله، وعادِ في الله؛ فإنّه لا تَنالُ وِلاية الله إلا بِذلك، ولا يَجِدُ رجلٌ طَعْمَ الإيمانِ وإنْ كَثُرَتْ صَلاتُه وصِيامه حتّى يَكُون كذلك، وقَدْ صارَتْ مؤاخاةُ الناسِ يَومَكُمْ هذا أكثَرها على الدُّنيا، عليها يَتَوادّونَ، وعليها يَتَباغَضُونَ، وذلك لا يُغني عنهم مِن الله شيئاً».

فقالَ الرجلُ: يا رَسولَ الله كَيْفَ لي أنْ أعْلَم أنّي قَدْ والَيْتُ وعادَيْتُ في الله؟ ومَنْ ولِيّ الله (عزّ وجلّ) حتّى أُواليَه؟ ومَنْ عَدوّه حتّى أُعاديَه؟ فأشارَ لَه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فَقالَ: ألا تَرى هذا؟ قال: بَلى، قالَ: «وليّ هذا وليّ الله فَوالِه، وَعَدُوّ هذا عَدُوّ الله فَعادِه، والِ وليّ هذا ولو أنّه قاتِلُ أبيكَ وولدِكَ، وعادِ عدوّه ولَو أنّه أبُوكَ أو وَلدك».

والحاصل: إن ظاهرة ضعف البراءة من أعداء آل محمد عليهم السلام ليست وليدة الساعة أو الظروف الموضوعية عند الفرقة البترية في زماننا الحاضر، بل لها جذورٌ متصلة في داخل الأُمة منذ عصر النص الوَلَويّ، فقد دلت الأخبار الطاهرة على وجود جماعة من الشيعة يضعفون عن البراءة من أعداء آل محمد عليهم السلام، ففي صحيحة إسماعيل الجعفي قال: قلت للإمام أبي جعفر عليه السلام: رجل يحبُّ أميرَ المؤمنين عليه السلام ولا يتبرأ من عدوه وهو يقول: هو أحبُّ إليَّ ممن خالفه، فقال: «هذا مخلط وهو عدو، فلا تصلِّ خلفه ولا كرامة إلا أنْ تتقيه».

وفي مستطرفات السرائر أنه قيل للإمام الصادق عليه السلام: إن فلاناً يواليكم إلا أنه يضعف عن البراءة من عدوكم قال: هيهات! كذب من ادَّعى محبتنا ولم يتبرأ من عدونا».

ذيل الرواية الشريفة واضح في بيان الحكم الشرعي فيمن لم يتبرأ من عدوهم

وقد نعته الإمام عليه السلام بالكذاب الذي انتحل مودتهم ولم يتبرأ من عدوهم، وبناءً على الحكم المتقدم من الإمام عليه السلام في تينك الروايتين أفتى الشيخ الطوسي في المبسوط (باب صلاة الجماعة) والقاضي في المهذب والعلامة في التذكرة بعدم جواز إمامة مَنْ يتظاهر بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ولم يتبرأ من أعدائه. . . ![1].

(الظاهرة الثانية): انتحال التشيع لأمير المؤمنين وأهل بيته (سلام الله عليهم) مع موالاته للظالمين لأجل مصالحه الشخصية على القاعدة الحسينية (على صاحبها آلاف السلام والتحية) الكاشفة عن واقع الناس المرير: «الناس عبيد الدنيا والدين لعْقٌ على ألسنتهم يحوطونه ما درت به معايشهم فإذا محصوا بالبلاء قلَّ الديَّانون». . . !

وهؤلاء كثيرون في المجتمع الشيعي منذ عصور الأئمة الطاهرين عليهم السلام حيث كان ظاهرُ هؤلاء هو التشيع ولكنَّ واقعهم هو التعامل مع الظالمين لآل البيت صلوات الله عليهم، وهؤلاء واقعاً ليسوا شيعةً حقيقيين بل منتحلون للتشيع، ويشهد لهذا ما ورد في خبر زياد بن أبي سلمة قال: دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام : فقال لي: يا زياد إنك لتعمل عمل السلطان؟ قال: قلت: أجل، قال لي: ولمَ؟ قلت: أنا رجل لي مروة وعليَّ عيال وليس وراء ظهري شيءٌ فقال لي: يا زياد لئن أسقط من جالق فأتقطع قطعةً قطعةً، أحبَّ إليَّ من أن أتولى لأحدٍ منهم عملاً أو أطأ بساط أحدهم، إلا لماذا؟ قلت: لا أدري جعلت فداك، فقال: إلا لتفريج كربة عن مؤمن أو فكّ أسره أو قضاء دينه، يا زياد إنَّ أهون ما يصنع الله بمن تولى لهم عملاً أنْ يضرب عليه سرادق من نار إلى أن يفرغ الله من حساب الخلائق، يا زياد فإنْ وليت شيئاً من أعمالهم فأحسن إلى إخوانك فواحدة بواحدة والله من وراء ذلك، يا زياد أيما رجل منكم تولى لأحدٍ منهم عملاً ثم ساوى بينكم وبينهم فقولوا له: أنت منتحل كذاب، يا زياد إذا ذكرت مقدرتك

(1) راجع المبسوط ج1 ص155، والمهذب ج1 ص80، وتذكرة الفقهاء ج4 ص380.

على الناس فاذكر مقدرة الله عليك غداً ونفاد ما أتيت إليهم عنهم، وبقاء ما أتيت إليهم عليك».

الشاهد في الرواية قوله الشريف عليه السلام: «أيما رجل منكم تولَّى لأحدٍ منهم عملاً ثم ساوى بينكم وبينهم فقولوا له: **أنت منتحل كذاب**» ومعناه: أن من يساوي بين أتباع أهل البيت (سلام الله عليهم) وبين المخالفين في تعامله من موقع منصبه في حكومة الظالمين أو الأحزاب البترية المائلة إلى أهواء المخالفين والظالمين بحيث يتنازل عن ولائه لأهل البيت عليهم السلام إلى الظالمين أو المخالفين... فهو منتحل كذاب، وذلك لأن الولاء للأئمة المطهرين عليهم السلام يستلزم أنْ لا يكون موالياً للمخالفين وأنْ لا يتوافق معهم في عقائدهم وأحكامهم، ولا يتعامل معهم على أساس المصالح السياسيَّة والشخصية متنازلاً عن عقيدته وولائه لأهل البيت عليهم السلام .....!!.

وما نراه اليوم من حال الشيعة البتريين مع المخالفين لأعظم شاهدٍ على الازدواجية الفقهية والعقائدية بين الحق والباطل..! وهو في الواقع نفاقٌ إيماني رفضته كلماتُ أئمتنا الأنوار المطهرين عليهم السلام ... وقد دلت عليه الرواية المتقدِّمة ورواية الكشي عن الإمام أبي الحسن عليه السلام قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «ما أنزل الله سبحانه وتعالى آية في المنافقين إلا وهي فيمن ينتحل التشيع».

وروى الكشي في رجاله بإسناده عن حمدويه عن يعقوب بن يزيد عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم الكرخي عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: «إن ممن ينتحل هذا الأمر لمن هو شر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا».

وهكذا ورد في الأخبار الأخرى نظير ما ورد عن المفضل بن عمر قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لو قام قائمنا بدأ بكذابي الشيعة فقتلهم».

وعن الحسن بن علي الخزاز قال: سمعت الإمام الرضا عليه السلام يقول: «إن ممن ينتحل مودتنا أهل البيت من هو أشد فتنة على شيعتنا من الدجال، فقلت:

بماذا؟ قال: بموالاة أعدائنا ومعاداة أوليائنا، إنه إذا كان كذلك اختلط الحق بالباطل واشتبه الأمر فلم يعرف مؤمن من منافق».

وعن أبي المغرا عن عنبسة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام : «لقد أمسينا وما أحدٌ أعدى لنا ممن ينتحل مودتنا».

وفي خبر علي بن إبراهيم عن أبيه عن أبن أبي عمير عن هشام بن سالم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام : «إن ممن ينتحل هذا الأمر ليكذب حتى أن الشيطان ليحتاج إلى كذبه».

وفي الحديث المتقدِّم دلالةٌ على أن الفاسقين المكذِّبين من الشيعة هم من أهل النفاق ليس لهم من حقيقة التشيع شيءٌ. . . !

وعن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ . . .﴾[1] قال: هو أمير المؤمنين عليه السلام : ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾[2] قال: عند خروج القائم (عجَّل الله تعالى فرجه الشريف) وفي قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۗ﴾[3] قال: «اختلفوا كما اختلفت هذه الأمة في الكتاب وسيختلفون في الكتاب الذي مع القائم الذي يأتيهم به حتى ينكره ناسٌ كثير فيقدمهم فيضرب أعناقهم»[4].

وعن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: «لو قام قائمنا بدأ بالذين ينتحلون حبنا فيضرب أعناقهم»[5].

وفي الحديث المتقدم دلالة واضحة على أن كثيراً من الشيعة اليوم هم ممن ينتحلون حبَّ أهل البيت عليهم السلام ويزعمون أنهم شيعة لهم، والمنتحل هو مَنْ ينتحلُ

(1) سورة الأنعام، الآية: 90.
(2) سورة ص، الآية: 88.
(3) سورة هود، الآية: 110.
(4) فليراجع المازندراني شرح أصول الكافي ج12 ص402.
(5) فليراجع الإيضاح لابن شاذان ص475.

الشيءَ وليس هو عليه وينسب نفسه إليه وليس هو منه، فأمَّا من خلصت نيته ومودته لآل محمد عليهم السلام فصار بذلك عند العامة والخاصة مهجوراً لا تقبل له شهادة ولا يزوَّج إنْ خطب ولا يُعاد إنْ مرض ولا يُصلى عليه إنْ مات وهو عند الحاكم العمري والبتري الشيعي مضروب ومحبوس ومقتول، فإذا قام القائم عليه السلام على ما زعموا من التشيع بدأ بهم فقتلهم... لقد صار اليوم من يسب أو يلعن صحابياً منافقاً يُقتل ويكفَّر ولا يُصلّى عليه ولا يُعاد إذا مرض كما كان الحال بالأمس الغابر... على حدّ تعبير ابن شاذان (رحمه الله) في الإيضاح: «وهل يشرك أحدٌ بسبِّ أحدٍ أو يُقْتَل أحدٌ بسبِّ أحدٍ إلا من سبَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله..؟!».

وثمة أخبار[1] أُخرى واضحة الدلالة على رفض الاندماج العقائدي بين الخاصة والعامة، باعتباره اندماجاً ووحدةً بين الحق والباطل وهما نقيضان لا يجتمعان أبداً؛ والاندماج يعني ذوبان الشيعة في عقائد وفقه المخالفين وهو الضلال بعينه كما قال تعالى: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾[2].

(الظاهرة الثالثة): وهي الظاهرة العباسية المتظاهرة بالتشيع قبل خروج إمامنا المعظّم صاحب العصر عليه السلام، وهي ظاهرة قام بها بنو العباس إبَّان حكمهم كرفع شعار الرضا من آل محمد (سلام الله عليهم)؛ وهي ظاهرة تجددت اليوم وتقودها أحزاب دعوتية متنوعة الأهداف والتوجهات الفكرية والسياسيَّة، تستبطن الحقد والنصب لمعالم التشيع وللشيعة الموالين تحت ستار رفع شعار أهل البيت عليهم السلام واسترداد حقوقهم المسلوبة وإزالة الظالمين لهم لكي يستقطبوا القاعدة الشيعية ليتمكنوا من الوصول إلى سدة الحكم ومركز القدرة، وما إنْ يتمكنوا من السلطة

(1) فليراجع الوسائل ج 11 ص439 – 444 كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واختيار معرفة الرجال للكشي ج2 ص596 ح555.
(2) سورة يونس، الآية: 32.

ينكشف القناع عن كذبهم بادعائهم رفع شعار الرضا من آل محمد عليهم السلام فيبدأون بقتل الشيعة ومحاربتهم بحجة الوحدة الإسلامية مع أن أفعالهم ومِقْصَلتهم السياسية لا توفر شيعياً ولا أشعرياً مناهضاً لهم أو معترضاً عليهم.

(الظاهرة الرابعة): وهي ظاهرة النصب والعداوة من منتحلي التشيع للموالين من شيعة آل محمد عليهم السلام ، وهؤلاء يتجاهرون بالنصب والعداوة لأعداء آل محمد ولكنهم يبطنون العداوة للموالين لآل محمد (سلام الله عليهم). . . والنصب لآل محمد، له مراتب ودرجات وبطون منها:

(1) - التظاهر بنصب العداوة للمخالفين مع كونهم قلباً وقالباً معهم. . . !.

(2) - التظاهر بنصب العداوة للموالين لأنهم يخلُّون بالوحدة المزعومة ويزعزعون أركانها ويزلزلون أُصولها بالأدلة والبراهين. . . !.

(3) - التظاهر بنصب العدواة للظلامات والكرامات والمعاجز والأسرار تحت ستار أنها من المعارف الداخلة في غلو الأئمة الطاهرين عليهم السلام وبغض أعدائهم. . . !.

وهذه المراتب قد أشارت إليها الأخبار الشريفة منها صحيحة عبد الله بن سنان عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: «ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت لأنك لا تجد رجلاً يقول: أنا أبغض محمّداً وآلَ محمّدٍ، ولكنَّ الناصبَ مَنْ نصبَ لكم، وهو يعلمُ أنكم توالوننا وأنّكم مِنْ شيعتنا».

ومنها موثقة المعلّى بن خنيس قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت (عليهم السلام) لأنّك لا تجد أحداً يقول أنا أبغض محمداً وآل محمد، ولكن الناصب مَنْ نصب لكم وهو يعلم أنكم تتولونا وتتبرؤون من أعدائنا».

يشير الإمام (سلام الله عليه) في هاتين الصحيحتين إلى أن الأعداءَ الحقيقيين ليسوا المخالفين فحسب بل هم أيضاً المشكّكون في فضائلهم أو المفضِّلون لغيرهم عليهم أو مَن يُساوونهم مع الآخرين أو ينسبون فضائلهم إلى غيرهم أو

يطعنون في خواص أتباعهم وغير ذلك من الأنحاء... فكلُّ ذلك من مصاديق العداوة والنصب لآل محمد عليهم السلام باعتبار أن لمفهوم النصب درجات تشكيكية منطقية متفاوتة قوةً وضعفاً، صعوداً ونزولاً.

قال الشهيد الثاني العاملي (رحمه الله) في المقاصد العليّة في شرح الرسالة الألفية: «والكافر أصليّاً كان أم مرتدّاً أم منتحلاً للإسلام، جاحداً لبعض ضروريّاته كالناصب، وهو من نصب العداوة لأهل البيت عليهم السلام أو لأحدهم، نطقاً وتصريحاً، أو لزوماً ككراهة ذكرهم ونشر فضائلهم من حيث إنّها فضائلهم والعداوة لمحبّيهم بسبب محبّتهم، أمَّا تحقّقه ببغضهم عليهم السلام فلا إشكال فيه، أمَّا ببغض محبيهم وعداوتهم لأجل ذلك فلدلالته أيضا على بغض المحبوب».

وذكر مثله في كتابه «روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان»، باب طهارة الأسآر إلا سؤر الكافر والناصب؛ وكلامه لطيف ورشيق ينبغي أن يكتب بالنور على وجنات الحور، كما أنه (رحمه الله تعالى) قد أفتى في كتابه «روض الجنان ص 437» بكفر كلّ من جحد الحق مطلقاً حتى لو كان الجاحد منتحلاً للتشيع، فقال (رحمه الله تعالى): «وضابطه - أي القاعدة في معرفة الكافر - مَنْ جحد ما يعلم ثبوته من الدين ضرورة وإنْ انتحل الإيمان فضلاً عن الإسلام».

والحاصل: إن الشهيد الثاني العاملي (أعلى الله مقامه) قد حكم بالنصب والكفر على كلّ منكرٍ لضرورة دينية حتى لو كان شيعيًّاً، وهو موضع إجماع بين الأعلام إلَّا من المنتحلين للفقاهة والاجتهاد في هذا العصر، وحكمه بالكفر والنصب على منكر الفضائل والمناقب إنَّما هو من ناحية اعترافه بإطلاق النصب في الخبر على عامة مراتب النصب والعداوة من دون تقييد أو استثناء، ومن مراتب النصب كراهة نشر فضائلهم عليهم السلام وبغض محبيهم لدلالته على بغض المحبوب، بمعنى أن بغض الشيعة بسبب محبتهم لآل البيت عليهم السلام يستلزم بغض أهل البيت عليهم السلام، فالكراهية والبغض إنما هو لأجل محبة الشيعة لأهل البيت عليهم السلام وليس لشيءٍ آخر، وهذا كافٍ في الحكم على المخالفين بالنصب للنكتة المذكورة، وهكذا الحال بالقياس إلى المنتحلين للتشيع فيحكم عليهم

بالنصب بمجرد العلم بكراهيتهم للشيعة الموالين لأهل بيت العصمة والطهارة (صلوات الله عليهم أجمعين) لأنهم يعتقدون بفضائلهم ومناقبهم وأسرارهم ومعالم دينهم وظلاماتهم، لعن الله أعداءهم ومنكري فضائلهم وأسرارهم ومعاجزهم وأحكامهم. . .

(الظاهرة الخامسة): وهي ظاهرة النفاق بجحود فضائل آل محمد وكراماتهم ومقاماتهم والمناصب الغيبية والأسرار الربانية التي حباهم الله تعالى بها، فيجحد المنافق أو المشكّك تلك المناصب والشؤون ويردّ أقوالهم ولا يرى لهم سعةً في الحجية والصلاحية والولاية في الدين وهو يزعم أنه شيعة لهم وأن الله جعلهم أئمة على الخلائق حتى على الأنبياء والمرسلين عليهم السلام؛ ففي حديث الإمامة عن مولانا الإمام الرضا عليه السلام المروي في الكافي: «من ذا الذي يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختياره. . . هيهات! ضلت العقول وتاهت الحلوم. . .».

وكذلك ما ورد في أخبار الفضائل والكرامات نظير ما جاء في خطبة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قال: «معاشر المهاجرين والأنصار ما بال أصحابي إذا ذكر لهم إبراهيم وآل إبراهيم تهللت وجوههم وانتشرت قلوبهم، وإذا ذكر لهم محمد وآل محمد تغيرت وجوههم وضاقت صدورهم، إن الله لم يعط إبراهيم شيئاً وآل إبراهيم إلا أعطى محمداً وآل محمد مثله ونحن في الحقيقة آل إبراهيم. . .»[1].

(الظاهرة السادسة): وهي ظاهرة الازدواجية بين الإيمان والنفاق التي اشتهر ظهورها بالفرقة البترية وهي فرقة تمزج بين الاعتقاد بإمامة أهل البيت عليهم السلام وبين حبّ أعدائهم. . . وهي إحدى أعظم ألوان ونماذج النفاق في الوسط الشيعي على مدى قرون إلى يومنا هذا. . . ونحن نلمس ونتحسس في هذه الفرقة آثارها في عصرنا الحاضر وبدأت تباشيرها تلوح علانية في الأُفق الشيعي، ولها دعاة من طلبة علوم دينية وعلماء فسقة وكفرة متزيين بزيّ التشيع. . . لا يرحمون صغيراً ولا يوقرون كبيراً ما لم يكن على شاكلتهم أو من جنس طينتهم. . .!.

---

(1) مدينة المعاجز ج2 ص278 والبحار ج27 ص171.

ولهذه الظاهرة أنماط متعددة هي الآتية:

(النمط الأول): ما هو معروف في سيرة المنافقين من متشيعة هذا العصر من الجمع بين الجهر بالعداوة لأعداء أهل البيت عليهم السلام وبين إبطان البغض والعداوة في القلب لهم (سلام الله عليهم) أو تقديم غيرهم عليهم، وكذلك إبطان البغضاء والعداوة لشيعتهم ومواليهم.

(النمط الثاني): التشكيك في فضائلهم ومنازلهم أو تفضيل غيرهم عليهم أو تسويتهم مع الآخرين أو نسبة فضائلهم إلى غيرهم أو الطعن في خواصّ أتباعهم وشيعتهم.

(النمط الثالث): الاستخفاف بعلوم ومعارف أهل البيت عليهم السلام واستنقاصهم في العلم، ويظهر هذا الاستخفاف أو الاستنقاص متجلياً في عدم طلب العلوم الهادية إلى السعادة الأُخروية من غيرهم، وهو ما كشفت عنه أخبارهم الشريفة، وقد عقد الصفَّار أعلى الله مقامه الشريف في الجزء الأول من كتابه بصائر الدرجات، باباً خاصاً في هذا الصدد تحت عنوان «أُمر الناسُ بأنْ يطلبوا العلم من معدنه، ومعدنه آل محمد عليهم السلام» منها:

(1) - بإسناده عن السندي بن محمد عن أبان بن عثمان عن عبد الله سليمان قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام وعنده رجل من أهل البصرة يقال له عثمان الأعمى وهو يقول إنَّ الحسن البصري يزعم أن الذين يكتمون العلم يؤذي ريحُ بطونهم أهلَ النار فقال أبو جعفر عليه السلام: فهلك إذاً مؤمن آل فرعون! وما زال العلم مكتوماً منذ بعث الله نوحاً عليه السلام فليذهب الحسن يميناً وشمالاً فوالله ما يوجد العلم الا هيهنا.

(2) - وبإسناده عن أبي جعفر أحمد بن محمد عن الحسن بن سعيد عن النضر بن سويد عن يحيى بن الحلبي عن معلى بن أبي عثمان عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال لي: إن الحكم بن عتيبة ممن قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ

مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[1] فليشرّق الحكم وليغرّب؛ أما واللهِ لا يصيب العلم إلا من أهل بيتٍ نزل عليهم جبرئيل عليه السلام .

(3) – حدثني السندي بن محمد ومحمد بن الحسين عن جعفر بن بشير عن أبان بن عثمان عن أبي بصير قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن شهادة ولد الزنا تجوز؟ قال: لا ، فقلت: إن الحكم بن عتيبة يزعم أنها تجوز؟ فقال: اللهم لا تغفر له ذنبه! ما قال الله للحكم: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾[2] فليذهب الحكم يميناً وشمالاً ، فو اللهِ لا يوجد العلم الا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل .

(4) – حدثنا أحمد بن محمد عن الحسين بن علي عن أبي إسحاق ثعلبة عن أبي مريم قال: قال أبو جعفر عليه السلام لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة: شرّقا وغَرِّبا لن تجدا علماً صحيحاً إلا شيئاً يخرج من عندنا أهل البيت.

وثمة أخبار أُخرى تؤكد بأن كلّ العلوم والمعارف مخزونة عند أهل البيت عليهم السلام ، منها :

ما جاء في الكافي بإسناده عن محمد عن أحمد عن علي بن النعمان رفعه عن الإمام المعظم أبي جعفر عليه السلام قال: «يمصون الثماد ويدعون النهر العظيم قيل له: وما النهر العظيم؟ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والعلم الذي أعطاه الله إن الله تعالى جمع لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم سنن الأولين من آدم وهلُمَّ جرا إلى محمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم ، قيل له: وما تلك السنن؟ قال: علم النبيين بأسره وإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صيَّر ذلك كلَّه عند أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال له رجل: يا بن رسول الله: فأمير المؤمنين عليه السلام أعلم أم بعض النبيين؟ فقال أبو جعفر عليه السلام : اسمعوا ما يقول إن الله يفتح مسامع من يشاء إني حدثته أن الله جمع لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم علم النبيين وأنه جمع ذلك كلَّه عند أمير المؤمنين عليه السلام وهو يسألني أهو أعلم أم بعض النبيين».

قال الكاشاني في الوافي: «الثمد الماء القليل كأنه عليه السلام أراد أن يبين أن

(1) سورة البقرة، الآية: 8.
(2) سورة الزخرف، الآية: 44.

العلم الذي أعطاه الله نبيَّه ﷺ ثم أمير المؤمنين عليه السلام هو اليوم عنده وهو نهر عظيم يجري اليوم من بين أيديهم فيدعونه ويمصون الثماد وهو كناية عن الاجتهادات والأهواء وتقليد الأبالسة والآراء فلما رأى أن السائل كان ممن ينادي من مكان بعيد وممن لم يفتح الله مسامع قلبه أعرض عن التصريح بما أراد ولم يتم كلامه واكتفى بما أفاد صلوات الله وسلامه عليه».

وقال المجلسي في البحار: «الثمد؛ ويحرك ككتاب: الماء القليل لا مادة له، أو ما يبقى في الجلد أو ما يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف، ذكره الفيروز آبادي».

وفي الكافي بإسناده عن عَلِيِّ بْن إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيه عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْمُهْتَدِي عَنْ عَبْدِ الله بْنِ جُنْدَبٍ أَنَّه كَتَبَ إِلَيْه الرِّضَا عليه السلام: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مُحَمَّداً ﷺ كَانَ أَمِينَ الله فِي خَلْقِه، فَلَمَّا قُبِضَ ﷺ كُنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَثَتَه، فَنَحْنُ أُمَنَاءُ الله فِي أَرْضِه عِنْدَنَا عِلْمُ الْبَلَايَا والْمَنَايَا وأَنْسَابُ الْعَرَبِ ومَوْلِدُ الإِسْلَام، وإِنَّا لَنَعْرِفُ الرَّجُلَ إِذَا رَأَيْنَاه بِحَقِيقَةِ الإِيمَانِ وحَقِيقَةِ النِّفَاقِ، وإِنَّ شِيعَتَنَا لَمَكْتُوبُونَ بِأَسْمَائِهِمْ وأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ أَخَذَ الله عَلَيْنَا وعَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ يَرِدُونَ مَوْرِدَنَا ويَدْخُلُونَ مَدْخَلَنَا لَيْسَ عَلَى مِلَّةِ الإِسْلَام غَيْرُنَا وغَيْرُهُمْ، نَحْنُ النُّجَبَاءُ النُّجَاةُ، ونَحْنُ أَفْرَاطُ الأَنْبِيَاءِ، ونَحْنُ أَبْنَاءُ الأَوْصِيَاءِ، ونَحْنُ الْمَخْصُوصُونَ فِي كِتَابِ الله عَزَّ وجَلَّ، ونَحْنُ أَوْلَى النَّاسِ بِكِتَابِ الله، ونَحْنُ أَوْلَى النَّاسِ بِرَسُولِ الله ﷺ ونَحْنُ الَّذِينَ شَرَعَ الله لَنَا دِينَه فَقَالَ فِي كِتَابِه: ﴿شَرَعَ لَكُم﴾ يَا آلَ مُحَمَّدٍ ﴿مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ قَدْ وَصَّانَا بِمَا وَصَّى بِه نُوحاً ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ: ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ فَقَدْ عَلَّمَنَا وبَلَّغَنَا عِلْمَ مَا عَلِمْنَا واسْتَوْدَعَنَا عِلْمَهُمْ نَحْنُ وَرَثَةُ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾ يَا آلَ مُحَمَّدٍ: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ وكُونُوا عَلَى جَمَاعَةٍ: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ مَنْ أَشْرَكَ بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ عليه السلام ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ مِنْ وَلَايَةِ عَلِيٍّ إِنَّ الله يَا مُحَمَّدُ ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ مَنْ يُجِيبُكَ إِلَى وَلَايَةِ عَلِيٍّ عليه السلام».

(1) سورة الشورى، الآية: 13.

والحاصل: أنَّه قد ورد عنهم أنهم (صلوات ربنا عليهم) أصلُ كلِّ خيرٍ، ومن فروعهم كلّ برّ وعمل صالح من الصلاة والصوم والزكاة والحج والصدق والأمانة والتقوى وغير ذلك من العبادات القالبية والقلبية، وأنّ عدوّهم أصلُّ كلِّ شرٍّ ومن فروعهم كلّ شرّ، فمن أخذ بفروع أعدائهم قولاً وفعلاً وعملاً فقد انقطع عنهم وقطع رحمهم ولذا قالوا: «كذب من زعم أنّه من شيعتنا وهو آخذ بفروع غيرنا»؛ فدعوى الفرقة البترية في عصرنا الحاضر بوجود علمٍ عند غير أهل البيت عليهم السلام تكشف عن حالة النفاق التي يعيشها هؤلاء المتسترون بمآزر التشيع لتضعيفه وجرّ معالمه إلى أعداء آل محمد عليهم السلام، وقد كشفت الأخبار الشريفة عنهم بوضوح وأنهم سيظهرون مرةً أُخرى على الساحة الشيعية في عصر الظهور وما قبله بقليلٍ بشكلٍ كبير - وإنْ كنا نعتقد بأنه لم يخلُ منهم زمنٌ -، وهم سيتكاثرون في عصر الظهور وهي آخر خرجة لهم، وأنَّ إمامنا المعظَّم القائم الحجَّة المهدي المنتظر (عجّل اللهُ تعالى فرَجَهُ الشريف) سوف ينتقم منهم في سائر بقاع الأرض بشكلٍ عام وفي العراق على وجه الخصوص باعتبارها عاصمة التشيع التي يصبُّ المخالفون جُلَّ اهتمامهم عليها بتصنيع العمائم الكثيرة الموالية لهم ليفتكوا بالتشيع من داخله باعتباره أنجع وسيلة للقضاء على معالم التشيع العقائدية والفقهية والتاريخية، فيفرخون عمائم يسهِّلون لها الوصول إلى سدة المركز الديني في الحوزات الشيعية لا سيّما الحوزات الكبرى كالنجف وكربلاء وقم. . . ليكون الفتك أشدَّ تأثيراً باعتباره صادراً من مراكز القرار والثقل الشيعي بحسب الفهم السائد عند أغلب الشيعة، لذا ينشط المخالفون بتصدير عقائدهم وأحكامهم إلى أعوانهم من الفرقة البترية التلفيقية الانتقائية في الحوزات الشيعية، وسينشطون أكثر في عصر الظهور الشريف، ولكنهم لن يفلحوا في مشروعهم الماكر بل سيكون سيفُ الإمام المعظَّم الحجة القائم (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء) هو الحكم الفصل كما أشارت أخبارنا الشريفة، فها هو المحدّث الجليل أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري (أعلى الله مقامه الشريف) - المتوفى عام 358 هـ - في كتابه القيّم «دلائل الإمامة» يعرض لنا روايةً معتبرةً تفصّل ما يجري يوم

ظهور إمامنا الحجة القائم عليه السلام فقال - أي: أبو الجارود - سألت أبا جعفر عليه السلام: متى يقوم قائمكم؟ قال عليه السلام: يا أبا الجارود، لا تدركون. فقلت: أهل زمانه؟ فقال: ولن تدرك أهل زمانه، يقوم قائماً بالحق بعد إياسٍ من الشيعة، يدعو الناس ثلاثاً فلا يجيبه أحد، فإذا كان اليوم الرابع تعلق بأستار الكعبة، فقال: يا رب انصرني، ودعوته لا تسقط، فيقول (تبارك وتعالى) للملائكة الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر، ولم يحطوا سروجهم، ولم يضعوا أسلحتهم فيبايعونه ثم يبايعه من الناس ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، يسير إلى المدينة، فيسير الناس حتى يرضى الله (عز وجل)، فيقتل ألفاً وخمسمائة قرشياً ليس فيهم إلا فرخ زنية، ثم يدخل المسجد فينقض الحائط حتى يضعه إلى الأرض، ثم يخرج الأزرق وزريق غضين طريين، يكلمهما فيجيبانه، فيرتاب عند ذلك المبطلون، فيقولون: يكلم الموتى؟! فيقتل منهم خمسمائة مرتاب في جوف المسجد، ثم يحرقهما بالحطب الذي جمعاه ليحرقا به عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وذلك الحطب عندنا نتوارثه، ويهدم قصر المدينة.

ويسير إلى الكوفة، فيخرج منها ستة عشر ألفاً من البترية، شاكين في السلاح، قراء القرآن، فقهاء في الدين، قد قرحوا جباههم، وشمروا ثيابهم، وعمَّهم النفاقُ، وكلُّهم يقولون: يا بن فاطمة، ارجع لا حاجة لنا فيك. فيضع السيف فيهم على ظهر النجف عشية الاثنين من العصر إلى العشاء، فيقتلهم أسرع من جزر جزور، فلا يفوت منهم رجل، ولا يصاب من أصحابه أحد، دماؤهم قربان إلى الله. ثم يدخل الكوفة فيقتل مقاتليها حتى يرضى الله (عز وجل).

قال: فلم أعقل المعنى، فمكثت قليلا، ثم قلت وما يدريه - جعلت فداك - متى يرضى الله (عز وجل)؟.

قال عليه السلام: يا أبا الجارود، إن الله أوحى إلى أم موسى، وهو خيرٌ من أُمِّ موسى، وأوحى الله إلى النحل، وهو خير من النحل. فعقلت المذهب، فقال لي: أعقلت المذهب؟ قلت: نعم.

فقال عليه السلام: إن القائم عليه السلام ليملك ثلاثمائة وتسع سنين، كما لبث أصحاب

الكهف في كهفهم، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلِئَتْ ظلماً وجوراً، ويفتح اللهُ عليه شرقَ الأرض وغربها، يقتلُ الناسَ حتى لا يُرى إلا دينُ محمَّدٍ صلى الله عليه وآله، يسير بسيرة سليمان بن داود عليه السلام، يدعو الشمس والقمر فيجيبانه، وتطوى له الأرض، فيوحي الله إليه، فيعمل بأمر الله»[1].

وهنا لا بأس أن نتطرق إلى ظاهرة البترية ليكونَ المطَّلِعُ على بحثنا هذا على دراية كاملة بهذه الفرقة الخبيثة التي ظهرت بوادرها في عصرنا الحاضر بشكلٍ علنيٍّ فاضحٍ تحت ذرائع متعددة. . !.

ظاهرة البترية الخبيثة المنتشرة في الوسط الشيعيّ!

وهنا لا بدَّ أنْ نبحث في نقاطٍ متعددة هي الآتية:

(النقطة الأولى): الجذور الأساسية للبترية والأسباب المؤدية إليها.

(النقطة الثانية): المعالم الاعتقادية الأساسية للبترية.

(النقطة الثالثة): البترية الحديثة.

النقطة الأولى: الفرقة البترية هي فرقة حشويَّة عقلية انتقائية تعتمد على المنهج العقلي والنقلي معاً في مقابل المنهج الشرعي النقلي المحض المتكئ على أدلة العقل، فالفرقة البترية الانتقائية تعتمد على العمل بالرأي والأقيسة والاستحسانات العاميَّة، وتتظاهر بحمل شعار الولاية لأهل البيت عليهم السلام من دون التبري من أعدائهم.

وبعبارةٍ أُخرى: البترية ظاهرة تلفيقية مزجيَّة مخلّطة، توفق بالجمع بين ولاية أهل البيت عليهم السلام مع ولاية الشيخين بإزالة الفوارق بين الفرق الإسلامية كعقيدة أساسيّة يعتبرونها من صلب عقائدهم أو تمييعها حتى تذوب من أساسها، وهو ما أفصحت عنه الرواية عن زيد الشهيد رضي الله عنه كما ستلاحظون في النقطة الثانية، ومؤسس هذه الظاهرة الخبيثة هو الحكم بن عيينة، وقيل والقائل هو الطريحي في

(1) انتهى، راجع دلائل الطبري ص238-239.

مجمع البحرين: «إنَّهم سموا بالبترية نسبةً إلى المغيرة ابن سعد، وقيل: إنهم سموا بذلك نسبةً إلى العاصي بن وائل الذي نعت النبيَّ الأعظم ﷺ بأنه أبتر لا عقب له؛ وقيل: إن قريش هي أول من لقبت النبيَّ الأعظم ﷺ بالأبتر، والأبتر أيضاً بمعنى الخاسر والمعْدَم، والأبتر هو الذي لا عروة له من المَزادِ والدّلاء، والأبتر: القصير كأنه بُتِرَ عن التمام، والأبتر: الناقص، ومنه جاء في الخبر المشهور عن نبينا الأعظم ﷺ قال: «لا تصلوا عليَّ الصلاة البتراء! فقالوا وما الصلاة البتراء؟ قال تقولون: «اللهم صلِّ على محمدٍ» وتمسكون بل قولوا اللهم صلِّ على محمدٍ وآل محمد»[1].

فالصلاة البتراء هي الناقصة التي لا ذكر لآلِ محمد فيها.

وفرقة البترية هي كما وصفها الشيخ الطوسي (رحمه الله) في كتابه المعروف برجال الكشي رقم 422 فقال: «هم أصحاب كثير النوا والحسن بن صالح بن حي وسالم بن أبي حفصة والحكم بن عيينة وسلمة بن كهيل وأبو المقدام ثابت الحداد، وهم الذين دعوا إلى ولاية [أمير المؤمنين] عليّ عليه السلام ثم خلطوها بولاية أبي بكر وعمر ويثبتون لهما إمامتهما وينتقصون عثمان وطلحة والزبير ويرون الخروج مع بطون ولد [الإمام] علي بن أبي طالب عليه السلام، يذهبون في ذلك إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويثبتون لكلِّ من خرج من ولد علي عليه السلام عند خروجه الإمامةَ».

وأضاف العلامة الطريحي في مجمع البحرين على التعريف المذكور بالآتي فقال: «إن البترية قوم دعوا إلى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فخلطوها بولاية أبي بكر وعمر ويثبتون لهم الإمامة ويبغضون عثمان وطلحة والزبير وعائشة، ويرون الخروج مع ولد عليّ عليه السلام». ويظهر أن لصوص المعبد حذفوا عائشة من نسخة الطوسي (رحمه الله تعالى).

وهذا المعنى الذي أشار إليه الشيخ الطوسي (رحمه الله) في تعريفه للفرقة

(1) رواه ابن حجر في صواعقه أحرقه الله بها، وهو من أنصب النصاب المعاندين.

البترية مقتبسٌ من الأخبار التي كشفت عن منهجهم الأبتر التلفيقي، وسوف نشير إليها في المعالم الأساسية للبترية، كما سوف نبيّن الحالة المطاطيَّة التي يتصف بها البتريون والسمات الجهنمية عند الأفراد البتريين كعبوسهم الدائم ونفورهم المستمر من كلِّ موالٍ يتحدث بالبراءة من أعداء آل محمد (سلام الله عليهم)، والكيد له والتشهير به والإنتقاص منه. . . فهم كالحرباء تتلون بكلِّ لونٍ، وهؤلاء مثلها يتمظهرون بالولاء تارةً وبالبراءة تارةً أخرى، ولكنهم مجمعون على أن ذلك التمظهر تفرضه الضرورات الآنية والمصالح الشخصية الظرفية على قاعدة «الغاية تبرر الوسيلة».

وبهذا يتضح مدى ما لهذه الظاهرة من النفاق المتعدد الذي من أبرز مظاهره هو ظاهرة البترية الوحدوية والحشوية القشرية، فالأولى متنصلة من البراءة من أعداء آل محمد (سلام الله عليهم)، وتتبرع بمفاهيم متبدعة لتدعيم الوحدة في مقابل المفاهيم الجعفرية الشرعية، فتتظاهر بالتشيع إلا أنَّ واقعَها مستوحى من مدرسة السقيفة، والثانية تدَّعي البراءةَ من أعداء آلِ محمد إلا أنها تصب أيضاً في خانة السقيفة باعتبارها المنهج الذي تسير عليه هذه الفرقة من نبذ الأسرار الإلهية والمقامات العلوية المتجلية في آل محمد عليهم السلام .

وكلتا الفرقتين تنبذان المقامَ الشامخ لآل محمد عليهم السلام إلَّا أن الثانية تفترق عن الأولى بأنها لا تعتقد بولاية الشيخين ظاهراً لا واقعاً؛ في حين أن الأولى تعتقد بولايتهما واقعاً وظاهراً وتسعى لإيجاد دينٍ جديد لا يكون لآل محمد (صلوات الله عليهم) فيه نصيبٌ، وما بين نبذ الولاية ووجوبها ثمة فرقٌ واحدٌ يجمعهما هو رفض المقام الشامخ لآل محمد عليهم السلام .

والخلاصة: إنَّ المنهج البتري الشيعي قد اعتمد على جملة من الذرائع تجمع بين مدرسة أهل البيت عليهم السلام وبين مدرسة أبي بكر وعمر وترتكز على الحيلولة دون التبري والبراءة من المدارس المناوئة لأهل البيت عليهم السلام تحت ذريعة التقارب مع مجموعة من المبتنيات العقائدية والفقهية للفرق البكرية، وهو ما أشارت إليه بعضُ الأخبار كخبر سعد بن جناح الكشي: قال: حدثني علي بن

محمد بن يزيد القمي، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن الحسين بن عثمان الراوسي، عن سدير قال: دخلت على [الإمام] الباقر عليه السلام ومعي سلمة بن كهيل وأبو المقدام ثابت الحداد وسالم بن أبي حفصة وكثير النوا وجماعة معهم، وعند الباقر عليه السلام أخوه زيد بن عليّ عليه السلام، فقالوا لأبي جعفر عليه السلام: نتولى عليّاً وحسناً وحسيناً ونتبرأ من أعدائهم؟ قال: نعم، قالوا: نتولى أبا بكر وعمر ونتبرأ من أعدائهم؟ قال: فالتفت إليهم زيد بن علي عليه السلام قال لهم: أتتبرؤون من فاطمة؟ بترتم أمرنا، بتركم الله، فيومئذ سموا البترية».

هذا الخبر الشريف يوضِّحُ لنا حقيقة المنهج البتري التوفيقي التلفيقي، وهو بتر منهاج أهل البيت عليهم السلام من الأساس، والبتر هو عنوانٌ أطلقه زيد الشهيد (صلوات الله عليه) في محضر إمامنا المعظَّم محمَّد الباقر عليه السلام، ولا ريب في أنَّ زيداً رضي الله عنه قد استقاه من أخيه الإمام الباقر عليه السلام لا سيّما وأن حديث رؤساء البترية وسؤالهم كان موجهاً للإمام الباقر عليه السلام، فمبادرة زيد بالجواب في محضر أخيه الإمام الباقر عليه السلام مع رغبة القوم في أن يجيبهم الإمام عليه السلام لكنه أفسح في المجال لأخيه زيد في أن يقوم بالجواب عنه، دلالة واضحة في تقرير الإمام عليه السلام لجواب أخيه زيد، فصار جوابه رضي الله عنه بمثابة عنوانٍ وشعار لهذا المنهج وتسمية شرعية له وهو البترية، ويفسَّرُ هذا اللفظ بثلاثة معانٍ كلّها مصاديق لمفهوم البتر:

(المعنى الأول): القطع الكلي أو الاستئصال التام كما عرَّفه علماء اللغة، قال ابن منظور والطريحي: البتر هو استئصال الشيء بالقطع، والانبتار هو الإنقطاع، وفي حديث الضحايا: أنَّه نهى عن المبتورة، وهي الأضحية التي قُطع ذنبها. قال ابن سيده: قيل إن كلَّ قطعٍ بترٌ، والأبتر هو المقطوع الذنب من أيِّ موضعٍ كان من جميع الدواب، وخطبة بتراءُ: إذا لم يُذكر الله تعالى فيها.

من هنا يتضح: بأنَّ البتر تارة يكون كليَّاً وأُخرى يكون جزئياً بحسب موضع الإصابة أو الاعتداء على الضحية، وقد استُعْمِلَ البترُ بمعناه اللغوي في البتر

المعنوي، فكما يحصل البتر في الماديات، فإنه يستعمل في المعنويات بنصب قرينة تصرفه إلى الأمور المعنوية كما دلت عليه الآيات والأخبار.

والحاصل: إن البتر هو القطع التام أو الاستئصال من الجذور، أي قطع الصلة بأهل البيت عليهم السلام بعدم الأخذ منهم والارتواء من معين بئرهم، فالبتري هو الساعي إلى تقويض منهاجهم العقائدي والفقهي والأخلاقي من جذوره، من هنا جاء تعبير الشهيد المجاهد السيّد وليّ الله زيد رضي الله عنه بقوله الشريف: «بترتم أمرنا» أي: منهاجنا الفكري والشرعي؛ لأنَّ البترية تعتمد على عدم لزوم النصّ الإلهي على الأئمة الطيبين الطاهرين عليهم السلام، كما تعتمد على الجمع أو التلفيق بين المنهاج العقائدي والفقهي لأهل البيت عليهم السلام وبين المباني والقواعد الفكرية والفقهية للمدرسة البكرية العمرية، ويقوم الجمع أو التلفيق بإذابة الفوارق بين المنهاجين ليتسنى لهم الانصهار التام بين العقيدتين أو المدرستين فيصبحان مدرسةً واحدة تنادي بشعار السقيفة وهو بحسب مقالة عمر: «حسبنا كتاب الله»؛ وعلى قاعدة الأنصار يوم السقيفة حينما رفعوا شعار: «منَّا أميرٌ ومنكم أميرٌ» وعلى قاعدة: «نَحْنُ الْأُمَرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ» بمعنى التناوب على الحاكمية والسلطة، وهو أمرٌ خطير جداً على القواعد الفكرية والشرعية لمنهاج أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، ويُفْقِدُ قواعدهم وأُصولهم التشريعيَّة حقيقَتَها الإلهية وواقعيتها المتميزة عن منهاج بقية الفرق والملل.

(المعنى الثاني): البتر الجزئي التلفيقي الانتقائي بمعنى انقطاعهم عن إمامة وولاية أهل بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم) وعمّا يمت إلى منهاجهم وهديهم (صلوات الله عليهم) تحت ذرائع سياسية حرصاً على وحدة الأُمة بحسب زعمهم فيعمدون إلى المزج والتلفيق بين منهاج أهل البيت عليهم السلام وبين مدرسة السقيفة بتلفيق أحاديث مكذوبة على أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام وبانتقاء أحاديث ملفقة على أئمة الهدى عليهم السلام مبثوثة في مصادرنا تلتقي مع مدرسة السقيفة.

وبعبارةٍ أُخرى: إن المعنى الثاني للبترية هو انتقاء أحاديث من مصادرنا

تصب في خانة مدرسة السقيفة، من دون استخدام الآليات العلمية المتفق عليها في الوسط العلمي الشيعي، فيعمد البتري إلى إلغاء دور تلكم الآليات العلمية تحت ذرائع البحث العلمي والحداثة الفقهية والفكرية والانفتاح على الحضارات الأُخرى وعدم التقوقع في خبايا الطائفية... إلى آخر الصرعات والهرطقات الخطيرة على معالم التشيع، والتي تكمن خطورتُها في نوعية المتحدِّث بها، فكلما كان المتحدث قريباً من مفاهيم التشيع ويحسن التلاعب بالألفاظ والضرب على الوَتَر الحسَّاس - وهو هنا التمسك بالوحدة - كلما كان أقدر على التحريض على العلماء والفقهاء الموالين لأهل البيت عليهم السلام من دون مسوّغٍ معتبر، وكان أقدر على إصابة نقطة الضعف التي تربى عليها الوسط الشيعي بفعل عوامل سياسية غذتها جهات لها خلفياتٌ أشعرية...!.

وكلا المعنيين لمفهوم البترية - أو كلا الصنفين من البترية -، يشكلان خطورةً كبرى على منهج أهل البيت (سلام الله عليهم)؛ باعتبارهما يمثلان خطَّ الانحراف عن مدرسة أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، وليس كما تصور بعضُ الباحثين «بأن الخطورة تكمن في المعنى الأول للبترية باعتبارها منهجاً تقويضياً لمفاهيم أهل البيت عليهم السلام». فالصحيح هو ما أشرنا إليه آنفاً مِن أن كلا الفرقتين خطيرتان على التشيع، فكما أن البترية الاستئصالية خطيرة على المنهج العلوي الفاطمي (على صاحبيهما آلاف السلام والتحية)، كذلك البترية بالمعنى الثاني التلفيقي والالتقاطي الانتقائي فإنه لا يقل خطورةً عن المعنى الأول للبترية الاستئصالية، لكنَّ الفارق بينهما يكمن في السرعة والبطء، فالأول استئصالي سريع ودفعة واحدة، والثاني استئصاليٌّ بطيءٌ يتدرج في تسريب معارفه المنحرفة إلى القواعد الشيعية... فالأول يقضي على منهاج أهل البيت عليهم السلام من دون مواربة بالشعارات، فأصحابه ظاهرون علناً بحقائقهم وشعاراتهم، بخلاف الثاني فإنه يستعمل التقية السرية في إخفاء حقيقته البترية فيُمَوِّه على القواعد الشيعية حقيقةَ الأمر فيتظاهر بالنسك والعبادة والحرص على مفاهيم الولاية، ويفتك بها تحت شعار التشيع والولاء لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، فيستعمل

التشكيك بالمعارف الإلهية والأحكام الشرعية الصادرة من مشكاة النبوة والولاية بواسطة قوالب معمَّمة - يبثها هنا وهناك - مدعومة بمرجعيات معلَّبة رفعتها جهات سياسيَّة. . . فكلا المنهجين يقوضان منهاجَ أهلِ البيت عليهم السلام ويمحوان هويةَ التشيع ويقتلعانه من جذوره الصلبة، وبالتالي يؤول الأمر إلى انقطاع ذلك المنهاج واضمحلاله.

وبعبارةٍ أُخرى: لا فرق في الاستئصال بين أن يكون بإبطال النصِّ على الإمامة وضرورتها العقلية والشرعية وبين أن يكون بإبطال مفاهيم الإمامة والولاية أو المزج بينها وبين الإمامة البشرية السياسية؛ بجعل الإمامة الإلهية عين الإمامة البشرية السياسية كما يروّج لهذا المصطلح ثلةٌ من أعمدة البترية الحديثة على الساحة الشيعية لأجل تذويب المفهوم الحقيقي للإمامة والولاية الإلهية، من هنا نلاحظ في كلماتهم حول مفهوم الولاية السياسية أنها امتداد للولاية الإلهية، بل في تعبير بعضهم، إنَّ كلا الولايتين من وادٍ واحد لا يفترقان إلا لفظاً؛ ذلك لأن الولاية السياسية هي جزءٌ لا يتجزأ عن الولاية الإلهية، وما ثبت للوليّ المعصوم عليه السلام هو بعينه ثابت للوالي السياسي الذي يحكم باسم الولاية الإلهية، وكلّ من خالفه يعتبرونه في خانة المرتدين والمارقين عن شريعة ربّ العالمين. . !.

إنَّ من لوازم الاعتقاد والتسليم بضرورة الإمامة الإلهية والنصّ الإلهي هو إبطال وتخطئة كلّ دعوى بالإمامة البشرية بل يجب التبري منها، ذلك لأن التسليم للإمامة البشرية يعني التسليم بإدخال النقص على التشريع الإلهي وهو خُلْف تنصيب أمير المؤمنين مولانا وسيدنا الإمام الأعظم عليّ بن أبي طالب عليه السلام يوم الغدير ومن بعده الأئمة الطاهرين عليهم السلام . . !.

ودعوى أنَّ الإمامة البشرية قادرة على الإصلاح والهداية دونها خرط القتاد، لكونها تتضمن الاستغناء عن الحبل الممدود من السماء، وعن وصاية السماء على الأرض. . وبالتالي هي معاكسة للتفاصيل الدقيقة في التشريع الجعفري بكلا شقيه العقَدي والفقهي، والتبرّي من هذه الدعاوى ورموزها المتمثلة في منهج

السقيفة وشعاراته ومتبنياته يستلزم المعرفة والإقرار والتسليم بالحاجة إلى هداية السماء طوال المسير البشري.

(المعنى الثالث): البتر بمعنى مقاطعة ولاية سيِّدة نساء العالمين مولاتنا الحوراء فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) والظلامات الخاصة بها حسبما أشارت إلى ذلك عدة نصوص أشرنا إليها سابقاً، منها رواية دلائل الإمامة للطبري ورواية زيد الشهيد رضي الله عنه اللتين أفادتا براءة أتباع هذه الفرقة من سيدتنا المعظَّمة الزهراء البتول عليها السلام، فأصحاب هذا التيار البتري يعتمدون المسحة العلميَّة ويتذرعون بالمبررات الفقهية لمنهجهم العدائي لمولاتنا الزهراء عليها السلام بقرينة قول زيد رضي الله عنه: «**أتتبرؤون من فاطمة** عليها السلام..» وبقرينة ندائهم لإمامنا القائم (عجَّل الله تعالى فرجه الشريف) عند ظهوره المبارك: «**يا بن فاطمة ارجع لا حاجة لنا فيك**» وكما في رواية الإرشاد للشيخ المفيد ج2 ص384: «**أرجع من حيث جئت فلا حاجة لنا في بني فاطمة..**».

وهذه إشارة واضحة إلى نهجهم القائم على إنكار نهج سيدتنا المعظَّمة الصدّيقة الكبرى فاطمة عليها السلام المرتكز على مواجهة ظلم أعمدة السقيفة، عدا عن كشفه عن المسار الذي اختطه هؤلاء الخبثاء في إنكارهم للولاية الإلهية، فكأنَّ القاعدة عندهم هي رفض التبرّي من أعداء مولاتنا فاطمة عليها السلام وفي الوقت نفسه التبرّي من مولاتنا فاطمة (سلام الله عليها) باعتبارها المعول الصلب الذي هدم عروشهم وحطم أصنامهم..!.

وهذا الخط المعادي لنهج سيدتنا الصدّيقة الكبرى عليها السلام لازال حيّاً؛ بل استحكمت أركانه خلال القرن الميلادي المنصرم إلى يومنا هذا بفعل العوامل المادية التي ساهمت في تقويته دول وأحزاب ذات طابع بكري جُلّ همِّها نسف مفاهيم البراءة من أعداء آل محمد عليهم السلام ومحاربة كلّ من يقف بوجه مخططاتها تحت ذرائع الوحدة الإسلامية ورصّ الصف الإسلامي بالسكوت عن ظلامات سيِّدة النساء وما جرى عليها وبعلها أمير المؤمنين عليه السلام من ظلامات ارتكبها بحقهم منهج السقيفة..!.

وتتنوع محاربتهم للموالين المجاهدين المنافحين عن مفاهيم الولاية الإلهية عبر التشهير بهم والانتقاص من شأنهم وسلب صفة العلم عن علمائهم ونعتهم بالتعصب الطائفي والهمجية الفكرية، وليس عجباً أن نرى هؤلاء بهذه الحالة العدائية لمنهج سيدتنا المعظمة فاطمة الزهراء (أرواحنا فداها)، إذ إنَّ هذا الفرع من ذاك الأصل ينتجه، فقد أسس لهم كثيرُ النواء هذا المنهج العدائي لكلِّ مَنْ حمل لواء العداوة من أعداء آل محمد عليهم السلام ، فهم يتولون ظاهراً أميرَ المؤمنين وأولادَه المطهرين عليهم السلام ولكنّهم لا يتبرؤون من أعدائهم بل يحاربون المعادين لأعداء آل محمد عليهم السلام ، وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أيَّ منقلبٍ ينقلبون والعاقبة للمتقين.

النقطة الثانية: المعالم الأساسية للبترية الخبيثة...!.

ذكرنا سابقاً بشكلٍ مختصر ظاهرة النفاق في الإسلام والإيمان التي قادها ثلةٌ من الصحابة وبعض نساء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ، وهي ظاهرة لم تنطفئ جذوتها بل لا زالت مستعرة وتتمظهر بوجوهٍ وأشكالٍ مختلفة في الوسط الإسلامي بشكلٍ عام، ولا تقتصر هذه الظاهرة على المخالفين لولاية الإمام الأعظم والناموس الأكبر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأهل بيته الطاهرين (سلام الله عليهم) فحسب؛ بل تعم حتى المتلبسين بلباس التشيع والولاية لهم عليهم السلام ممّن سموا بالبترية وأول من سماهم بهذا الاسم - كما أشرنا سابقاً - هو الشهيد زيد رضي الله عنه بمحضرٍ من إمامنا الباقر عليه السلام ، وهي فرقة شيعية ذات مفاهيم ومسالك لا علاقة لها بأهل البيت (سلام الله عليهم)، وهي فرقة تمثل النفاق الإيماني من حيث تظاهرها بالسير على منهاج آل البيت عليهم السلام والتولّي لهم من دون التبري من أعدائهم، وهي ظاهرة تلفيقية مزجية تخلط بين التولي وعدم التبري من أعداء أهل بيت العصمة لا سيَّما أعداء مولاتنا الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء (سلام الله عليها)؛ بل يرومون إلى الجمع بين ولاية أهل البيت عليهم السلام مع ولاية الشيخين (لعنهما الله) ويرون الخروج مع كلِّ علوي يدَّعي لنفسه الإمامةَ عند خروجه للحكم والسلطة، ويبدو أن فرقة البترية الخالصة بعداوتها للصدّيقة الكبرى مولاتنا

فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) هي أول فرقة تعلن العداوة لها (سلام الله عليها) والولاية لأعدائها ثم انبثقت منها فرقة المغيرية والخطابية وأمثالهم لا سيَّما أن تينك الفرقتين المذكورتين نشأتا في عهد الإمام المعظَّم جعفر الصادق عليه السلام وتظاهر أتباعهم بالمعارف الشيعية وأبطنوا الكفر في عقائدها الحقة... إلى أن كبر حجمهما وتفرعت منهما فرق متعددة بأفكارٍ مختلفة وبدع مستحدثة!.

وجميع هذه الفرق تصب في بوتقةٍ واحدةٍ، وهي ذات توجهٍ فكري خاص، هو العداوة لأهل بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم)، وتجمعها روابط متحدة من حيث المبادئ والأُسس... وظاهرة البترية بعامة فرقها ومذاهبها القديمة اشتهرت بالغلو بقادتها ومؤسِسيها القدامى كالمغيرة بن سعيد وأبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع وهما المؤسسان لفرقة المغيريَّة والخطابيَّة، وقد غالى أتباعهما بهما، فنسبوا إلى أنفسهما الخوارق وأظهروا الإباحات ودعوا الناس إلى الإيمان بهما كنبيين مرسلين من عند الله تعالى، فهما فرقتان تغاليان بزعمائهما وتثبتان لهما الصواب والحكمة في كلِّ شيء وتنفيان عنهما الجهل والرذيلة والخطأ، وقد تفرّعت منهما فرقٌ متعددة ذات توجهٍ واحدٍ ولكنها متفاوتة باعتقادها بأهل البيت عليهم السلام والعداوة لأعدائهم، ومن هذه الفرقة البترية انبثقت الفرقة البترية الحديثة التي هي في الواقع امتداد للبترية القديمة التي تغالي بخصال مبتدعة لزعمائها وقادتها السياسيين والدينيين وتلبيس أفعالهم بلباس التشيع والولاء لأهل البيت (سلام الله عليهم) ومعاداة كلّ موالٍ يتجاهر بالعداوة لأعداء آل محمد عليهم السلام تحت عناوين متعددة منها المصلحة الإسلامية التي تقتضي السكوت عن ظلامات أهل البيت عليهم السلام وغضّ الطرف عن مساوئ أعدائهم والتنازل عن الكثير من المعتقدات الضرورية بذريعة الوفاق الإسلامي والوحدة الإسلامية، بل يغالي بعضهم اليوم بوجوب السكوت عمّا ما يجري على الشيعة من القتل والذبح واغتصاب النساء وعرضهن في الأسواق سبايا للنكاح على أيادي عصابات سنيّة إجرامية أمثال داعش والنصرة وتنظيم القاعدة وغيرهم من المجرمين من أتباع مدرسة السقيفة...!.

ولعلَّ من أبرز معالم البترية القديمة هو عملها بالقياس في أمور الدين والاجتهاد بالرأي، زاعمين وجود نصوص عن أهل البيت عليهم السلام تدعم العمل بالقياس والاجتهاد بالرأي، وقد نسب ابن أبي الحديد فكرة القياس في الدين إلى أمير المؤمنين عليه السلام تعقيباً على شرحه لكلام مولانا أمير المؤمنين عليّ (سلام الله عليه) يذم فيه اختلاف العلماء في الفُتيا فقال عليه السلام : «ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله. . . » ثم قال ابن أبي الحديد: «واعلم أن هذه الوجوه هي التي يتعلق بها الإمامية ونفاة القياس والاجتهاد في الشرعيات، وقد تكلم عليها أصحابنا في كتبهم وقالوا: إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يجتهد ويقيس، وادعوا إجماع الصحابة على صحة الاجتهاد والقياس، ودفعوا صحة هذا الكلام المنسوب في هذا الكتاب إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقالوا: إنه من رواية الإمامية، وهو معارض بما ترويه الزيدية عنه وعن أبنائه عليهم السلام في صحة القياس والاجتهاد، ومخالطة الزيدية لأئمة أهل البيت عليهم السلام كمخالطة الإمامية لهم، ومعرفتهم بأقوالهم وأحوالهم ومذاهبهم كمعرفة الإمامية، لا فرق بين الفئتين في ذلك، والزيدية قاطبة جاروديتها وصالحيتها تقول بالقياس والاجتهاد، وينقلون في ذلك نصوصاً عن أهل البيت عليهم السلام ».

وذكر ابن أبي الحديد كلاماً عن قاضي القضاة ينسب فيه إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام عمله بالرأي، وها هي عبارته كما جاء في شرح النهج لابن أبي الحديد في الطعن السادس على أبي بكر قال: «إن أبا بكر لم يكن يعرف الفقه وأحكام الشريعة، فقد قال في الكلالة: أقول فيها برأيي، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأً فمني، ولم يعرف ميراث الجد، ومن حاله هذه لا يصلح للإمامة.

أجاب قاضي القضاة بأن الامام لا يجب أن يعلم جميع الأحكام، وأن القدر الذي يحتاج إليه هو القدر الذي يحتاج إليه الحاكم، وأن القول بالرأي هو الواجب فيما لا نص فيه، **وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام بالرأي في مسائل كثيرة**».

وقد اعترض السيِّد المرتضى (رحمه الله) على قاضي القضاة بقوله: «قد دللنا على أن الامام لا بدَّ أنْ يكون عالماً بجميع الشرعيات، وفرقنا بينه وبين الحاكم، ودللنا على فساد الرأي والاجتهاد، وأما أمير المؤمنين عليه السلام فلم يقل قط بالرأي، وما يروى من خبر بيع أمهات الأولاد غير صحيح، ولو صح لجاز أن يكون أراد بالرأي الرجوع إلى النصوص والأدلة، ولا شبهة عندنا أن قوله كان واحداً في الحالين، وإن ظهر في أحدهما خلاف مذهبه للتقية».

ونقل المحدِّث الحرُّ العاملي في الفوائد الطوسية الفائدة 76 عن ابن أبي الحديد قوله: «إن الشيعة نقلوا عن علي عليه السلام النهي عن الاجتهاد والرأي والظن وإن الزيدية رووا عنه الرخصة في ذلك..».

وبالجملة: إن عدم جواز الاجتهاد في نفس الأحكام الشرعية وعدم جواز العمل بالاستنباطات الظنية كان معلوماً من مذهب المتقدمين من الإمامية إلى زمان العلَّامة، بل كان معلوماً عند العامة أنّه من اعتقادات الشيعة وقد نقلوه عن أئمتهم عليهم السلام لتواتر النص بذلك عنهم وقد صنف علماء الإمامية في ذلك كتباً كثيرة.

وروى المحدِّث الحر العاملي (رحمه الله) نصوصاً كثيرة في رد الاجتهاد بالرأي والقياس منها ما رواه عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في الردّ على من قال بالاجتهاد إنَّه عليه السلام قال: «إنّهم يزعمون أنّ كلّ مجتهد مصيب مع أنّهم ينتقلون من اجتهاد إلى اجتهاد، واحتجاجهم أنّ الحكم به قاطع قول باطل منقطع منتقض، فأيّ دليل أدلّ من هذا على ضعف اعتقاد من قال بالاجتهاد والرأي، وزعموا أنّه محال أن يجتهدوا فيذهب الحقّ من جملتهم، وقولهم بذلك فاسد، وأعجب من هذا أنّهم يقولون مع قولهم بالرأي والاجتهاد: إنّ الله لم يكلّفهم إلَّا بما يطيقونه وغلطوا في هذا التأويل، قالوا: ومن قول الرسول صلَّى الله عليه وآله ما قاله لمعاذ بن جبل: وادّعوا أنّه أجاز ذلك، والصحيح أنّ الله لم يكلّفهم اجتهاداً، لأنّه قد نصب لهم أدلَّة وأقام لهم أعلاماً وأرسل إليهم الرسل بتفصيل

الحلال والحرام، ولم يتركهم سدى، مهما عجزوا عنه ردّوه إلى النبيّ والأئمّة عليهم السلام كيف وهو يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[1]».

ثمَّ علّق المحدِّث العاملي على الخبر المتقدم فقال: «والحديث طويل فيه مبالغة في ردّ الاجتهاد والرأي».

وروى المحدّث الكليني (رحمه الله) تعالى أخباراً متواترة في ذم القياس والعمل بالرأي في كتابه الجليل أصول الكافي باب البدع والرأي والمقاييس منها:

(1) - ما رواه بإسناده عن الحسين بن محمد الأشعري، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي الوشاء، وعدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال جميعا، عن عاصم بن حميد، عن محمد ابن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس فقال: أيها الناس إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، يتولى فيها رجالٌ رجالاً، فلو أن الباطل خلص لم يخف على ذي حجى، ولو أن الحق خلص لم يكن اختلاف، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معا فهنالك استحوذ الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى.

(2) - بإسناده عن الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي الوشاء عن أبان بن عثمان، عن أبي شيبة الخراساني قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن أصحاب المقاييس طلبوا العلم بالمقاييس، فلم تزدهم المقاييس من الحق إلا بعداً؛ وإن دين الله لا يصاب بالمقاييس.

(3) - وعن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن محمد بن حكيم قال: قلت لأبي الحسن موسى عليه السلام: جعلت فداك فقهنا في الدين وأغنانا الله بكم عن الناس حتى أن الجماعة منا لتكون في المجلس ما يسأل رجل صاحبه

(1) سورة المائدة، الآية: 3.

تحضره المسألة ويحضره جوابها فيما مَنَّ الله علينا بكم فربما ورد علينا الشيء لم يأتنا فيه عنك ولا عن آبائك شيءٌ فنظرنا إلى أحسن ما يحضرنا وأوفق الأشياء لما جاءنا عنكم فنأخذ به؟، فقال عليه السلام: هيهات هيهات، في ذلك والله هلك من هلك يا ابن حكيم، قال: ثم قال: لعن الله أبا حنيفة كان يقول: قال عليٌّ [عليه السلام]، وقلت: قال محمد بن حكيم لهشام بن الحكم: والله ما أردت إلا أن يرخص لي في القياس.

(4) - بإسناده أيضاً عن محمد بن أبي عبد الله رفعه، عن يونس بن عبد الرحمن، قال: قلت لأبي الحسن الأول عليه السلام: بما أوحد الله؟ فقال: يا يونس لا تكونن مبتدعاً، من نظر برأيه هلك، ومن ترك أهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ضلَّ، ومن ترك كتاب الله وقول نبيه كفر.

(5) - عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الوشاء، عن مثنى الحناط، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ترد علينا أشياء ليس نعرفها في كتاب الله ولا سنة فننظر فيها؟ فقال: لا، أما إنك إن أصبت لم تؤجر، وإن أخطأت كذبت على الله عز وجل.

(6) - محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، عن عبد الرحمن بن الحجاج، عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن السنة لا تقاس ألا ترى أن امرأة تقضي صومها ولا تقضي صلاتها يا أبان! إن السنة إذا قيست محق الدين.

(7) - عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن عثمان بن عيسى قال: سألت أبا الحسن موسى عليه السلام عن القياس، فقال: مالكم والقياس إن الله لا يُسأل كيف أحلَّ وكيف حرَّم.

(8) - علي بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة قال: حدثني جعفر عليه السلام، عن أبيه عليهما السلام أن عليّاً (صلوات الله عليه) قال: من نصب نفسه للقياس لم يزل دهره في التباس، ومن دان الله بالرأي لم يزل دهره في

ارتماس، قال: وقال أبو جعفر عليه السلام : من أفتى الناس برأيه فقد دان الله بما لا يعلم، ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضاد الله حيث أحلَّ وحرَّم فيما لا يعلم.

(9) - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن علي بن يقطين، عن الحسين بن مياح، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن إبليس قاس نفسه بآدم فقال: خلقتني من نار وخلقته من طين، ولو قاس الجوهر الذي خلق الله منه آدم بالنار، كان ذلك أكثر نوراً وضياء من النار.

(10) - علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس، عن حريز عن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحلال والحرام فقال: حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيامة، وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة، لا يكون غيره ولا يجئ غيره، وقال: قال [أمير المؤمنين] علي عليه السلام : ما أحد ابتدع بدعة إلا ترك بها سنة.

(11) - علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن عبد الله العقيلي، عن عيسى بن عبد الله القرشي قال: دخل أبو حنيفة على أبي عبد الله عليه السلام فقال له: يا أبا حنيفة! بلغني أنك تقيس؟ قال: نعم، قال: لا تقس فإن أول من قاس إبليس حين قال: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، فقاس ما بين النار والطين، ولو قاس نورية آدم بنورية النار عرف فضل ما بين النورين، وصفاء أحدهما على الآخر.

وروى المحدِّث الشيخ محمد بن الحسن الحرُ العاملي[1] (رحمه الله) عدة أحاديث تذم الرأي والقياس منها:

ما رواه عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قال: دع الرأي والقياس وما قال قوم في دين الله ليس له برهان، فإنّ دين الله لم يوضع بالآراء والمقاييس.

---

(1) راجع: هداية الأمة ج 8 ص 367 - 369؛ وكذلك وسائل الشيعة ج 18 ص 20 باب 6 من كتاب القضاء، وقد روى في الباب المذكور اثنين وخمسين حديثاً يذم العمل بالقياس والرأي.

وعن رجلٍ قال للإمام الصادق عليه السلام: إنّا نقضي بالكتاب والسنّة ثمّ ترد علينا المسألة فنجتهد فيها بالرأي، فقال عليه السلام: إنّ عليّاً عليه السلام أبى أن يدخل في دين الله الرأي وأن يقول في شيء من دين الله بالرأي والمقاييس.

بعد كلِّ هذا السرد الأخباري في ذم القياس والعمل بالرأي؛ هل يبقى مجالٌ لمن تجنى على أمير المؤمنين وأهل بيته الطاهرين (سلام الله عليهم) بأنهم كانوا يعملون بالقياس (والعياذ بالله تعالى)؟!

إنَّ ما رواه قادة البترية الزيدية من أخبار ملفقة على أمير المؤمنين وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام تتعلق بالقياس والرأي هو من جملة شعاراتهم ودعاويهم المزيفة بأنهم شيعة لأمير المؤمنين عليه السلام ولكنهم ليسوا كذلك بعد وضوح ولائهم لمنهاج أبي بكر وعمر وأصحابهما في السقيفة التي هي على طرفي نقيض مع الإمامة الإلهية، وهم بهذه الشعارات المزيفة يخادعون المحبين لأهل البيت عليهم السلام ويغرّونهم بها لكي ينضووا تحت لوائهم وبالتالي يحرفونهم عن المسار الذي اختطه لهم أهل البيت (سلام الله عليهم)... وحتى لا ينخدع بهم الموالون فإن لهم معالم تميزهم عن غيرهم سنتعرض لها تباعاً.

معالم البتريّة:

إنَّ البترية ذات معالم ومواصفات لا تخفى على العالم الباحث في أحوال الفرق والمذاهب، وها نحن نلخص لكم أبرز معالم البترية والملامح العامة التي تتصف بها هذه الفرقة الضالة المضلة التي انتشرت بشكلٍ مريع في الزمن الحاضر وهي الآتي:

(**المعلم الأول**) - المنهج التلفيقي والتوفيقي المزجي بين عقائد الفرق المنتسبة إلى الإسلام حسبما أوضحناه سابقاً.

(**المعلم الثاني**) - الرؤية السطحية عند المنهج البتري بشكل عام حول شرائط الإمامة الدينية ومواصفات الحاكم أو الخليفة التي تختلف بطبيعتها عن الشرائط والمواصفات عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية، فهي عندنا متعينة بالنصّ

الإلهي، وصاحبها يجب أن يكون معصوماً ومسدداً من قبل الله تعالى، ولكنها عند الفِرَقِ البترية متعينة من قبل الناس وإنْ اشترطوا بأنْ يكون الإمام عندهم بتعيين الشورى في أولاد الإمامين الحسنين عليهما السلام فمن خرج منهم مستحقاً للإمامة فهو إمام، وثمة فرقة تدعى الحسينية تعتقد بأن كلّ من دعا إلى الله تعالى من ذرية آل محمد فهو مفترض الطاعة، وكذلك الفرقة الرقاشية (أصحاب الفضل الرقاشي) والشمرية (أصحاب أبي شمر) والغيلانية (أصحاب غيلان بن مروان) والجهمية (أصحاب جهم بن صفوان) كل هؤلاء ذهبوا إلى القول بأن الإمامة يستحقها كلّ من قام بها إذا كان عالماً بالكتاب والسنة وأنه لا تثبت الإمامة إلا بإجماع الأمة كلها حسبما وصف ذلك النوبختي في فرق الشيعة.

وهذه الفرق الزيدية تتوافق مع عامة المخالفين القائلين بأن الإمامة اختيارية بين الأمة يستلمها من كان قرشياً وعالماً بالكتاب والسنة بل حتى لو كان جاهلاً بهما، فمن استلمها تجب مبايعته وإمامته والخروج معه، واستندوا في دعواهم هذه إلى الحديث الذي رووه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «الأئمة من قريش». ووافقهم على ذلك كافة فرق الخوارج إلا النجدية القائلين بأن الإمامة تصلح في أفناء الناس كلّهم من كان قائماً بالكتاب والسنة عالماً بهما وأن الإمامة تثبت بعقد رجلين. . . وكذلك وافقهم كافة فرق المعتزلة القائلين بأن الإمامة يستحقها كل من كان قائماً بالكتاب والسنة، ولا تكون الإمامة إلا بإجماع الأُمة واختيار ونظر.

(المعلم الثالث): عملهم جميعاً بالقياس والرأي والاستحسان والمصالح المرسلة التي يعتقد بها المخالفون، وهذا واضح عند العالمين بطرق استدلالهم واستنباطهم المبني على التخمين والظن في مقابل الكتاب والسنة المطهرة المتمثلة بأخبار أهل البيت (سلام الله عليهم) وهو ما كشفت عنه أخبارنا الشريفة وعايناه مشاهدةً عند البتريين الجدد.

(المعلم الرابع): التستر بالتشيع رغم عدم كونهم شيعة لأهل بيت العصمة عليهم السلام واقعاً وظاهراً، وقد وصفتهم بعض الأخبار بالكذابين، فقد روى

الكشي بإسناده عن علي بن محمد قال: حدثني محمد بن أحمد عن العباس بن معروف عن أبي القاسم الكوفي عن الحسين بن محمد بن عمران عن زرعة عن سماعة عن أبي بصير، قال: ذكر أبو عبد الله عليه السلام كثير النواء وسالم بن أبي حفصة وأبا الجارود فقال: كذابون مكذبون كفار عليهم لعنة الله، قال قلت: جعلت فداك كذابون قد عرفتهم فما معنى مكذبون؟ قال: كذابون يأتونا فيخبرونا أنهم يصدقونا وليسوا كذلك، ويسمعون حديثنا فيكذبون به.

إنّ هذا الخبر الشريف يوضح لنا المنهج التلفيقي الإنتقائي في اتباع منهج أهل البيت عليهم السلام فينتقون منه ما يتناسب مع منهجهم الالتقاطي الخبيث المتوافق مع منهجهم الماكر وهذا يستدعي منهم رفض جملة من عقائد وأحكام أهل البيت (سلام الله عليهم).

وقد وصف النوبختي (رحمه الله) فرقة البترية بأنهم أوائل فرق الزيدية؛ وذلك لأنهم يفضِّلون الإمام عليّاً عليه السلام ويثبتون إمامة أبي بكر، فهم انتقائيون مزجوا بين ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وولاية أبي بكر... ولا يخفى على الفطن بأنَّ كلَّ من يرى صلاح أبي بكر أو صلاح أتباعه ويزعم القول والتسليم بفضائل ومناقب الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فإنه في الواقع ينهج منهاج البترية، وهو ما أكدته الأخبار الأخرى التي سنشير إلى بعضٍ منها في المعلم الخامس.

(**المعلم الخامس**): ولاؤهم لأعداء الصدّيقة الكبرى سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وخالد بن الوليد وعائشة وحفصة وأضرابهم، ويشهد لما قلنا ما رواه الكشي بإسناده عن علي بن محمد بن يزيد القمي عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب عن الحسين بن عثمان الرواسي عن سدير، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام ومعي سلمة بن كهيل، وأبو المقدام ثابت الحداد، وسالم بن أبي حفصة، وكثير النواء، وجماعة معهم، وعند أبي جعفر عليه السلام أخوه زيد بن علي عليهما السلام فقالوا لأبي جعفر عليه السلام نتولى عليّاً وحسناً وحسيناً ونتبرأ من أعدائهم!

قال: نعم. قالوا: نتولى أبابكر وعمر ونتبرأ من أعدائهم! قال: فالتفت إليهم زيد بن علي وقال لهم: «أتتبرؤون من فاطمة! بترتم أمرنا بتركم الله»، فيومئذ سموا البترية.

هذا الحديث يشير بوضوح إلى المنهج البتري لمنهاج أهل البيت عليهم السلام بشكل عام ومنهاج السيِّدة الطاهرة الزكيَّة فاطمة الزهراء عليها السلام بشكلٍ خاص، فإن لهؤلاء عداوة خاصة لمولاتنا الزهراء (سلام الله عليها) باعتبار ما لهذه الطاهرة الزكيَّة الميمونة من دلالة عظمى على رفض حاكمية الشيخين ومجابهتها لهما بكلِّ قوة وحزم وتكفيرها لهما بكلِّ وضوح. . . وهذا لا يتناسب مع المذهب التلفيقي لمنهج البترية القائم على موالاتهما والأخذ بمنهجهما، فلا بدَّ - والحال هذه - أن يقفوا موقفاً سلبياً ضد مولاتنا الطاهرة الزكيَّة عليها السلام والتصدي لها ولأتباعها الحاملين لمنهجها الطاهر القائم على عنصري الولاية لها ولأهل بيتها الطاهرين عليهم السلام والبراءة من أعدائهم ومن كلِّ غريب عن الإسلام المتمثل بهم عليهم السلام . . . فمنهجها الطاهر (سلام الله عليها) هو الوحيد الذي يتصدى لفكر الضلال المستلزم لمحو آثار معالم التشيع باعتباره الممثل الحقيقي للإسلام والإيمان، فعدم التبري من أعدائها (روحي فداها) لا يتناسب مع منهج الولاية لهم عليهم السلام ؛ لأن الضرورة الشرعية والعقلية قاضية بوجوب البراءة من المنهج المغاير لمولاتنا سيِّدة نساء العالمين (عليها سلام الله تعالى) وهو مما يستوجب التسليم بضرورة الإمامة الإلهية والولاية الصمدانية. . . . فالتبري من دعوى الإمامة البشرية يستلزم المعرفة الحقيقية بسيِّدة نساء العالمين الصدّيقة الكبرى وأهل بيتها الطاهرين (سلام الله عليهم)؛ من هنا ورد عن إمامنا الصادق عليه السلام قوله: «من عرف فاطمة حقَّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر. .». ويؤيده ما جاء في الأخبار عنه عليه السلام قال: «هي الصدِّيقة الكبرى وعلى معرفها دارت القرون الأولى»، وورد أيضاً عنه عليه السلام قال: «ما تكاملت النبوة لنبيٍّ حتى أقر بفضلها ومحبتها». أي أن ولايتها عليها السلام حاكمة على سفارة الأنبياء بما للولاية من أهمية

على الصعيد القرآني والنبوي والولوي، وقد بسطنا القول حول الولاية في الجزء الثاني من كتابنا الجليل «الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية».

إن ولايتها عليها السلام سببٌ مستقل في تكامل نبوة الأنبياء والمرسلين؛ وذلك لأن وقوع النكرة في سياق النفي يفيد العموم، وهو ما لا يقبله عُماة البصائر الذين لا يرون لمولاتنا الطاهرة الزكيَّة تلك المنزلة الرفيعة لضعف قابلياتهم وشدّة انحطاطهم وتسافلهم، إذ إن غالب طبع الناس عليل وصدورهم مملوة بالغليل... وذلك لأن الاعتقاد بولايتها وبقربها من الله تعالى وأنها حجَّة الحجج عليها السلام وأنها الصدِّيقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى هو جزء واجب من الإيمان بالله تعالى؛ لأنها (روحي فداها) هي في البداية نقطة الوحدة، وفي النهاية كوثر الكثرة، فصدرت منها المعارفُ والحِكَمُ؛ لأنّها أمّ الكتاب، وعلّمها ربّها بالعلم الحضوري اللدني من العلوم ما لم تعلم، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[1] وإنّها الجنّة التي ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾[2] والنحلة التي اتّخذت لها بيوتاً من الشجر وممّا يعرشون، فعمّ الورى نفعُها، وجعلها في بُيوت أذن اللهُ رفعها، فهي النعمةُ التامّة، والرحمةُ العامّة، وعَيبةُ المعرفة، ووعاءُ المشيّة، أُختُ النبوّة، وعصمةُ المروّة، الصحيفةُ المتلوّة، والمرأةُ المجلوّة، دليلُ الهداية، وزميلُ الولاية، نورُ السماوات السبع، وزينُ الفواطم التسع، الكريمة الجليلة، والسماء الظليلة، والعين الغزيرة، والروضة المطيرة، والأمانة المعروضة، والمودّة المفروضة، والساعة المستجابة، والبضاعة المرجوّة، والطاهرةُ المطهّرة، والممتحَنةُ الصابرة، والليلةُ المباركة، وليلة القدرُ التي هي خير من ألف شهر، بابُ الإيمان، ووسيلةُ الرضوان، أُمُّ الكتاب، وفَصل الخطاب، صدف الفخار وغُرّة شمس النهار، صاحبةُ القبّة الحمراء في حظيرة القُدْس، وتفّاحة الخلد، والمصباح المنير في مشكاة الوجود، والزجاجة المضيئة

(1) سورة السجدة، الآية: 17.
(2) سورة إبراهيم، الآية: 25.

في عالمي الغيب والشهود، وليدة الإسلام، والمعصومة من الآثام، قرارُ القلب وقدوةُ الربّ، وشرف الأُم، والشريفة من الأب، خاصّة الرسول، والحَصان البتول، بضعة المصطفى، وزوجة المرتضى ولن تشذّ عن رسول الله لُحمته؛ لأنّها شجنته ومهجته وروحه وحقيقته ونفسه وكريمته، عينُ الحياة، وسفينةُ النجاة، وذريعة الهداة، وشفيعة العصاة، خامسة أصحاب الكساء، وإحدى الكُبَر، زهرة الزهراء بين الشمس والقمر، التي برّها خير العمل، والأعمال منه تقبل، أمة الله الزكيّة، وآنية الله النقيّة، ونفس الله القائمة في حقيقة العلويّة، أُمُّ القرى الإمكانيّة، والقوّة القاهرة في قوى الإنسانيّة، سماء الكواكب الدريّة من الأئمّة المهديّة، والرجال الإلهيّة، ثمالُ الشيعة الإثنا عشريّة، ورجاء الفرقة الإماميّة، المكّيّة المدنيّة، والحجازيّة التّهاميّة، والهاشميّة القرشيّة، قرّة العين، وإحدى المخلّفين، أُمُّ السِبطين، وأكبرُ حجج الله على الخافقين، ريحانة سِدرة المنتهى، وكلمة التقوى، والعروة الوثقى، وستر الله المرخى والسيّدة العظمى، ومريم الكبرى، والصلاة الوسطى، والإنسيّة الحوراء، التي بمعرفتها دارت القرون الأولى، وكيف أُحصي ثناءها، وإنّ فضائلها لا تحصى، وفواضلها لا تقضى، البتول العذراء، والحرّة البيضاء، أُمُّ أبيها وسيّدة شيعتها وبنيها، ملكة الأنبياء، الصدّيقة فاطمة الزهراء.

ونِعم ما قيل بحقها وجلال قدرها:

خجلاً من نور بهجتها	**تتوارى الشمس بالشفق**
وحياءً من شمائلها	**يتغطّى الغصنُ بالورق**

ونعم ما قاله العلامة الكجوري في الخصائص الفاطمية خلال تفصيله الحديث عن معرفتها ممّا نرى أنّه لا بدّ من ذكره هنا؛ فقال (أعلى الله مقامه الشريف): [إن معرفة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) تكون على نحوين:

الأوّل: معرفة اسمها ونسبها وجملة من حالاتها، كما فعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حينما أخذ بيدها عليها السلام وقال: من عرفها فقد عرفها ومن لم يعرفها فهي فاطمة بضعة منّي وروحي التي بين جنبي.. إلى آخر الحديث.

أراد النبيُّ ﷺ بهذا التعريف أن يخبر عن اتّحاده بفاطمة الزهراء الدالّ على كمال فضلها وشرفها، وأراد أن يقول للناس اعرفوا فاطمة بهذه المعرفة فإنّها روحي وقلبي، ونتيجة هذه المعرفة أن يتعامل الناس مع روح النبيّ وقلبه وفؤاده وبضعته كما يتعاملون معه تماماً، وحرمة روح النبيّ كحرمة النبيّ، واحترام الجزء الأعظم احترام للكلّ.

والثاني: معرفة كنهها وحقيقتها، والإحاطة التامّة بتمام مقاماتها وكمالاتها وفضائلها وفواضلها إضافة إلى اسمها ورسمها ونسبها وحسبها، فهذا ما لا يبلغه أحد، وقوله ﷺ: «وهي الصدّيقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأُولى» المراد به المعرفة الإجماليّة، لأنّ فاقد المقامات العالية يعيش دائماً في المرتبة الدانية، فلا يصل إلى المقام العالي ولا يستطيع معرفته وإدراكه، وإنّما يعجز الإنسان عن إدراك الشيء أو الشخص لكثرة أوصافه وآياته فكلّما ازدادت أوصاف الموصوف عظم قدره وعلا شأنه في الأعين. فكيف يمكننا إدراك حقيقة النبوّة ومعرفة كنهها؟.

إنّ الحديث السابق يدلّ على أنّ معرفة فاطمة و«ليلة القدر» أشدّ وأعظم من معرفة الإمام عليه السلام، حيث قالوا في معرفة الإمام حقّ المعرفة: أن تعرف أنّه إمام مفترض الطاعة، وأنّ معرفته معرفة الله - أي به يعرف الله -، بينما قالوا في فاطمة: إنّها لا يمكن معرفتها بحال، فهي كالاسم الأعظم والساعة المستجابة وليلة القدر... وهذا البيان بنفسه نقوله في النبيّ والوصيّ والإمام، حيث لا يمكن الوصول إلى معرفة كُنههم بحال.

لا يقال: إنّ معرفة الإمام واجبة لازمة بناء على قوله ﷺ: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة» وغيره، أمّا معرفة فاطمة فغير واجبة ولا لازمة لأنّها ليست إماماً ولا تكون إماماً يوماً ما.

كيف نقول ذلك ونعتقد صحّته ونؤمن به، مع أنّ الإمام قال غير ذلك وأمر النّاس عن لسان النبيّ الأكرم والسلطان الأعظم بمعرفة فاطمة، واعتبر معرفة تلك المستورة الكبرى من الإيمان بل جزؤه المقوّم وأنّها «أعرف بالأشياء كلّها».

والبرهان العقليّ يقول: لا بدّ للمحبّ أن يحبّ محبوب الحبيب، وفاطمة الزهراء حبيبة الله ورسوله، ومودّتها ومحبّتها محبّة الرسول، والمحبّة فرع المعرفة، فمن أحبّ فاطمة عليه أن يعرفها، ولمّا كانت معرفة كنهها مستحيلة وجب أن يعرفها قدر الوسع والإمكان، ومقتضى الفرض والحتم..].

ثم قال (أعلى الله مقامه) في موضعٍ آخر: [وقد تبيّن من الحديث الآخر أنّ أعداء فاطمة فطموا عن محبّتها، أي أنّ من كان يحبّ الله ورسوله أحبّ فاطمة، ومن أحبّ فاطمة أحبّ الله ورسوله.

فالحديث الأول عام في عدم إدراك معرفة فاطمة، والحديث الثاني خاصّ في عدم محبّة أعداء فاطمة لفاطمة عليها السلام..]؛ إنتهى كلامه (رفع مقامه).

بما تقدم يتضح لذي البصيرة بأن معرفة تلك الحرّة الزكيَّة جزء واجب من الإيمان التام؛ بل هو مقوّم للإيمان، ومن دون معرفتها (سلام الله عليها) لا يكون المسلم مسلماً حقيقةً، وكلُّ من جهل حقَّها واللوازمَ المترتبة عليه كإنكار ظلامتها وفضائلها وعلو قدرها فهو أبتر... من هنا ربط سيّدنا الكريم زيد (صلوات الله عليه) - خلال مواجهته للبترية بقوله الشريف: «أتتبرؤون من فاطمة، بترتم أمرنا بتركم الله..» - بين البراءة من مولاتنا الصدِّيقة الكبرى وبين البراءة من أمر أهل البيت (سلام الله عليهم).. وذلك لأن البراءة منها عليها السلام - والعياذ بالله - يعني البراءة من النبيّ وآله الطاهرين جميعاً وهو الكفر بعينه، لأن ولايتهم جزءٌ من ولايتها، ومعرفتهم جزءٌ من معرفتها (صلوات الله عليها)... كيف لا! وهي جزءٌ من النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله بل هي روحُه التي بين جنبيه... وكلّ متمسك بولاية غيرها لا ريب في أنه ليس مسلماً ولا يعرفُ شيئاً من معارف الإسلام، والإمامة التي كان ينهجها الشيخان ولا يزال ينهجها اتباعهما من البترية بكلا شقيها الشيعي والأشعري تختلف عن إمامة بعلها وولايتها، وهذا ما يفسِّر ما جاء عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام بقوله الشريف: «مَنْ عرفها حقَّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر» ومفهومه يدلُ بوضوح على أنّ من جهلها فلن يدرك ليلةَ القدر ما يعني إلغاء دور الإسلام بكلِّ تشريعاته التي منها نزول التقديرات الإلهية في ليلة القدر، لأن

الله تبارك شأنه ربط معارفه بأهل بيته الطاهرين (سلام الله عليهم)؛ فمن لا يعرفهم لا يمكنه إدراك ليلة القدر والتسليم لله تعالى بكل ما قدر وقضى.

(المعلم السادس) - إنكارهم للعلوم اللدنيَّة والمواهب الإلهية لأهل البيت (سلام الله عليهم).

الواضح من خلال تتبع سيرة البتريين قديماً وحديثاً هو إنكارهم للأسرار الإلهية الخاصة بأهل البيت عليهم السلام كعلوم الغيب والمعاجز والكرامات حتى صرنا نسمع اليوم من بعض الأدعياء المتزعمين بغير حقٍّ على الطائفة الشيعية تحريمه لنشر المعاجز المتعلقة بأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام بدعوى أنها خرافة رواها الغلاة من الشيعة... وهو يخفي وراء كلامه عقائده البترية الجاحدة لكل ما له علاقة بالمعاجز والأسرار الإلهية والولاية التكوينية المطلقة لآل محمد عليهم السلام تحت عنوان وحدة المسلمين...! وكأنَّ الوحدةَ لا تقومُ إلا على نسف المعاجز والكرامات والولاية التكوينية لأهل بيت محمد (سلام الله عليهم) مع أن المخالفين يعتقدون في خلفائهم المعاجز والكرامات، بل إنّ بعضهم قال بصدور الكرامات من آل محمد (سلام الله عليهم)... فالعجب من هذا البتري كيف جحدها من آل محمد وقد أقر بها المخالفون ودلت عليها الآيات والأخبار القطعية الصدور...!! مع الإشارة هنا إلى أنّ جحود هؤلاء لم يكن نابعاً من فراغ بل جاء نتيجة أمرين:

(الأول): الجهل التقصيري بمعرفة أئمة أهل البيت (سلام الله عليهم).

(الثاني): البغضاء والحقد الذي يظهره البتريون كغيرهم من فرق الكفر والضلال الذين لا يحبون ذكر آل محمد (سلام الله عليهم) فيتظاهرون بمحبتهم لأهل البيت عليهم السلام ولكنّهم يبطنون الكفر بهم والبغضاء لهم ويرفضون كلّ ما يمتُّ إليهم بصلةٍ؛ لكي يميتوا كلّ ذكر لهم، فبحثوا في عقائد الفرق الشيعية واقتبسوا معالمها فوجدوا أن أغلبها يرفض الأسرار الإلهية المتعلقة بذوات آل محمد عليهم السلام ، وهو ما أفصحت عنه أخبارنا الشريفة وكشفت عن واقع البتريين

المنكرين لكلِّ ما هو غيب ومعجزة أو كرامة، فقد روى الكشي وغيره من رواة الشيعة جملةً من هذه النصوص الكاشفة عن واقعهم؛ منها:

ما رواه بإسناده عن حمدوية وإبراهيم قالا: حدثنا أيوب بن نوح، عن صفوان، قال: حدثني فضيل الأعور، عن أبي عبيدة الحذاء، قال قلت لأبي جعفر عليه السلام: إن سالم بن أبي حفصة يقول لي: ما بلغك أنه من مات وليس له امام كانت ميتته ميتة جاهلية؟ فأقول: بلى. فيقول: من إمامُك؟ فأقول: أئمتي آل محمد عليهم السلام. فيقول: والله ما أسمعك عرفت إماماً، قال أبو جعفر عليه السلام: ويح سالم وما يدري سالم ما منزلة الإمام، منزلة الإمام يا زياد أعظم وأفضل مما يذهب إليه سالم والناس أجمعون.

وروى الصفار في بصائر الدرجات بإسناده حدثنا أبو محمد عن عمران عن موسى بن جعفر بن وهب البغدادي عن علي بن أسباط عن محمد بن الفضيل عن أبي حمزة الثمالي قال: كنت أنا والمغيرة بن سعيد جالسين في المسجد فأتانا الحكم بن عيينة فقال: لقد سمعت من أبى جعفر عليه السلام حديثاً ما سمعه أحد قط، فسألناه فأبى أن يخبرنا به، دخلنا عليه فقلنا: إن الحكم بن عينيه أخبرنا أنّه سمع منك ما لم يسمعه منك أحد قط فأبى أن يخبرنا به، فقال: نعم وجدنا علم علي عليه السلام في آية من كتاب الله «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدَّث» فقلنا ليست هكذا هي: فقال في كتاب علي عليه السلام: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدَّث إلا إذا تمنى القى الشيطان في أمنيته»، فقلت: وأيّ شيءٍ المحدّث؟ فقال: ينكت في أُذنه فيسمع طنيناً كطنين الطست أو يقرع على قلبه فيسمع وقعاً كوقع السلسلة على الطست! فقلت: نبي؟ قال: لا مثل الخضر ومثل ذي القرنين.

الحديثان المتقدِّمان يشيران إلى أمرين هما السبب في انحراف البترية وهما: الجهل بمقامات آل محمد عليهم السلام المؤدي إلى الجحود والتكذيب بمقاماتهم الشريفة، وانكبابهم على معارف العامة بسبب ذلك.

(**المعلم السابع**): حبّ الدنيا والتكالب على السلطة وشهوة الحكم والإدارة.

إن أغلب فرق الضلالة إنْ لم تكن بأجمعها تسعى نحو السلطة وقيادة الأمة، وليس حبهم لها من باب القربة إلى الله تعالى واستنقاذ عباد الله من شباك إبليس، وإنَّما لأجل فرض هيمنتهم وجبروتهم على المستضعفين والاستيلاء على مقدراتهم المادية بكافة أجناسها وأصنافها...! فحبُّ الدنيا ليس له حدود عند طالبيها والعاشقين لها..! وهذا لا يحصل إلا بالمداهنة مع الضالين والكافرين لأجل تحقيق أهدافهم، فيعمدون إلى القعود عن تحمل المسؤولية العقائدية والاجتماعية فيؤدي ذلك إلى عدم تحمل ضريبة وثقل البراءة والتبري والتخطئة لمنهج الجمهور ورواده من أصحاب السقيفة، وهذا يؤدي إلى حالة من التقهقر النفسي والفكري والانهزام العقائدي والفقهي أمام الخصوم «فيستلزم تلوُّن الضعيف في القدرة السياسية والنفوذ كي تستتب له طمأنينة العيش والسمعة الحسنة واكتساب اعتراف الآخرين بشخصيته ولو كان ذلك على حساب ثوابت القيم والمبادئ، وذلك بتسويل أن هذه الثوابت قابلة للنقاش والتغيير لفتح الباب أمام التخلي عنها» تحت ذرائع واهية لا علاقة لها بما يدّعون... ولكنها أماني وتصورات شيطانية تريد الانقضاض على منهج أهل البيت عليهم السلام القائم على مبدأين هما: التوَلي والتبري، وهؤلاء لا مشكلة عندهم مع التولي لأهل البيت عليهم السلام - وما أسهل القول في مقابل العمل - إلَّا أن المشكلة الحقيقية تكمن في عنصر التبري من منهج أعداء أهل البيت عليهم السلام، مما دعاهم إلى التخلي عنه وعن الآثار المترتبة عليه كالنقد والإنكار للمنكر وتخطئة الباطل؛ بل إنَّهم يكتفون في تعذير ذمتهم بالتمسك بولاية أهل البيت عليهم السلام ومحبتهم ومودتهم إرضاءً للعوام وتمويهاً على واقعهم المتقهقر في البراءة من أعداء أهل البيت عليهم السلام، وقد انكشف ما كان مستوراً حينما أطلَّ علينا بالأمس كمال الحيدري وحسين المؤيد والصرخي من العراق.. واليوم أطلَّ علينا ياسر عودة وأسد قصير وعبد الأمير

قبلان وولدا فضل الله وأضرابهم من لبنان حينما جهروا بولائهم لمدرسة السقيفة من خلال تبنيهم للعقائد الأشعرية وإفتائهم - وهم ليسوا أهلاً للفتوى - بإسلام أعمدة السقيفة ونفي كون أصحابها كفاراً بل جعلوهم من الفساق فقط، وأنّ الفاسق لا يحكم عليه بالارتداد والكفر، بل هو - بنظرهم - مسلم له ما للمسلمين وعليهم ما على بقية المسلمين الموحدين ونفوا عنهم صفة النصب والعداوة لأهل البيت (سلام الله عليهم) رغم ما صدر من أولئك النواصب من الكفر والبدع التي تشيب منها الرؤوس، حتى انبرى الشيخ ياسر حبيب الكويتي بالإفتاء - وليس أهلاً له - بصحة زواج هند من يزيد (لعنه الله)؛ لأن زواجه منها كان قبل شهادة الإمام سيِّد الشهداء (سلام الله عليه) وهو لا يضر بصحة الحكم عليه بالإسلام ظاهراً . . . وحكمه بإسلام يزيد ينم عن جهله المطبق بأُصول التشريع والعقيدة، جاهلاً أو متجاهلاً بأن الحكم بالنصب على يزيد وأبيه وأضرابهما من أعمدة النواصب لأهل بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم) ليس منحصراً بقتله لسيّد الشهداء عليه السلام فحسب، بل لأن للنصب والعداوة مصاديق متعددة منها إنكار فضائل أهل بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم) ومقاماتهم والمجاهرة بسبهم ولعنهم وبغضهم وبغض شيعتهم وقتلهم واغتصاب خلافتهم وادِّعاء إمامتهم . ! وقد عُرِف بنو أُمية بسبهم ولعنهم لأمير المؤمنين عليه السلام قبل واقعة الطف، مع التأكيد على أن زواج يزيد (لعنه الله) بهند قبل مقتل سيِّد الشهداء عليه السلام لا يجعله مسلماً؛ وذلك لأن للكفر أسباباً منها: اغتصاب الخلافة التي هي حقٌّ خاصٌ بأمير المؤمنين وأولاده الطيبين الطاهرين (سلام الله عليهم أجمعين)، وبالتالي فإن يزيداً كان محكوماً عليه بالكفر قبل مقتل الإمام الحسين (سلام الله عليه) إجماعاً ونصاً . . فدعوى أنه كان مسلماً ظاهراً وكافراً باطناً، دونها خرط القتاد حسبما أشرنا سابقاً . . . !

والحاصل: إنَّ هؤلاء الجهلة من عمائم العصر - ممن أفتوا بإسلام الأصنام الأربعة، يضاف إليهم يزيد وملوك بني أُمية وبني العباس - نكسوا أعلام التشيع

بفتاويهم الغريبة العجيبة التي لم نعرف لها قائلاً في الوسط العلمي عند المحصّلين من أعلام الإمامية إلا من صعاليك سبقوهم ليس لهم ذكرٌ، وصدق عليهم قول المتنبي في شعره المنسوب إليه بقوله:

مات في القرية كلبٌ فاسترحنا من عواه
خلَّف الملعونُ جرواً فاق بالنبح أباه

إن ثمة أسباباً ودواعٍ أوصلت هؤلاء إلى هذه الانحرافات هو حبّ الدعة والاسترخاء والتنصل من المسؤوليات العقائدية والشرعية.

الدواعي لحبِّ الدَعَة:

ثمة دواعٍ متعددة وراء حبّ الدَعَة - الراحة والاسترخاء - وعدم تحمل المسؤولية العقائدية والشرعية هي الآتية:

(الداعي الأول): الانهزام الفكري أمام التيارات المخالفة لأهل البيت عليهم السلام.

(الداعي الثاني): إحراج الحكام الزيديين البتريين من ثوارت العلويين الذين كانوا يحرجونهم حول موقفهم من أصحاب السقيفة (أبي بكر وعمر) كي يربكوا الوضع عليهم في الساحة الإسلامية بعامة فرقها، فكان الحكام البتريون يعمدون إلى الحيلة والمكر في تبنيهم لفكر السقيفة والجمع بينه وبين فكر أهل البيت عليهم السلام، وذلك لأن الحال لا يخلو من أمرين: إمَّا ألّا يتبرأوا من الشيخين علانية فيؤدي ذلك إلى تضعيف موقع الثوار العلويين في جماهير أهل البيت عليهم السلام وبالتالي يؤدي إلى تضعيف الحكام البتريين المنسوبين إلى العلويين الثوريين... وهذا السبب أو الداعي لا يزال حاضراً في فكر البتريين الجدد فعمدوا إلى الحيلة والمكر في دعوتهم لمناهضة الفكر المعادي لمدرسة السقيفة لمَّا أُحرجوا أمام قادة الفكر البكري في العصر الحاضر فأرادوا إسكات كلّ صوت تجاهر بتخطئة قادة السقيفة بل أصبغوا عليهم صفة الإيمان وأن ما فعلوه من ظلمات ومنكرات هي من التاريخ البائد أو أنها مدسوسة عليهم...!.

(الداعي الثالث): إن روّاد البترية كانوا حريصين على إنهاض الأمة ضد فساد الأنظمة وزعامة تلك النهضة - كما يصوّر أحدُ الباحثين - ولم يكن يتسنى لهم ذلك إلا بالمزج بين ولاية أهل البيت عليهم السلام وولاية الشيخين، وبذلك ينالون الحظوة عند الفريقين، فأخذوا بترويج مثل هذا المنهاج والمذهب؛ إلا أنهم لم يوفقوا في تشييد مثل هذا المنهاج طيلة القرون بل بادوا وانقرضوا. . . نعم، تظهر كلَّ حين من أصحاب هذا الفكر جماعةٌ جديدة تحمل نفس الملامح وتتصف بها وبنفس النزعات والغايات وتعود الكرّة عليهم بالفشل، وذلك بسبب التناقض بين منهاج أهل البيت عليهم السلام كمنهاج رباني إلهي ومنهاج السقيفة كمنهاج بشري وضعي مادي. . . وهو كلام منطقي وجيه أصاب الحقيقة كما هي لكنه لم ينظر إلى الخلفية الدنيوية السلطوية التي كان يتصف بها روّاد البترية الذين وصفهم بأنهم كانوا حريصين على إنهاض جميع الأمة لوجه الله تعالى، بل الصواب أنهم كانوا حريصين على ذلك لغاية السلطة والتحكم بالعباد.

(المعلم الثامن): حساسية البترية الزيدية والنديَّة مع رواة الفضائل والمقامات لأهل البيت عليهم السلام.

من الواضح بأن البترية لم تكن ذات عقيدة صحيحة بأهل البيت عليهم السلام؛ باعتبارهم من الفرق الواقفية التي تجحد قسماً كبيراً من الأئمة الطاهرين عليهم السلام، إلا أنهم ينسبون أنفسهم إلى التشيع القائم على الإمامة الإلهية، وهذا الانتساب يحفزهم على التعاطف مع خط الإمامة بشكلٍ عام، وفي الوقت نفسه كان يُشكِّل عندهم حساسية مفرطة من روايات الفضائل والمقامات العظمى لأهل البيت عليهم السلام المتمثل بالاعتقاد باثني عشر إماماً، وهذا بدوره يعتبر عائقاً كبيراً يقف في وجههم لما في روايات الفضائل والمقامات من حجر عثرة في طريق تبليغهم القائم على الاعتقاد بأئمتهم من أعمدة الزيدية البترية، فكانوا يروون الروايات المناهضة لروايات الأسرار والفضائل الخاصة بأهل البيت عليهم السلام بشكلٍ مجموعي في الوقت الذي يروون فيه روايات تقرب قواعدهم من المنهج الأشعري ليكون ذلك دعامة لهم من المدّ الشيعي الاثني عشري الذي يعادونه أشدَّ

العداوة باعتباره القوة الجارفة لامتدادهم الفكري الضال الممزوج بفكر السقيفة أصولاً وفروعاً. . . أمَّا ما يتعلّق بالأصول فبات واضحاً - كما قدّمنا آنفاً - أنهم لا يعتقدون بوجوب النص الإلهي على الإمام عليه السلام، وأمَّا ما يرتبط بالفروع فواضح من خلال تتبع منهاجهم الفقهي التلفيقي المأخوذ من مدرسة السقيفة طوراً ومن مدرسة أهل البيت عليهم السلام تارة أخرى، وهو ما سنوضحه في المعلم التاسع.

(المعلم التاسع): المرجع الفقهي والعقائدي التلفيقي بين المنهجين الشيعي والسني.

من خصائص الفرقة البترية أنهم يخلطون بين المنهجين: الشيعي والسني؛ ابتغاء حسن السمعة عند المخالفين ليكونوا عندهم مرضيين، لذلك فهم لا يبالغون في الأخذ بأوامر بعض أئمة الهدى عليهم السلام؛ لأنهم يظنّون أن الأخذ بفقه آل البيت عليهم السلام ينفر العامة منهم وبالتالي يؤدي إلى سوء ظن العامة بهم وهم لا يريدون ظن السوء بهم لغايات خسيسة صارت معروفة في منهجهم البتري، ويؤيد ما ذكرنا وجود نصوص تكشف عن ذلك، فقد روى عذافر الصيرفي قال: كنت مع الحكم بن عتيبة عند أبي جعفر عليه السلام فجعل يسأله وكان أبو جعفر عليه السلام له مكرماً - أي مكرماً لعذافر الصيرفي وليس للحكم بن عتيبة البتري -، فاختلفا في شيء، فقال أبو جعفر عليه السلام: يا بني قم، فأخرج كتاباً مدرجاً عظيماً ففتحه وجعل ينظر حتى أخرج المسألة، وقال أبو جعفر عليه السلام: هذا خط علي عليه السلام وإملاء رسول الله وأقبل على الحكم وقال: يا أبا محمد اذهب انت وسلمة وأبو المقدام - وكانا من أعمدة الواقفية البترية - حيث شئتم يميناً وشمالاً، فو اللهِ لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرائيل.

وعن الكشي بإسناده عن أبي مريم الأنصاري قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: قل لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة: شرّقا وغرّبا لن تجدا علماً صحيحاً إلا شيئاً خرج من عندنا أهل البيت.

وروى في قرب الإسناد عن هارون بن مسلم بن مسعدة بن صدقة عن

جعفر بن محمد عن أبيه قال: قال: جابر بن عبد الله الأنصاري: إن دباغة الصوف والشعر غسله بالماء وأيُّ شيء يكون أطهر من الماء.

الظاهر من رواية مسعدة بن صدقة – وهو عاميٌّ بتري – جواز مطهرية الدباغة لجلد الميتة؛ وهو رأيٌ فقهي تسالمت عليه عامة المذاهب السنيَّة الأشعرية والمعتزلية، مما يدل على أن بعض الأحكام التي يعتقد بها البتريون مصدرها فقه العامة العمياء. . . !.

وروى أبو الفرج الأصبهاني في ترجمة يحيى بن عبد الله بن الحسن قال: صحبه جماعة من أهل الكوفة فيهم ابن الحسن بن صالح بن حي كان يذهب مذهب الزيدية البترية في تفضيل أبي بكر وعمر وعثمان في ست سنين من إمارته وإلى القول بكفره في باقي عمره ويشرب النبيذ ويمسح على الخفين وكان يخالف يحيى في أمره ويفسد أصحابه، قال يحيى بن عبدالله: فأذن المؤذن يوماً وتشاغلت بطهوري وأقيمت الصلاة فلم ينتظرني وصلّى بأصحابي، فخرجت فلمّا رأيته يصلي قمت أصلي ناحية ولم أصلّ معه لعلمي أنه يمسح على الخفين، فلمّا صلّى، قال لأصحابه: علام نقتل أنفسنا مع رجل لا يرى الصلاة معنا ونحن عنده في حال من لا يرضى مذهبه.

بما تقدّم يتضح: بأن فقه البترية هو فقه بكريٌّ – عمريٌّ بشكل عام إلا ما ورد في شذرات من أحكام تتوافق مع الإمامية الاثني عشرية، وهذا يعطينا صورةً حقيقية عن المصدر الفقهي والعقائدي للفرقة البترية القديمة. . . ولا زالت ظاهرة البترية تتكرر على مر العصور لا سيَّما في هذا الزمان حيث امتدت المخالب الشيعية البترية التي تتزيّا بلباس التشيع الاثني عشري لتطال الفقه الشيعي والعقيدة الشيعية لتطعنه في القلب بإدخالها السموم إلى داخل الفكر الشيعي تحت عناوين براقة تبهر العوام فقط. . ! فأقحمت الفقه السني في الفقه الشيعي كما أقحمت العقيدة السنيَّة في العقيدة الشيعيَّة، ونرى ذلك بوضوح عند بعض المرجعيات السياسية وأذنابها من المعممين حيث إننا صُدِمنا لمّا قرأنا وسمعنا استدلالات

بعض المعممين من جهلة هذا العصر حول بعض المطالب الفقهية والعقائدية المقتبسة والمستوحاة من استدلالات العامة العمياء كالحيدري العراقي الذي اعتمد على خبر عكرمة في تنزيه عائشة عن الفاحشة المعهودة فأنكر عليه ياسر الحبيب الكويتي، لكنَّ الثاني وقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه نظيره الحيدري، فاعتمد على خبر عكرمة عن ابن عباس في تفضيل مريم وآسية بنت مزاحم على الحوراء زينب سيدة النساء بعد أُمّها الصدّيقة الكبرى، فالأول اعتمد على خبر عكرمة في التنزيه والثاني اعتمد على خبر عكرمة في التفضيل، فكلاهما من وادٍ واحدٍ ينهلان من بئرٍ أشعرية وإنْ تجلببا بالعباءة الشيعيَّة... فصارا يتكئان على العصا الأشعرية كغيرهما من عمائم لا خبرة لها بالاستدلال المتكئ على فهم الأخبار الشريفة بل جاءت استدلالاتهما مستوحاة من مدرسة السقيفة..! لذا صارا يعتمدان - كما هي الحال عند أضرابهما من عمائم حديثة - على عكرمة وأمثاله في بيان المطالب العقائدية والفقهية...!!.

بالإضافة إلى عملهم بالأقيسة والرأي والاستحسان.. وقد حذرنا كثيراً من هذه الحالة البترية منذ أكثر من عشر سنين خلال بحوثنا المكتوبة المنشورة على موقعنا الإلكتروني وكتبنا المطبوعة... حيث ارتفع صوتنا محذرين من ظاهرة البترية، الحديثة وقد لاقت - ولله الحمد - الصدى الطيِّب في الوسط العلمي حتى تجاوب معنا علماء أعلام فوافقونا الرأي إلى أن انبرى أحدُ العلماء مؤكداً ما قلناه منذ سنين فقال: «إن هذه الظاهرة قد تكررت في هذا الزمان، فكما يجعل أهل البيت عليهم السلام مصدراً ومنبعاً لأخذ الأحكام والمعارف منهم عليهم السلام ينضم إليهم أيضاً مرجعية الصحابة كمصدر ديني يعوّل عليه وحجة في تفسير القرآن وأخذ الأحكام أو يطلب العلوم المادية إلى السعادة الأُخروية من غيرهم من الحكماء ويعكف على كلماتهم التي هي بمنزلة الثمار بدل العكوف على النهر الأعظم وهي علوم أهل البيت عليهم السلام وأن هذا المنهج نمط من النفاق في الإيمان حيث يظهر الولاء لأهل البيت عليهم السلام ولكنه ينتقصهم علمياً كما يشير إلى ذلك أخذهم واتباعهم لأقوال وآراء غيرهم...».

وقد كشف الشهرستاني[1] عن واقع البترية أصولاً وفروعاً فقال: «وأكثرهم (البترية) في زماننا مقلِّدون لا يرجعون إلى رأي واجتهاد، أمَّا في الأصول فيرون رأي المعتزلة حذو القذة بالقذة ويعظمون أئمة الاعتزال أكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت عليهم السلام، وأمَّا في الفروع فهم على مذهب أبي حنيفة إلَّا في مسائل قليلة للشافعي والشيعة».

فقد أوضح الشهرستاني بالنص المتقدم - وهو أخبر بحالهم لا سيَّما أنَّه من علماء القرن السادس الهجري - بأن البترية فرقة لا علاقة لها بأهل البيت عليهم السلام بدلالة قوله: «ويعظمون أئمة الاعتزال أكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت عليهم السلام ولا يرجعون إلى أهل البيت عليهم السلام في الفروع. . .»؛ لذا فهم فرقة سنيَّة أقحمت نفسها في فرق الشيعة، أو أن بعض المؤرخين من الشيعة كالنوبختي تصور أنها فرقة شيعية فصنفها في الفرق الشيعية في كتابه (فرق الشيعة)؛ ولعلَّ التصنيف المذكور مرده إلى التصور بأن كلَّ من اعتقد بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام أو قدّمه على غيره أو جعله أفضل من غيره يكون شيعياً، وهو تصوّر خاطئ باعتباره مخالفاً للأخبار الكثيرة الدالة على أن الشيعي هو من شايع أمير المؤمنين عليَّاً وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام؛ إذ لا تكفي مشايعته لوحده من دون أهل بيته الطيبين عليهم السلام . . . !.

بالإضافة إلى ذلك: فإن الشهرستاني أشار إلى أمرين مهمين هما من صلب الفكر الديني عند الفرقة البترية هما: الإمامة السياسية والعمل بالقياس الحنفي وقد أصاب الشهرستاني الواقع في تعريفه للفرقة البترية، حيث إننا نجدهم يعتقدون بأن الإمامة منصبٌ دنيوي يستحقه كلُّ مَنْ توافرت فيه شروط القيادة والسلطة من دون أن يكون المتولي معصوماً ومنصوصاً عليه من قبل الله تعالى؛ كما أنهم يعتمدون على القياس في استنباط الأحكام الفرعية؛ وهذان الأمران هما الركيزتان اللتان تتكيء عليهما الفرقة البترية الحديثة، فهم يدَّعون الإمامة لكلِّ مَنْ

(1) الشهرستاني، الملل والنحل: ج 1، ص 162.

تسلّم السلطة الروحية السياسية ويعملون بالأقيسة والاستحسانات والآراء الشخصية على قاعدة أن للفقيه السعة في الولاية الفقهية والعقائدية التي تخوّله التشريع حتى لو كان مخالفاً لتشريع الله تعالى وهو ما يعبَّر عنه بالتصويب الإلهي الذي يعني أن الله تعالى أعطى الفقيه السلطة الإلهية وجعل أفعاله وأقواله كلّها مصيبة دائماً.

وبعبارة أخرى: إن معنى التصويب الإلهي أن أفعال الفقيه مصوّبة من عند الله تعالى الذي أعطاه السلطة التشريعية للإفتاء المبني على المصلحة السلوكية كما هو واضح في المباني العقائدية والفقهية التي يبتني عليها الفكر البتري قديماً وحديثاً.

(المعلم العاشر): إنَّ البتريين القدامى يعتقدون بإمامة الشيخين ولكنهم ينكرونها لعثمان وبني أمية وبني العباس كما نصَّ على ذلك بعض المؤرخين، والبتريون الجدد يؤمنون بالإمامة المستمدة من إمامة الأئمة الاثني عشر ويشرِّعون إمامتهم ويوسعون من إطار مهامها على نطاق واسع بشكلٍ فظيع لم يسبق له نظير في تاريخ الإمامة والخلافة حيث نراهم يحللون الحرام ويحرمون الحلال تحت عناوين المصلحة الإسلامية بما جعل الله تعالى للوالي من ولاية مطلقة على التشريع والتقنين، وهذه أخطر على التشيع من البترية القديمة من حيث التمويه والتلفيق والكذب على أئمة أهل البيت عليهم السلام، فيكون التلبيس والتلفيق بعنوان أن الوالي خزانة الله في مقاديره وتقديراته وهو عين التصويب الإلهي القائم في ذات الفقيه الوالي فما يراه حلالاً ينقلب إلى حلالٍ حتى لو كان حراماً في اللوح المحفوظ وظواهر النصوص، وقد فصَّلنا ذلك في بعض بحوثنا، وقلنا هناك بأن أساس التصويب الإلهي منشؤه الفكر الأشعري والمعتزلي كما أن أصل ولاية الفقيه العامة منشؤها الفكر الأشعري...!.

(المعلم الحادي عشر): تلفيق البترية بين الولاية الإلهية والسياسية لأهل البيت عليهم السلام وبين ولاية الشيخين المؤسسين لمدرسة السقيفة.

هذا الخلط بين الولايتين ينمُّ عن الغفلة أو التغافل عن الأخبار القطعية الصدور الدالة على أن الشيخين هما أساس الظلم والجور على النبي وآله

الطاهرين عليهم السلام . . . وقد تعالت الأصوات اليوم عبر بعض الأقزام في قم (وهو الشيخ أسد قصير) لتبرئة خلفاء الجور الأربعة من الجرائر والظلم الذي ألحقوه بآل البيت (سلام الله عليهم)؛ بل تمادى هذا الرجل عبر الإعلام الفضائي بالقول بأن الأربعة محكومون بالإسلام وأن الشيعة الاماميَّة لا يحكمون عليهم بالكفر والنصب. . . ! حتى وصل الحال بالصرخي في العراق إلى أن يترضى على عمر بن الخطاب باعتبار أن له الفضل في إدخال العراقيين في الإسلام خلال حرب القادسيَّة ضد الفرس. . !

أخبار بترية ملفقة تحسن الظن بأعمدة السقيفة:

وقد روى البتريون أخباراً ملفقة تحسن الظن بالخلفاء المغتصبين، وكان الكثير من الزيدية شاكين في أمر أبي بكر وعمر؛ لذا كثر سؤالهم لأئمتنا الطاهرين عليهم السلام عنهما، وقد أوضحوا موقفهم الشرعي من الشيخين أبي بكر وعمر فقد روى المجلسي[1] بإسناده عن أبي الصلاح الحلبي في كتابه تقريب المعارف عن عمارة قال: «أدن مني يا أعور، فدنوت منه، فقال: ابرأ منهما، برئ الله منهما». وفي رواية أخرى قال الأعور: إني لأتوهم توهماً فأكره أن أرمي به بريئاً (يقصد أبا بكر وعمر) فقال: إي والذي فلق الحبة وبرأ النسمة أنهما ظلماني حقي ونقصاني ريقي[لعلها: نغصاني ريقي] وآذياني وأنه ليؤذي أهل النار ضجيجهما ورفع أصواتهما وتعيير رسول الله إياهما».

يلاحظ في الخبرين المتقدِّمين بأن السائل كان خائفاً من الكلام على الشيخين، وسبب خوفه أو تردده مردّه: إمَّا الجهل بسبب التعتيم الإعلامي أو التقصير في تحصيل المعرفة - كحال أكثر الناس في كلِّ العصور ممّن يقصِّرون في تحصيل المعرفة الدينية -، وإمَّا التنشئة الدينية على حبِّ أبي بكر وعمر والكفّ عن ذكر مثالبهما كأهل عصرنا الذين يغضون الطرف عن المثالب

(1) البحار ج 30 ص 217 باب 20.

والمساوئ بإيحاء من قادة القرار الحزبي في الحاضرة الشيعية الذين يسعون بجدهم إلى الوحدة التامة في كل التفاصيل العقائدية والفقهية التي هي موضع خلاف بين الخاصة والعامة. . . !.

قال الحلبي: ورووا عن عمارة أيضاً قال: «كنت جالساً عند أمير المؤمنين عليه السلام وهو في ميمنة مسجد الكوفة وعنده الناس، إذ أقبل رجل فسلّم عليه، ثم قال: يا أمير المؤمنين! والله إني لأُحبّك. فقال: لكني والله ما أحبّك، كيف حبّك لأبي بكر وعمر؟. فقال: والله إني لأحبهما حبّاً شديداً. قال: كيف حبُّك لعثمان؟. قال: قد رسخ حبُّه في السويداء من قلبي. فقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: أنا أبو الحسن. . . !»؛ انتهى النص مبتوراً في البحار بتره البتريون (لعنهم الله تعالى).

وعن كثير النوا عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: «سألته عن أبي بكر وعمر؟ فقال: هما أول من انتزيا على حقنا، وحملا الناس على أعناقنا وأكتافنا، وأدخلا الذل بيوتنا».

وعن القاسم بن مسلم قال: كنت مع علي بن الحسين عليه السلام بينبع، يدي في يده، فقلت: ما تقول في هذين الرجلين؟ أتبرّأ من عدوهما؟ فغضب ورمى بيده من يدي ثم قال عليه السلام: ويحك يا قاسم هما أول مَنْ أضغنا بآبائنا[1] واضطجعا بسبيلنا وحملا الناس على رقابنا وجلسا مجلساً كنا أحق به منهما».

وعن أبي الجارود قال: كنت أنا وكثير النوا عند أبي جعفر الباقر عليه السلام فقال كثير: يا أبا جعفر رحمك الله هذا أبو الجارود يبرأ من أبي بكر وعمر، فقلت لأبي جعفر عليه السلام، كذب والله الذي لا إله إلا هو ما سمع ذلك مني قط، وعنده عبد الله بن علي أخو أبي جعفر عليه السلام فقال: هلمّ إليّ، أقبل إليّ يا كثير: كانا والله أول من ظلمنا حقنا، وأصغيا بأذانا، وحملا الناس على رقابنا، فلا غفر الله لهما ولا غفر لك معهما يا كثير. . .».

(1) أضغنا بآبائنا: أي أظهر الضغن بآبائنا.

وعن سالم بن أبي حفصة قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت: أئمتنا وسادتنا نوالي من واليتم ونعادي من عاديتم، ونبرأ من عدوكم، فقال عليه السلام: بخٍ بخٍ يا شيخ! إنْ كان لقولك حقيقة؟! قلت: جعلت فداك إن له حقيقة، قال عليه السلام: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ قال كثير: إماما عدلٍ رحمهما الله، قال عليه السلام: يا شيخ والله لقد أشركت في هذا الأمر من لم يجعل الله له فيه نصيباً».

يلاحظ في هذا الحديث مدى عمق حبّ سالم بن أبي حفصة لأبي بكر وعمر بالرغم من أنه تظاهر نفاقاً بموالاة الإمام أبي جعفر عليه السلام ومعاداة أعدائه. . . لذا كشف الإمام أبو جعفر عليه السلام عن حقيقة نفاقه عندما استنطقه فنطق ساعتئذٍ بالحق كاشفاً عن سريرته بأنَّه محبٌ لهما عندما قال للإمام عليه السلام: «إماما عدلٍ رحمهما الله»؛ حيث كان يعتقد ويؤمن بأن أبا بكر وعمر (لعنهما الله) هما إماما عدلٍ. . . ما يعطينا صورةً كاملة عن حالة النفاق التي كان سالم بن أبي حفصة وأمثالة من أعمدة البترية يتصفون بها ويتظاهرون بالموالاة للأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين).

وروى الحلبي أيضاً ما يكشف عن حقيقة النفاق عند فرقة البترية فقد روى عن مخول بن إبراهيم قال: أخبرني موسى بن عبد الله بن الحسن فقال: قل لهؤلاء - أي للبتريين -: «نحن نأتم بفاطمة عليها السلام، فقد جاء البيت عنها[1] أنها ماتت وهي غضبى، فنحن نغضب لغضبها ونرضى لرضاها، فقد جاء غضبها، فإذا جاء رضاها رضينا».

قال مخول: وسألت موسى بن عبد الله عن أبي بكر وعمر؟ فقال لي: ما أكره ذكره! قلت لمخول: قال فيهما أشدّ من الظلم والفجور والغدر، قال: نعم، قال مخول: وسألت عنهما مرة فقال: أتحسبني بترياً ثم قال قولاً سيئاً».

---

(1) والظاهر أنه تصحيف: كشف البيت عنها أي لما اقتحم عمر بن الخطاب الباب على سيِّدة النساء عليها السلام، وفي نسخة تقريب المعارف للحلبي: جاء الحديث عنها (سلام الله عليها).

يلاحظ في هذه الأحاديث أن البترية ظاهرة نفاقية تبطن الحب لأبي بكر وعمر وتظهر المعاداة لأعداء آل محمد نفاقاً - أي تتظاهر بالعداوة لأعداء الصدّيقة الكبرى (سلام الله عليها) إلا أنها في الواقع من المحبين لأعدائها - كما أن خبر موسى بن عبد الله بن الحسن قد كشف عن واقع البترية المبغضين لمولاتنا الصدّيقة الكبرى فاطمة (أرواحنا فداها)، وهذه الظاهرة تتجدد في كل زمان لا سيَّما في زماننا هذا حيث بات البتريون من الشيعة أكثر حماساً وحميَّة لأعداء سيِّدة النساء الصدِّيقة الكبرى فاطمة عليها السلام . . . !.

ونلاحظ هذه الحالة من خلال تصريحاتهم العنيفة ضدَّ كلٍّ من تجاهر بالعداوة لأبي بكر وعمر وابنتيهما عائشة وحفصة (لعنهم الله). . . وهذا إنْ دل على شيء فإنما يدل على عمق الارتباط العقائدي والعاطفي مع أصحاب السقيفة تحت ذرائع خبيثة هي الوئام والوفاق بين الطوائف. . . وهذا ما حذرت منه الأخبار الشريفة؛ بل ثمة أخبارٌ صحيحةٌ، وواضحةُ المعالم تشير إلى وجوب التجاهر ببغض أصحاب السقيفة، وهي كثيرة مبثوثة في مصادرنا الموثوقة كالبحار والكافي وبصائر الدرجات وتفسير القمي وفرات والبرهان نذكر قسماً منها كما جاء في البحار ج30 ص223-224-225 وهي الآتية:

بإسناده عن ابن مسعود، قال: سمعت موسى بن عبد الله يقول: هما أول من ظلمنا حقنا وميراثنا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغصبانا، فغصب الناس. ولعلّ الصحيح كما في نسخة كما سيأتي هكذا: [فلم تغضب الناس لنا].

ورووا عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: شهدت أبي محمد بن عمر، ومحمد بن عمر بن الحسن - وهو الذي كان مع الحسين بكربلاء، وكانت الشيعة تنزله بمنزلة أبي جعفر عليه السلام يعرفون حقه وفضله -، قال: فكلمه في أبي بكر، فقال محمد بن عمر بن الحسن بن علي بن أبي طالب لأبي: أسكت! فإنك عاجز، والله إنهما لشركاء في دم الحسين عليه السلام.

وفي رواية أخرى عنه، أنه قال: «والله لقد أخرجهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مسجده وهما يتطهران وأُدخلا وهما جيفة في بيته». يقصد بعد موتهما أُدخلا في قبريهما بجانبه.

ورووا عن يحيى بن مساور، قال: سألت يحيى بن عبد الله بن الحسن عن أبي بكر وعمر؟، فقال لي: ابرأ منهما.

ورووا عن أبي حذيفة - من أهل اليمن وكان فاضلاً زاهداً -، قال: سمعت عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين عليه السلام وهو يطوف بالبيت، فقال: وربِّ هذا البيت، وربِّ هذا الركن، وربِّ هذا الحجر، ما قطرت منا قطرة دم ولا قطرت من دماء المسلمين قطرة إلا وهو في أعناقهما - يعني أبا بكر وعمر -.

ورووا عن إسحاق بن أحمر، قال: سألت محمد بن الحسن بن علي بن الحسين عليهم السلام، قلت: أصلي خلف من يتوالى أبا بكر وعمر؟، قال: لا، ولا كرامة.

ورووا عن أبي الجارود، قال: سئل محمد بن عمر بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن أبي بكر وعمر؟، فقال: قتلتم منذ ستين سنة في أن ذكرتم عثمان، فوالله لو ذكرتم أبا بكر وعمر لكانت دماؤكم أحلَّ عندهم من دماء السنانير.

ورووا عن أرطاة بن حبيب الأسدي، قال: سمعت الحسن بن علي بن الحسين الشهيد عليه السلام بفخ يقول: هما والله أقامانا هذا المقام، وزعما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يورث.

ورووا عن إبراهيم بن ميمون، عن الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي عليهم السلام، قال: ما رفعت امرأة منا طرفها إلى السماء فقطرت منها قطرة إلا كان في أعناقهما.

ورووا عن قليب بن حماد، قال: سألت الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن زيد بن الحسن، والحسين بن زيد بن علي عليه السلام وعدة من أهل البيت عن رجل

من أصحابنا لا يخالفنا في شئ إلا إذا انتهي إلى أبي بكر وعمر أوقفهما وشك في أمرهما؟ فكلهم قالوا: من أوقفهما شكّاً في أمرهما فهو ضال كافر.

ورووا عن محمد بن الفرات، قال: حدثتني فاطمة الحنفية، عن فاطمة ابنة الحسين أنها كانت تبغض أبا بكر وعمر وتسبهما.

ورووا عن عمر بن ثابت، قال: حدثني عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب، قال: إن أبا بكر وعمر عدلا في الناس وظلمانا، فلم تغضب الناس لنا، وإن عثمان ظلمنا وظلم الناس، فغضبت الناس لأنفسهم فمالوا إليه فقتلوه.

ورووا عن القاسم بن جندب، عن أنس بن مالك، قال: مرض علي عليه السلام فثقل، فجلست عند رأسه، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه الناس فامتلأ البيت، فقمت من مجلسي، فجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فغمز أبو بكر عمر فقام، فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إنك كنت عهدت إلينا في هذا عهداً وإنَّا لا نراه إلا لما به، فإن كان شيء فإلى من؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يجبه، فغمزه الثانية فكذلك، ثم الثالثة، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأسه ثم قال: إن هذا لا يموت من وجعه هذا، ولا يموت حتى تملياه غيظاً، وتوسعاه غدراً، وتجداه صابراً.

ورووا عن يزيد بن معاوية البكالي، قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: ولي أبو بكر فطعن في الاسلام طعنة أوهنه، ثم ولي عمر فطعن في الاسلام طعنة مرق منه.

وفي رواية أخرى عنه رضي الله عنه، قال: ولينا أبو بكر فطعن في الاسلام طعنة، ثم ولينا عمر فحلَّ الأزرار، ثم ولينا عثمان فخرج منه عرياناً.

ورووا عن أبان بن تغلب، عن الحكم بن عيينة، قال: كان إذا ذكر عمر أمضه، ثم قال: كان يدعو بن عباس فيستفتيه مغايظة لعلي عليه السلام.

ورووا عن الأعمش، أنه كان يقول: قبض نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم فلم يكن لهم همٌّ إلا أن يقولوا: منا أمير ومنكم أمير، وما أظنهم يفلحون.

ورووا عن معمر بن زائدة الوشاء، قال: أشهد على الأعمش أني سمعته

يقول: إذا كان يوم القيامة يجاء بأبي بكر وعمر كالثورين العقيرين لهما في نار جهنم خوار.

ورووا عن سليمان بن أبي الورد، قال: قال الأعمش في مرضه الذي قبض فيه هو برية منهما وسماهما، قلت للمسعودي: سماهم؟. قال: نعم، أبو بكر وعمر.

ورووا عن عمر بن زائدة، قال: كنا عند حبيب بن أبي ثابت، قال بعض القوم أبو بكر أفضل من علي، فغضب حبيب ثم قام قائماً، فقال: والله الذي لا إله إلا هو، لعنهما الله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ﴾[1] الآية.

ورووا عن يحيى بن المساور، عن أبي الجارود، قال: إن لله عزَّ وجلَّ مدينتين، مدينة بالمشرق ومدينة بالمغرب لا يفتران من لعن أبي بكر وعمر.

ورووا عن ابن عبد الرحمن، قال: سمعت شريكاً يقول: ما لهم ولفاطمة عليها السلام؟ والله ما جهزت جيشاً ولا جمعت جمعاً، والله لقد آذيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قبره.

وجاء في دعاء مولانا الإمام المعظم أبي الحسن الرضا (سلام الله عليه) كان يدعو به في سجدة الشكر وحكاه الكفعمي الجنّة الواقية، وهو الآتي:

«اللهم العن اللذين بدَّلا دينك، وغيَّرا نعمتك، واتهما رسولك صلى الله عليه وآله وسلم، وخالفا ملتك، وصدا عن سبيلك، وكفَّرا آلاءك، وردا عليك كلامك، واستهزءا برسولك، وقتلا ابن نبيك، وحرفا كتابك، وجحدا آياتك، واستكبرا عن عبادتك، وقتلا أولياءك، وجلسا في مجلس لم يكن لهما بحق، وحملا الناس على أكتاف آل محمد عليه و عليهم السلام، اللهم العنهما لعناً يتلو بعضه بعضاً، واحشرهما وأتباعهما إلى جهنم زرقاً، اللهم إنَّا نتقرب إليك باللعنة لهما والبراءة

(1) سورة الفتح، الآية: 6.

منهما في الدنيا والآخرة، اللهم العن قتلة أمير المؤمنين وقتلة الحسين بن علي بن بنت رسول الله ﷺ، اللهم زدهما عذاباً فوق العذاب، وهواناً فوق هوان، وذلاً فوق ذل، وخزياً فوق خزي، اللهم دعهما إلى النار دعاً، واركسهما في أليم عذابك ركساً، اللهم احشرهما وأتباعهما إلى جهنم زمراً، اللهم فرق جمعهم، وشتت أمرهم، وخالف بين كلمتهم، وبدد جماعتهم، والعن أئمتهم، واقتل قادتهم وسادتهم، والعن رؤساءهم وكبراءهم، واكسر رايتهم، والقِ البأس بينهم، ولا تبقِ منهم ديَّاراً، اللهم العن أبا جهل والوليد لعناً يتلو بعضه بعضاً، ويتبع بعضه بعضاً، اللهم العنهما لعناً يلعنهما به كلُّ ملك مقرب، وكلُّ نبي مرسل، وكلّ مؤمن امتحنت قلبه للإيمان، اللهم العنهما لعناً يتعوذ أهل النار منه، ومن عذابهما، اللهم العنهما لعناً لا يخطر لأحد ببال، اللهم العنهما في مستسر سرك وظاهر علانيتك، وعذبهما عذاباً في التقدير وفوق التقدير، وشارك معهما ابنتيهما وأشياعهما ومحبيهما ومن شايعهما إنّك سميع الدعاء».

وورد في دعاء صنمي قريش ما يؤكد كلّ ما رويناه حول لعن المغتصبين، وهو دعاء جليل اشتهر بين الشيعة كاشتهار النار على المنار والشمس في رابعة النهار، قال المحدِّث المجلسي (رحمه الله): [ودعاء صنمي قريش مشهور بين الشيعة، ورواه الكفعمي عن ابن عباس قال: «إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقنت به في صلاته، وسيأتي في كتاب الصلاة إن شاء الله، وهو مشتمل على جميع بدعهما، ووقع فيه الاهتمام والمبالغة في لعنهما بما لا مزيد عليه، وهو التالي:

«اللهم العن صنمي قريش وجبتيها وطاغوتيها وإفكيها، وابنتيهما اللذين خالفا أمرك وأنكرا وحيك، وجحدا إنعامك، وعصيا رسولك، وقلبا دينك وحرفا كتابك، وعطلا أحكامك، وأبطلا فرائضك، وألحدا في آياتك، وعاديا أولياءك، ووإليا أعداءك، وخربا بلادك، وأفسدا عبادك.

اللهم العنهما وأنصارهما فقد أخربا بيت النبوة، ورد ما بابه، ونقضا سقفه وألحقا سماءه بأرضه، وعاليه بسافله، وظاهره بباطنه، واستأصلا أهله، وأبادا

أنصاره، وقتلا أطفاله، وأخليا منبره من وصيه ووارثه، وجحدا نبوته، وأشركا بربهما، فعظم ذنبهما وخلدهما في سقر! وما أدراك ما سقر؟ لا تبقي ولا تذر.

اللهم العنهم بعدد كل منكر أتوه، وحق أخفوه، ومنبر علوه، ومنافق ولوه ومؤمن أرجوه، وولي آذوه، وطريد آووه، وصادق طردوه، وكافر نصروه، وإمام قهروه، وفرض غيروه، وأثر أنكروه، وشر أضمروه، ودم أراقوه، وخبر بدلوه، وحكم قلبوه، وكفر أبدعوه، وكذب دلسوه، وإرث غصبوه، وفيء اقتطعوه، وسحت أكلوه، وخمس استحلوه، وباطل أسسوه، وجور بسطوه، وظلم نشروه، ووعد أخلفوه، وعهد نقضوه، وحلال حرموه، وحرام حللوه، ونفاق أسروه، وغدر أضمروه، وبطن فتقوه، وضلع كسروه، وصك مزقوه، وشمل بددوه، وذليل أعزوه، وعزيز أذلوه، وحق منعوه، وإمام خالفوه.

اللهم العنهما بكل آية حرفوها، وفريضة تركوها، وسنة غيروها، وأحكام عطلوها، وأرحام قطعوها، وشهادات كتموها، ووصية ضيعوها، وأيمان نكثوها، ودعوى أبطلوها، وبينة أنكروها، وحيلة أحدثوها، وخيانة أوردوها، وعقبة ارتقوها، ودباب دحرجوها، وأزياف لزموها [وأمانة خانوها].

اللهم العنهما في مكنون السر وظاهر العلانية لعناً كثيراً دائباً أبداً دائماً سرمداً لا انقطاع لأمده، ولا نفاد لعدده، ويغدو أوله ولا يروح آخره، لهم ولأعوانهم وأنصارهم ومحبيهم ومواليهم والمسلمين لهم، والمائلين إليهم، والناهضين بأجنحتهم، والمقتدين بكلامهم، والمصدقين بأحكامهم.

ثم قل أربع مرات: «اللهم عذبهم عذاباً يستغيث منه أهل النار آمين رب العالمين»]؛ انتهى كلامه.

وفي الكافي عن المصباحين: بإسناده عن عقبة بن خالد، عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام في زيارة عاشوراء: «اللهم خص أنت أول ظالم باللعن مني وابدأ به أولا ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع، اللهم العن يزيد بن معاوية خامساً».

والزيارات مشحونة بأمثال ذلك.

قال العلَّامة المحدِّث المجلسي (رحمه الله) في البحار تعقيباً على هذه الأخبار: «الأخبار الدالة على كفر أبي بكر وعمر وأضرابهما وثواب لعنهم والبراءة منهم وما يتضمن بدعهم أكثر من أنْ يُذْكَر في هذا المجلد أو في مجلدات شتى، وفيما أوردنا كفاية لمن أراد الله هدايته إلى الصراط المستقيم».

وقد روى المجلسي[1] (رحمه الله) المئات من الأخبار الدالة على كفرهم ونصبهم لا يسعنا المقام لذكرها جميعاً... فليراجع بحار الأنوار وبصائر الدرجات والكافي ووسائل الشيعة ومستدرك الوسائل والحدائق وجامع أحاديث الشيعة وكفاية الأثر وغيرها من مصادرنا المعتبرة.

ولو لم يكن إلا ما رواه المحدّث المجلسي (رحمه الله) وكذلك المحدِّث الثقة الجليل الكليني (أعلى الله مقامه) في عدة أبواب في كتابه الشريف الكافي لكفى به حجةً على هؤلاء الجاحدين من بترية الشيعة، ففي باب فيمن دان الله عز وجل بغير إمام من الله جل جلاله روى عدة أخبار منها:

1 - عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبي الحسن عليه السلام في قوله الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠] قال: يعني من اتخذ دينه رأيه، بغير إمام من أئمة الهدى.

ومن الواضح عند المتشرعة بأن من اتخذ دينه من رأيه فهو كافر بما نزل على رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومن يشك في ذلك فهو كافر ملعون.

2 - محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن صفوان بن يحيى، عن العلاء بن رزين عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كل من دان الله بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله فسعيه غير مقبول، وهو ضال متحير، والله شانئ لأعماله، ومثله كمثل شاة ضلَّت عن راعيها وقطيعها، فهجمت ذاهبة وجائية يومها، فلما جنها الليل بصرت بقطيع مع غير راعيها، فحنت إليها واغترت بها، فباتت معها في ربضتها فلما أن ساق الراعي قطيعه

(1) انظر: بحار الأنوار ج 30 باب 20 من أبواب مثالب الأربعة.

أنكرت راعيها وقطيعها، فهجمت متحيرة تطلب راعيها وقطيعها، فبصرت بغنم مع راعيها، فحنت إليها واغترت بها، فصاح بها الراعي الحقي براعيك وقطيعك، فإنك تائهة متحيرة عن راعيك وقطيعك، فهجمت ذعرة متحيرة نادّة[1] لا راعي لها يرشدها إلى مرعاها أو يردها، فبينا هي كذلك إذا اغتنم الذئب ضيعتها فأكلها، وكذلك والله يا محمد من أصبح من هذه الأمة لا إمام له من الله عز وجل ظاهراً عادلاً أصبح ضالاً تائهاً وإن مات على هذه الحال مات ميتةَ كفر ونفاق، واعلم يا محمد أن أئمة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله، قد ضلوا وأضلوا، فأعمالهم التي يعملونها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد.

3 - عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن عبد العزيز العبدي، عن عبد الله بن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إني أخالط الناس فيكثر عجبي من أقوام لا يتولونكم ويتولون فلاناً وفلاناً، لهم أمانة وصدق ووفاء، وأقوام يتولونكم، ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء والصدق؟ قال: فاستوى أبو عبد الله عليه السلام جالسا فأقبل عليَّ كالغضبان، ثم قال: **لا دين لمن دان الله بولاية إمام جائر ليس من الله**، ولا عتب على من دان بولاية إمام عادل من الله، قلت: لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء؟! قال: نعم لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء، ثم قال: ألا تسمع لقول الله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] يعني [من] ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كل إمام عادل من الله وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ إنما عنى بهذا أنهم كانوا على نور الاسلام فلما أن تولوا كلَّ إمام جائر ليس من الله عز وجل خرجوا بولايتهم [إياه] من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر، فأوجب الله لهم النار من الكفار: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

(1) (أي: شاردة نافرة).

4 - وعنه، عن هشام بن سالم، عن حبيب السجستاني، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال الله تبارك وتعالى: لأعذبن كلَّ رعية في الاسلام دانت بولاية كلّ إمام جائر ليس من الله، وإن كانت الرعية في أعمالها برة تقية، ولأعفون عن كلِّ رعية في الاسلام دانت بولاية كل إمام عادل من الله وإن كانت الرعية في أنفسها ظالمة مسيئة.

5 - علي بن محمد، عن ابن جمهور، عن أبيه، عن صفوان، عن ابن مسكان، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: إن الله لا يستحيي أن يعذب أمة دانت بإمام ليس من الله وإن كانت في أعمالها برة تقية، وإن الله ليستحيي أن يعذب أمة دانت بإمام من الله وإن كانت في أعمالها ظالمة مسيئة.

وروى أيضاً في باب: (من مات وليس له امام من أئمة الهدى وهو من الباب الأول) عدة أحاديث صحيحة وهي الآتية:

1 - الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي الوشاء، عن أحمد بن عائذ، عن ابن أذينة، عن الفضيل بن يسار قال: ابتدأنا أبو عبد الله عليه السلام يوماً وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من مات وليس عليه إمام فميتته ميتة جاهلية، فقلت: قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: إي والله قد قال، قلت: فكل من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية؟! قال: نعم.

2 - الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشاء قال: حدثني عبد الكريم بن عمرو، عن ابن أبي يعفور قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية، قال: قلت: ميتة كفر؟ قال: ميتة ضلال، قلت: فمن مات اليوم وليس له أمام، فميتته ميتة جاهلية؟ فقال: نعم.

شبهة وحلّ:

تفيد الشبهة أنَّ ما نسب إليه بقوله عليه السلام: «قال قلت ميتة كفر؟ قال: ميتة ضلال» يوهم عدم كفر ونصب هؤلاء المغتصبين الأربعة، وهو خلاف ما دلت عليه الأخبار الأخرى في نفس الباب وغيره من الأبواب التي ورد فيها كفر هؤلاء

الملعونين. . ! من هنا تمسك به من في قلبهم مرض، فنفوا عن المغتصبين النصب والكفر، مؤولين الكفر بالضلال الذي هو أعم من الكفر المصطلح عليه في الفقه والعقيدة؛ فحملوا الكفر على الضلال نظير ما جاء في هذا الخبر الضعيف سنداً بعبد الكريم بن عمرو الواقفي الخبيث باتفاق علماء الرجال، حيث أنكروا ما رواه لخبثه على الأئمة الطاهرين (سلام الله عليهم). . . ولكنْ على فرض صحة سنده يقع التعارض بينه وبين بقية الأخبار الكاشفة عن معنى الضلال في نفس الباب وغيره من الأبواب المخالفة له، فيجب تقديم تلكم الأخبار الصحيحة المفسِّرة لمعنى الضلال بالكفر.

علاج آخر للشبهة: إنَّ مقتضى قواعد الترجيح المأمور بها شرعاً، تفرض علينا تقديم الأخبار المتواترة على الخبر الواحد، وبالتالي يسقط الخبر المذكور عن الاعتبار قطعاً، فلا نحتاج إلى التأويل كما فعل المازندراني في شرح الخبر حيث حكم عليهم بالإسلام إلا أنهم ضلوا الطريق. . . وها هي عبارته بعين ألفاظها: «قوله (قال قلت ميتة كفر قال ميتة ضلال) لما كان للكفر معان، منها الكفر بالله واليوم الآخر أعني إنكارهما رأساً وهو إنكار أصل الإيمان؛ ومنها الضلال والارتداد أعني الخروج عن طريق الحق بعد الدخول فيه وتركه بعد طلبه؛ لوّح عليه السلام إلى ما هو المقصود ههنا، فإن من اعترف بهذا الشرع وأنكر إمام الحق اعترف بوجوب الإيمان وضلّ عن طريقه لزعمه أن طريقه ما سلكه، فهو كافر بهذا المعنى لا بالمعنى الأوّل وإن كانا متشاركين في الخلود في النار»؛ انتهى كلامه.

المازندراني وهزالة استدلاله حول أعمدة السقيفة:

وما ذهب إليه المازندراني ليس سوى تأويلاً ضعيفاً وبارداً ركيكاً مخالفاً للنصوص القطعية والإجماع القائم على كفر المغتصبين من أعمدة السقيفة، كما أنه مخالفٌ للأسس الفقهية الكاشفة عن كفر منكر الضرورة، فضلاً عن كفر منكر الضرورات القطعية كما هي حال الأصنام الأربعة الجاحدين للإمامة الإلهية التي هي من أعظم الضرورات الأُخرى التي جحدوها، عدا عمّا ابتدعوه من أحكامٍ في

مقابل أحكام الله تعالى، واعتدائهم على أمير المؤمنين وسيِّدة نساء العالمين (سلام الله عليهما)... وهو ما كشفت عنه الأخبار السابقة واللاحقة في هذا الباب، فالعجب من المازندراني كيف حكم بضلالهم دون كفرهم مع صراحة الأخبار في كفرهم...!.

إنَّه الانحراف في الاستنباط سببه ضعف الملكات الفقهية والنفسية والعقائدية...! من هنا كان تصدينا لهؤلاء المنحرفين بطرق استدلالهم من باب التكليف الشرعي المتوجب علينا بيانه كما فعل غيرنا من أعلام الإمامية حينما تصدوا لأمثال المازندراني وغيره ممن انحرفوا عن جادة الصواب والاستقامة في فهم الأخبار الشريفة التي لا تستوعبها إلا صدور أمينة وقلوب سليمة، وأنَّى للخائض في الشبهات أن يدرك كنهها أو يدرك معشار العشر من معناها وفحواها...! إذ إن أمرهم صعب مستصعب لا يحتمله إلا صدور منيرة حسب تعبير إمامنا المعظم الصادق المصدّق عليه السلام الذي قال: «إن حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا صدور منيرة أو قلوب سليمة أو أخلاق حسنة، إن الله أخذ من شيعتنا الميثاق كما أخذ على بني آدم ألست بربكم؛ فمن وفى لنا وفى الله له بالجنة، ومن أبغضنا ولم يؤد إلينا حقنا ففي النار خالدا مخلداً».

ولعلّ ما ذهب إليه المازندراني كان مدخلاً لانحراف اللاحقين له من ذوي النفوس الضعيفة، ولعلَّه هو ما أوقع أسد قصير والصرخي وغيرهما في حسن الظن بأولئك الكفرة، تقليداً لمن سبقهم من ذوي السليقة المعوجة والاستدلال الفاسد...! سبحان من لا ينسى ولا يخطئ.... فإنَّ زلة العالم في مقابل سبعين زلَّة للجاهل، وحساب العالم أشدُّ وأعظم بكثير من حساب الجاهل..! وقد جاء في الصحيح عن حفص بن غياث عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: «يا حفص يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد».

3 - أحمد بن إدريس، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان، عن الفضيل عن الحارث بن المغيرة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية؟ قال: نعم، قلت: جاهلية جهلاء أو جاهلية لا يعرف إمامه؟ قال جاهلية كفر ونفاق وضلال».

4 - بعض أصحابنا، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، عن مالك بن عامر، عن المفضل بن زائدة، عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من دان الله بغير سماع عن صادق ألزمه الله البتة[1] إلى العناء ومن ادَّعى سماعاً من غير الباب الذي فتحه الله فهو مشرك وذلك الباب المأمون على سر الله المكنون.

ملاحظة مهمة: بالرغم من كثرة الأخبار في لعنهما وكفرهما والتي تجاوزت المئات طلَّ على الشيعة عبر مقابلة على فيديو نشر على مواقع التواصل الإلكتروني معممان بتريان هما: أسد قصير والصرخي الحسني نفيا عن صنمي قريش الكفر والنصب ونسبا إلى التشيع ما هو بريء منه في دعواهما الباطلة بأن الأصنام الأربعة مسلمون وليسوا بنواصب وكفاراً وادَّعى الثاني أننا لا ندري يوم القيامة ما هو مصير أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعمر بن الخطاب وهل أنّهما سيكونان مع رسول الله أم ضده. . . بمعنى أننا لا ندري حقيقتهما العقائدية من حيث الكفر والإسلام! فلربما يدخلهما الله تعالى الجنة لأن أخبارنا - بحسب زعمهما - مضطربة وغير صحيحة. . . !.

وهي دعوى أشعرية مخالفة - بالقطع واليقين - لمجمل الآيات والأخبار الكاشفة عن كفر هؤلاء الأربعة بلا تردد أو إجمال واضطراب حسب دعوى هذين المعممين كذباً وزوراً، وقد أريناكم بعضاً مما رواه المجلسي (رحمه الله) من أخبار واضحة في كفرهم ونصبهم ليتضح كذب هذين البتريين وأمثالهما من كذابي الشيعة الذين سيقدّم إمامنا القائم (أرواحنا فداه) رقابهما وأمثالهما إلى القطع إنْ

(1) في نسخة «بصائر الدرجات» وغيرها هكذا: «ألزمه الله التَّيه»، وللتَّيْه معانٍ متعددة منها: الصَّلَف والكِبْر والضلال والحيرة؛ و«البتة» اسم المرَّة من بتَّ وهي بمعنى «قطعاً» وبدون رجعة ولا عود.

أدركا أيامه الشريفة وإلا فإن لهما رجعة للحساب العلني والتنكيل الأليم لإضلالهما عباد الله... ولم تكتفِ الساحة الشيعية بمن ذكرنا آنفاً، بل لحقهم الشيخ عبد الأمير قبلان الذي أفتى في دار الفتوى السنيَّة اللبنانية عام 1436 هجري في ذكرى ميلاد النبيّ الأعظم محمد ﷺ، بأنه «شاء القدر أن يكون شيعياً وأن من يبغض أبا بكر وعمر وعثمان فهو ابن حرام..»؛ فقد حكم على الصدّيقة الكبرى وإمام المتقين وأولاده الطاهرين (سلام الله عليهم) وشيعتهم المخلصين بأنهم - والعياذ بالله من كلمة الكفر - أولاد حرام... لأن الصدّيقة (سلام الله عليها) هي أول من أعلنت بغضها لأبي بكر وعمر (لعنهما الله)... إنه الكفر والزندقة، ولمَّا تصدينا له قامت الدنيا علينا ولم تقعد وانهالت علينا الشتائم، وازدادات حملات التشهير والانتقاص منا، لكنّنا نفوّض أمرنا إلى الله تعالى والإمام الحجة القائم (أرواحنا فداه) ولنا موقف مع هؤلاء الكافرين الظالمين فإن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب...! ومما يقرح قلب الغيور أنّ أكثر المعممين في لبنان والعالم الشيعي نيام أو في حالة سكرٍ..! وكأن الأمر لا يعنيهم مع أن هذا المخبول نعت - والعياذ بالله - أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم بالحرام كما نعت أُمهاتهم بالحرام وأنهنَّ بغايا - حاشاهم من ذلك -...!.

ولعلّ ما قاله في حقهم - ولكن بشكلٍ مقلوب - حقٌّ وصواب؛ لأن من لا تحركه حميته على أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام وعلى أُمّه فإننا نعتبره مشكوك النسب بحسب ما دلت عليه أخبارنا الشريفة، وقد فصّلنا ذلك في ردّنا على هذا المفتري، فليراجع في موقعنا الإلكتروني.

والحاصل: إن فرقة البترية - قديماً وحديثاً - هي في الواقع فرقة بكريَّة عمريَّة تتمظهر بموالاة آل محمد عليهم السلام وتستبطن الميل إلى أعداء آل محمد (سلام الله عليهم)، ويؤكد ما قلناه سابقاً وما سردناه من أحاديث تكشف واقعهم، هو ما رواه الراوندي في الخرائج عن داوود الرقي قال: كنت عند الصادق عليه السلام أنا وأبو الخطاب والمفضل وأبو عبد الله البلخي إذ دخل علينا كثير النوا - أحد أعمدة البترية - وقال: إن أبا الخطاب يشتم أبا بكر وعمر ويظهر البراءة منهما،

فالتفت الصادق عليه السلام إلى أبي الخطاب وقال: يا محمد ما تقول؟ قال: كذب والله ما سمع قط شتمهما مني! فقال الصادق عليه السلام : قد حلف ولا يحلف كذباً، فقال: صدق لم أسمع أنا منه ولكن حدثني الثقة عنه، قال الإمام الصادق عليه السلام : إن الثقة لا يبلغ ذلك، فلما خرج كثير النوا قال الإمام الصادق عليه السلام : أما والله لئن كان أبو الخطاب ذكر ما قال كثير، لقد علم من أمرهم ما لم يعلمه كثير، والله لقد جلسا - أي أبو بكر وعمر - مجلس أمير المؤمنين عليه السلام غصباً، فلا غفر الله لهما ولا عفا عنهما، فبهت أبو عبد الله البلخي، فنظر الصادق عليه السلام متعجباً مما قال فيهما، فقال الصادق عليه السلام : انكرت ما سمعت فيهما؟ قال: كان كذلك، فقال: فهلا الإنكار منك ليلة دفع إليك فلان بن فلان البلخي جارية لتبيعها. . . ».

قال المحدث المجلسي (رحمه الله) معقباً على الأحاديث الذامة بأصحاب السقيفة: «إعلم أنّ الطائفة من أهل الخلاف لمّا رأوا أن إنكار أهل البيت عليهم السلام على أئمتهم ومشايخهم حجة على بطلانهم ولم يقدروا على القدح في أهل البيت عليهم السلام وردّ أخبارهم لما تواتر بينهم من فضائلهم وما نزل في الكتاب الكريم من تفضيلهم ومدحهم، حتى صار وجوب مودتهم وفرض ولايتهم من الضروريات في دين الاسلام، اضطروا إلى القول بأنهم عليهم السلام لم يقدحوا في الخلفاء ولم يذكروهم إلا بحسن الثناء - كما ذكره التفتازاني في شرح المقاصد - وربما تمسكوا بأخبار شاذة موضوعة رووها عن النواصب، ولا يخفى على من له أدنى مسكة من العقل أنه لا يصلح أمثال تلك الروايات المعدودة الشاذة مع ظهور التقية فيها لمعارضة ما تواتر عنهم عليهم السلام وروتها خواص أصحابهم وبطانتهم، ولا يمكن صدور مثلها إلا عن صميم القلب بدون الخوف والتقية وأي ضرورة في أن ينصب إلى أئمتهم في زمان الخوف والتقية ما يصير سببا لتضررهم من المخالفين، ولتضاعف خوفهم، ووقوع الجرائم والقتل والنهب عليهم ولم يمنعهم أئمتهم من تدوين أمثال ذلك في كتبهم في مدة مديدة تزيد على ثلاثمائة سنة، وأكثر تلك الكتب قد دونت في زمانهم ولِمَ لم يتبرأوا منهم كما تبرأوا من الغلاة كأبي الخطاب وأضرابه؟ وهل هذا مثل أن يقال لم يرَ أحدٌ من أصحاب

الأئمة الذين دونوا أسماءهم في رجال الشيعة أحداً من الأئمة عليهم السلام ولم يسمعوا منه شيئاً بل كانوا يفترون عليهم؟ أو يقال لم يكن جماعة موسومون بتلك الأسامي، بل وضعت الشيعة تلك الأسامي من غير أصل؟ وتقول اليهود والنصارى لم يبعث رجل مسمى بمحمد بأمثال تلك الخرافات؟.

وبالجملة: لا ريب في أن مذاهب الناس وعقائدهم إنما يؤخذ من خواصهم وأحبائهم دون المنحرفين عنهم والمنخرطين في سلك أعدائهم وهذا من أجلى الواضحات، ولعمري كيف لا يكذبون أصحاب أبي حنيفة والشافعي ومالك وأضرابهم فيما ينسبون إليهم، ويكذبون أصحاب أئمتنا عليهم السلام في ذلك؟! وأعجب من ذلك أنهم يعتمدون على أصولهم المشحونة بالأباطيل والأكاذيب المروية عن جماعة من المنافقين ظهر على الناس فسقهم وكذبهم، ولا يلتفتون إلى ما يرويه أفاضل الشيعة في أصولهم مع كونهم معروفين بين الفريقين بالورع والزهد والصدق والديانة؟ وهل هذا إلا لمحض العصبية والعناد؟!. فقد روى مسلم في صحيحه، بإسناده عن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - جهاراً غير سر - يقول: ألا إن آل أبي طالب ليسوا لي أولياء، وإنما وليي الله وصالح المؤمنين..»؛ انتهى كلامه مختصراً.

الكلام المتقدم للمحدّث المجلسي (رحمه الله) واضح الدلالة على أن فرق الضلالة سواء أكانوا أشعريين أو بتريين وضعوا أحاديث مزيفة ترفع من قدر أصحاب السقيفة وهي أحاديث متعارضة مع أخبارنا القطعية الواضحة الدلالة في تكفير أصحاب السقيفة وكل من والاهم وقال بمقالتهم حتى لو كانوا شيعة؛ لأن المناط في الإيمان بآل البيت عليهم السلام مشروط بالبراءة من أعدائهم وغير ذلك دونه خرط القتاد...!!.

ويميل بعض المتزيين بزيّ العلم والتشيع اليوم إلى الاعتقاد بأن الخلاف بين أمير المؤمنين أسد الله الغالب مولانا عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبين صنمي قريش يرجع إلى الخلاف على الإمامة السياسية لا الإمامة الإلهية، والسبب الداعي إلى مقالتهم هذه تعود إلى الخلفية البترية القائمة على أن الإمامة ليست نصاً إلهياً وإنما

هي شورى بين أهل الحل والعقد، مع أن أساس الخلاف إنما يرجع إلى إنكار الإمامة الإلهية والولاية الربانية لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، فدعوى أنَّ الخلاف إنما هو على الإمامة السياسية ليس إلا تمويهاً وكذباً على الله تعالى ورسوله وأهل بيته عليهم السلام لأجل مصالح سلطوية تروّج لها دول وأحزاب من كلا الفريقين (سنة وشيعة) تماماً كما روَّج لها قديماً حكام الزيدية وروادها . . . !!.

(**المعلم الثاني عشر**): إنكار البترية القديمة - ومعها البترية الحديثة اليوم - وجود الباطن للشريعة وكل ما يمت إلى عوالم الغيب بصلةٍ، وبالتالي فهم ينكرون المقامات الغيبية للإمامة الإلهية وما يترشح منها من معاجز وكرامات وآثار غيبية شهودية ومَلَكية . . . كلُّ ذلك لأنه لا يتفق مع دعائمهم الفكريَّة المبتنية على إنكار أصحاب السقيفة للمقامات الغيبية للنبيِّ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، من هنا نرى المخالفين ينكرون على الشيعة الإمامية اعتقادهم بالمقامات الروحية العالية لأهل البيت عليهم السلام كالولاية التكوينية والتشريعية وصدور المعاجز والكرامات على أيديهم ومعرفتهم بالأسرار الغيبية الإلهية . . . بدعوى أن المطلع على علوم الغيب ومَنْ بيده الولاية التكوينية هم الأنبياء على سبيل التحدي، وليس الإعجاز حالةً عامة نتيجة التسديد بالولاية التكوينية والمقامات الغيبية . . . وهذا الاعتقاد العامي الأشعري ولَّد حالةً ارتدادية في الصفِّ الشيعي حيث بات يُوصف المعتقِد بالمقامات الغيبية لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام بأنه حشوي يأخذ بكلِّ خبرٍ غيبي ويعتبرونه مغالياً لاعتقاده بالأخبار الدالة على الإعجاز التكويني والمقامات الإلهية لأهل البيت عليهم السلام، وقد قرأنا وسمعنا بعضهم في لبنان وإيران ممن يعتبرون الكلام حول الولاية التكوينية والمعاجز والكرامات مغالاة بحقِّ أهل البيت عليهم السلام لذا يجب - بنظرهم - نبذه من الوسط العلمي الشيعي . . . وما ذلك إلا لأن ذوي الشأن والقرار في بعض المجتمعات العلميَّة الشيعيَّة - إنْ لم يكن جُلّها - لديهم ارتباطات عقائدية مشبوهة تريد إسقاطها على رؤوس الشيعة، وعلى وجه الخصوص في الوسط الحوزوي في بلاد التشيع، وقد تصدينا لهذه الحالة التي انتشرت في العالم الشيعي بشكل عام منذ عشرين سنة، وفي لبنان

بشكل خاص عندما خرج علينا البيروتي البتري بمقالة «إن أهل البيت عليهم السلام لا يعلمون الغيب وليس لديهم أية ولاية تكوينية وليس ثمة بطون للقرآن الكريم...».

وما ذهب إليه هذا الضال سببه العقيدة الفاسدة التي اختمرت في ذاته كما هي لدى الفرقة البترية التلفيقية القائمة على المزج والتصفية بين مقام أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام وبين أصحاب السقيفة أبي بكر وعمر وهم مَنْ اصطلح عليهم بالفرقة الحشوية التي لا تمعن بالتدبر في فقه الحديث ورعاية مضمونه ودرايتة وسبر أغواره... وقد أجاد النوبختي حينما وصفهم بأنهم ملفقون[1]، بقوله (رحمه الله تعالى): «يفضِّلون عليّاً عليه السلام، ويثبتون إمامة أبي بكر، ويثبتون لمن خرج من ولد عليّ عليه السلام الإمامة عند خروجه، ولا يقصدون في الإمامة قصد رجل بعينه حتى خرج، وكل ولد علي عليه السلام عندهم على السواء من أي بطن كان».

وقال في موضع آخر: «الضعفاء من البترية هم أصحاب كثير النواء والحسن بن صالح بن حي وسالم بن أبي حفصة والحكم بن عتيبة وسلمة بن كهيل وأبي المقدام ثابت الحداد وهم الذين دعوا الناس إلى ولاية علي عليه السلام ثم خلطوها بولاية أبي بكر وعمر...».

وهذا ما نراه واضحاً في مسيرة البتريين اليوم حيث يدّعون الإمامة لكلِّ سيّدٍ علوي يخرج طالباً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويبالغون في إمامته وكأنها إمامة معصوم ويكفِّرون كلَّ من انتقده وخرج عليه، بل ويستبيحون دمَه كما هو حاصلٌ في أحد البلاد الشيعية...!.

والحاصل: إن أحد أبرز معالم البترية هو «إنكار وجود الباطن للشريعة أو التأويل في الآيات والروايات أو وجود جانب غيبي في الكتاب الكريم ومقامات الدين وإنكار كل ما له صلة بالإمامة الإلهية في موقعها الغيبي لأنه لا يتفق ذلك

(1) التلفيق لغةً: هو الخلط والمزج.

مع منهاجهم في التلفيق والتصفية بين مقام أهل البيت عليهم السلام وأصحاب السقيفة».

ويشهد لما ذُكر آنفاً ما رواه الكشي بسنده عن أبي بصير قال: قيل لأبي عبد الله عليه السلام وأنا عنده أن: سالم بن أبي حفصة يروي أنك تكلّم على سبعين وجهاً، لك من كلّها المخرج؟ قال: فقال عليه السلام: ما يريد سالم مني؟ أيريد أن أجيء بالملائكة، فو الله ما جاء بها النبيون ولقد قال إبراهيم ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] والله ما كان سقيماً وما كذب، ولقد قال إبراهيم ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] وما فعله وما كذب، ولقد قال يوسف ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠] والله ما كانوا سارقين وما كذب.

وروى الكشي أيضاً بسنده عن أبي عبيدة الحذاء قال: أخبرت أبا جعفر عليه السلام بما قال سالم بن أبي حفصة في الإمام؟ قال: ويل سالم ويل سالم ما يدري سالم ما منزلة الإمام.

وروى أيضاً عن أبي عبيدة الحذاء قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إن سالم بن أبي حفصة يقول لي: ما بلغك أنه من مات وليس له إمام كانت ميتته ميتةً جاهلية؟ فأقول: بلى، فيقول: من إمامك؟ فأقول: أئمتي آل محمد عليهم السلام فيقول: واللهِ ما أسمعك عرفت إماماً! قال أبو جعفر عليه السلام: ويح سالم وما يدري سالم ما منزلة الإمام، منزلة الإمام يا زياد أعظم وأفضل مما يذهب إليه سالم والناس أجمعون».

فقد دلت هذه الروايات الشريفة على أن للإمام مقاماً غيبياً شامخاً ومنزلةً عظيمة لا يدركها البشر وهي على عكس ما يروم إليه البتريون من تسطيح مقام ومنزلة الإمام عليه السلام واستنكارهم لمقامه الغيبي مقتصرين على المقام الظاهري للإمامة وهو العمل الاجتماعي الظاهر المعلن على السطح وقيامه بالنهضة السياسية المكشوفة. . .

كما أنّ رواية أبي بصير قد كشفت أُكذوبة البتريين المنكرين لوجود تأويل وباطن للشريعة والآيات الكريمة مع أن الكتاب الكريم قد أثبت لأهل البيت عليهم السلام مقاماً علمياً شامخاً يحصر علم تأويل الكتاب بالله تعالى والراسخين

في العلم بمقتضى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

فقد أثبتت الآية الشريفة أن للكتاب تأويلاً، وأن لأهل البيت عليهم السلام إحاطةً علمية بهذا التأويل، وأنه منحصر بهم فقط ولا يشمل غيرهم من الناس بمقتضى الآيات الأُخَر: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾[2].

فقد قيّد الكتابُ الكريم فهمَ تأويل الكتاب وسبر غوره ومعانيه بالمطهرين من أوليائه وهم آل محمد عليهم السلام: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾؛ فهم طاهرون من الدنس ومطهرون من كلِّ ما يبعد عن ساحة القرب الإلهي، لذا أعطاهم الباري (عز وجل) القدرة العلمية الكاملة على فهم مراد كلماته في الكتاب الكريم وهو فضلٌ يسبغه الله جلّت أسماؤه على مَنْ يشاء من عباده المتقين ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[3].

(**المعلم الثالث عشر**): نظرة البتريين القاصرة في روايات أهل بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم) والعلوم الصادرة منهم، حيث إنهم يدّعون وجود تعارض فيها، فادّعوا عدم واقعيتها ونفوا صدورها عنهم من دون أن يستخدموا قواعد الجمع الفقهي المتشعب الأطراف كالحمل على التقية أو تأويل الخبر بما يتناسب مع الأُسس والضوابط الكليَّة... وجُلّ هَمِّ هؤلاء البتريين هو نبذ الأخبار تحت ذرائع التعارض المخل بالغرض وأن التأويل تفريطٌ في دلالات الشريعة... وقد كان هذا المنهج ديدن قدامى البتريين كما علمنا من الروايات

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 7.
(2) سورة الواقعة، الآيات: 77 - 79.
(3) سورة البقرة، الآية: 105.

المتقدمة التي كشفت عن حال أعمدة البترية المنكرين لبواطن الشريعة والتأويل كسالم بن أبي حفصة وغيره ممن كانوا يردون على الإمام الباقر عليه السلام ويشكّكون بمقامات وأسرار وعلوم أهل البيت عليهم السلام . . . ولا تزال لهذا التيار حظوظه على الساحة الشيعية المعاصرة، وقد برز منهم جماعة في هذا المضمار ك: فضل الله وولديه، والحيدري، والياسرين عودة وحبيب، وقصير، وقبلان، والصرخي، والأمين، وطالب، والحسيني وثلة آخرين متسترين بزي العلم ممن يعملون بالرأي والقياس وطرح الأخبار التي لا تتوافق مع منهاجهم المنحرف وتطلعاتهم الفكريَّة والسياسية الحزبية الضيقة. . . !.

وقد لاحظنا في سيرة من ذكرناهم أنهم لا يقرون بالتقية كمبدأ ضروري عند الخوف من الظالمين اعتقاداً منهم بأن المخالفين إخوانهم في الدين فلا مجال لاستخدام التقية معهم، بل لا مجال للتقية عند هؤلاء ما داموا يتوافقون مع المخالفين في كلّ التفاصيل العقائدية والفقهية التي هي موضع خلاف بين الشيعة والأشاعرة. . . ونفيهم للتقية كنفي القدامى من البتريين الذين أنكروا أصل مبدأ التقية كبرنامج أمني للحفاظ على المعتقدات والأنفس من الاندثار في دول الظالمين، وغالباً ما كانوا يتطلعون إلى العمل السريع العلني من دون التعمق في الجانب التشريعي العميق الآمر بالعمل السّري الهادئ البعيد المدى بنحو التدرج. . . والسبب لنفي التقية عند الفرقة البترية قديماً وحديثاً هو ما ذكرنا من التقارب الفكري العقائدي والفقهي بينهم وبين المخالفين؛ فلا حاجة لهم إلى التقية كمبدأ سري للحفاظ على المعتقد الصحيح من الضعف أو الاندثار.

وقد كشفت بعض النصوص عن حال البترية القديمة المنكرة لمبدأ التقية كبرنامج أمني عقلائي، فقد ذكر الكشي قصة عمر بن رياح وغيره ممّن جابهوا إمامنا المعظم محمد الباقر (سلام الله عليه) وردوا عليه عمله بالتقية، قال الكشي: «عمر بن رياح: قيل إنه كان أولاً يقول بإمامة أبي جعفر عليه السلام ، ثم إنه فارق هذا القول وخالف أصحابه مع عدة يسيرة بايعوه على ضلالته، فإنه زعم أنه

سأل أبا جعفر عليه السلام عن مسألة فأجابه فيها بجواب، ثم عاد في عام آخر وزعم أنه سأله عن تلك المسألة بعينها فأجابه فيها بخلاف الجواب الأول، فقال لأبي جعفر عليه السلام: هذا خلاف ما أجبتني في هذه المسألة عامك الماضي، فذكر أنه قال له: إن جوابنا خرج على وجه التقية، فشك في أمره وإمامته، فلقي رجلاً من أصحاب أبي جعفر عليه السلام يقال له: محمد بن قيس، فقال: إني سألت أبا جعفر عليه السلام عن مسألة فأجابني فيها بجواب ثم سألت عنها في عام آخر فأجابني فيها بخلاف الجواب الأول، فقلت له: لِمَ فعلت ذلك؟ قال: فعلته للتقية وقد علم الله أني ما سألته إلا وأنا صحيح العزم على التدين بما يفتيني فيه وقبوله والعمل به ولا وجه لاتقائه إياي وهذه حاله، فقال له محمد بن قيس: فلعله حضرك من اتقاه، فقال: ما حضر مجلسه في واحدة من الحالين غيري، لا، ولكن كان جوابه جميعاً على وجه التبخيت[التبكيت] ولم يحفظ ما أجاب به العام الماضي فيجيب بمثله؛ فرجع عن إمامته.

وقال: لا يكون إمامٌ يفتي بالباطل على شيء من الوجوه ولا في حال من الأحوال، ولا يكون إماماً يفتي بتقية من غير ما يجب عند الله ولا هو مرخى ستره ويغلق بابه ولا يسع الإمام إلا الخروج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمال إلى سنته بقول البترية ومال معه نفر يسير.

نلاحظ من خلال هذا النص الأُمور الآتية:

(الأول): عدم اعتقاد البترية بالإمامة الإلهية والأسرار الربانية التي يحملها الإمام المعصوم عليه السلام، ويتضح هذا من خلال الاعتراض العلني لعمر بن رياح على إمامنا الباقر عليه السلام... إذ لو كان معتقداً بإمامته الإلهية لما كان جابهه بهذا الاعتراض العلني...!.

(الثاني): عدم تحمُّل عمر بن رياح مبدأ التقية الذي استخدمه إمامنا الباقر عليه السلام؛ ما يعني رفض البترية لهذا المبدأ القرآني والنبوي والعقلائي...!.

(الثالث): إن محاورة عمر بن رياح مع الإمام الباقر عليه السلام لم تكن على وجه الاستفهام والتعلم بل كانت على وجه التبخيت[1].

(الرابع): انعدام الاحترام لشخص الإمام المعظَّم أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام ، ودعوى عمر بن رياح بأن الإمام عليه السلام يفتي بالباطل ويعمل بالتقية؛ ما يعني أنه وأمثاله لا يعتقدون بالإمام الباقر عليه السلام بأنه إمام منصوب من قبل الله تعالى وهذا عين ما يقوله المخالفون عن الإمامة بأنها شورى بين أهل الحل والعقد ولكنهم - أي: البتريون - تستروا بالتشيع ليفتكوا به من داخل الصف الشيعي لكونه أسهل وأسرع في الاستئصال. . . . فيجب على علماء الشيعة ومتعلميها الموالين الحذر منهم والوقوف بوجههم من دون أن تأخذهم في الله لومةُ لائم وإن الله لهادٍ الذين آمنوا وكانوا يتقون، فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[2].

هذه الأمور الأربعة تبيّن لنا بعضَ المعالم الرئيسية للمنهج البتري القديم والحديث الذي يتستر وراء ذرائع الإمامة الإلهية، ولكنَّه في الواقع كافر بها من الأساس، فيتظاهر ذووها بالإمامة الإلهية وبأنَّ إمامتهم هي امتداد لإمامة الإمام الحجة بن الإمام الحسن العسكري عليهما السلام ؛ إلا أن الفارق بين البترية الواقفية وبين البترية الإثني عشرية إنما هو في الطريقة والأسلوب الخفي الماكر. . . !.

وخلال دراستنا للخلفيات البترية القديمة نرى معالمها متجلية بكامل تفاصيلها في البترية الحديثة الماكرة. . ! والبترية الحديثة خطورتها أعظم من البترية القديمة المتظاهرة بكفرها في الإمامة الإلهية بخلاف البترية الحديثة حيث إنها تنكر الإمامة الإلهية متقمِّصةً المعارفَ الشيعية الاثني عشرية مستخدمةً أُسلوب التشكيك في معارف الإمامة الإلهية، بل إنكارها من الأساس، تحت ذريعة

(1) التبخيت على وزن تفعيل وهو التبكيت؛ أي: الحظ والإقبال على الدنيا بالعمل بالرأي والقياس في مقابل النص الإلهي.
(2) سورة العنكبوت، الآية: 69.

الوحدة الإسلامية والحفاظ على مصالح الأُمة ورصّ الصف في مواجهة الاستعمار الغربي حيث يعتبرونه الغاية في نشر الوحدة وتقوية معالمها؛ لأن ذلك أسرع في تسطيح مقام الإمامة الإلهية ومنزلة الإمام عليه السلام عند الله جلَّت أسماؤه وتعالت صفاته.

(المعلم الرابع عشر): يتعمَّد البتريون الكذب والتزوير على أهل البيت عليهم السلام بتلفيق الأحاديث على أئمتنا الطاهرين عليهم السلام والاعتماد على أحاديث من مصادر المخالفين توفق بين ولاية أهل البيت عليهم السلام وولاية أصحاب السقيفة، وقد شاهدنا محاولات تكذيب أئمتنا المطّهرين عليهم السلام من قبل معممين في عصرنا الحاضر بتلفيق أحاديث ليست موجودة في مصادرنا الأخبارية، وقد فنّدنا جملةً منها في بحوثنا المنشورة على موقعنا الإلكتروني نظير الخبر المكذوب على أمير المؤمنين علي عليه السلام: «لو هاجمت الروم معاوية لوضعت يدي بيد معاوية»؛ وكالخبرين المكذوبَين على إمامنا الصادق (سلام الله عليه) هما الآتيان:

(الأول): ما لفقوه على الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لا تسبوا أبا بكر فقد أولدني مرتين».

(الثاني): ما لفقوه عنه عليه السلام أنه قال: «لقد بلغني أن بعضاً من شيعتنا في الكوفة يسبون الشيخين، والله لو غدا أمرهم إليّ لقطعت ألسنتهم».

وفي مقابل ذلك جحدوا أحاديث صحيحة وموثقة سنداً ودلالة تكشف عن علو مقامهم الغيبي والإعجازي والمعرفي، تقليداً لمن تقدَّمهم من البتريين القدامى كما في قصة الحكم بن عتيبة، ففي خبر الكشي عن يعقوب الأحمر وجماعة من أصحاب الإمام الصادق عليهم السلام قالوا: «كنا جلوساً عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل زرارة بن أعين فقال له: إن الحكم بن عتيبة روى عن أبيك أنه قال له: صلِّ المغرب دون المزدلفة، فقال له أبو عبد الله عليه السلام بأيمانٍ ثلاثة: ما قال أبي هذا قط، كذب الحكم بن عتيبة على أبي».

فالكذب عندهم غاية الغايات للوصول إلى الأهداف على قاعدة: «الغاية تبرر الوسيلة» التي فسرها البيروتي البتري بأن الغاية تنظف الوسيلة... من هنا

كذب على آل البيت عليهم السلام بنبذ أخبارهم الدالة على علو مقامهم وما طرأ عليهم من ظلامات وما يتعلق بمعاجزهم وكراماتهم وأسرارهم ومعارفهم العالية. . . !.

معالم البترية الحديثة!

قد أوضحنا سابقاً بما فيه الكفاية بأنَّ فرقة البترية فرقة تستمد جذورها من منهج أصحاب السقيفة باعتبارها تتبنى الفكر السني من جهة اعتقاده بتنصيب المعصوم (سلام الله عليه) للإمامة الإلهية على أساس المعايير الأرضية لا السماوية.

وقد ادَّعى أحد الباحثين: «بأن تيار البترية هو تيار نابع في الأصل من الأوساط الشيعية وليس محسوباً في ابتدائه على فرق السُنَّة، إلا أن هذا التيار نتيجة النهج التلفيقي الذي لديه على تقارب وطيد مع جملة من متبنيات الفرق الأخرى».

وهو اشتباه محض بالنظر إلى فكرهم الضال المفروز والمنبثق من الوسط السني المنكر للإمامة الإلهية وعداوتهم للصدّيقة الطاهرة الزكيَّة فاطمة البتول (سلام الله عليها) كما دلَّ على ذلك خبر زيد (صلوات الله عليه مع أعمدة البتريين الذين كانوا يتظاهرون بالتشيع إلا أن واقعهم هو بكريٌّ عمريٌّ لينخروا في الوسط الشيعي بمآزر شيعية حسبما ذكرنا مراراً وتكراراً، وهو ما نلحظه اليوم في البترية الحديثة عبر شبكات التواصل الاجتماعي وعبر مصنفات أشعرية بأسماء شيعية للتأثير على القواعد الشيعية تحت ذريعة أن المشكِّك هو شيعيٌّ وليس سنيّاً أشعرياً!.

إذاً، البترية منهجٌ سنيٌّ بثوبٍ شيعيٍّ، وبالتالي هي فرقةٌ منافقةٌ تتظاهر بالإيمان بآل البيت عليهم السلام بإظهار الولاء لهم، ولكنها فرقةٌ تنتقص منهم عليهم السلام، وشعارهم الكبير بتر أمر سيدتنا الطاهرة المطهرة الصدّيقة الكبرى فاطمة عليها السلام كما يشير إلى ذلك خبر زيد (صلوات الله عليه) عندما قال لبعض أعمدة البترية «**أتتبرأون من فاطمة عليها السلام، بترتم أمرنا بتركم الله**»؛ ما يعني أن هذا التيار بُني

على بغض مولاتنا فاطمة عليها السلام والمنهج الذي سارت عليه هذه الطاهرة الزكيَّة عليها السلام بسبب مجابهتها لأصحاب السقيفة (لعنهم الله تعالى).

فهذا المنهج هو من الأساس كافرٌ بمولاتنا فاطمة عليها السلام وجاحدٌ لجهادها للجبت والطاغوت ولمقاماتها الإلهية (روحي فداها)؛ ما يعني أن أساس منهاجهم إعلان الكراهية للسيِّدة الكبرى الزهراء البتول (صلوات الله عليها ولعن الله ظالميها)... وهذا البغض وهذه العداوة لسيِّدة نساء العالمين (صلوات الله عليها وأرواحنا فداها) أساسه ودعامته الكبرى هي الولاء لعدوّيها الأكبرَين أبي بكر وعمر؛ ما يعني أن هذه الفرقة البترية كانت من الأساس على عداوة مع السيِّدة الطاهرة الزكية سلام الله عليها، وتتجلى هذه العداوة ببغض وكراهية كلّ ما يمت إلى هذه الطاهرة الزكية (سلام الله عليها) بصلة، بدءاً بالمقامات النورانية الإلهية لهذه الطاهرة الزكية (سلام الله عليها) وانتهاءً بظلاماتها من قبل طاغوتي عصرها من أصحاب السقيفة... ولا يزال هذه البغض ظاهراً على ألسن أعمدة البترية الحديثة التي يقودها رواد الوحدة الإسلامية ممّن لا يحبون سماع شيء عن الزهراء المظلومة المجاهدة لأصحاب السقيفة؛ تحت ذريعة أن ذكر ظلامتها - لا سيَّما الاعتداء عليها من قبل أبي بكر وعمر اللذين لعبا دوراً كبيراً في إدخال الكرب على فؤادها الشريف -، يستلزم إثارة الفتنة الشيعية - السنية، فاتفقوا سراً على سحب ملف ظلامة مولاتنا الطاهرة الزكية عليها السلام من التداول بين الناس درءاً للفتنة - بحسب نظرهم - فكان الحماس لإطفاء الظلامة على أشده عند الوحدويين؛ وهؤلاء البتريون الجدد أكثر حماساً من أتباع وأحباء أصحاب السقيفة، ومما يؤكد كيدهم ومكرهم وكراهيتهم لهذه الحرّة الطاهرة الزكية عليها السلام أنهم لا يقيمون مجالس العزاء التي تُظهر ظلاماتها من قبل طاغوتي عصرها، بل أنهم ينهون عن ذكر ظلاماتها لا سيَّما ضربها وتكسير أضلاعها وإجهاض جنينها من قبل عمر بن الخطاب، وهذا ما فضح أكذوبتهم المتمثلة بادعائهم الولاء والمحبَّة لها عليها السلام ....!.

فقد تنوعت أدوار هذه الفرقة بإعلان العداوة لسيِّدة النساء عليها السلام في هذا العصر. . . فتارةً يدَّعون بأن ذكر ظلاماتها يؤدي إلى فتنة سنيَّة شيعية. . . ! وأُخرى بأن ذكر ظلاماتها كان من التاريخ الماضي، ولا يجوز أن نعيد التاريخ مرةً أُخرى. . . ! وثالثةً بأن الأخبار التي كشفت عن ظلاماتها ضعيفة الأسانيد بل هي من صنع المغالين من الشيعة وأعداء الأُمَّة الذين يريدون تفتيت الأُمَّة وإدخالها في نفق الخلاف العريض المؤدي إلى سفك الدماء. . . ! ورابعةً بذكر مناقب غيرها من نساء العالمين بجعل السيِّدة الطاهرة الزكية عليها السلام لا تفترق عن غيرها ممن جاءت النصوص العاميَّة بتفضيلهنّ على سائر النساء كما فعل الشيخ ياسر حبيب الذي اعتمد على خبر عكرمة القائم على التشكيك بعلو قدرها وابنتها الصدّيقة الصغرى الحوراء زينب (سلام الله عليهما) عند الله تعالى وعند النبيِّ الأعظم وبقية الحجج المطهرين (سلام الله عليهم)؛ من جهة أن خبر عكرمة يساوي بالفضيلة بين سيِّدة نساء العالمين مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام وبين السيِّدة مريم وآسية بنت مزاحم عليهما السلام، وينفي الفضيلة لمولاتنا الحوراء زينب عليها السلام عليهما من جهةٍ أُخرى. . . !.

هذا الهجوم العنيف الذي تشنه فرقة البترية الحديثة على ظلامات سيِّدة نساء العالمين عليها السلام يعطينا صورةً جليَّةً حول كراهيتهم لها ورغبتهم بإطفاء نورها الأقدس، بل تعدت كراهيتهم لأولادها الطاهرين عليهم السلام لا سيَّما الحوراء زينب عليها السلام وأُم كلثوم ومحسن عليهم السلام، فلا هم يعتقدون بعلو قدرهم ولا بمقاماتهم الشريفة، كما لا يهمهم الظلم الذي طالهم من قبل أصحاب السقيفة الملعونة؛ ولم يقتصر الأمر على تشكيكهم بعلو قدر تلك الحرَّة الطاهرة الزكيَّة عليها السلام فحسب بل تعداه إلى علو مقام بقية الأئمة الطاهرين عليهم السلام، فأضحى الكلام عن معاجزهم وكراماتهم أمراً مغالاً به، فلا يجوز التحدث عنه أبداً؛ لأن الغلو شركٌ. . . إلى آخر ما هنالك من خزعبلات وهرطقات تصوروها بعقولهم الضعيفة ومداركهم السخيفة.

الغاية من نشوء الفرقة البترية والأسباب المؤدية إلى ذلك!

التدبر في الخلفيات السياسيَّة والعقدية عند الفرقة البترية يعطينا صورةً واضحةً عن الأسباب المؤدية لنشوء هذه الفرقة الخبيثة، ونحن نختزلها بأمرين خطيرين هما الآتيان:

(الأمر الأول): الفتك بمعالم التشيع من داخله، وقد أوضحناه سابقاً.

(الأمر الثاني): جحود الفرقة البترية لكلِّ المقامات الإلهية لأهل البيت عليهم السلام، ونبذهم لكلِّ من يتحدث عن جهاد سيِّدة نساء العالمين (سلام الله عليها) والظلامات التي لحقتها وأهل بيتها الطاهرين عليهم السلام... وكأنَّ ذكرها ينغّص الحياة عليهم ويشوِّش عقولهم ويزعزع كيانهم المبنيّ على الظلم كما كان عليه ظالموها (لعنهم الله تعالى).

وبعبارةٍ أُخرى: إن ظاهرة البترية المخلِّطة هي فرقة مناوئة لظاهرة رفع المقامات الإلهية لأهل البيت عليهم السلام والأخذ بحقوقهم... وليس سديداً ما ذهب إليه أحد الباحثين من أنّ: «ظاهرة البترية هي ظاهرة مناوئة لظاهرة المشتهرين بالغلو»؛ إذ كيف يكون ذلك صحيحاً وقد قامت الفرقة البترية على الغلو بقادتها حيث ادَّعوا لهم النبوة ثم ترقوا فرفعوهم فوق مقام البشر فنسبوا إليهم الأُلوهية...!.

وبعبارةٍ ثالثة: إن من معالم البترية بعامة فرقها قيامها على أساس الغلو بقادتها ورؤسائها، وقد أعلمناكم سابقاً أن أحد أبرز معالمها القول بتنزيه أصحاب السقيفة من كلِّ عيبٍ وخطأ ما يعني الاعتقاد بعصمتهم وتنزيههم، وبالتالي رفعهم من مقام البشر العاديين إلى مقام العصمة...!.

بالإضافة إلى اعتقاد بعضهم بنبوة قادتها... نعم؛ يمكن أن يكون لهذه الدعوى وجهٌ من الصحة فيما لو كان ظنه بوقوف فرقة البترية ضد ظاهرة الغلو راجعاً إلى اعتقاد البتريين القائلين بأن كلّ حديثٍ حول الكرامات وعلو المقامات يعتبر نوعاً من الغلو... وهو أمر آخر لا يمت بصلةٍ إلى تحديد مفهوم الغلو لغةً

واصطلاحاً، وتحديدهم لمفهوم الغلو الشامل لكلّ مَنْ رفع من مقامات أهل البيت عليهم السلام وأفاض بالحديث عن ظلاماتهم لم نسمعه إلا من الوحدويين في هذا العصر وهو امتداد لأتباع المدرسة القميَّة القديمة القائلين بغلو كلّ من كان يعتقد بالعصمة لأهل البيت عليهم السلام ، وهذا إنْ دل على شيء فإنما يدل على شيئين لا ثالث لهما : إمّا جهلهم بالمعارف العقائدية، لذا لم يفهموا معنى الغلو المقيَّد فقط بما لو تجاوز المغالي حدَّ الأُلوهية في الوليّ المغالى به. . . وإمّا أنهم يعرفون معناه الاصطلاحي، ولكنهم يكابرون على الحقيقة ويصرفون المعنى الحقيقي للغلو إلى معنىً آخر لا علاقة له بالمفهوم الحقيقي للغلو لكي يشكِّكوا القواعدَ الشيعية بمقامات أهل البيت عليهم السلام وبالتالي جحود إمامتهم وولايتهم. . . وهذا هو ما يصبو إليه البتريون اليوم.

وتنحصر البترية في عصرنا الحاضر - بشكل كبير - في حزب الدعوة العراقي وتوابعه من الأحزاب الأُخرى؛ وروادهم وقوادهم خليط من القوميات الشرق أوسطية كإيران والعراق والبحرين والكويت والسعودية ولبنان، وقليل منهم في باكستان والهند. . . وقد لاحظنا بوضوحٍ أنّ كلّ مَنْ شكك في ظلامات سيدتنا المعظمة الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) وشكَّك بمقاماتها العالية الشريفة وأهل بيتها الطاهرين (سلام الله عليهم أجمعين)، هم من حزب الدعوة العراقي ومتفرعاته الحزبية بدءاً بالعراقيين الثلاثة: الرافعي والناصري والصرخي وبالكويتي ياسر الحبيب والإيراني المعروف واللبنانيين: فضل الله والأمين وأذنابهما من العمائم المنحرفة كأسد قصير وياسر عودة وأضرابهم من المعممين الموتورين. . . واللؤم تحت عمائم الأنصار. . ! وتشكيكاتهم ليس لها حدّ، فقد فاقوا البتريين القدامى من حيث نوع التشكيكات وكميتها. . . ! فقد فاقت تشكيكاتهم التصور حتى وصلت إلى التفاصيل الفقهية والعقائدية والتاريخية الثابتة بالقطع واليقين. . ولو دعتنا الضرورة في المستقبل إلى كشفها فسنفعل بإذن الله تعالى. . والبادي أظلم!.

تنوع الأدوار التشكيكية بمقامات ومعارف أهل البيت (سلام الله عليهم)!

يمكن تصنيف أدوار البتريين من متشيعة هذا العصر في التشكيك بمقامات ومعارف أهل البيت عليهم السلام إلى صنفين:

الصنف الأول: يتظاهر بالتلفيق العلني بمنهاج البتريين الجاحدين لمقامات وظلامات سيِّدة نساء العالمين وأهل بيتها الطاهرين (سلام الله عليهم) نظير رفضهم للمعارف الإلهية والأسرار الربانية وظلامات سيدة نساء العالمين عليها السلام تحت ذريعة عدم ثبوتها بدليل قطعي. . . !.

الصنف الثاني: يتظاهر بمنهاج التشيُّع ولكنه يخفي عداوته لأهل البيت عليهم السلام لا سيمَّا سيِّدة نساء العالمين (سلام الله عليها) من خلال التشكيك في كلِّ المقامات والظلامات التي لا تتناسب مع مبانيهم الفقهية والعقائدية الزائفة كرفض الأخبار التي تذم الصنمين وابنتيهما عائشة وحفصة على وجه الخصوص.

وهذا الصنف أكثر انتشاراً في القواعد الشيعية، ويقود هذا الصنف معممون يتظاهرون بالعداوة لأصحاب السقيفة بذريعة الحرص على الوحدة الإسلامية، وقد لاحظنا صياحهم ونعيقهم بالدفاع عن الوحدة المزعومة والمبالغة فيها فأضحوا أكثر حميَّةً وحماساً لأصحاب السقيفة وأعوانها من المخالفين أنفسهم كما أشرنا سابقاً. . . وهؤلاء أخطر فرق البترية في عصرنا الحاضر، وذلك لما يمتلكه هؤلاء من عناصر القوة والإعلام التي تؤهلهم للقضاء على كلّ مناهضٍ لهم ومجابهٍ لاعتقاداتهم الفاسدة لا سيما اعتقادهم بأن للفقيه الولاية المطلقة التي تخوله التصرف بالأنفس والأموال والأعراض باعتبار أن المعارض له خارجٌ من الدين وشريعة سيِّد المرسلين وآله الطيبين الطاهرين عليهم السلام؛ لأن الله أعطاه ولاية ربانية تؤهله للحكم بالإيمان والكفر بحسب زعمهم الفاسد. . . !

وإنْ كان قسمٌ من هؤلاء يتظاهرون بعدم اعتقادهم بسعة الولاية للفقيه إلا أنهم يفرطون في تصويب أعمال وتصرفات الفقيه فينزهونه عن الوقوع في المزالق والأخطاء والنسيان والاشتباه، ويعتبرون الفقيه مسدداً من قبل الله تعالى لا يجوز

لأيِّ فقيهٍ آخر الاعتراض عليه وتفنيد آرائه الفاسدة المخالفة للكتاب والسنة المطهرة. . . !

والمحصّلة: إن كلا الصنفين من البتريين يقودهما حزب الدعوة منذ تأسيسه خلال الخمسينات في مصر على يد الإخوان المسلمين، وكانت الغاية من تأسيسه في الوسط الشيعي - وعلى وجه التحديد في الجسم الحوزوي الشيعي - هي حرف القواعد الشيعية عن مسارها السليم بشقيه: التولِّي والتبري. . . وهنا يكمن الخطر على معالم التشيع، والواجب على إخواننا من الفقهاء والأعلام الموالين أن ينتبهوا إلى ذلك الخطر العظيم بالوقوف بوجهه والتصدي له، وهو ما لم نلحظه عند الغالبية العظمى منهم في حوزتي قم والنجف على وجه الخصوص. . . فلم نلحظ إلا السكوت المطبق منهم وكأن الأمر لا يعنيهم، فجلُّ همهم هو أن تنتشر مرجعياتهم وتزداد شعبيتهم تحت ذريعة أن النزول إلى مستوى أولئك البتريين يعلي من شأنهم ويقوّي منهجهم. . . وما ظنوه هو عين الضلال والفتنة، وهو معاكس للآيات والأخبار الآمرة بوجوب مجاهدة أهل البدع والضلالة. . . .

وبالجملة: تتلخص معالم البترية بالأمور الآتية:

(الأمر الأول): سعيهم الحثيث نحو السلطة والحكم، فهم لم يكتفوا بالعناصر غير الحوزوية لتسلُّم السلطة بل تجاوزوا ذلك إلى تنصيب العمائم لرئاسة الجمهورية ومجلس النواب وقيادة المظاهرات والإدارات. . . وقد أدخلوا على الشيعة الويلات بتصرفاتهم ورعونتهم، وتخلوا عن مدارسة الأخبار ونشرها، وتفرغوا لقيادة الناس عبر جمعيات وأحزاب سياسية ومسلحة. . . وقد نالتنا منهم المصائب والجرائر ولم يسلم منهم مستضعف في بلاد التشيع حتى صار المستضعف يتمنى رجوع الحكومات العلمانية غير الشيعية إلى تسلم السلطة والحكم لأن ضرر هؤلاء أقل بكثير مِن ضرر مَنْ ينسب نفسه إلى التشيع ويظلم الشيعة باسمه وبالفتاوى الشرعية. . . ! فلو دار الأمر بين حكم كافرٍ لا يظلم رعيته باسم الدين وبين حاكم يحكم باسم الدين ويفتك بمعارضيه. . . قُدِّم الأولُ على

الثاني عقلاً وشرعاً لانعدام الضرر من الأول على الشريعة وأتباعها بخلاف الثاني فإن ضرره أكثر من نفعه، وما كان ضرره أكثر من نفعه يحرم التعاطي معه والدعوة إليه، فكسرى عند الله تعالى أفضل من المنافقين من صحابة النبي الأعظم ﷺ الذين صبوا جام حقدهم على أمير المؤمنين وزوجته الطاهرة الزكية الزهراء البتول (سلام الله عليهما)... بل إنَّ كافراً يعطي الحقوق للناس وينتصف للمظلوم من الظالم خير عند الله تعالى من مؤمن يظلم الآخرين ويغتصب حقوقهم باسم الدين والتشيع والفتوى الشرعية التي صارت سلعة بائرة في زماننا هذا، وقد مجَّها الناس حتى ضجروا من الدين والمتدينين والعياذ بالله تعالى..!!

عودٌ على بدء: إن ظاهرة البترية قد تكررت في هذا الزمان من قبل عمائم بترية لا تخاف الله تعالى فخلطوا بين نهج أهل البيت (سلام الله عليهم) وبين نهج أصحاب السقيفة «فكما يُجعل أهلُ البيتِ عليهم السلام مصدراً ومنبعاً لأخذ الأحكام والمعارف منهم عليهم السلام ينضم إليهم أيضاً مرجعية الصحابة كمصدر ديني يعوّل عليه وحجة في تفسير القرآن وأخذ الأحكام... وهذا المنهج نمط من أنماط النفاق في الإيمان حيث يظهر الولاء لأهل البيت عليهم السلام ولكنه ينتقصهم علمياً كما يشير إلى ذلك أخذهم وأتباعهم لأقوال وآراء غيرهم...».

وهذا الخلط والتلفيق كارثةٌ على التشيع اليوم، ولكنَّ لله تعالى الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يخسر المبطلون، فيجب على علماء التشيع أن يشحذوا الهمم لمجاهدة هذه الفرقة الخبيثة التي إذا استمرت بانتشارها فلن تبقي معلماً من معالم التشيع إلا أحرقته ولا ركناً إلا هدمته...! ولن يكون ذلك بعون الله تعالى ما دام في هذه الأُمة موالون مجاهدون يذودون عن حياض التشيع ضربات النواصب حتى خروج وليّ الأمر وناموس العصر إمامنا المعظم صاحب الزمان (سلام الله عليه وعجّل الله تعالى فرجه الشريف).

ولقد عزا أحدُ الباحثين الأسباب المولّدة للبترية إلى ثلاثة:

(السبب الأول): الجهل بحقيقة منهاج أهل البيت عليهم السلام على ما هو عليه من عمق وغور، والاكتفاء بالنظرة السطحية، وقد يكون ذلك الجهل بسبب قصورٍ

علميّ وقلة باع في الآليات العلمية التي يمكن بتوسطها إدراك حقائق معالم منهاج الأئمة عليهم السلام .

(السبب الثاني): الضعف النفسي والروح المنهزمة أمام تسلط وسيطرة جمهور المذاهب الإسلامية الأخرى، وهذا العامل يؤثر بشكلٍ خفي في اللاشعور الباطن لدى ضِعاف النفوس يحدو بهم إلى البُعد عن الموضوعية في التفكير والاستنتاج فيزعمون أن الحقّ يساوي الغلبة العقلية الراهنة، وهو نمط من الوهن والنكول والمداهنة رغبةً في الوداعة ورغيد العيش. . .

(السبب الثالث): التأثر أمام السيل الإعلامي السلطوي المتكرّس عبر التاريخ في بطون الكتب وأعماق الأذهان في الأجيال، المزيف للحقائق من دون تدبر وتأمل واستقصاء لخيوط الحقيقة كموضوع فتوحات البلدان والظلامات والاضطهاد الذي جرى على أهل البيت عليهم السلام والمنعطفات الهامة في سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وتاريخ الصدر الأول للإسلام.

هذه الأسباب التي ذكرها هذا الباحث جديرة بالاهتمام، وهي تشخيص تام للحالة العامة في القواعد الشيعية البترية في عصرنا الحاضر، ولكننا لا نشاطره في كونها معالم لقواد البترية الحديثة فحسب بل نميل إلى أن هذه الأسباب التي ذكرها أكثر انطباقاً على القواعد الشيعية التابعة لزعماء البترية الحديثة، إلا أن هذه الزعامات لها أفكارها الخاصة بمفهوم التولي والتبري قد أخذته من زعماء البترية القديمة المعاصرة للأئمة الطيبين الطاهرين (سلام الله عليهم). . . والمتدبر في كلمات قواد البترية الحديثة يرى بوضوح مدى تأثر هذه القيادات بمبادئ البترية القديمة من دون أن يكون تأثرها نابعاً من الأسباب الثلاثة التي مرّت آنفاً. . .

والصحيح في إرجاع الأسباب لتولد البترية الحديثة، يكمن في حبِّ السلطة كما أشرنا في الأمر الأول المضاف إلى الأمور الآتية.

(الأمر الثاني): بغضهم لمولاتنا سيِّدة نساء العالمين عليها السلام كما أشرنا مراراً في حديث زيد رضي الله عنه عندما كشف عن واقعهم بأنهم يتبرؤون من مولاتنا فاطمة عليها السلام ولا يتبرؤون من أعدائها. . . !.

بالإضافة إلى الأخبار الأُخرى الدالة على أن البترية هم نواصب الشيعة كصحيحة عبد الله بن سنان الكاشفة عن أن الناصبي هو من ينصب العداوة للشيعة لأنهم يتولون أئمة أهل البيت عليهم السلام ويتبرؤون من أعدائهم ومبغضيهم.

بالإضافة إلى صحيحة زرارة في الكافي الشريف الناهية عن مناكحة النواصب من البترية التي على دين سالم بن أبي حفصة كما في الكافي[1] بإسناده الصحيح عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن ابن بكير، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: ما تقول في مناكحة الناس فإني قد بلغت ما ترى وما تزوجت قط؟

قال: وما يمنعك من ذلك؟ قلت: ما يمنعني إلا أني أخشى أن لا يكون يحل لي مناكحتهم فما تأمرني؟ قال: كيف تصنع وأنت شاب أتصبر؟ قلت: أتخذ الجواري قال: فهات الآن فبم تستحل الجواري أخبرني؟ فقلت إن الأمة ليست بمنزلة الحرة إن رابتني الأمة بشيءٍ بعتها أو اعتزلتها، قال: حدثني فبم تستحلها؟ قال: فلم يكن عندي جواب، قلت: جعلت فداك أخبرني ما ترى أتزوج؟ قال: ما أبالي أن تفعل، قال: قلت: أرأيت قولك: (ما أبالي أن تفعل) فإن ذلك على وجهين تقول لست أبالي أن تأثم أنت من غير أن آمرك فما تأمرني أفعل ذلك عن أمرك؟ قال: فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد تزوج وكان من امرأة نوح وامرأة لوط ما قص الله عز وجل وقد قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾[2] فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لست في ذلك مثل منزلته إنما هي تحت يديه وهي مقرة بحكمه مظهرة دينه، أما والله ما عنى بذلك إلا في قول الله عز وجل: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ ما عنى بذلك إلا وقد زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلاناً، قلت: أصلحك الله فما تأمرني أنطلق

(1) الكافي ج 2 ص 402 ح 2 كتاب الإيمان والكفر وج 5 ص 350 باب مناكحة النصاب والشكّاك.

(2) سورة التحريم،الآية: 10.

فأتزوج بأمرك فقال: إن كنت فاعلا فعليك بالبلهاء من النساء، قلت: وما البلهاء؟ قال: ذوات الخدور العفايف، فقلت: من هي على دين سالم أبي حفص؟ فقال عليه السلام: لا، فقلت: من هي [في نسخة: من هنَّ] على دين ربيعة الرأي؟ قال: لا ولكن العواتق اللاتي لا ينصبن ولا يعرفن ما تعرفون. . . إلخ»؛ الخبر طويل فليراجع.

وموضع الشاهد في الخبر هو نهي الإمام عليه السلام لزرارة عن مناكحة من هنَّ على رأي ربيعة الرأي وسالم بن أبي حفصة وهما من أعمدة النواصب: الأول هو ربيعة عبد الرحمن المعروف بربيعة الرأي كان من العامة وهو أسبق من أبي حنيفة في الاعتماد على الرأي، ولذا سمي به وروى عن إمامنا الباقر عليه السلام، والثاني واقفي من أعمدة الواقفية. . . ويمكن القول بأنهما من أعمدة الواقفية، ويشهد له بأن ربيعة كان من علماء العامة ثم التجأ إلى الرواية عن إمامنا الباقر والصادق عليهما السلام ليدس السمَّ في عقائدنا وفقهنا. . . !.

قال العلامة الجليل يوسف البحراني (قدِّس سره) في الحدائق الناضرة: «قد دلت هذه الأخبار على أن زرارة ونحوه كانوا يعتقدون بأن الناس يومئذ إمَّا مؤمن أو كافر، وأنه لا تحل مناكحة الكافرة، والإمام عليه السلام قد أقره على الحكم بالكفر، وأن نكاحها لا يجوز لذلك بالكفر، وإنما رد عليه في حصره الناس في القسمين المذكورين مع وجود قسم ثالث، ومنهم البله والمستضعفون الذين ليسوا بمؤمنين ولا كافرين، فإنهم من المسلمين، وقوله عليه السلام في هذه الأخبار: «لا ينصبون» كناية عن المخالف الذي حكم أصحابنا بإسلامه، وظاهر هذه الأخبار كما ترى هو كفره، وقوله عليه السلام: «ولا يعرفون» كناية عن المؤمنين القائلين بإمامة الأئمة عليهم السلام، وهذا هو الموافق للأخبار المستفيضة الدالة على أن الناس في زمانهم عليهم السلام على أقسام ثلاثة: مؤمن وكافر وضال، والمراد بالضال الشكاك والمستضعفون، وقد نقلناها في كتابنا الشهاب الثاقب المتقدم ذكره وهي صريحة في كفر المخالفين كما عليه جل علمائنا المتقدمين حسبما أوضحناه في الكتاب المشار إليه».

ومنها ما رواه في الكافي والتهذيب عن الفضيل بن يسار عن أبي عبد الله عليه السلام «قال: لا تزوج المؤمن الناصبة المعروفة بذلك».

وما رواه في الكافي عن ربعي عن الفضيل بن يسار في الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام «قال: قال له الفضيل: أتزوج الناصبة؟ قال: لا، ولا كرامة، قلت: جعلت فداك والله إني لأقول لك هذا، ولو جاءني بيت ملآن دراهم ما فعلت».

وعن الفضيل بن يسار «قال قلت: لأبي عبد الله عليه السلام: إن لامرأتي أختاً عارفة على رأينا، وليس على رأينا بالبصرة إلا قليل فأزوجها ممن لا يرى رأيها؟ قال: لا، ولا نعمة ولا كرامة إن الله عز وجل يقول: ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾[1].

وعن الفضيل بن يسار في الموثق «قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن نكاح الناصب فقال: لا والله ما يحل، قال فضيل: ثم سألته مرة أخرى فقلت: جعلت فداك ما تقول في نكاحهم؟ قال: والمرأة عارفة؟ قلت: عارفة، قال: إن العارفة لا توضع إلا عند عارف».

وما رواه في التهذيب عن فضيل بن يسار «قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن المرأة العارفة هل أزوجها الناصب؟ قال: لا، لأن الناصب كافر، قال: فأزوجها الرجل غير الناصب ولا العارف؟ فقال: غيره أحب إلي منه».

أقول - والقول للعلامة البحراني (أعلى الله مقامه الشريف) -: [أفعل التفضيل هنا ليس على بابه، بل هو بمعنى أصل الفعل كما سيأتي تحقيقه إن شاء الله تعالى.

وما رواه في الكافي بإسناده عن الحلبي في الصحيح أو الحسن عن أبي عبد الله عليه السلام «أنه أتاه قوم من أهل خراسان من وراء النهر فقال لهم: تصافحون أهل بلاد كم وتناكحونهم أما إنكم إذا صافحتموهم انقطعت عروة من عرى الإسلام، وإذا ناكحتموهم انهتك الحجاب بينكم وبين الله عز وجل.

(1) سورة الممتحنة، الآية: 10.

«وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه «قال: تزوج اليهودية والنصرانية أفضل - أو قال: خير - من تزوج الناصب والناصبية».

وما رواه في الكافي والتهذيب عن عبد الله بن سنان في الصحيح «قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الناصب الذي قد عرف نصبه وعداوته، هل نزوجه المؤمنة وهو قادر على رده، وهو لا يعلم برده؟ قال: لا يزوج المؤمن الناصبة ولا يتزوج الناصب المؤمنة، ولا يتزوج المستضعف مؤمنة».

إلى غير ذلك من الأخبار البالغة حد التواتر المعنوي، والمفهوم من الأخبار أن الناصب حيثما يطلق إنما يراد به المخالف غير المستضعف كما أشرنا إليه في ذيل روايات زرارة، لأن بعضاً منها ورد بأنه عبارة عن المقدِّم للجبت والطاغوت. .]؛ انتهى كلامه رُفِعَ مقامُه؛ ولا حاجة للتعقيب عليها لأنها وافية وكافية فجزاه الله خيراً.

(**الأمر الثالث**): نفاقهم المتجلّي في تظاهرهم بالإيمان وإبطانهم الكفر، وقد ذكرنا قسماً من الأخبار الدالة على نفاقهم بلا فرقٍ بين البترية القديمة والحديثة. . . فكما كان البتريون القدامى رواةً ومحدثين عن الأئمة الطاهرين (سلام الله عليهم) يتظاهرون بالتدين والعلم ويبطنون الكفر والشك، فإنّ رواد وقواد البترية اليوم يدسون أنفسهم في صفوف العلماء والحوزات الدينية ويحفظون المصطلحات الحوزوية ليحاربوا بها المؤمنين ويضلوهم عن الصراط المستقيم. . . ويا ليتهم استخدموها بحسب أُصولها إذ نجدهم حرفوها عن مسارها ومنهجيتها العلميَّة. . . ! فرواد البترية ثلةٌ قليلة ترعرعت في وسطنا الشيعي لا سيما في الحوزات العلمية عبر أحزابٍ دعوتية وتنظيمات وتكتلات سياسيَّة سريّة تحمل لواء تغيير الأنظمة الفاسدة التي تعتبرها خارجةً على الإسلام فيوجبون محاربتها ليحلوا محلَّها ويعيثوا في الأرض فساداً وظلماً وجوراً وهو ما لحظناه خلال توليهم السلطة والحكم في بعض البلاد، فكووها بنارهم الملتهبة عصبيَّةً لزعمائهم وقادتهم. . . !.

(**الأمر الرابع**): تظاهرهم بمحاربة الاستعمار الغربي فقط لا الشرقي. . . !؛

والظاهر أنهم على وفاقٍ تام مع الاستعمار الشرقي الذي تقوده روسيا الملحدة عبر أعوانها في الشرق الأوسط (إخوان الترك كما جاء في أخبار الظهور الشريف)... ويرجع السبب في ذلك إلى الاستقواء بالإمبراطورية الروسيَّة ضد الإمبراطورية الغربية من جهة، ودعواهم بتحرير القدس التي صارت من صلب معالمهم وشعاراتهم العقائدية ليستقطبوا بذلك القواعد الشعبية في الوسط العامي حتى صارت القدس عندهم أقدس المقدسات التي لا تعلو عليها أيُّ بقعة مقدَّسة كالبقيع الشريف في المدينة والمقامات الإلهية في الأماكن المقدَّسة في العراق وإيران وسورية، وهذا ما يعلنه دائماً قادتهم بشكلٍ واضح حيث صار من الضروريات في الفكر البتري على قاعدة: «تحدّث بما شئت وهاجم مَنْ شئت إلَّا المسجد الأقصى قدس الأقداس ورموزه الدينية من أصحاب السقيفة» وهما على وجه الخصوص عمر بن الخطاب وعائشة... فإنَّ ذلك كفر يستحق صاحبه الموت والسحق والقذف والغيبة والتشهير والإسقاط...!

والمتتبع للروايات التاريخية الكاشفة عن توجهات أحد الصحابة يرى بوضوح كيف أن عمر بن الخطاب كان يرفع من قدر القدس؛ أي: قبلة اليهود، ويحط من قدر الكعبة، وله كلمة مشهورة رواها المخالفون بحق الحجر الأسود حينما خاطبه بالقول: «إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبِّلُك لما قبَّلتُك». فقال له أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «مَهْ يا عُمرُ، بَلْ يَضُرّ ويَنْفَعُ فإنّ الله سبحانه لَمّا أخَذَ المِيثاقَ على بني آدمَ حيث يقول: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾[1] فالتفت فإذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال له: كيف يضر وينفع يا أبا الحسن؟ فقال عليه السلام: إن الله تعالى لما استخرج ذرية آدم من صلبه وأخذ الميثاق عليهم كتبه في رق وألقمه هذا الحجر، فإذا كان يوم القيامة جاء وله لسان يشهد لمن وافاه».

(1) سورة الأعراف، الآية: 172.

والعجب العجاب منه كيف أن أحجار الكعبة لا تضر ولا تنفع في حين أن حجارة بيت المقدس تنفع ولا ضرر فيها . . . ! وما ذاك إلا لميوله اليهودية . . . ! .

ومما يؤكد ذلك اتفاقه مع اليهود في بناء المسجد الأقصى الحالي وصرفه نظر المسلمين عن مسجد الصخرة . . . ! .

وهذا يذكِّرنا بتوجهات البترية الحديثة التي لا تولي أهمية للشعائر الإلهيَّة في المدينة المنورة وما يكتنفهما من مقدَّسات عظيمة كزيارة قبر النبيِّ الأعظم وأهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام في البقيع والبكاء على المدفونين فيه لا سيَّما مولاتنا الطاهرة الزكيَّة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) . . ! مما يعطينا صورةً كاملةً عن مدى الارتباط العضوي بين معالم البترية القديمة المغالية في حبّ أصحاب السقيفة وبين البترية الحديثة التي تستعيد الذاكرة العمرية بصورها القاتمة وتتلبس بغلظته وفظاظته على كلِّ مَنْ نهض ضده . . . واليوم يعيد أنصاره البتريون نفس السيناريو القاتم ضد شيعة سيِّدة نساء العالمين (سلام الله عليها) باعتبارهم حجر عثرة في تقدم مشروعهم العمري القائم على إبادة كل موالٍ يحمل بين جنبيه الولاء لمولاتنا الصدِّيقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام والتبري من أعدائها . . . !

(**الأمر الخامس**): رفعهم شعارات الولاء لأهل البيت عليهم السلام للوصول إلى الأهداف الدنيوية التي من ضمنها الوحدة الإسلامية؛ وهو نفاق ظاهر في أفعالهم وأقوالهم ويمكن تمييزه بعلامات ومواصفات عديدة أبرزها :

الصفة الأولى: يوالي ظاهراً أهل البيت عليهم السلام ولكنّه يضعف عن البراءة من أعدائهم ، ففي صحيح إسماعيل الجعفي قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : رجل يحب أمير المؤمنين عليه السلام ولا يتبرأ من عدوه وهو يقول : هو أحبُّ إليَّ ممن خالفه؟ فقال : هذا مخلط وهو عدو فلا تصلِّ خلفه ولا كرامة إلا أنْ تتقيه .

وهذه الصفة من أبرز علامات ومواصفات البتريين الجدد ، وتعمُّ أكثرَ قواعدِهم الشعبية باعتبارها تنعق مع كلِّ ناعقٍ وتميل مع كلِّ ريح كما وصفهم أمير المؤمنين علي عليه السلام عندما صنّف الناس إلى ثلاثة : «عالم رباني ومتعلم على

سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كلِّ ناعق، يميلون مع كلِّ ريحٍ وينعقون مع كلِّ ناعقٍ، لا يستضيئون بنور العلم ولا يهتدون إلى ركنٍ وثيق...».

فهؤلاء نفعيُّون يبتغون النفع والمصلحة، فأينما وجدت وأينما حلّت المنفعة كانوا معها ولحقوا بها...! فلا يركنون إلى الهدى ولا الإيمان، بل يسيرون وفق المنافع الشخصية والمصالح الذاتية حتى لو كانت ضدَّ الشرع ومعالم التشيُّع العظيم... من هنا وصفهم الإمام المعظم أبو جعفر عليه السلام بأنهم مخلِّطون وأعداء للأئمة الطاهرين عليهم السلام، فلا تجوز الصلاة خلفهم باعتبارهم كفاراً بمبادئ الولاية لأهل البيت والبراءة من أعدائهم... ولا ينفعهم التظاهر بالولاية للأئمة الطاهرين عليهم السلام وهو ما أوضحه حديث مستطرفات السرائر: قيل للإمام الصادق عليه السلام: إن فلاناً يواليكم إلا أنه يضعف عن البراءة من عدوكم؟ قال عليه السلام: هيهات! كذب من أدعى محبتنا ولم يتبرأ من عدونا».

الصفة الثانية: ينتحل مودة أهل البيت عليهم السلام ولكنّ ولاءه السياسي لغيرهم...! وهذه حالة متفشية في الوسط البتري الحديث حيث نشاهد قادتهم يعلنون ولاءهم للحكام المخالفين لمجرد وجود مصلحة معهم، فالمصلحة هي فوق كلّ اعتبار، فالمهم عندهم أنْ تسير أمورهم الدنيوية بحسب ما تشتهي أنفسهم حتى لو كانت عبر سلالم الشياطين، على مبدأ «الغاية تبرر الوسيلة» أو «الغاية تنظف الوسيلة» على حدِّ تعبير البتري البيروتي.

الصفة الثالثة: رفع الشعارات الولائية لأهل البيت عليهم السلام كظاهرة العباسيين القدامى الذين رفعوا شعار «الرضا من آل محمد» تحت ذريعة استرداد حقوقهم والتخلص من الظالمين لهم، متذرِّعين بأن زيداً عليه السلام خرج لطلب الحكم ليمهد لآل محمد عليهم السلام، وأنهم يسيرون على نهجه يطلبون الحكم لاسترداد الحقوق المسلوبة...!.

نعم، هم يريدون استرداد الحقوق المسلوبة للفلسطينيين فقط، ولكنَّهم لا يريدون استرداد البقيع، ولا المطالبة بحقوق أهل البيت عليهم السلام، ولا الدفاع عن معالم دينهم وظلاماتهم لا سيَّما ظلامات سيِّدة نساء العالمين الشهيدة الصدّيقة

الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام ؛ إذ إنّ ما نراه اليوم هو العكس تماماً، حيث إنهم زادوا ظلامات سيِّدة نساء العالمين (سلام الله عليها) بتعديهم على شخصها الكريم عبر سلبها مقاماتها الرفيعة وحقوقها الشريفة تحت ألف عنوان وعنوان. . . فهذه الصفة النفاقية - كما أشرنا سابقاً - صفة عباسية تمزج بين شعارات الأئمة الطاهرين عليهم السلام وبين حبِّ الدنيا وحبِّ المخالفين ورموز السقيفة الملعونة. . . . !.

الصفة الرابعة: الانتقاص من معارف آل البيت عليهم السلام بالتشكيك فيها ونعتها بالغلو، وهذا ما نلاحظه في الواقع العملي للبترية حيث يأخذون بأخبار المخالفين ويتركون أخبار عترة رسول ربِّ العالمين، ويتجلى هذا الأمر من خلال تتبعنا لاستدلالات رموزهم في كتبهم الفقهية والعقائدية المليئة بأخبار المخالفين ونمط استدلالاتهم وطرق اجتهاداتهم المبنيَّة على الأقيسة والاستحسانات في مقابل الأخبار الشريفة. . . ولم يقتصر الأمر على هذا الحدِّ حتى طلع علينا كمال الحيدري مشكِّكاً بعامة أخبار الطائفة الشيعية زاعماً أنّ تسعين في المئة منها - على حدِّ تعبيره في إحدى محاضراته - من صنع كعب الأحبار. . . ! وشاطره الاعتقاد أسد قصير والصرخي الحسني وياسر عودة، ونهج طريقهم الشيخ ياسر الحبيب - وإنْ تظاهر بالولاية والبراءة - فشكّك في الكثير من الشخصيات المرموقة من صحابة الأئمة الطاهرين عليهم السلام ، كما شكّك في عظمة مقام سيِّدتنا زينب الحوراء عليها السلام اعتماداً على خبر عكرمة الدال على أفضلية مريم على الصدّيقة الكبرى زينب (سلام الله عليها) ضارباً عرض الحائط بقية الأخبار التي أسهبنا بعرضها في بحثنا هذا كما سيُلاحظ ذلك بوضوح. . . إلى آخر ما عنده من هرطقات موزعة على موقعه الإلكتروني «القطرة»، فهو ومن أشرنا إليهم على منوالٍ واحدٍ ونهجٍ فارد. . [1]!.

هذا بالإضافة إلى الفتاوى التي تطلُّ علينا كلَّ يوم من هذا القائد وذاك

---

(1) نهجٌ فارد: أي شاذ منفرد عن الجماعة.

المرجع والتي تضحك منها الثكلى وتصب بالتالي الويلات والمصائب على التشيع، فتضعف كيانه ومعالمه المقدَّسة، وفي الوقت نفسه تقوّي معالم الفكر البكري العمري. . . !!.

إنّ حسن ظن هؤلاء بأخبار العامة يستلزم كفرهم بأخبار آل محمد عليهم السلام ، من هنا زعم الحيدري بأن أكثر أخبارنا هي من صنع كعب الأحبار. . . وهو يروم وأمثاله من خلال هذا الطرح أن يلجأ إلى أخبار المخالفين باعتبارهم مسلمين وليسوا يهوداً ككعب الأحبار، ولأن الحرب القائمة اليوم بين التيار البتري والبكري إنما هي من أجل إبادة اليهود وأمريكا بحسب زعمهم وليس من أجل شيءٍ آخر. . . وهذا أمرٌ واقع لا يمكن الفرار منه ولا تكذيبه أو التفلت منه بحججٍ واهية، فهم يعتقدون بأن المخالفين هم إخوانهم[1] حقيقةً لا تقيةً أو مداراةً، مع العلم بأن التقية أو المدارة غير جائزتين هنا؛ لأن من شأن ذلك أنْ يؤدي إلى تقوية شوكة المخالفين على معالم التشيع، وقد نهت عنهما الأخبار الشريفة.

وهكذا فإنّ كلام المذكور له خلفيات وحدوية قائمة على تذويب الفوارق المذهبية عبر عمام بترية، وهو ما كشفت عنه الأخبار الشريفة ومنها ما رواه الأردبيلي في حديقة الشيعة بسند معتبر عن إمامنا الحسن العسكري عليه السلام حيث قال عن المتشيعة في آخر الزمان: «. . . علماؤهم شرار خلق الله على وجه الأرض لأنهم يميلون إلى الفلسفة والتصوف وأيم الله إنهم من أهل العدوان والتحرف، يبالغون في حب مخالفينا ويضلون شيعتنا وموالينا. . .».

واللهِ الذي لا إله إلا هو لو لم يكن إلا هذا الخبر الصحيح في فضح ألاعيبهم وهرطقاتهم. . . لكفى به واعظاً ورادعاً وكاشفاً عن بواطنهم الخبيثة. . . ولكنْ هيهات فإنَّ لكل أجلٍ كتاب لا يعدوه. . . !

(1) ظهر لأحد مرجعيات النجف الأشرف فتوى للشيعة مفادها: «لا تقولوا عن السنة بأنهم إخواننا بل قولوا أنهم أنفسنا»؛ وهو أمر يكشف عما كان مكتوماً في سرائر الوحدويين. . ! والشيخ ياسر حبيب من الدعاة إلى تقليد هذا القائل.

إن «الكلِّ مصابٍ اصطبار، ولكلِّ أجلٍ حضور، ولكل أملٍ غرور، ولكلِّ ناكثٍ شبهة، ولكلِّ دولة برهة، ولكلّ حيٍّ موت، ولكلِّ شيء فوت، ولكلّ همٍّ فرج، ولكلّ ضيق مخرج» على حدِّ تعبير الإمام الأعظم أمير المؤمنين عليه السلام وسيِّد الموحدين مولانا علي بن أبي طالب (سلام الله عليهما). . . ولكنّ الله تعالى بالمرصاد وخاب كلُّ جبارٍ عنيد. . . !

وبعبارةٍ أُخرى: إنّ من يطلب العلوم والمعارف من غير النهر الصافي فلن يشرب إلا الماء الآسن ذا الرائحة النتنة، فطلب المعارف من غير آل محمد عليهم السلام هو بمنزلة من يطلب الثماد بدلاً من العكوف على النهر الأعظم كما جاء عن مولانا الإمام المعظَّم محمد الباقر عليه السلام: «يمصُّون الثماد ويدعون النهرَ الأعظم. . . »[1].

وهو ما دلت عليه الأخبار الكثيرة سواء المنفردة أو المنضمة لتفسير قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾[2] بأن منبع العلوم هو عند الإمام عليه السلام فمن يروم طلبها من غير الإمام عليه السلام لن يفلح أبداً. . . ومن هذه الأخبار ما ورد عن الكشي بإسناده عن أبي مريم الأنصاري قال: قال لي [الإمام] أبو جعفر عليه السلام: قل لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة - كانا من زعماء البترية -: شرّقا وغرّبا! لن تجدا علماً صحيحاً إلا شيئاً خرج من عندنا أهل البيت عليهم السلام».

وبالجملة: إن حالة النفاق عند البتريين القدامى والجدد تتجلى في طلب العلوم والمعارف الإلهية من غير آل محمد عليهم السلام، وهو ما أشارت إليه مرفوعة عليّ بن النعمان عن مولانا الإمام المعظم أبي جعفر عليه السلام قال: يمصُّون الثماد ويتركون النهر العظيم، قيل: وما النهر العظيم؟ قال: عليه السلام: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والعلم الذي آتاه الله، إن الله جمع لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم سنن النبيين من آدم هلمّ جرًّا إلى

---

(1) والثماد هو الماء القليل يتواجد في داخل الصخرة أو هو الماء المتبقي في الجلد، يعصر للشرب.

(2) سورة الحج، الآية: 45.

محمَّد ﷺ علم النبيين بأسره وإن رسول الله صيّر ذلك كلّه عند أمير المؤمنين عليه السلام».

وجاء عنهم عليهم السلام أنهم قالوا: «كذب من زعم أنه من شيعتنا وهو متمسك بعروة غيرنا» وقولهم: «كذب من زعم أنه يعرفنا وهو متمسك بعروة غيرنا»، وقولهم عليهم السلام: «كل شيء لم يخرج من هذا البيت فهو باطل».

إنَّ منهاج البترية الحديثة - تبعاً للبترية القديمة - قائمٌ على منهج الوحدة بين الفرق الإسلامية من خلال إذابة الفوارق المذهبية فيما بينها عبر تنازل الشيعة فقط عن معالم تشيعهم وولائهم لأهل البيت عليهم السلام والبراءة من أعدائهم؛ مع الإشارة هنا إلى أنه لا يجوز للشيعة أن يتنازلوا عن حكمٍ فرعيٍّ صغير حتى لو كان على مستوى الحكم الشرعي المستحب... لأن المستحب حكم تشريعيٌّ من قبل الله تعالى على لسان النبيّ وآله الطاهرين عليهم السلام، والتنازل عنه يستلزم طرحه وإلغاءه من صفحة التشريع وهو بدعة تدخل صاحبها في النار وبئس القرار، لأن تعريف البدعة هو «إدخال شيءٍ في الدين ليس من الدين وإخراج شيءٍ من الدين هو من الدين»؛ والبتريون اليوم لم يقتصروا على إلغاء المستحبات فحسب بل تعدوه إلى إلغاء الضروريات القطعية في الكتاب والسنَّة المطهرة... ذلك كلّه على قاعدة: «الضرورات تبيح المحذورات»، أو على قاعدة: «الغاية تبرر الوسيلة»، أو على قاعدة أنّ: «الحاكم الشرعي له القدرة على تغيير العناوين الأولية».

وبالجملة: إن ما يفعله البتريون اليوم من الانبطاح على بطونهم لإرضاء العامة العمياء وسعيهم الدؤوب إلى تحقيق تلك الوحدة المنشودة، وعملهم المستمر من أجل نشرها مستفيدين ممّا توفّر لهم من قوة مالية وإعلامية وعسكرية، فيرغِّبون ويرهِّبون ويردعون كلَّ من لم يتوافق مع مناهجهم التلفيقية وشعاراتهم المستهلكة... فيعتبرونه كافراً مارقاً من الدين، وهو نظير ما كانت تفعله البترية القديمة، وقد كشف إمامنا المعظَّم الصادق عليه السلام عن القناع الأسود الذي يتسترون خلفه تحت عنوان توحيد الأمة من الفِرقة والخلاف عندما قال لأبي

عمرو سعد الحلاب: «لو أن البترية صفٌّ واحد ما بين المشرق إلى المغرب ما أعزَّ الله بهم ديناً - أو دنيا كما في بعض النسخ -».

وقد أجاد أحد الباحثين بتعليقه على هذه الرواية ونحن ننقلها بعين ألفاظها لأهميتها قال: [ووجه تركيز هذه الرواية وتأكيده عليه السلام على نفي أن يعزّ الله عز وجل بالبترية الذين من جهة تركيزها على الصف الواحد، وتركيزها ثالثاً على كون هذا الصف الواحد هو ما بين المشرق والمغرب، هو الإشارة بهذه المحاور الثلاث إلى شعار البترية وزعمهم ودعواهم الصلح بين طوائف الأمة بالمنهج التلفيقي والتوفيقي الذي يقرّب بين الفرق ويرمم الهوّة التي بينهم فيصبحون متحدين في وحدة إسلامية تقوى بها الأمة أمام أعدائها، وأن هذا التوفيق والتقريب للوحدة هو سبيل الوحدة للأمة ونبذ اختلافاتها وتأتلف بها جميع الأمة ما بين شرقها إلى غربها في صفٍ واحد. . وهذا ما يشير إليه عليه السلام بقوله: «لو أن البترية صف واحد. . .»؛ أي: لو أن البترية استطاعوا أن يوحدوا فرق الأمة في منهاج واحد كل فرق الأمة ما بين المشرق والمغرب لما ترتب على ذلك قوة الأمة ومن ثم عزتها وغلبتها على أعدائها كما يزعم البترية فليس طريق عزّة الأمة وقدرتها وائتلافها بما يزعموه من هذا المنهاج التلفيقي التوفيقي المتناقض تقريباً بين فرق الأمة، إذ المنهج المتناقض لا تلتئم به الوحدة في المسير ولا خطوات المنهاج ولا وحدة الطريق، بل هو في الحقيقة ينطوي على صميم الفرقة والافتراق لجمعه بين المتناقضات ومن ثم أكّد في روايتهم عليهم السلام : أن إمامتهم أمانٌ من الفرقة وطاعتهم نظامٌ للملّة تنتظم بها الأمة في وحدة واقعية، فلاحظ الخطبة الغراء لأمير المؤمنين عليه السلام المسماة بالقاصعة ولاحظ مستهل خطبة الزهراء عليها السلام . . . وهذه الرواية قد تناقلتها مصادر حديثية متعددة لتركيزها على أهم شعار يرفعه البترية بمنهاجه الإصلاحي المزعوم وبيان وجه الفساد والأكذوبة فيه]؛ انتهى كلامه، وهو ما كنا نميل إليه وذكرنا طرفاً منه منذ سنين في مناسبات عديدة. . . والحمد لله على إنعامه تعالى بوجود ثلة من العلماء العاملين الذين يقفون على الثغر الذي يلي إبليس وجنوده.

الأمر السادس: إنكار البترية القديمة الحديثة لكرامات ومعاجز ومقامات أهل البيت عليهم السلام الغيبيَّة والأسرار الربانيَّة بردّها وجحودها... بالإضافة إلى ردِّ أقوالهم وردِّ سعة الحجيَّة والصلاحيَّة التكوينيَّة التي حباهم الله تعالى بها، هذا كلُّهُ وهم يزعمون أنهم من شيعتهم ومواليهم...!.

الأمر السابع: تحليلهم للحرام القطعي وتحريمهم للحلال الثابت بالكتاب والسُنَّة لأجل المصلحة تماماً كما كان منهاج أصحاب السقيفة حيث عُرِفوا بقلب الموازين الشرعية من باب التصويب الإلهي للحاكم الذي اعتقدوا فيه الولاية المطلقة على التشريع الإلهي، إذ إنّهم يعتقدون بأنّ الله تعالى أعطى الحاكم حريّة التصرف بتشريعاته وأحكامه؛ فله الولاية على التحليل والتحريم والقبض والبسط... وهذا ما كشفت عنه النصوص في حق أصحاب السقيفة ومن تابعهم من فرق البترية، وقد أشرنا سابقاً إلى تحليلهم اللواط والخمر وغيرهما من المحرَّمات الثابتة بالقطع واليقين من الكتاب والسنَّة، وهذا ما تميل إليه البترية الحديثة اليوم بفعل سعة الولاية التي يحيطونها بالوالي الحاكم على التشريع بدلاً من أنْ يكون التشريع هو الحاكم على أفعاله وأقواله وشؤونه...!.

وبتقريرٍ آخر لأحد الباحثين قال: «إن من أنماط النفاق مَنْ يجحدُ ما أعطاهم الله تعالى من كرامة المقامات والمناصب والشؤون الغيبية، ويردُّ عليهم في أقوالهم، ولا يرى لهم سعةً في الحجية والصلاحية والولاية في الدين، وهو يزعم أنه شيعي لهم وأنه يقرّ بأن الله جعلهم أئمة للخلائق».

وقد كشفت الأخبار الشريفة عن هذا المضمون، في خطبة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بعد رجوعه من تبوك فقال: «معاشر المهاجرين والأنصار ما بال أصحابي إذا ذكر لهم إبراهيم وآل إبراهيم تهللت وجوههم وانتشرت قلوبهم، وإذا ذُكِرَ لهم محمدٌ وآلُ محمَّدٍ تغيرت وجوههم وضاقت صدورهم، إن الله تعالى لم يعطِ إبراهيم وآل إبراهيم شيئاً إلا أعطى محمَّداً وآلَ محمَّدٍ مثله ونحن في الحقيقة آل إبراهيم...».

وورد أعظم منه في حديث الإمامة عن مولانا الإمام الرضا عليه السلام في الكافي

بإسناده عن الثقات قال: «فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختياره؟ هيهات هيهات! ضلت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الألباب، وخسئت العيون، وتصاغرت العظماء، وتحيرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الألباء، وكلّت الشعراء، وعجزت الأدباء، وعييت البلغاء عن وصف شأن أو فضيلة من فضائله وأقرت بالعجز والتقصير. . .».

فهذا الحديث الشريف وأمثاله يبيّن عظمة الإمام عليه السلام وسعة ولايته. . . ومع هذا كلِّه، فقد جعلوه مثلهم وتقمصوا ولايته التي خَصَّهُ الله تعالى بها دون غيره من سائر الخلق بمن فيهم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام . . . ولكنّ بعض الجهلة من المعمَّمين الذين نصبوا أنفسهم قادةً على هذه الأُمَّة المسكينة تخلَّوا عن مفاهيم الولاية والبراءة فابتعدوا عن سادة الأنام (صلوات الله عليهم أجمعين). . . ومشوا وراء أناسٍ حلوهم مُرٌّ كالحنظل، لأنّهم جهلوا مقامات أئمة الهدى عليهم السلام فنبذوهم وراء ظهورهم؛ ألا ساء ما يزرون. . . فتعساً لهم ولمن قلدهم زمام أمورهم، فضلوا وأضلوا ضلالاً عظيماً. . . !.

خلاصة الفصل الأول: لقد استوعبنا في الفصل المذكور - بحمد الله وفضله - الكثيرَ من التفاصيل الدقيقة لنشاط الفرقة البترية القديمة والحديثة، وقد أسهبنا الكلامَ فيه حول نشأة البترية بكلا شقيها القديم والحديث: جذورها، نشأتها، معالمها، نشاطها الحزبي، الآثار السلبية المترتبة على انتشارها في الوسط الشيعي.

ثمَّ سلطنا الضوءَ على عملها السرِّي المتواري خلف جدار التشيع، متظاهرةً بولائها لقادته المعصومين (سلام الله عليهم) والبراءة من أعدائهم لعنة الله عليهم، وما تظاهرهم بالولاء إلّا لكونهم منافقين لا يؤمنون واقعاً بمعالم التشيع ولا بهدي تعاليمهم ودساتير أحكامهم ولا برفيع مقامات أهل العصمة والطهارة عليهم السلام (سلام الله عليهم). . !.

وأشرنا بإسهابٍ أيضاً إلى خطورة تمدد هذا الفرقة في الوسط الشيعي وما يرتبه من آثارٍ سلبية على حركة واقعه العقدي والتشريعي المستمد من نور الولاية

العلويَّة الفاطميَّة... وتكمن خطورته في عمله السرِّي تماماً كسرِّيّة عمل الحركة الماسونية العالمية وحركة الإخوان المسلمين في الوسط السنيّ وامتداده إلى الوسط الشيعي بمآزرٍ شيعيَّة، وتغلغله في أعماق تفاصيل العقيدة والفقه التشريعي من دون أن يعي العلماء المخلصون الأخطارَ المحدقة بالتشيع جراء بسط البتريين نفوذهم على قواعدنا الشيعية من الباب الإعلامي الواسع كالقنوات الفضائية ووسائل التواصل الاجتماعي والقنوات الإلكترونية المسموعة والمكتوبة والراديو والبثّ اللاسلكي والصحف والكتب والمنشورات الاسبوعية وخطب الجمعة والجماعة في المساجد والحسينيات والأندية الاجتماعية والمحاورات السياسية والدينية وهيئات التبيليغ الديني المنتشرة في المدن والقرى والجمعيات الكشفية والخيرية والأنشطة الاجتماعية والبرامج المدرسية... فضلاً عن الاجتماعات السرّية التعبوية والتدريبات العسكرية المنظمة وعمليات الرصد الأمني في الشوارع والأزقة وحتى البيوت والحوانيت... إلى غير ذلك من السموم التبليغيّة التلفيقيّة تحت ستار التبليغ الديني الغيور على التشيع...!.

وأشرنا أيضاً إلى أن همَّ الفرقة البترية الحديثة هو الجهاد في سبيل تحرير القدس الذي يعتبرونه من أقدس المقدسات على الإطلاق.. وهو نوع غلوٍّ لم نرَ له نظيراً في تاريخنا الشيعي منذ عصر ولاية أمير المؤمنين (سلام الله عليه) إلى منتصف القرن المنصرم... كما أن هذه الفرقة تتمظهر بشعارات الوحدة بين المسلمين والغلو فيها والحكم على منكرها بالردَّة ليجروا عليه حدَّ القصاص أو التشهير والانتقاص... بل يصل الأمر إلى حدِّ القتل السري الممنهج..!.

كلُّ هذا وذاك من أجل تعمير السلطة، والترؤس على العباد، والبلاد ونشر الفكر العمري المناوئ للفكر الفاطمي، ونلاحظ هذا جليّاً في سلوكياتهم العقائدية والفقهية والأدبية البعيدة عن فكر سيّدة نساء العالمين الزهراء الطاهرة الزكيَّة (سلام الله عليها)...! فلا نجد في أدبياتهم شيئاً من عرض ظلاماتها ومآسيها التي كابدتها من طاغوتي عصرها... وكأنَّ الأمرَ لا يعنيهم من قريبٍ أو بعيد، بل استفحلَ أمرُهم بالتعدّي على كلِّ مَنْ ذكر ظلامتها أو تعرض لعدوتها -

راكبة الجمل في البصرة والمتبغلة على حمارها في المدينة - بمثليةٍ وردت في مصادرنا الحديثية ومصادر محبيها وأتباعها تحت ستار أن ذلك يوجب الفتنة ويسلط الأسلاف من طواغيت الإجرام كداعش والنصرة والقاعدة، وكأن أئمتنا الطاهرين (سلام الله عليهم) - بنظر هؤلاء - عندما تعرضوا لمثالبها كانوا جاهلين بما لهذه المثالب التي تركوها لنا من آثار قد تلحق بهم الضرر - وحاشاهم من الجهل - فظن هؤلاء المقصّرون أنهم أعلم بأحوال الشيعة من أئمتهم الطاهرين (سلام الله عليهم) وأنهم أدرى بالمصلحة أكثر من أولئك المقرّبين عليهم السلام . . . خسئوا واللهِ وباؤوا بغضب منه وانتقام. . . بل إن ائمتنا الطاهرين (سلام الله عليهم) أعلم خلق الله وهم أدرى بالمصلحة وتشخيص موارد الضرر وكيفية تجنبها لا سيَّما أن الكلام حول سلبيات أعدائهم قد وردت في سبيله مئاتُ الروايات الصحيحة والعالية الأسانيد الموثقة والصريحة في الجهر بالعداوة ببغض أعدائهم، وذكر مساوئهم، والتهكم عليهم، والانتقاص منهم، ووجوب لعنهم والبراءة منهم وممن يميلون إليهم ويسيرون على خطاهم. . . وهي روايات كاشفة عن حاكمية روايات البراءة من أعدائهم على قاعدة نفي الضرر عن النفس والعرض والمال حسبما فصَّلنا في بعض بحوثنا حول أهمية ملاك إقامة شعائرهم المقدسة وأرجحيتها على بقية الفروع التي منها وجوب المحافظة على النفس. . . لأنَّ الشعائر من لوازم ولايتهم المطلقة وهي أهمُّ ملاكاً من دفع الضرر الشخصي والنوعي. . .

إن الفرقة البترية ذات توجه حزبي دعوتي همُّها السلطة وتذويب العقيدة الشيعيَّة وصَهْرِها في قوالب أشعرية. . . لذا ننبِّه العلماء والمتعلمين من خطورة الوقوف على التل ليشاهدوا العقيدة تتهارش عليها كلابٌ عاوية وسباعٌ ضارية، من دون النزول إلى سوح الجهاد الفكري للدفاع عن حياض آل محمد (سلام الله عليهم). . .

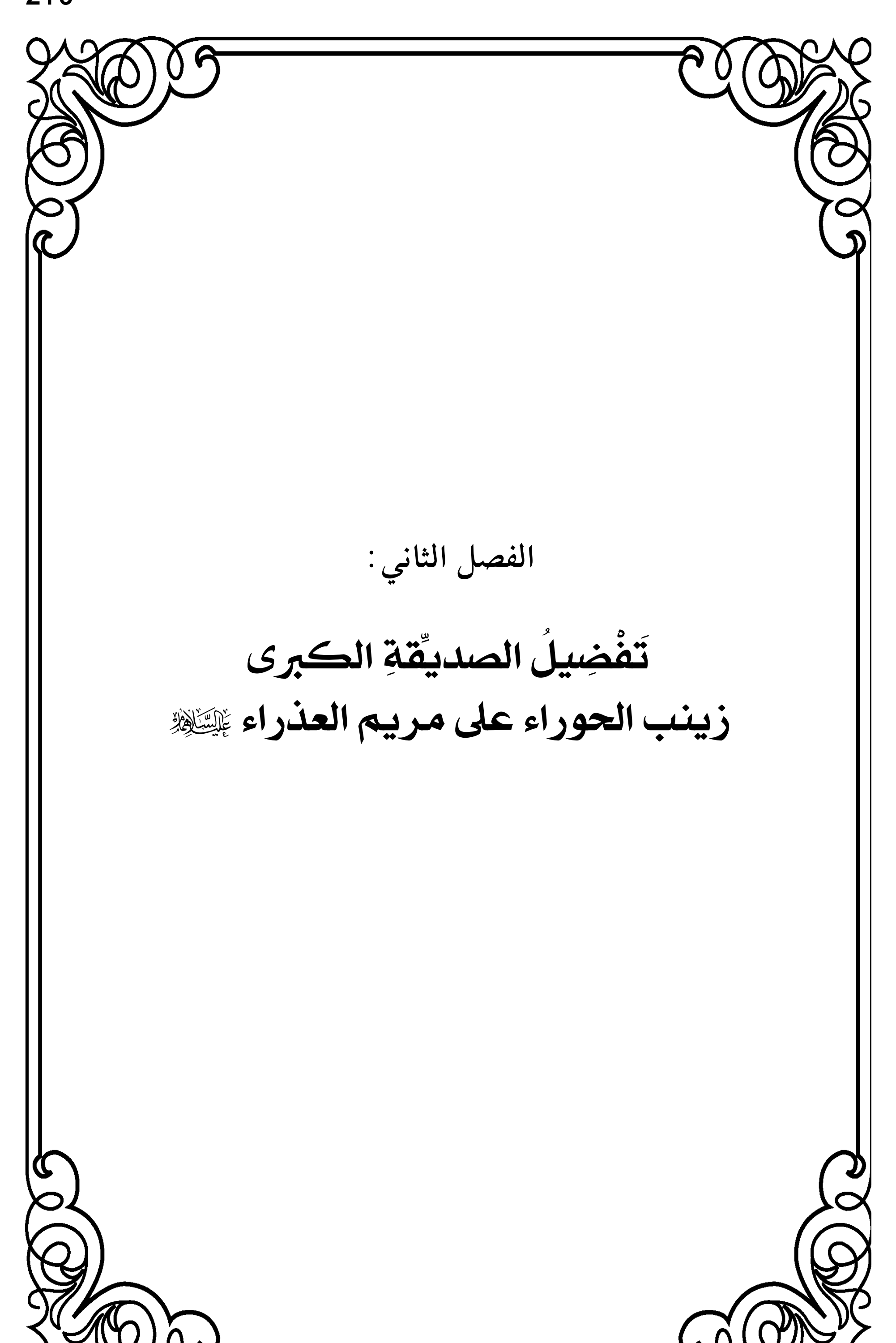
إنَّ أعظم جهادٍ في سبيل الله هو كلمة حقٍّ تُقال في وجه سلطان جائر فإنها من أفضل القربات عند الله تعالى وعند حججه الطاهرين عليهم السلام . . . ونحن نذكركم

بما قاله سيّد الشهداء عليه السلام: «ألا ترون أنَّ الحق لا يُعْمَل به، وأنَّ الباطل لا يُتناهى عنه؟ ليرغب المؤمن في لقاء الله محقّاً؛ فإنّي لا أرى الموت إلّا شهادة ولا الحياة مع الظالمين إلّا برماً».

خاتمة الفصل الأول:

لم نترك في الفصل الأول ثغرةً تكشف عن عَوارِ الفرقة البترية إلا بيَّناها ولا مثلبةً إلا بسطناها، ليتضح الحقّ لذي عينين فيتبعه، ولنلقي الحجَّةَ على من لم يبلغوا المحجّة ولم تبلغهم البيّنة حتى لا يقولوا يوم القيامة إنّا كنَّا عن هذا غافلين... اللهم اشهد أني قد بلّغت... فارحم ضعفي وقلة حيلتي وانعدام ناصري إلا من آل محمد صلواتك عليهم، فاجعلهم اللهم وسيلتي إليك في حياتي وقبري ولحدي ويوم العرض الأكبر فإني لم ابتغِ بدفاعي عن آلك المطهرين سوى رضاك ووجهك الكريم، فاقبلني عندك خادماً صغيراً ذبَّ - ولا يزال - عن معالم دينك، فلاقى الحتوفَ من أُناسٍ نسبوا أنفسهم إلى آلك المطهرين صلواتك عليهم أجمعين وهم من أبعد خلقك عنهم بسبب ظلمهم ونصبهم العداوة لي لأجل انتسابي إلى العترة الطاهرة والمجاهرة بحقها المسلوب... فإليك أشكو ظلامتي وإلى حبل طاعتك مددت رهبتي، وفيما عندك انبسطت رغبتي، فبرِّد ألمَ الخوف عني... فيا مؤملي ومنتهى سؤلي فرِّق بيني وبين ذنبي المانع لي من لزوم طاعتك إنَّك سميع مجيب وبالملهوفين قريب عطوف، إنَّك على كلِّ شيءٍ قدير يا جبار يا رحيم يا رحمان يا قويُّ يا متعال يا ذا الجلال والإكرام يا حيُّ يا قيوم.. استجب دعائي وبلّغني مناي بمحمدٍ وآله الطيبين الطاهرين صلواتك عليهم أجمعين.





الفصل الثاني:

تَفْضِيلُ الصديِّقةِ الكبرى
زينب الحوراء على مريم العذراء عليها السلام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه وقادة رسله رسول الله محمَّد وآله الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

وبعد....

لقد ورد إلينا من بعض المؤمنين الغيارى أسئلةٌ لتحديد الموقف الشرعي حول الشيخ ياسر حبيب الكويتي الذي تفلَّت من عقاله بشكلٍ مريعٍ، فلم يعد يميّز بين الأولياء والأشقياء، ولا بين العلماء المخلصين وبين غيرهم من الكذَّابين المرتابين، بل صار الطرفان عنده على حدٍّ سواء، فلا يميّز بين المخلص والمرتاب والصادق والكذَّاب... لأجل هذا وذاك، ارتأينا الردَّ لتفنيد دعواه حول تفضيل السيّدة مريم بنت عمران عليها السلام على سيّدة النساء الصدّيقة الكبرى زينب الحوراء (سلام الله عليها)؛ فصار كغيره من المشكّكين الذين برزوا إعلامياً في المواقع الإلكترونية والفضائية بما يملكونه من عناصر القوة الإعلامية والمالية التي تمولها جهات حزبية ودولية وإقليمية فحرفوا الموازين العقائدية الشيعية الصحيحة إلى تُرَّهات وهرطقات أشعرية بغيضة تحت ذرائع نشر التشيع الصحيح والغيرة والحميَّة على معالمه المقدّسة.... فوا عجباً من ركون قومٍ إلى الإفك والأباطيل، وعكوفهم على ترّهات الأقاويل، ومن اعتمادهم في الأُصول والفروع على الأخبار الموضوعة المجعولة، وإعراضهم عن الصحاح المسنودة والموثقات المقبولة وإهمالهم لقواعدِ التعادل والتراجيح المستنبطة من الكتاب والسنَّة، واتّخاذهم ثقات العلماء والمحدّثين شعاراً ودثاراً لتمرير مشاريعهم الموهومة،

والأفّاكين من الشياطين حزباً، ومن إقبالهم على النوافل والمندوبات، وإدبارهم عن الواجبات والمفروضات، وعنايتهم بالشعارات المبتدعة، والعادات المخترعة، وتوقّيهم المكروهات، وتقحّمهم في الشّبهات والمحرّمات، إنْ سألتَ أحدَهم عن أخبار الجاهليّة ينبسط ويجيب بلا مهل، فما أشبه حالهم بحال مولى جارية كان يدغدغها بالنوافل غير آبهٍ بالفرائض؛ قال أبو العيناء: رأيت جارية في النّخاس تحلف بألا ترجع إلى مولاها فقلت: لمَ! قالت: يواقعني من قيام، ويصلّي من قعود، ويشتمني بإعرابٍ، ويلحن في القرآن، ويصوم الاثنين والخميس ويفطر في رمضان، ويصلّى الضّحى ويترك الفجر. . . !

هذه هي حال هؤلاء الضياطرة - أي: الضخام اللئام - الذين لا يحسنون حملَ السهام ولا الطعن بها؛ فظنوا تبجحاً وغروراً أنهم خير فرسان العرب؛ وصدق خداش بن زهير العامري بقوله:

فَيا راكِبا إمّا عَرَضتَ فَبَلِّغَن … عَقيلا إذا لاقَيتَها وَأَبا بَكرِ
بِأَنَّكُمُ مِن خَيرِ قَومٍ لِقَومِكُم … عَلى أَنَّ قَولاً في المَجالِسِ كَالهُجرِ
أَغَرَّكُمُ مِن قَومِكُم عَدَدُ الحَصى … وَأَنِ الفُضولَ في رُؤَاسٍ وَفي وَبرِ
كَأَنَّكُم خُبِّرتُمُ أَو عَلِمتُمُ … مَوالِيَ مِمَّن لا يَنامُ وَلا يَسري
كَذَبتُم وَبَيتِ اللهِ حَتّى تُعالِجوا … قَوادِمَ حَربٍ لا تَلينُ وَلا تَمري
وَنَركَبُ خَيلاً لا هَوادَةَ بَينَها … وَنَعصي الرِماحَ بِالضَياطِرَةِ الحُمرِ
فَلَسنا بِوَقّافينَ عُصلٍ رِماحُنا … وَلَسنا بِصَدّافينَ عَن غايَةِ التَجرِ
وَإِنّا لَمِن قَومٍ كِرامٍ أَعِزَّةٍ … إذا لَحِقَت خَيلٌ بِفُرسانِها تَجري

نعم! إن مصيبتنا تكمن اليوم في ثلةٍ من العمائم قليلة العلم تتكلَّف العلمَ الكثيرَ وتتدخل فيما لا تعلم، فتتعب نفسَها كما تتعب غيرَها؛ وهو ما أشار إليه الإمام الأعظم أمير المؤمنين سيّدنا ومولانا أبو الحسن عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) بقوله الشريف: «عشرة يعنّتون أنفسهم وغيرهم: ذو العلم القليل يتكلَّفُ أنْ يعلِّمَ الناسَ كثيراً، والرجلُ الحليم ذو العلم الكثير ليس بذي

فطنة، والذي يطلب ما لا يدرك ولا ينبغي له، والكاد غير المتئد[1]، وعالم غير مريد للصلاح، ومريد للصلاح وليس بعالم، والعالم يحب الدنيا، والرحيم بالناس يبخل بما عنده، وطالب العلم يجادل فيه من هو أعلم، فإذا علَّمه لم يقبل منه».

إنَّ أمثال هؤلاء المتعنتين لا يتعبون من الكلام المؤدي إلى الفساد والإثم والهلكة حينما يتكلمون بما لا يعلمون..! لا لشيء سوى مجرد الكلام، وأنهم من أصحاب الكلام والرأي؛ فقد طُلِبَ منهم أنْ يتكلموا رغم عجزهم عن خوضِ غمارِ علمِ الكلام الذي هو من أفضل وأجلِّ العلوم على الإطلاق، فهلكوا وأهلكوا... وما ذاك إلا لأنانية في نفوسهم، وحبهم لذواتهم المتعطشة لحبّ الكلام حتى لو كان فاسداً، فأحبوا أنْ يُعْرَفوا ويُذاع صيتهم في أطراف الحاضرة الشيعية وتروجَ بضاعتُهم في قواعدها الشعبية... وهذا ديدن عمائم المتحزبين، المخرِّبين للملة، والمفرقين للأحبَّة... فهم جنود إبليس اللعين، بهم يرمي ويصيب! فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون..!.

وزبدة المخض: إن بعض المؤمنين الغيارى لمَّا رأوا الكثير من الاعوجاج والضلال يصدر من أفواهٍ ليس لها دراية في أُصول العقائد وليس لديها الكفاءة العلميَّة الخبروية في صناعة دراية الأحاديث وتشييد علم العقيدة، فارتأى هؤلاء المؤمنون مراجعتنا لنكشف لهم زيف المدَّعين، لذا كان لزاماً علينا الإجابة وعدم المجاملة مهما كانت نتائجه مرّة وسهامه جارحة ممّا سينالنا منهم من قذع الكلام ورديئه، ولكن ذلك في جنب الله مصرعي، ولحبّ آل محمد (سلام الله عليهم) مضجعي، فلا أُبالي بسخط الموتورين وصراخهم وغثائهم وهراشهم كمهارشة الكلاب على فريستها... وقد بدأ فعلاً لما سمعوا أننا في مقام تصنيف كتاب نفضح فيه جهلهم، فنعتونا بالشيطان الرجيم وأدخلونا في سلك المنافقين

---

(1) والمتئد: أي الرزين والمتأني؛ ومعنى العبارة: أن مَنْ يكد ويجد في تحصيل أمرٍ لكنه لا يتأنى بل يتسرع ولا يتثبت، فهو من جملة العشرة المذمومين في الخبر المتقدم.

والجهلة. . . كلّ هذا اللؤم والعنت والحقد والإنتقاص والتحقير والتشهير بغير حقٍّ. . . لا لشيءٍ سوى أننا ترحمنا على ملا صدرا أحد فلاسفة الشيعة المتأخرين. . . ! مع أن بعض من يحبون ويقلّدون من المراجع الأحياء وغيرهم ممن مضى إلى سبيل ربِّه، قد ترضوا على ملا صدرا ووصفوه بعبارات التفخيم والتعظيم كصدر المتألهين والحكيم. . . كلا! لم يكن قدحهم بنا وانتقاصهم منا لأجل ترحمنا على ملا صدرا، وإنَّما كان ذلك عنواناً عريضاً لتحطيمنا وإسقاطنا، إذ وراء الأكمة ما وراءَها. . . فثمة غاية أُخرى من وراء حملتهم الشّعواء علينا شرقاً وغرباً، يميناً وشمالاً، هي أنهم موحىً إليهم بالتجريح بنا من قبَل جهات ذات ميول حزبية - ولايتية ودعوتية وبريطانية - تريد الزعامة الدينية ونشر أفكارها وعقائدها وأحكامها، وهي تظن أننا نقف في طريقها وسدّ المنافذ عليها وتعريتها على حقيقتها، فشرعوا بالسبّ والشتم والتشهير والازدراء والتهكم. . . وهي لغة الكسالى العاجزين عن منازلة الأبطال في حلبات الصراع. . . ونحن لا نولي أهميةً لما ينفثون من سموم ما دام الحقُّ غايتنا والذود عن بنت الزهراء البتول عليها السلام سبيلنا وواجبنا الشرعي والعقلي لما تستحقه هذه الطاهرة الزكيَّة عليها السلام من وجوب الدفاع عنها ووضعها في المرتبة التي رتّبها الله تعالى فيها؛ فهي (أرواحنا فداها) كهفنا عندما تعيينا المذاهب ويتهكَّمُ علينا القاصي والداني، فلا نبالي بهراشهم، كما لا نبالي بالموت في سبيل أهل بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم)، فلا فرق عندنا وقع الموت علينا أو وقعنا عليه، ما دام الذود عنهم وعن سيّدة النساء الحوراء زينب (سلام الله عليها) غاية أُمنيتي ورجاء طلبتي ونعيم جنتي؛ فتنزيهها عن السقوط من عليائها الشريف هو محور بحثي شاء من شاء وأبى من أبى. . ! وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلبٍ ينقلبون والعاقبة للمتقين.

الشروع في عرض الشبهة مورد البحث

خصصنا الفصل الأول للتحليل العقدي حول الفرقة البترية وما لها من آثار سلبية على الصعيدين العقدي والتشريعي، وأوضحنا فيه الهجمة الشرسة التي

يقودها رجال من عمائم بترية تتمظهر بالصراحة تارةً وبالتلفيق بين التولّي والتشكيك به تارةً أُخرى، ولم نحدِّد المصاديق التشكيكية بشكلٍ تفصيليّ بل أشرنا إليها إجمالاً... وفي هذا الفصل نريد وضع النقاط على الحروف بكشف أحد الرموز التشكيكيَّة في مقامات العترة العلويَّة؛ كما كان الحال سابقاً حينما كشفنا النقاب عن أحد الوجوه التشكيكية الحزبية حول مهام الإمامة المهدوية (على صاحبها آلاف السلام والتحية) في كتابنا السابق: (السيف الضارب في الردِّ على منكري اللقاء بالإمام الحجة الغائب سلام الله عليه)؛ وها نحن نشرع في هذا الفصل بعرض الشبهة التي أثار غبارها الشيخ ياسر حبيب الكويتي، ثم نعقِّب بالإيرادات عليها بتوفيقٍ من الله تعالى ومدد من خزانة المدد الإلهي الحوراء زينب الكبرى وابن أخيها إمام العصر وناموس الدهر الحجة القائم من آل محمد (سلام الله عليهم)...!.

فقد وردنا سؤال وجهه إلينا أحد[1] المؤمنين مستفهماً ومستغرباً من كلام الشيخ ياسر حبيب في سؤال وجّه إليه عبر موقعه الإلكتروني، أرفقه أخونا السائل للعبد الأحقر الفاني الراجي رحمة ربّه وشفاعة نبيّه وآله الطاهرين عليهم السلام في رسالته إلينا، وهو الآتي:

الإسم: ....

النص:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اللهم لك الحمد على هدايتنا إلى دين رسولك وحبيبك وأهل بيته الأطهار صلواتك وسلامك عليهم أجمعين، اللهم تقبل منا يا أرحم الراحمين واجعلنا من أنصار الإمام الحجَّة بن الحسن عليه السلام ومن أعوانه والذابين عنه والمسارعين إليه

(1) وقد لحقه غيره من المؤمنين ممن استفتونا في مسألة تفضيل مريم على الحوراء زينب عليها السلام لم نستعرضها لكثرتها واكتفينا بما بعثه إلينا أحد المؤمنين المستبصرين من خارج لبنان.

في قضاء حوائجه والممتثلين لأوامره والمحامين عنه والسابقين إلى إرادته والمستشهدين بين يديه. . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته عالمنا الجليل ومرجعنا الكبير شيخنا محمد جميل بن حمود العاملي دام ظلكم الوارف. . .

سؤالي حول كلام سأذكره بعد (وهو جواب على سؤال) وأريد منكم - لو سمحتم - حفظكم الله وإن أمكن الرد بالأدلة ولو وجيزاً. . .

وهذا نص السؤال الموجَّه إلى الشيخ ياسر حبيب والجواب عنه[1]:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

السؤال: عظم الله أجورنا وأجوركم باستشهاد مولاتنا سيدة نساء العالمين الصديقة الكبرى أم أبيها فاطمة الزهراء (سلام الله عليها ولعنته على قاتليها).

الشيخ الفاضل ياسر الحبيب حفظه الله تعالى وجعله ذخراً للإسلام والمسلمين. . .

لدينا بعض الأسئلة التي نرجو أن تتفضلوا علينا وتجيبون عليها بكرمكم وجودكم الواسع هل السيدة زينب عليها السلام أفضل من مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم عليهما السلام ولكل منهن فضل لما أصابها من المصائب والامتحانات حتى سمت بأم المصائب ولا يوم كيوم أبي عبد الله عليه السلام ، وأشد الناس ابتلاءا الأمثل فالأمثل، وكما يظهر فإن الأئمة عليهم السلام يتأثرون تأثراً خاصاً لما يتعلق بها (سلام الله عليها) من مجريات كربلاء وما تبعها من أحداث، ولأنها كانت الحامية

---

(1) نصّا السؤال والإجابة عنه وُضعا من دون تصرف في صياغتهما. . . لذا قد ترد بعض الأخطاء الإملائية والنحوية والأسلوبية التي لا علاقة لنا بها.

للإمامة ولولاها لما بقى لكربلاء أثر، ولقربها من معدن الرسالة وقد جاء على لسان الأئمة عليهم السلام ما مضمونه بـ«أن الحسن حسن ومنك أحسن لقربك منا والقبيح قبيح ومنك أقبح لقربك منا»، هذا وقد جاء في كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام لمعاوية لعنه الله». . . ألا ترى - غير مخبر لك لكن بنعمة الله أحدث -: أن قوماً استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين ولكل فضل، حتى اذا استشهد شهيدنا قيل: «سيد الشهداء» وخصه رسول الله صلى الله عليه واله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه، أو لا ترى ان قوماً قطعت أيديهم في سبيل الله ولكل فضل، حتى اذا فعل بواحدنا كما فعل بواحدهم قيل: «الطيار في الجنة وذو الجناحين. . .»، بل تشير الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله: «أن علماء أمتي خير من بني إسرائيل» وهي عالمة غير معلمة كما هو المروي عن زين العابدين عليه السلام فتكون (سلام الله عليها) من أبرز المصاديق لهذا الحديث إن صح وبه قد تكون عليها السلام أفضل من عيسى وموسى عليهما السلام والله العالم، ومن المعروف أن لها فضائل جمة وكثيرة أخرى قد تكون مؤيدة لهذا المطلب من كون أن تسميتها من السماء وأن لها النيابة الخاصة لزين العابدين عليه السلام وغيرها من الأمور، فما هو رأيكم في ذلك؟، نسأل الله لكم خير الدنيا والآخرة وأن يوفقكم لما يحب ويرضى. انتهى السؤال.

الجواب:

باسمه تقدست أسماؤه. وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. عظم الله لنا ولكم الأجر بمصابنا بمولاتنا الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء صلوات الله عليها، جعلنا الله وإياكم قريبا من الطالبين بثأرها مع ولدها الحجة المهدي أرواحنا فداه وعجل الله تعالى فرجه الشريف.

الأخبار الواردة في فضلها ومقامها (صلوات الله عليها) وإن كانت تُظهر علوّ شأنها على نساء البشر ورجالهم؛ إلا أنها ليست ذات دلالة قاطعة على أفضليتها على مريم العذراء عليها السلام، ولا صراحة فيها على ذلك، فينبغي التزام المنطوق النصي في قبال هذا المفهوم الحملي، والمنطوق النصي هو أن سيدات نساء

العالمين أربع، آسية ومريم وخديجة (عليهن السلام) وأفضلهن فاطمة بنت محمد صلوات الله عليهما وآلهما. وبذا تكون الحوراء (صلوات الله عليها) دونهن.

والتقريبات المذكورة في السؤال قاصرة عن إثبات أفضليتها على مريم وغيرها من سيدات نساء العالمين عليهن السلام. على أن حديث «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» لم يرد عندنا بهذا اللفظ في أصل معتبر، ولا نجده سوى في تحرير العلامة مرسلا، والظاهر أنه ذكره من طريق المخالفين وهم مع ذا يحكمون عليه بالوضع. وأما بلفظ. . «خير من أنبياء بني إسرائيل» ففيه شناعة ولا يُحتمل ثبوته لمخالفته الضرورة.

نعم نظيره المرسل المروي في الفقه المنسوب للرضا (صلوات الله عليه) عن الكاظم (صلوات الله عليه) أنه قال: «منزلة الفقيه في هذا الوقت كمنزلة الأنبياء في بني إسرائيل» وهو محمول على أن العالم يحلّ محلّ النبي في إرشاد العباد في وقت غيابه فيكون بمنزلته عند الناس في وجوب الاتباع والانقياد، لا أنه بمنزلته عند الله تعالى في المقام والرتبة. وعلى هذا يمكن حمل الحديث الأول على فرض ثبوته.

أنار الله دربكم بمحمد وآله الأطهار صلوات الله عليهم. والسلام.

26 من جمادى الأولى لسنة 1428 من الهجرة النبوية الشريفة. انتهى كلامه.

وهذا هو الرابط:

hhttp://www.alqatrah.net/question/index.php?id=293

وجزاكم الله خيراً شيخنا الجليل للرد والتفصيل على هذا المسألة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً وحافظاً وقائداً وناصراً ودليلاً وعيناً حتى تسكنه ارضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً برحمتك برحمتك يا أرحم الراحمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الجواب عن رسالة الأخ الفاضل علي... في بلاد الاغتراب (دام حفظه)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلوات وأزكى التحيات على أفضل الخلائق والبريات رسول الله محمد وآله الأنوار المقدَّسين والنجباء المصطفين وقادة العباد وساسة البلاد، مصابيح الدجى وسفن النجاة، ولعن الله تعالى أعداءهم ومبغضيهم ومبغضي مواليهم وشيعتهم ومنكري معارفهم ومنازلهم وكراماتهم ومعاجزهم وظلاماتهم من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين... ونخص بالتحية والسلام والإكرام مولانا ناموس الدهر وإمام العصر وحلم الأنبياء والأولياء المحجة البيضاء والحبل المتصل بين الأرض والسماء، وليّ الأمر الحجة القائم المهدي (أرواحنا لتراب مقدمه الشريف الفداء)... لعن الله تعالى ظالميه ومبغضيه، وجعلنا الله تبارك اسمه من خيرة أعوانه وأنصاره ومقوية سلطانه... وبعد؛

السلام على جناب الأخ الفاضل علي... (دام لطفه وسدده المولى تبارك شأنه)... وبعد؛

قرأنا رسالتكم الكريمة وتدبرنا بما فيها من بثّ شكواكم حول شكوكٍ نفثها أحد المشايخ الجاهلين بمقامات سيِّدة المؤمنين مولاتنا الحوراء زينب بنت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، ولم نتفاجأ بما سمعنا وقرأنا عن شبهات الشيخ ياسر حبيب الكويتي، وكيف نتفاجأ وقد خبرناه منذ بضع سنين عندما قرأنا بعضَ استدلالاته الفقهية الهزيلة الالتقاطية التي اقتبسها من هنا وهناك مع زيادة حشوٍ من عقله الضعيف الذي لم يكتمل بالاستدلال الصحيح طبقاً لقواعد الاستدلال المعمول بها في الوسط العلمي الإمامي المستقيم..! ولم يتنور

بمعارف آل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين)، فهيّاً للمستفتين مغرورين به ومخدوعين بولائه وعلمه حشواً من رأيه من دون النظر إلى أنَّ الفتوى بغيرِ علمٍ تضع صاحبها في النار، فأفتى بفتاوى تضحك منها الثكالى وتتبرم منها أفئدة أهل التقوى الغيارى بسبب مخالفتها للنصوص الواضحة ومدارك الأحكام اللايحة، ما يغني عن وفاق الموافق ولا يوحش معه خلاف المختلف. . . هذا حاله في الفقه! فكيف الحال في العقيدة وعلم الرجال والتاريخ فحدّث ولا حرج. . . فإن للرجل آراءً عقائدية وفقهية لا تمت إلى التشيُّعِ بصلةٍ وتدل على أنه لم يدخل حوزةً، ولم يتدرب على طرق الاستدلال، ولم يسبر روايات آل الله وآل رسوله الكريم - كغيره من المتزيين بزيِّ العلم في حوزاتنا العلميَّة وهم كثيرون في الحاضرة الشيعيَّة -، فضلاً عن تقمصه بهتاناً وزوراً دعوى التحقيق في المعارف والأحكام كما سوف ترون، «والحبل على الجرار»؛ ما يعني أن الرجل يريد التزعم على البسطاء بما يملكه من أموال وإعلام فضائي، مستعيناً بمنتديات بأسماء مموهة كموقع الحديث الشريف لأحد الشيرازيين ومصر الفاطمية التي شنت علينا منذ سنوات حملةً شعواء من السباب والشتم باسم سيِّدة نساء العالمين عليها السلام وهي (روحي فداها) بريئة منهم ومن أفعالهم المنكرة. . . . وأشباههما من فضائيات ناصبية بترية تنصب العداوة للعلماء الموالين والفقهاء العارفين بآل محمد عليهم السلام؛ كلّ ذلك بمآزر شيعية ودعوات ولائية وبراءتية، مناصرةً لخطه المشبوه. . . وهي في الواقع أشر على آل البيت عليهم السلام من قوم عاد وثمود وفرعون ونمرود بمقتضى ما جاء عن مولانا الإمام الرضا عليه السلام حيث قال: «إن ممن ينتحل مودتنا أهل البيت من هو أشدّ فتنةً على شيعتنا من الدجال. . »، وبمقتضى ما دل على نصبها العداوة للشيعة لمجرد ولائهم لأهل بيت العصمة عليهم السلام فكان نصبهم العداوة لنا بسبب وقوفنا في وجه باطلهم وبدعهم، وتصدينا لإصلاح ما فسد في هذه الطائفة المسكينة؛ فكشروا عن أنيابهم المسنونة كالرماح وألسنتهم الطويلة كالكلاب، يريدون النيل منا بكلِّ ما أُوتوا من قوة وسلطان للتشفي والإسقاط. .

وبالجملة: إن تصدينا لأصحاب البدع قد أزعج هؤلاء النواصب من الشيعة

لأننا تعرَّضنا لبعض آراء من يهوون بغير هدىً ولا كتابٍ منير... فقامت قيامتهم علينا حتى صاروا كالكلاب المسعورة والذئاب في الفلوات تنهشنا من هنا وهناك، لم يراعوا فينا عهداً ولا قرابةً روحية وولاءً لآل محمد عليهم السلام: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾(1) ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾(2).

وهؤلاء النواصب قد حشدوا كلّ طاقاتهم لإسقاطنا والتهكم علينا، فسلطوا جهالهم عبر فضائياتهم ومنتدياتهم ليعيثوا الفساد علينا وعلى كلّ موالٍ يتصدى لباطلهم ويفضح أكاذيبهم..!! فمصر الفاطمية التي تميل إلى بعض الشيرازيين والقطرة للشيخ ياسر حبيب وموقع الحديث للسيِّد مجتبى الشيرازي وموقع يا حسين للشيخ قاسم المصري وما شاكلهما من منتدياتٍ وفضائياتٍ ذات توجهاتٍ حزبية ولايتية ودعوتية ضالة ومضلة تميل ذات اليمين وذات الشمال وتسير على غير هدىً ولا كتابٍ منير... تكاتفت وتآزرت فيما بينها لمجابهتنا بالسبِّ والشتم وقذع القول وقوارص الشحناء والبغضاء، وهي لغتهم وطريقتهم في المجابهة والصراع الفكري لأنهم جهلة تقمصوا العلم بهتاناً وزوراً، فلو ردوا علينا بالعلم فإنهم سيُفتضحون بسبب هشاشة استدلالهم وضعف مبانيهم، وهم يعلمون بأن ردّنا عليهم سيكون مزلزلاً وفاضحاً لهم أمام العلماء وذوي الفهم والفطنة من المؤمنين... فكان ردُّهم علينا بلغة السبّ والشتم عبر رعاعهم من العوام الذين لا يحسنون كتابةَ سطرٍ بلغةٍ عربيةٍ فصيحة وبعضهم أُميون يستعينون بغيرهم لينوبوا عنهم في الكتابة....! كلّ هذا الكيد لأجل التشفي منا نصباً وحقداً ولم يدروا بأن ذلك نصباً للأئمة الطاهرين عليهم السلام، بمقتضى ما جاء في الأخبار الكاشفة عن عموم النصب للشيعة المخلصين بسبب ولائهم لأهل البيت عليهم السلام والبراءة من

(1) سورة التوبة، الآية: 8.
(2) سورة التوبة، الآية: 10.

أعدائهم، وهي أخبار فاقت الاستفاضة ومنها ما رواه الشيخ الصدوق (رحمه الله) في معاني الأخبار بسند معتبر عن معلَّى بن خنيس قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت لأنك لا تجد أحداً يقول أنا أبغض آلَ محمدٍ ولكنَّ الناصبَ من نصب لكم وهو يعلم أنَّكم تتولونا وتتبرؤون من أعدائنا».

وفي صحيحة محمد بن الحسن الصفار بأسناده عن محمد بن عيسى بن عبيد ابن فضال قال سمعت الرضا عليه السلام يقول: «من واصل لنا قاطعاً، أو قطع لنا واصلاً، أو مدح لنا عائباً، أو أكرم لنا مخالفاً فليس منا ولسنا منه».

نعم؛ لقد نصب لنا هؤلاء العداوة في منتدياتهم وخلواتهم وجولاتهم بغضاً لنا، لأننا عكّرنا عليهم صفوَ عيشهم وتصدينا لأراجيفهم وخزعبلاتهم وأكاذيبهم. . . هذه المنتديات التي تجعل الخاملَ الكسول والجاهلَ الموتور في مصافّ الأعلام عند من لا يفقه وضوءه ولا يحسن صلاته. . !! وكان البعضُ يظن أن موت الضال السيّد البيروتي سينهي الكارثة على التشيع إلا أنهم بهتوا لمّا سمعوا آراء وهفوات وسقطات وبدع السيّد كمال الحيدري وأسد قصير وعودة وطالب وحبيب وقبلان وأضرابهم من تيار التشكيك. . . ولعلَّ الشيخ حبيب برع أكثر في التشكيك الخفي بالفضائل والمقامات العلوية، بسبب تظاهره الواضح بعنصري التولّي لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام والتبري من أعدائهم، وهو حشويٌّ تلفيقيٌّ يُخفي في طياته التشكيك برجالات التشيع وبمقامات سيِّدة النساء زينب الكبرى (سلام الله عليها)، فظن هذا الشيخ المتجلبب بفضائيته أنه صار أوحدي هذه الطائفة ورُبَّان سفينتها إلى الولاية لآل محمد عليهم السلام والبراءة من أعدائهم. . . كما بهتوا لمَّا سمعوا آراءَ وهفواتِ وبدع صنوه كمال الحيدري وأمثاله من الموتورين. . !!.

وما تفضلت به أخي المؤمن في سؤالك عن الرجل بحق الصدّيقة الكبرى عقيلة الهاشميين الحوراء زينب (صلوات الله عليها) هي إحدى السقطات والبدع - كغيرها من بدعه وبدع صنوه الحيدري - التي أضعفت عقائد المؤمنين بولاية

أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام بسبب تشكيكهما في الفضائل والمعارف العالية لأهل بيت العصمة (سلام الله عليهم)... بل تشكيكهما في كلّ فقيهٍ عارفٍ أو متكلمٍ بارع لا يروق لهما ولا يسير على منهجهما المبتور..!

ولم يغب عن بالنا تشكيك الشيخ حبيب في كتابنا «الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية» مع ما لهذا الكتاب من فضلٍ في تثبيت عقائد المؤمنين والذود عن حياض أئمتنا الطاهرين (سلام الله عليهم أجمعين)، ومع ما له من رواج في الحوزات الكبرى في الحاضرة الشيعية كقم المقدَّسة والنجف الأشرف وكربلاء المطهرة ولبنان واليمن والخليج وبقية الحواضر الأُخرى.... وما لهذا الكتاب من فضلٍ في استبصار الكثيرين من أبناء العامة... وبالرغم من كلّ ذلك لم يُعجَب الشيخُ حبيب بالكتاب المذكور حسداً وحقداً منه علينا كغيره من الحاقدين الموتورين لغايات دنيوية ومآرب حزبية، والله حسبنا ونعم الوكيل.

عودٌ على بدء: ما نفثه المزعوم بحقِّ مولاتنا الصدّيقة الكبرى زينب الحوراء عليها السلام زاد من اعتقادنا بجهل هذا الرجل بطرق الاستدلال العلمي الامامي، وجهله بأُصول العقيدة وأدلة الفقه الجعفري، فضلاً عن جهله بعلم الرجال والأسانيد وقضايا التفسير والتاريخ... ونحن بحمد الله تعالى قد شرفنا الباري جل جلاله بالردِّ عليه دفاعاً عن تلك الحرَّة الطاهرة والمعصومة الزكيَّة (صلوات الله عليها) رفعاً لقدرها ووضعاً لقدره الذي يريد رفعه على حساب آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين)..!.

وها نحن قد شمرنا عن ساعدنا لتفنيد ما افتراه على آل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام لنُري البسطاء المغرورين به هشاشة علم الرجل وفقاهته المزعومة، ونحن نبتغي القربة إلى الله تعالى وإلى آل محمد عليهم السلام في فضح كلِّ من استأكل بعلومهم (صلوات الله عليهم) ليطمس ولايتهم بتنزيلهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها ولا سيَّما الرجل المذكور الذي أسقط جلالة تلك المرأة الكريمة عند الله تعالى وعند آله المطهرين من نفوس المؤمنين حتى صار رعاع

فضل الله أكثر تمسكاً بضلالهم لما سمعوا كلام الشيخ المزعوم بحقّ تلك الحوراء العصماء (سلام الله عليها) تحت دعاوى دفاعه عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه أفضل الصلاة والسلام) وهجومه على عائشة فقط مع ظنه الحسن بأنصارها ومحبيها كما هو معروف في أجوبته إلى المخالفين الذين يزعم أنهم نواصب ولكنهم مسلمون. . .! وهذا من عجائب الفتاوى التي لم نسمع بها قديماً وحديثاً. .! إذ كيف يكون المخالفون من النواصب وفي الوقت عينه يحكم عليهم بالإسلام. .!! ولعلَّ ردنا السابق منذ سنين على اضطرابه في هذه الفتوى جعله يحنق علينا في بعض المواقع الإلكترونية، فسلَّط علينا همجاً رعاعاً على تلك المواقع الإلكترونية منذ سنين يجرِّحون بنا - ولا يزالون - ولا سيَّما المواقع المحسوبة على بيت ماله الوفير الذي جمعه من الشيعة ليبني زعامته على حساب أهل الدين والمدافعين عن معالمه المقدَّسة. . . تدعمه في ذلك بقية المنتديات والفضائيات الدعوتية والولايتية، لأنهم وجدوا في الشيخ ياسر حبيب الكويتي فرصةً سانحةً للتشهير بنا والانقضاض علينا بكلِّ ما أُوتوا من قوة وجبروت، فقاموا ولا يزالون ينبحون علينا ويحرِّضون النواصب على قتلنا بحجة الدفاع عن ياسر وأمثاله من الزمرة المسيَّسة التي لا تعرف خُلُقاً ولا ورعاً ولا تتصف بالحصافة والإنصاف والعدل والرحمة. . .! وهذا نظير ما كان يفعله السيِّد البيروتي بنا حيث كان يوزع الأدوار للهجوم علينا وعلى فكرنا، لما يحويه هذا الفكر من دفاعٍ وحميَّةٍ لآل محمد عليهم السلام، ولأننا نريد أنْ نردَّ المعالم لهذا الدين حتى لا تتلاعب به الصبيان من المعممين. . .! والله تعالى حسبنا ونعم الوكيل. . وهو وليّنا العظيم، فنعم المولى ونعم النصير، ونحن نستمد المدد من خزانة المدد الإلهي وليِّ الله الأعظم الحجةِ القائم أرواحنا فداه وعجَّل اللهُ تعالى فرَجَهُ الشريف. . . فكان هذا البحث - وهذا الفصل تحديداً - هو ردّنا على شبهة الشيخ ياسر حبيب الكويتي تحت عنوان: (**الحقيقة الغراء في تفضيل الصدّيقة الكبرى زينب الحوراء** عليها السلام على مريم العذراء عليها السلام).

ونريد أن نلفت نظر القارىء العزيز بأنَّ الفصل الأول له صلة عظمى بالهيكليَّة الفكريَّة للمنهج الحشوي التلفيقي للشيخ المذكور وأمثاله ممن يعيثون في المجتمع الشيعي الفساد الفكري والضلال الفقهي المتبدع باسم التبري من أعداء آل محمد في مقابل الطرف الآخر من البتريين الذين استخدموا مفاهيم الولاية لنسف معالمها من الأساس.



الشروع بالردّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أشرنا في بداية هذا الفصل إلى أنّ بعض المؤمنين سألونا مستغربين من دعوى الشيخ ياسر حبيب الكويتي حول أفضلية السيِّدة مريم وآسية بنت مزاحم عليهما السلام على مولاتنا السيِّدة الصدِّيقة الكبرى الحوراء زينب بنت أمير المؤمنين عليهما السلام، مدعياً أنّ النساء الأربع قد ورد ذكرهنَّ في الخبر المنسوب إلى النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «سيِّدات نساء العالمين أربع: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون. . .» وهنَّ أفضل من سيدتنا الحوراء زينب عليها السلام، وقد اطلعنا على ما جاء في أدلة الشيخ المذكور - **وقد أثبتناها تحت عنوان دعاوى** - فوجدناه قد تمسك بثلاثةِ أدلة على أفضلية السيِّدة مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم على الصدِّيقة الكبرى سيدتنا المعظَّمة زينب الحوراء عليها السلام، وما استدل به صاحب الدعوى ليس إلا مجرد دعاوى فارغة تفتقر إلى الدليل العلمي كما سترون، وهي الآتية:

الدعوى الأولى: الأخبار الدالة على فضل مولاتنا الصدّيقة الكبرى زينب عليها السلام ليست صريحة على أفضليتها على آسية ومريم (صلوات الله عليهما).

الدعوى الثانية: التزامه بمنطوق النصِّ الوارد في الرواية الدالة على أنّ النساء الأربع في النصّ أفضل من عامة النساء، ومنهنَّ مولاتنا الحوراء زينب الكبرى عليها السلام، بل ادَّعى وجود روايات في هذا المضمون، وهذا المنطوق الوارد في رواية عكرمة مقدَّم على المفهوم الحملي بحسب تسميته الفلسفية التي أسقطها على قضايا العقيدة والفقه، مع أنه يكره الفلسفة والمتمسكين بها بل أنَّه كفَّر من اعتقد بها، وفسقنا لأننا ترَّحمنا في كتابنا «الفوائد البهيَّة في شرح عقائد الإمامية»

على أحد فلاسفة الشيعة وهو صدر الدين الشيرازي المتوفى عام 1050 للهجرة..!! وبتفسيقنا لأجل ملا صدرا يكون قد فسَّق السيّدين من آل الشيرازي «محمد وصادق» اللذين أطلقا على ملا صدرا لقب «صدر المتألهين»[1] وقد أشرنا تفصيلاً في ردٍّ لنا على مقال بذيء لياسر حبيب ينعتنا فيه بالحمق والشيطنة... الله سبحانه هو العدل بيني وبينه يوم تسود وجوه وتبيض وجوه، ويومئذٍ يخسر المبطلون ويظهر الحق على رؤوس الأشهاد.

الدعوى الثالثة: إنكاره لصحة الحديث المشهور: «علماء أُمتي كأنبياء بني إسرائيل» الدال على دخول مولاتنا زينب عليها السلام في مصاديق مفهوم العلماء من آل محمد عليهم السلام، مدَّعياً بأنّ الحديث مرسَل ولا أصل له ولا يدل على كون سيّدتنا الطاهرة الزكية الحوراء زينب (سلام الله عليها) من أولئك المطهرين الذين سبقوا النبيين في العصمة والتطهير..!.

هذه عمدة أدلته التي تمسك بها على أفضلية مريم بنت عمران عليها السلام وآسية بنت مزاحم رضي الله عنها على سيدتنا العقيلة الطاهرة الحوراء زينب عليها السلام، وهي أدلة واهية جداً وتنم عن جهله بالعقائد والأُصول وقواعد الترجيح، ونحن كعادتنا لا نداهن ولا نجامل الإخوان من المؤمنين على حساب الحقّ والمبدأ والعقيدة، لذا توجب علينا الإيراد على الأدلة التي تمسك بها هذا المدَّعي لما ليس له ناسباً نفسه إلى إحدى المرجعيات الدينيَّة في هذا العصر مستغلاً شهرة ذاك المرجع لكي يمرر مشاريعه من دون حساب أو عقاب، تماماً كغيره من أصحاب البدع اليوم ممّن يتزيون بزيٍّ مرجعيات مشهورة... وهو يجهل أو يتغافل عن أنّ تلك المرجعيات لت تنفعه يوم يقدم على ربِّه، حيث سيبرَّؤون منه وسيتركونه وحيداً ليحاسبه والد الحوراء أمير المؤمنين عليه السلام على تقصيره بحقِّ ابنته الطاهرة الزكيَّة عليها السلام وسنشهد على المحاسبة وسوف يرى مع من كان الحقُّ، وسوف يرى

---

(1) لا يخفى على العالم البصير ما في اللقب المذكور من الإطراء والمديح من حيث كون ملا صدرا رئيساً لعامة المتألهين من الشيعة تماماً كرئاسة القلب على عامة أعضاء البدن.

أن السيّدة مريم وآسية بنت مزاحم عليهما السلام ستتنصلان من دعواه المزيفة، ولن ينفعه عكرمة وابن عباس، وسوف يرى أننا سوف نفوز بكأس النجاة بفضل دفاعنا عن تلك الحرَّة الزكيَّة بعد الأذى الشديد الذي نالنا من هذا الرجل وأتباعه، والله من ورائهم محيط وهو حسبنا ونعم الوكيل.

نفثة مصدور..!:

والله تعالى يشهد ورسوله والعترة الطاهرة من آل محمد (صلوات الله عليهم) يشهدون أيضاً بأننا لم نكن نبتغي بردِّنا على هذا وذاك شيئاً من فضول الحطام ولا منافسةً منا في سلطان، ولكن لنرد المعالم من دينه ونظهر الاصلاح في بلاده. . . نعم؛ لا لنردّ شيئاً من فضول الحطام وإنما لنردَّ المعالم من هذا الدين الذي تتلاعب به ثلةٌ من المعممين البتريين والحشويين والمشكّكين ممن لم يخلصوا في العقيدة والولاء، كما لم يخلصوا في تدربهم العلمي والفقهي فضلوا وأضلوا غيرهم من شذاذ الآفاق. . . . !.

هذا من جهةٍ، ومن جهة أُخرى إننا لم نكن في سالف الأيام بصدد تضعيف علم وعقيدة الشيخ المذكور؛ ولكن عندما أطلعَنَا بعض المؤمنين على ما أفاده صاحب الدعوى المتقدِّمة لم يسعنا إلا الردّ الفقهي والعقدي والرجالي تصحيحاً لما نعتقد بأنه خطأٌ محضٌ في حقِّ مَنْ اعترف هو بحقها في بعض كلماته بأنها صاحبة العصمة والعلم الحضوري، فكان هذا البحث المتواضع دفاعاً عن تلك الحُرَّة الطاهرة الزكيَّة (صلوات الله عليها)، وإنّي لأرجوها أن تشفع لي في مواطن الرهبة والخوف حيث لا عمل ينجيني سوى الدفاع عنها وعن آبائها الطاهرين عليهم السلام والاعتقاد بها كوليّة لله تعالى ليس لها نظير في عوالم الوجود سوى كونها من آل الله تعالى، فهي بضعة أبيها وأُمها (سلام الله عليهما)، ومهجة كبد إخوتها عليهم السلام . . . وها أنا عبدها يذود عنها ببضاعة مزجاة راجياً منها (صلوات الله عليها) أن تتصدق عليّ بجودها المعطاء ومعينها الإلهي الذي لا ينضب، وقد كان لها السبق في العطاء على عبدها الأحقر الفاني بكرامةٍ من

مولاتنا الصدِّيقة الحوراء زينب عليها السلام حينما طبع كتابنا الكريم الموسوم بـ(الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية) لأول مرة في بيروت(1).

وهذا من نعم الربّ على عبده الفقير إليه والملتجئ إلى حصن آله الطيبين، فله الحمد والشكر ولمولاتنا الحوراء زينب عليها السلام الثناء والفضل.

وليعذرني المؤمنون حيث سرح بي القلم، ولكنَّ ذلك كان نفثةَ مصدور وشكوى مكروبٍ وتنفس مهموم، قلَّ ناصره وكثر واتره، إلا أن في اللجوء إلى حصنهم والدخول في كهفهم أمان لي من كلّ كرب وهمٍّ وغمٍّ، فبهم أصول وأجول في ساحات جهاد المستخفين بأمرهم والمشكّكين في منازلهم ومقاماتهم، فإن في جهادهم علو المنازل والكرامات وقربٌ من آل الله الطيبين الطاهرين (سلام الله عليهم أجمعين).

---

(1) رغبة منا في نشركرامات الصدّيقة الكبرى الحوراء زينب عليها السلام على قاعدة قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: 11] نحب ذكر الكرامة التالية: عندما صنفنا كتابنا «الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية» عرضناه على إحدى دور النشرلطبعه فوافقت على ذلك ثم رفضت بعد عشرين يوماً بسبب ضغوط من مكتب البتري البيروتي؛ ويومذاك شددنا الرحالَ إلى مقام مولاتنا زينب عليها السلام وتضرعنا إلى جنابها الكريم وخاطبناها بعبارات الرجاء والكشف عن الواقع مهطعين إليها خاضعين لجنابها الأقدس وروحها المطهرة... ومما أُلقي في روعنا بخطابنا لها بالعبارة التالية: «إن كنتم راضين عن هذا الكتاب فسهِّلوا لنا طبعه وإلا فسنتلفه»، فما كان منها إلا أن قضت حاجتنا وتيقنا بعين اليقين بإحراز رضاها عن الكتاب؛ فقد أرسلت لنا دار النشر التي رفضت طبعه بأنها جاهزة لطبعه بالرغم من تهديد مكتب البتري في بيروت بأمور سلبية في حال وافقت على نشر الكتاب، ولكنها أشارت إلينا بأن شيئاً غيبياً دفعها لطبع الكتاب، وقد تم طبعه في المرة الأولى، وفي الطبعة الثانية كان لكرامات الإمام الحجة القائم وجدته الصديقة الكبرى مولاتنا فاطمة عليها السلام في قصة معنا بشأن طبع الكتاب مرة أخرى حيث كان لهما السبق في الكرامة فطبع بفضلهما والحمد والشكر لله ولهم عليهم السلام وسوف ينكر ما قلنا المنافقون، ويوم القيامة سيريهم الله تعالى عاقبة جحودهم وتكذيبهم ويومئذٍ يخسر المبطلون...!.

استعراض الدعاوى والإيراد عليها:

إننا سنلخّص بأسلوب علمي دعاويه المتقدِّمة ثمَّ نورد عليها بما تيسر لنا في هذه الرسالة وهي الآتية:

الدعوى الأولى: قوله بأنّ: الأخبار الدالة على فضل مولاتنا الصدّيقة الصغرى زينب عليها السلام ليست صريحة على أفضليتها على آسية ومريم صلوات الله عليهنَّ أجمعين.

*** الإيراد على الدعوى الأولى من وجوه متعددة:**

(**الوجه الأول**): إنّ الخبرَ الذي استدل به صاحب الدعوى على أفضلية السيِّدة الصدّيقة الصغرى مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم على مولاتنا وسيدتنا الصدّيقة الكبرى الحوراء زينب عليها السلام ضعيفٌ من الناحية السندية، فضلاً عن الجهة الدلاليَّة المتعلقة بأفضلية آسية بنت مزاحم على المعصومة المطهرة مولاتنا الحوراء زينب عليها السلام مع أن الإجماع القطعي قائم على عدم عصمة آسية كما سوف ترون. . . !.

فالخبر - إذاً - رواه المخالفون وليس له ذكر في مصادرنا إلَّا ما رواه الصدوق في الخصال باب الأربعة: حديث 22، كعادته في سائر كتبه الحديثية التي لم تخلُ من روايات من طرق المخالفين من دون تمحيص وتدقيق في مداليلها ومعارضاتها. . ! ولا استغراب في ذلك إذ إنّ للصدوق (رحمه الله) منهجاً هزيلاً في باب الكرامات والمقامات العرفانية لأهل بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم). . . وله شبهة عظيمة في باب العصمة وهي نسبته السهو إلى المعصوم عليه السلام تبعاً لأُستاذه ابن الوليد. . !.

بالإضافة إلى ذلك: إنَّ العلماءَ المحصِّلين يعلمون يقيناً التوجه العلمي الرجالي للشيخ الصدوق (رحمه الله) من حيث كونه عشوائياً في منهجه الرجالي، فيأخذ بالغثِّ والسمين معاً من دون دراية أو تمحيص. . . !

ولا غرو في ذلك. . . ! فإنَّ الشيخ الصدوق من المحدِّثين الذين ليس لهم

شغل سوى جمع الأخبار من هنا وهناك، وأمَّا التحقيق في دلالات تلكم الأخبار فموكولٌ إلى أهله؛ وتعتبر بعض فتاويه غريبة، جمعها أحدُ الأعلام وهو مفلح بن الحسن الصيمري في كتابٍ أسماه: (التنبيه على غرائب من لا يحضره الفقيه) وأغلبها يتوافق مع المخالفين، مع مخالفتها لأخبارنا القطعية والإجماعات العلميَّة بأقسامها الأربعة...!.

وبالجملة: لقد تناقل الخبرَ عنه جُلُّ من جاء بعده من محدِّثي الشيعة من دون تمحيص وتدقيق... واتبعهم في ذلك جماعة من غير المحصِّلين، مما أدّى إلى دخول الشبهة إلى عقل صاحب الدعوى، وقد رواه الصدوق بطريقين إلى داوود بن أبي الفرات، وكلا الطريقين والسندين عامِيَّان، وفي الوقت نفسه هما ضعيفان عند العامة بحسب الصّناعةِ الرجاليَّةِ عندهم، وأمّا بحسب الصّناعةِ الرجاليَّة في الوسط العلمي الإمامي، فلا نقاش في ضعفهما سنداً ودلالةً.

أَمَّا الدلالة: فلما سوف يأتيكم لاحقاً من الوجوه الأُخرى التالية.

وأمّا السّند: فلوجود رجال في السند، يقطع الشيعة الإمامية بكذبهم على اللهِ عزَّ وجلَّ ورسولِهِ الكريم والحججِ الطاهرين عليهم السلام، مضافاً إلى أنّ أغلبَ رجالِ السند فساقٌ بنظر علماء الرجال من المخالفين، فضلاً عن كونهم كفاراً بنظر المحققين من أعلام الإماميَّة، ولا يجوز الاعتماد على الفساق والكفار في نقل الأخبار الدالة على بيان الأحكام والعقائد بمقتضى أدلة حجيَّة الخبر الواحد الواردة في الكتاب والسنَّة المطهرة، ولم يردنا دليلٌ ظنيٌّ معتبرٌ يدلُّ على أنّ واحداً منهم كان مستقيمَ الطريقةِ مع أهلِ بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، وبالتالي فلا يجوز الأخذ بما يرويه المخالفون؛ لاسيّما الأخبار القاصرة عن الدلالة على المطلوب، فضلاً عن مخالفتها للأخبار الأُخرى المعتبرة... وقد نقل الشهيد الثاني الشيخ زين الدين العاملي (رحمه الله) في شرح دراية الحديث عن جماعة من مشايخ الصوفية أنه «يجوز عندهم وضع الحديث، فكيف يجوز حسن الظن بهم في نقل الحديث».

وعلى تقدير ثبوت الخبر مورد البحث في بعض كتب الأحاديث المصدريَّة

المعتمدة عندنا كخصال الصدوق فلا يكون ممضياً شرعاً، إذ ليس كلُّ مرويٍّ في كتبنا يعتبر حجَّةً شرعيةً يجب التعبد بها وقبولها كيفما كان ومن أيِّ وادٍ ورد إلينا. . . مع علمنا القطعي بعدم خلو كتبنا الحديثيَّة من روايات العامة، لذا كان لزاماً على الأعلام تنقيحها بعرضها على الأُسس الرجالية وعلم دراية الحديث وأُصول الفقه، وهو ما فعلناه في بحثنا هذا لنبيِّن عوار ما اعتمده من ينتسب إلى الحوزة الشيعية ملبِّساً على العوام وجهَ الحقّ لغاياتٍ خسيسةٍ أو لضعفٍ في بنيته العلميَّة أو اغتراراً بشهرة صيت الشيخ الصدوق، فيقلبُ الحقَّ باطلاً والباطلَ حقاً وهو ما أخبرت عنه نصوصُ آلِ اللهِ تبارك اسمه من عترة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كاشفةً عن حال علماء آخر الزمان بأنهم: «يميلون إلى التصوف والفلسفة» «وأنهم يركبون مراكب العامة» باستدلالاتهم وأقيستهم واستحساناتهم الظنية المعتمدة على دليل العقل في مقابل الشرع، أو يسلكون مسلك الحشوية من الأخباريين الشيعة الذين يأخذون بكلِّ خبرٍ حتى لو كان مخالفاً لعمومات الكتاب والسنَّة، ومن هذا القبيل هذا المدَّعي ما ليس له - كغيره من المنتسبين إلى حوزة التشيُّع ظاهراً وهم أبعد الناس عنها - فيجنح به جنونُ الارتياب والعظمة إلى التطاول على مقام ولاية الصدّيقة الكبرى مولاتنا الحوراء زينب (صلوات الله عليها) متجلبباً قميصَ العلم والتحقيق، ومزوراً حقائقَ التنزيل والتأويل، فيعتمد خبراً من طرق العامة والصوفية المتهمين بنقله باعتبارهم خونة ومراق من هذه الولاية العلويَّة الفاطمية (على صاحبيها آلاف السلام والتحية) فيجعله كعبةً يحج إليها المخالفون ويتبرك بها البتريون الذين يناسبهم هذا المفتري - بقصدٍ أو غير قصدٍ - على مقام الولاية الزينبية الممسوسة بنور الله تبارك اسمه وإنْ خالفهم في أحوال عائشة. . !! ولا ضير في ذلك عند هذا المدَّعي وأمثاله من المشكِّكين في هذا العصر ما دامت الغايةُ واحدةً وهي تقديم من حقّه التأخير وتأخير من حقُّه التقديم وهو ما يُسِّر قلوبَ البتريين والنواصب داخل الصفِّ الشيعيّ. . !!.

عَوْدٌ على بدءٍ:

لقد اعتمد المدَّعي المذكور على خبر الخصال المروي من طرق العامة،

ورواه الصدوق في كتابه الخصال في باب الأربعة من مصادر المخالفين بطريقين هما الآتيان:

(1) - قال الصدوق: أخبرني محمّد بن علي بن إسماعيل قال: أخبرنا أبو العباس ابن منيع قال: حدثنا شيبان بن فرُّوخ قال: حدثنا داوود بن أبي الفرات، قال: حدثنا علباء بن أحمر قال: حدثنا عكرمة عن ابن عباس قال: خطّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربع خطط في الأرض وقال: أتدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أفضل نساء أهل الجنة خديجة بن خويلد وفاطمة بنت محمّد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون.

(2) - أخبرنا سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي قال: حدثنا علي بن عبد العزيز، قال: حدثنا الحجاج بن المنهال قال: حدثنا داوود بن أبي الفرات الكندي عن علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس قال: خطّ رسول الله أربع خطط ثم قال: خير نساء أهل الجنة مريم بنت عمران... إلخ. (الحديث..).

تعداد سلسلة السند

(1) - (**محمّد بن علي بن إسماعيل**): هذا من مشايخ الصدوق، وكونه من مشايخه لا يصحّح طريقه إلى غيره من النقلة غير الموثوقين، بالإضافة إلى أنّ توثيق الصدوق لشيخه لا يستلزم توثيق أحدٍ من الأعلام والفقهاء له، وإلّا لصار مقلِّداً له في التوثيق...!.

(2) - (**أبو العباس بن منيع**): مجهول عند الشيعة والعامة، فليس له ذكرٌ في المصادر الرجالية عند الطرفين.

(3) - (**شيبان بن فروخ**): راوٍ من رواة العامة، وثّقه الذهبي[1]؛ فقال عنه: «إنّه صاحب حديث ومعرفة وعلوّ إسناد»، ونقل عن ابن زرعة قوله: «إنّه صدوق»، ونقل عن أبي حاتم قوله بأنّه: «كان يرى القدر»؛ أي: أنّ عقيدته القدر وهو الجبر في الأفعال.

(1) أُنظر: ميزان الإعتدال: ج 2 ص 285.

(4) - (**داوود بن أبي الفرات**): عاميُّ المذهب، قال عنه الذهبي: «إنّه كندي مروزي، وثقه ابن معين وأبو داوود».

(5) - (**علباء بن الأحمر**): والظاهر أنه عاميُّ المذهب لرواية أعلام المخالفين عنه كابن حزم والنسائي والطبراني وأضرابهم، بالإضافة إلى أنه محاط برواة العامة كداوود بن أبي الفرات الكندي وعكرمة. . . مع التأكيد على أنه مجهول في تراجم الرواة عند الشيعة الاماميَّة.

(6) - (**عكرمة**): ورد اسم عكرمة متعدداً، وكلهم ضعاف عند العامة، وعكرمة مولىً لابن عباس، قال عنه الذهبي(1): «قد وثقه جماعة واعتمده البخاري، وأما مسلم فتجنبه وروى له قليلاً مقروناً بغيره وأعرض عنه مالك وتحايده إلّا في حديث أو حديثين»، ثم نقل عنة جماعة قولهم بأنّ «عكرمة خير هذه الأمة» كابن عباس، ونقل عن حماد بن زيد أنّه كان يتهمه؛ وعن سعيد ابن المسيب أنه قال لمولاه بُرد: «لا تكذب علَيَّ كما كذب عكرمة على ابن عباس. . .». وقد أظهر الذهبي أقوال علماء متعددين اتفقوا على هوية عكرمة وهي أنه كان أباضياً - أي من الخوارج - وادّعى عكرمة على ابن عباس أنه كان يرى رأي الخوارج. . . !.

بالإضافة إلى ذلك: ثمة خبر آخر نظير خبر عكرمة المتقدِّم، نقله المحدِّث المجلسي في بحار الأنوار في باب مناقب الصدِّيقة الكبرى سيدتنا الزهراء البتول (سلام الله عليها) عن الخصال(2) بإسناده عن ابن إدريس عن أبيه عن الأشعري عن أبي عبد الله الرازي عن ابن أبي عثمان عن موسى بن بكر عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله تعالى اختار من النساء أربع: مريم وآسية وخديجة وفاطمة عليها السلام».

ولا ضير في ذلك بعد أن كان أغلب رجاله ضعاف من الواقفية الملعونين

(1) أُنظرك ميزان الإعتدال: ج 3 ص 93.

(2) الخصال: ج 1 ص 225 ح 58 باب: إن الله تعالى اختار من كلّ شيء أربعة.

وقد قدح فيهم علماء الرجال بما لا مزيد عليه من عندنا إلا على نحو التأكيد، فنقول: وجه الضعف ظاهر بأبي عبد الله الرازي وابن أبي عثمان وموسى بن بكر.

أمَّا أبو عبد الله الرازي: فهو محمد بن أحمد الجاموراني؛ فقد ضعفه القميُّون لا سيّما ابن الوليد وتلميذه الشيخ الصدوق الذي ضعّف كل ما ضعفه أستاذه ابن الوليد، له كتاب وطريق الشيخ إليه ضعيف بأبي المفضل وابن بطة.

وأمَّا ابن أبي عثمان: الملقب بالسجادة؛ فهو الحسن بن علي بن أبي عثمان، من أصحاب الإمام أبي جعفر الجواد (سلام الله عليه)؛ مغالٍ ضعيف، وقد لعنه الكشي فقال: «على السجادة لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين، ولقد كان من العليائية الذين يقعون في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ليس له في الإسلام نصيب».

قال الطوسي (رحمه الله) في رجال الكشي: «قال نصر بن الصباح: قال لي السجادة الحسن بن علي بن أبي عثمان يوماً ما تقول في محمد بن أبي زينب ومحمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وآله وسلم أيهما أفضل؟ قلت له: قل أنت، فقال: بل محمد بن أبي زينب الأسدي إن الله جل وعز عاتب في القرآن محمد بن عبد الله في مواضع ولم يعاتب محمد بن أبي زينب.

فقال - أي السجادة - لمحمد بن أبي عبد الله: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾[1] و﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ﴾[2] الآية، وفي غيرهما، ولم يعاتب محمد ابن أبي زينب بشيء من أشباه ذلك«؛ انتهى كلامه.

إنَّ ابن أبي عثمان من أتباع محمد بن مقلاص المكنى بأبي زينب الأسدي الكوفي المعروف بأبي الخطاب الملعون المغالٍ، مبتدع الفرقة الخطابية المعروفة باسمه.

قال حمدويه وإبراهيم ابنا نصير قالا: حدثنا الحسين بن موسى، عن

(1) سورة الإسراء، الآية: 74.
(2) سورة الزمر، الآية: 65.

إبراهيم بن عبد الحميد، عن عيسى بن أبي منصور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وذكر أبا الخطاب فقال: «اللهم العن أبا الخطاب فإنه خوفني قائماً وقاعداً وعلى فراشي، اللهم أذقه حر الحديد».

ثم روى الكشي روايات كثيرة تدل على كفر محمد بن مقلاص ولعنه. . . . منها ما ورد على يد سفيره الثاني محمد بن عثمان رضي الله عنه عن إمامنا المعظم وليّ الأمر أرواحنا فداه في مسائل اسحاق بن يعقوب قال عجَّل الله تعالى فرجه الشريف: «وأما أبو الخطاب محمد بن أبي زينب الأجدع فملعون وأصحابه ملعونون فلا تجالس أهل مقالتهم فإني منهم برئ وآبائي عليهم السلام منهم براء».

وقال النجاشي: «ابن أبي عثمان الملقب بالسجادة، أبو محمد، كوفي، ضعفه أصحابنا. . .».

والحاصل: إن ابن أبي عثمان من أصحاب المقلاص، فهو ملعون كصاحبه، فلا يجوز الاعتماد على أخبار من لعنه إمامان من أئمة الهدى (سلام الله عليهم). . . بالإضافة إلى رفض أصحابنا لرواياته. . . وبالتالي كيف يمكن ادّعاء صحة ما نقله لنا. . . !.

وأمَّا موسى بن بكر: فهو كوفي واقفي من أصحاب الإمام أبي الحسن موسى (سلام الله عليه)، الأرجح ضعفه وإن وثقه آخرون كعادتهم بتوثيق الضعفاء، فالرجل واقفي ولا خير في أخبار الواقفية إلا ما دلت القرائن على صحة نقولاتهم ولا يوجد واحدة منها في خبر عكرمة إلا ما ورد فيه من سيادة الصدّيقة الكبرى سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) في الجنة على عامة النساء، فإنها (سلام الله عليها) خارجة حكماً وموضوعاً عن مورد خبر عكرمة، وذلك لوجود أخبار كثيرة تدل على أفضليتها على سائر النساء بمن فيهنّ أُمها الطاهرة الزكيَّة أُمّ المؤمنين خديجة بنت خويلد (سلام الله عليها). . . بل الظاهر من الأدلة القطعية أفضليتها عليها السلام وابنتها الحوراء زينب عليها السلام على مريم بنت عمران عليها السلام كما سوف ترون.

يتلخص مما ذكرنا: إن خبر موسى بن بكر ضعيف سنداً، فلا يجوز الاعتماد

عليه شرعاً من دون الأخذ بالأخبار الأُخرى الدالة على أفضلية بعض النسوة الصدّيقات على مريم وآسية باعتباره من أخبار الكفار والفساق؛ كما أنّ الخبرين اللذين اعتمدهما الشيخ الصدوق وغيره من العلماء تبعاً له في نقل الخبرين عنه لا يصلح شرعاً الاستدلال بهما على دعوى سيادة بعض مَن جاء فيهما كمريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم على الصدّيقة الصغرى عقيلة الهاشميين سيدتنا ومولاتنا الحوراء زينب عليها السلام وذلك لضعفهما السندي العامي كما أوضحنا أعلاه.

وكيف يُستدل بخبر رواته كلهم من المخالفين، في حين أنَّ أخبارنا الشريفة نهت عن الأخذ بما يرويه العامة، بل أمرت بطرح ما يتوافق مع أخبارهم في حال التعارض، وهو ما أكّده الكتاب الكريم بمقتضى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[1] فقد أمر بالتبيّن في أخبار الفساق فضلاً عن المارقين عن الدين والمبغضين لعترة رسول رب العالمين لا سيَّما عكرمة الراوي للخبر المذكور عن ابن عباس الذي لا يعتبره الشيخ المشكِّك من الثقات المأمونين على الدنيا والدين، بل يعتبره من المستأكلين بعلوم أهل البيت عليهم السلام والمنحرفين عن ولايتهم، وعدَّه منتحلاً لولاية أهل البيت عليهم السلام وصنفه في خانة المدَّعين الخائنين والخاسرين والحائرين حسبما عبَّر في قسم الرجال من موقعه الإلكتروني خلال التطرق إلى شخصية ابن عباس.

والسؤال المهم هو: كيف يكون حائراً خائناً ومنتحلاً مدَّعياً، وفي الوقت نفسه يكونُ مقبولَ الروايةِ في تقديم آسية بنت مزاحم على مولاتنا الحوراء زينب (عليها صلوات الله) بحجة أنَّ آسية ومريم من جملة النساء الأربعة الفضليات في الجنَّة... !؟.

ومن يسرق أموال البصرة - كما يعتقد المشكِّك بابن عباس - لا يكون صادقاً في إخباراته ونقولاته بحق سادة الورى عليهم السلام؛ لأن سارق الأموال لا يمكن تنزيهه عن سرقة الفضائل والمكرمات من ذويها وتلبيسها لغيرهم**!!**... فلا

(1) سورة الحجرات، الآية: 6.

تبعيض في ملكة السرقة، فالسارق لا يؤمن عليه في المعنويات كما لا يؤمَنُ عليه في الماديات. . ! إذ إنّ ملكة السرقة تشمل الماديات والمعنويات.

إشكالٌ وحلٌّ:

مفاد الإشكال: خلال مراجعتنا الأخيرة لكتابنا هذا، ورد إلينا إشكال من أحد المؤمنين الأفاضل سمعه من الشيخ ياسر بالواسطة مفاده: إن الإشكال على ابن عباس لا يعني بالضرورة نبذ كلّ ما يرويه بدليل أن ابن عباس هو الوحيد الذي روى دعاء صنمي قريش؛ فإذا ما جاز الأخذ بروايته للدعاء المذكور، جاز بطريقٍ أولى الأخذ بخبر عكرمة عن ابن عباس. . . !.

والجواب: صحيح أن ابن عباس هو الراوي لخبر التفضيل ودعاء صنمي قريش إلا أن هناك فرقاً في مضمون كلّ واحدٍ منهما من حيث اختلاف الدلالة في كليهما، فدلالة صنمي قريش متفق على صحة صدورها عن أمير المؤمنين علي عليه السلام وخلوها من التعارض الدلالي وقواعد الجمع العرفي المعمول بها في الوسط العلمي بخلاف دلالة خبر عكرمة فإنها متعارضة مع الأخبار القطعية الصدور الدالة على أفضلية مولاتنا الحوراء زينب (سلام الله عليها) وجدتها مولاتنا فاطمة بنت أسد (سلام الله عليها)؛ فدعاء صنمي قريش مؤيَّد بالقرائن المنفصلة المثبتة له؛ بخلاف خبر عكرمة المخالف للقرائن المتصلة والمنفصلة.

(الوجه الثاني): ضعف دلالة الخبرين من حيث معارضتهما للكتاب الكريم الدال على سيادة المعصوم عليه السلام على غير المعصوم؛ وتفضيل آسية بنت مزاحم - بحسب زعم صاحب الدعوى - بسيادتها على سيِّدتنا الصدِّيقة الكبرى زينب عليها السلام يستلزمُ عصمةَ آسية بنت مزاحم وهو خُلْفُ عدم عصمتها نصاً وإجماعاً، في حين أنّ الله تعالى رفع وفضّل المعصومَ على غيره ممن لا عصمة فيه، والرفعة والتفضيل إنَّما يكونان في جميع النواحي النفسيَّة والفكريَّة والروحيَّة، فضلاً عن التفضيل في المقام والرتبة والمنزلة، فلا يضاهي المعصومَ أحدٌ من الرعيَّة غير المعصومة مهما بلغ غير المعصوم من التقوى والورع، فإنه لا يصل إلى مقام المعصوم؛ لأن الفارق بين المعصوم عليه السلام وبين غيره عظيم جداً

ثبوتاً وإثباتاً في مقامي العلم والعمل، وفي مقامي المُلك والملكوت أو الكشف والشهود والسير والسلوك، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[1] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾[2] ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[3].

وبعبارة أخرى: إنّ الخبر المذكور يفضِّلُ غيرَ المعصومِ على المعصوم عليه السلام، وهو غيرُ جائزٍ عقلاً وشرعاً على الإطلاق، وذلك لقبحِ تقديم المفضول على الفاضل علماً وعملاً، لا سيَّما أنَّ الأفضلية تتحقق بالعلم والعصمة والزهد والورع وشرف النسب والكرم والشجاعة وبقية الأخلاق الحميدة، فبما أنّ صاحب الدعوى يقرُّ ويعترفُ بأنَّ مولاتنا العقيلة الصدّيقة الكبرى زينب عليها السلام معصومةٌ، وأنّ آسية بنت مزاحم ليست معصومةً بالإجماع وأنّها لم تكن عالمةً بالعلم الحضوري، وبما أنه يقرُّ بأن مولاتنا الحوراء زينب الكبرى عليها السلام صاحبة العلم اللدني الحضوري دون سواها من النساء كآسية بنت مزاحم - المشار إليها في خبر عكرمة -، فإنه من الحريّ ساعتئذٍ الإقرار بأنّ الحوراء زينب الكبرى عليها السلام أفضل من آسية بالقطع واليقين، فهي (روحي فداها) أفضل من مريم عليها السلام من حيثية عدم اتصافها بالعلم الحضوري كما هي الحال في سيِّدة النساء زينب الحوراء (سلام الله عليها) بحسب اعتراف الشيخ ياسر؛ وبالتالي فإن دعواه بأرجحية المنطوق دونه خرط القتاد كما سوف ترون!!..

إنْ قيل لنا: إنَّ النقاش يدور حول المقارنة بين مولاتنا المعظمة زينب الكبرى عليها السلام وبين مريم بنت عمران عليها السلام، وليس بين الحوراء عليها السلام وبين آسية بنت مزاحم رضي الله عنها حيث أقحمتموها في المفاضلة والمقارنة دون مريم عليها السلام ما يعني أنَّكم لا تملكون دليلاً على أفضلية سيدتنا زينب عليها السلام على مريم بنت عمران عليها السلام..!.

(1) سورة الزمر، الآية: 9.
(2) سورة فاطر، الآيات: 19 - 21.
(3) سورة يونس، الآية: 35.

قلنا لهم: إنَّ المقارنة والمفاضلة بين مولاتنا السيِّدة الحوراء زينب عليها السلام وبين آسية بنت مزاحم رضي الله عنها دون السيِّدة مريم عليها السلام نسبية وليست من كلّ الجهات، باعتبار أن خبر عكرمة أظهر أفضلية آسية على مولاتنا زينب الكبرى (سلام الله عليها) وغيرها من النسوة الطاهرات في الإسلام كمولاتنا رقية بنت أمير المؤمنين المكناة بأُمّ كلثوم عليها السلام ومولاتنا فاطمة بنت أسد أُم أمير المؤمنين عليهما السلام وبنات الإمام الحسين عليه السلام كسكينة ورقية وفاطمة الصغرى والكبرى وزوجتيه الرباب وليلى، وكذلك بقية أُمهات أئمتنا الطاهرين (سلام الله عليهنَّ) لما لهنَّ من مقام رفيع عند الله تعالى وحججه الطاهرين عليهم السلام من حيث اقترانهن بالحجج المطهرين وإنجابهن للمعصومين (سلام الله عليهم أجمعين)، وحيث إنَّ فقرات خبر عكرمة لم تميِّز بين آسية وبين مريم عليها السلام من حيث المقام والأفضلية في الجنَّة، اقتضى الإيراد على أفضلية آسية بنت مزاحم رضي الله عنها على غيرها من الصدّيقات الطاهرات اللاتي أشرنا إليهنَّ، لأنه يستلزم نسف بعض فقرات خبر عكرمة - من دون البعض الآخر كتفضيل سيِّدة نساء العالمين الزهراء البتول (سلام الله عليها) - بسبب عدم صلاحية بعض حيثياته كتقديم آسية على غيرها ممن لم يشر إليهنَّ خبر عكرمة؛ لأن فقرات الخبر مترابطة بحسب الظاهر، فلا يجوز التفكيك بين مريم وآسية من حيث أفضليتهما المطلقة في كلِّ الأزمان على غيرهما من النسوة اللاتي لم يذكُرْهُنَّ الخبر، فإذا فَسَدَ الاستدلالُ على الأفضلية المطلقة لآسية بنت مزاحم يفْسدُ الاستدلالُ على أفضلية مريم عليها السلام على غيرها من النسوة الطاهرات اللاتي أُشير إليهنَّ في الأخبار الأُخرى، كما يفسد الاستدلال بخبر عكرمة على أفضلية آسية على غيرها من الطاهرات؛ لأن الثابت في خبر عكرمة هو العكس؛ أي: أن آسية أفضل أهل زمانها دون غيره من الأزمنة السابقة واللاحقة، وعلى أقل تقدير مساواتها لهؤلاء الطاهرات بدليل المساواة أو تنقيح المناط، إلا أننا لا نسلِّم مساواة آسية للطاهرات من نساء آل محمد (سلام الله عليهنَّ)، لا سيّما العلويات منهنَّ، لوجود قرائن قطعية تثبت أفضلية نساء آل محمَّد عليهم السلام على غيرهنَّ من عامة النساء.

ونقصد بدليل المساواة: مساواة آسية بنت مزاحم رضي الله عنها بالسيِّدة الطاهرة مريم عليها السلام، وبالطبع المساواة هنا لم تأتِ من دليلٍ آخر منفصلٍ لعدم وجود أخبار واضحة في أفضلية آسية على غيرها من عامة النساء الطاهرات؛ بل جاءت المساواة من نفس خبر عكرمة، وهو خلف كون مريم عليها السلام أفضل من آسية بالقطع واليقين، إجماعاً ونصّاً.

وإذا كانت أفضلية آسية على نساء العالمين لأجل علّة صبرها على الأذى في سبيل الله تعالى، فإن ذلك متحقق في الطاهرات من أهل بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم) بنفس المناط والعلَّة أو بطريق أولى؛ لأن الفضيلة والسيادة الثابتة لآسية - وهي أدنى بالدرجات من بعض نسوة آل محمد قطعاً نصاً وإجماعاً - لا بدَّ من ثبوتها للأعلى وهم آل محمد (سلام الله عليهم) بلا فصلٍ؛ لأن العلويات الفاطميات من آل محمد (سلام الله عليهم) أفضل خلق الله على الإطلاق، فلا يتقدَّم عليهنَّ أحدٌ من العالمين لا حواء ولا مريم ولا آسية ولا سارة ولا هاجر... إن نساء ورجال آل محمد عليهم السلام هم من المصطفين الأخيار على عامة الخلق، فهم آل إبراهيم بمقتضى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]. فزوجة النبيّ إبراهيم سارة هي من آل إبراهيم وداخلة في مفهوم «أهل البيت» الوارد في قوله تعالى بحقها ﴿قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾[2]. فكذلك بنات أمير المؤمنين والصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء عليهم السلام هنَّ من أهل البيت اللاتي نزلت فيهنَّ آية التطهير تبعاً لأهل الكساء عليهم السلام، ويشهد لهذا أنهنَّ من آل محمد بالإجماع والنصوص وبالتالي هم من أهل البيت، ويؤيده ما ورد في حقّ المولى عليّ الأكبر عليه السلام الذي جاء التصريح العلني من الإمام عليه السلام بزيارته بأنه من أهل بيت أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فقال: «السلام عليك أيها الصدّيق الطيب الطاهر والزكي الحبيب المقرّب وابن ريحانة رسول الله، السلام

(1) سورة آل عمران، الآية: 33.

(2) سورة هود، الآية: 73.

عليك من شهيد محتسب ورحمة الله وبركاته، ما أكرم مقامك وأشرف منقلبك، أشهد لقد شكر الله سعيك وأجزل ثوابك وألحقك بالذروة العالية حيث الشرف كل الشرف وفى الغرف السامية كما منَّ عليك من قبل وجعلك من أهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً صلوات الله عليك ورحمة الله ورضوانه فاشفع أيها السيّد الطاهر إلى ربك في حط الأثقال عن ظهري وتخفيفها عني وارحم ذلي وخضوعي لك وللسيّد أبيك صلى الله عليكما . . ».

والحاصل: لقد دلت النصوص على أن الله تعالى اصطفى آلَ محمد (سلام الله عليهم) على خلقه وأنهم من نسلٍ واحدٍ ومن طينةٍ واحد ونور واحد لا إثنينية في البَين، وفي بعض الأخبار الصحيحة أن هناك سقطاً من الآية وهو (آل محمد) بعد آل إبراهيم. . . . وهو ما ذهب إليه أعلام الطائفة كالمحدّث الكليني والقمي وغيرهما؛ وليس المقام هنا بيان ذلك بل له مقام آخر في بحوثنا الأُخرى، ومنها كتابنا (أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد) فليراجع.

وعلى كلِّ حال؛ لم تميِّز النصوص بين الأئمة الأطهار عليهم السلام وبين ذراريهم المعصومين كالحوراء زينب وأختها رقية ومحسن والعباس وعلي الأكبر والقاسم من حيث كونهم من نسلٍ واحد بالتفضيل على عامة الخلق.

(الوجه الثالث): إنّ الخبرين المتقدِّمين؛ أي: خبرا عكرمة اللذان عرضناهما في بداية الإيراد على الدعوى الأولى يتوافقان مع أخبار العامة القائلين بالعصمة الجبرية للأنبياء وأنَّ الله تعالى يجوز له تقديم المفضول على الفاضل لحكمةٍ ارتآها حسبما ادّعى مشهور أعلامهم لا سيّما ابن أبي الحديد في مقدمة شرح نهج البلاغة، وهي قاعدة فاسدة من أساسها ومخالفة للعقل والنقل حسبما أشرنا سابقاً.

إشكالٌ عويصٌ وحلٌّ:

وجه الإشكال: لعلَّ قائلاً يقول لنا: إنكم نفيتم تفضيل آسية بنت مزاحم على الحوراء زينب عليها السلام بدلالة عصمة الحوراء (سلام الله عليها) من دون آسية بنت مزاحم، في حين ورد في أخباركم تفضيل النبيِّ الأعظم صلَّى الله عليه وآله لعمّه

حمزة بن عبد المطلب وابن عمِّه جعفر بن أبي طالب على الأنبياء مع العلم بعدم عصمة حمزة وجعفر (صلوات الله عليهما) بدلالة الخبر الوارد في البحار باب أحوال عشائره وأقربائه... فما المانع من أنْ تكون آسية - وهي غير معصومة - أفضل من المعصومة الصدّيقة الصغرى الحوراء العقيلة عليها السلام قياساً على أفضلية حمزة وجعفر عليهما السلام غير المعصومَين على الأنبياء المعصومين (سلام الله عليهم)..!؟.

قلنا: إنّ الخبر الذي ورد فيه سيادة وتفضيل حمزة وجعفر على غيرهما من سادات أهل الجنة، لا يصلح مستنداً على المدَّعى بل لا يصحُّ الركون إليه بحسب القواعد الفقهية والرجالية والعقائدية، وذلك لأمرين:

الأمر الأول: ضعف سند الخبر المذكور، فإن عامة رواته من العامة، وقد رواه صاحب البحار عن الصدوق الذي روى الخبر من مصادر العامة، وها هو بإسناده عن الصدوق الذي يروي كثيراً في كتبه عن مصادر العامة:

عن الصدوق في الأمالي بإسناده عن الطالقاني، عن إسماعيل بن إبراهيم الحلواني عن أحمد بن منصور عن هدبة بن عبد الوهاب عن سعد بن عبد الحميد، عن عبد الله بن زياد اليماني، عن عكرمة بن عمار عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نحن بنو عبد المطلب سادة أهل الجنة: رسول الله، وحمزة سيّد الشهداء، وجعفر ذو الجناحين، وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والمهدي»[1].

الأمر الثاني: ضعف الدلالة، إذ كيف يكون سيّدنا حمزة وجعفر (رضوان الله تعالى عليهما) من سادة أهل الجنة دون بقية الائمة الأطهار عليهم السلام مع كونهم عليهم السلام أفضل خلق الله على الإطلاق فضلاً عن حمزة وجعفر التابعَين لأئمتنا الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين)، وقد قامت الأدلة من العقل والنقل على عدم جواز تقديم التابع على المتبوع، لا سيَّما قيام الإجماع في

(1) أنظر البحار ج22 ص275 ح22 باب أحوال عشائره وأقربائه.

الطائفة المحقة - وعلى أقل تقدير قيام الشهرة على عدم عصمتهما - بأنَّ حمزة وجعفر ليسا إمامين وليسا معصومين بالعصمة الذاتية، بل حتى لو كانا معصومَين بالعصمة الذاتية، فلا يكونان أفضل من أئمتنا الطاهرين عليهم السلام، بل هما ليسا بأفضل من الصدِّيقتين ابنتي أمير المؤمنين عليه السلام وسيّدة نساء العالمين عليها السلام: أم كلثوم الكبرى (وهي زينب) وأُم كلثوم الصغرى (وهي رقية)، وكذا العبد الصالح أبي الفضل العباس (عليهم جميعاً سلام الله تعالى). . . فكيف يكونان - أي: حمزة وجعفر رضي الله عنهما - سيِّديّن من سادات أهل الجنة من دون أئمتهم الباقين، بدءاً من مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام وصولاً إلى مولانا الإمام الحسن العسكري عليه السلام؟! فلا بدَّ - والحال هذه - من طرح هذا الخبر لمخالفته الاعتقاد الضروري في الطائفة بأنَّ أهلَ البيت عليهم السلام أفضل من عامة المخلوقات على الإطلاق من دون استثناء حمزة وجعفر رضي الله عنهما.

علاج الخبر:

وعلى فرض صحة الخبر الدال على أنّ لحمزة وجعفر عليهما السلام السيادة على أهل الجنة عليهم السلام وأنّهما سيّدا الشهداء مطلقاً، فلا بدّ من إعمال المرجحات الأُصولية والعقدية والفقهية المتعارف عليها في عملية الاستنباط، وبالتالي يجب حمله على غير ظاهره، كأنْ يكون حمزةٌ وجعفرٌ رضي الله عنهما سيديّ أهلِ الجنَّة من غير المعصومين عليهم السلام وأنهما سيِّدا الشهداء من غير أئمة الهدى عليهم السلام، أو أنهما سيِّدا الشهداء في عصرهما لا أنهما سيِّدا الشهداء حتى على سيدَي شباب أهل الجنة الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام وبقية الشهداء من أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام مع سيِّدة نساء العالمين وابنتيها الطاهرتين زينب ورقية (سلام الله عليهما). . .

وبعبارةٍ أُخرى: الحصر في تفضيل حمزة وجعفر (صلوات الله عليهما) هو حصر إضافي وله نظائر في الأخبار الشريفة كقول الإمام الصادق عليه السلام: «ليس الخمس إلَّا في الغنائم خاصة».

وقد حمله فقهاء الإماميَّة على الحصر الإضافي؛ أي: كون خمس الغنائم

واحداً من الموارد التي يتعلق فيها وجوب الخمس، فحصره عليه السلام الخمس في الغنائم فقط لا يكون حصراً حقيقياً وإنَّما هو حصرٌ مضاف إلى غيره من موارد وجوب الخمس... وهكذا الحال بالنسبة إلى تفضيل حمزة وجعفر عليهما السلام وسيادتهما في الجنَّة، فإنه مضاف إلى سيادة آل محمد عليهم السلام المنصوص عليهم في الأخبار.

أو يحمل الحصر على المبالغة الفضلى لهما لعلو قدرهما على غيرهما من عامة الخلق سوى المطهرات من أهل بيت العصمة والطهارة (عليهنَّ السلام)، وهو لا ينافي استحقاق غيرهما من آل محمد للسيادة، وليس حصراً حقيقياً ينفي ما عداه طبقاً للقاعدة العقلية الضرورية القائلة بأن: «إثبات شيءٍ لشيء لا ينفي ما عداه»، فتكون سيادتهما على غيرهما سيادة إضافية لا تنفي ما عداها ممن حباهم الله تعالى بالسيادةَ والأفضليةَ على العالمين.

الخلاصة: إنّ الأخبار المثبتة لحمزة وجعفر عليهما السلام الفضيلةَ والسيادةَ في الشهادة لا يمكن أنْ تتقدم على الأخبار التي تثبت السيادةَ في الشهادة على الشهداء من آل محمد (سلام الله عليهم)... وهكذا بالنسبة إلى ما نحن فيه من خبر عكرمة على فرض صحة صدوره وصحة دلالته، فلا يجوز تقديمه على العمومات والإطلاقات الدالة على علو فضل العقيلة من آل محمد على عامة الخلق، باعتبارها عليها السلام من أبرز مصاديق مفهوم «آل محمد» الذين لا يُقاس بهم أحدٌ من الناس، ومساوية بالفضل لأخويها الإمامين الحسنين عليهما السلام، فيكون الحصر في خبر عكرمة إضافياً لا حصراً حقيقياً... يرجى التأمل.

(الوجه الرابع): إنّ خبر عكرمة بسنديه المختلفَيْن يساويان بين النساء الثلاث (مريم وخديجة وآسية) في الفضيلة والسيادة على عامة نساء العالمين من الأولين والآخرين في حين أنّ ذلك يتعارض مع سيادة مولاتنا الصديقة الكبرى فاطمة عليها السلام على النساء بلا استثناء حتى أُمِّها خديجة ومريم المعصومتين عليهما السلام، فمساواة الخبرين بين مولاتنا الصدِّيقة الكبرى فاطمة عليها السلام وبين غيرها من بقية النساء في الخبرين خلاف الأخبار الكثيرة الدالة على أن

مولاتنا المعظَّمة فاطمة الزهراء عليها السلام سيِّدة نساء أهل الجنة وسيِّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، بالإضافة إلى أنّ ذينك الخبرين يخالفان آيةَ التطهير التي هي نصٌّ قطعي في الطهارة المطلقة لسيِّدة النساء فاطمة عليها السلام ، والطهارة المطلقة تعني السيادة المطلقة على عامة نساء أهل الجنة؛ لأنَّ الطهارةَ المطلقة تستلزمُ السيادةَ المطلقة، وإلا لزم الترجيح بلا مرجح. . . وبالتالي لا معنى لما جاء في خبر عكرمة من مساواة مريم عليها السلام لمولاتنا سيِّد نساء العالمين الطاهرة الزكيَّة البتول فاطمة (سلام الله عليها).

هذا مضافاً إلى النصوص الشريفة الدالة على أفضليتها على عامة الأنبياء والمرسلين عدا أبيها فهي نفسُهُ وروحُهُ التي بين جنبيه، مع تأكيدنا على أن الخبرين المذكورين - مع أنهما واقعاً خبرٌ واحدٌ - لا يفيدان علماً ولا عملاً باعتبار أنهما يتعارضان مع بقية الأخبار المعاكسة لهما، فعلى أقل تقدير وبمقتضى قواعد الترجيح المتداولة في المجال الاستنباطي يمكننا أن نقول:

إنَّ أفضليةَ السيِّداتِ المذكورات في خبر عكرمة تُحْمَلُ على سيادتهنَّ على نساء أهل زمانهنَّ إلا مولاتنا الصدّيقة الكبرى فاطمة عليها السلام فإنها سيدتهن وجميع نساء أهل الجنة، بل لها السيادة على الرجال أيضاً كما أشرنا آنفاً في علو شأنها على الأنبياء والمرسلين (صلوات الله عليهم أجمعين). . . كيف لا؟! وما تكاملت نبوة نبيّ إلا بولايتها ومحبتها (صلوات الله عليها). . . وهذا كلُّه يدلُّ على أفضليتها وسيادتها، كما أنّه جاء في أخبار أخرى كثيرة تشير إلى أنّ السيِّدة مريم والسيِّدة خديجة وآسية بنت مزاحم سيِّدات نساء عالمهنَّ ولسن سيِّدات جميع العصور حتى يدّعى أنهنّ أفضل من الصدّيقة الحوراء زينب عليها السلام ، ما يقتضي - بزعمهم - مساواتهنَّ بالفضائل والدرجات والمقامات للصدّيقة الكبرى الزهراء البتول (أرواحنا فداها)، كما حصل في خبر عكرمة الذي ساوى بينها (سلام الله عليها) وبين بقية النسوة اللاتي ورد ذكرهنَّ في الخبر. . . !.

لقد تواترت الأخبار بسيادة وأفضلية مولاتنا الطاهرة المطهرة الزهراء البتول (أرواحنا فداها)، وهو خُلْف كونها مساوية لهنَّ كما جاء في خبر عكرمة.

من هذه الأخبار ما رواه الصدوق[1] بأسناده قال:

حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدثنا الحسن بن علي السكري عن محمد بن زكريا الجوهري قال: حدثنا شعيب بن واقد قال: حدثني إسحاق بن جعفر بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنما سميت فاطمة عليها السلام محدَّثه لأن الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمة الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا فاطمة اقنتي لربِّك واسجدي واركعي مع الراكعين، فتحدثهم ويحدثونها، فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضَّلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إن مريم كانت سيِّدة نساء عالمها، وإن الله عزَّ وجلَّ جعلك سيِّدة نساء عالمك وعالمها وسيِّدة نساء الأولين والآخرين»؛ انتهى.

وعن الصدوق في معاني الأخبار بسندٍ صحيح مفسراً معنى ما روي في علو مولاتنا الطاهرة المطهرة فاطمة عليها السلام أنها سيدة نساء العالمين، قال:

حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رحمه الله قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في فاطمة: «أنها سيِّدةُ نساءِ العالمين» أهي سيِّدة نساء عالمها؟ فقال: ذاك لمريم كانت سيِّدة نساء عالمها، وفاطمة سيِّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين. انتهى.

وروى ابن شهر آشوب في المناقب عن عائشة قالت: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا فاطمة أبشري فإن الله تعالى اصطفاك على نساء العالمين، وعلى نساء الإسلام وهو خير دين».

وعن حذيفة قال: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أتاني ملك فبشرني إن فاطمة سيِّدة نساء الجنة، أو نساء أُمتي».

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما، وابن السعادات في فضائل العشرة،

(1) علل الشرائع باب 146؛ العلَّة التي من أجلها سميت السيّدة فاطمة عليها السلام محدَّثة.

وأبو بكر بن شيبة في أماليه، والديلمي في فردوسه: أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «فاطمة سيِّدة نساء أهل الجنة».

وفي حلية أبي نعيم، روى جابر عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خبرٍ قال: «أما إنها سيِّدة النساء يوم القيامة».

وفي تاريخ البلاذري: أن النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة: أنت أسرع أهلي لحاقاً بي، فوجمت، فقال لها: أما ترضين أنْ تكوني سيِّدةَ نساء أهل الجنة؟ فتبسمت».

وعن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت: «أسرَّ النبي إلى فاطمة شيئاً، فضحكت، فسألتها: فقالت: قال لي: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة، أو نساء أمتي؟».

وفي حلية الأولياء وكتاب الشيرازي، روى عمران بن حصين وجابر بن سمرة: «أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل على فاطمة فقال: كيف تجدينك يا بنية؟ قالت: إني لوجعة وإنه ليزيدني أنه ما لي طعام آكله! قال: يا بنية أما ترضين أنك سيِّدة نساء العالمين؟ قالت: يا أبي فأين مريم بنت عمران؟ قال: تلك سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك: أما واللهِ زوجتك سيِّداً في الدنيا والآخرة».

وقيل للإمام الصادق عليه السلام قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «فاطمة سيِّدة نساء أهل الجنَّة، أي سيِّدة عالمها؟ قال: ذاك مريم، وفاطمة سيِّدة نساء أهل الجنة من الأولين والآخرين».

وفي الحديث: «إن آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة يمشين أمام فاطمة كالحجاب لها إلى الجنة، وفي الحساب من سيدة الحور من ولد آدم كلهم. .»؛ انتهى ما رواه ابن شهر آشوب.

وروى صاحب كتاب الجمع بين الصحاح الستة أيضاً في الجزء الثالث من جزءَين من الكراس الخامس من النسخة المنقول منها من باب مناقب فاطمة من صحيح أبي داود بإسناده أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أشار إلى سيِّدتنا المطهرة فاطمة سلام الله عليها، فقال:

«ألا ترضين أنْ تكوني سيِّدةَ نساء هذه الأمة أو نساء العالمين؟ قالت: يا أبة

فأين مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون؟ فقال: مريم سيِّدة نساء عالمها وآسية سيِّدة نساء عالمها».

والحاصل: إن الأخبار متواترة بين الفريقين بانحصار السيادة على النساء قاطبة بمولاتنا المطهرة فاطمة (صلوات الله عليها)، بمن فيهنّ أُمِّها الطاهرة مولاتنا السيِّدة خديجة عليها السلام فضلاً عن السيِّدة مريم وآسية، فإنَّ أُمّ المؤمنين خديجة عليها السلام سيّدة نساء عالمها، كما أنَّ مريم عليها السلام سيِّدة نساء عالمها وآسية سيِّدة نساء عالمها... ولسن متساويات مع سيّدة الطهر والقداسة والعصمة المطلقة فاطمة أُم أبيها (روحي لنعليها الفداء)..! بل إنَّ سيدتنا الطاهرة الزكية الزهراء البتول عليها السلام أفضل نساء العالمين من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين، ولِمَ لا تكون سيدتنا زينب عليها السلام سيّدة نساء زمانها بعد شهادة أُمِّها مولاتنا فاطمة (صلوات الله عليهما)؟! لا سيّما أن لكلِّ زمانٍ حجَّة من النساء على النساء وحجَّة من الرجال على الرجال، وبالتالي فإنَّ مولاتنا الحوراء زينب عليها السلام هي الحجَّة الكاملة على نساء زمانها فضلاً عن نساء من تقدَّمها... وذلك لما امتازت به هذه الحُرَّة الكريمة على غيرها من النساء بقوة الإيمان وعظم الحكمة والتدبر والتعقل فضلاً عن العصمة والقداسة! ومن هي المرأة الكاملة بعد رحيل أُمّها المطهرة مولاتنا الزهراء (صلوات الله عليها) حتى تحل محلَّها غير ابنتها مولاتنا زينب عليها السلام ؟!.

الحق أنْ يُقال: بأن مولاتنا الصدّيقة زينب (صلوات الله عليها) هي الوحيدة بعد أُمِّها، وقد حلَّتْ محلَّها مقاماً وارتقاءً؛ بل هي وصيفتها والتالية لها بمقتضى قربها من المولى تبارك شأنه والتي عجز الصبر عن صبرها في يوم الملحمة الكبرى على أرض كربلاء الحزينة التي شاء الله تبارك اسمه أن يفوِّض إليها حماية الإمامة والنبوة والولاية بدلاً من الرجال، كما فوَّض إليها قيادة ركب المسيرة من كربلاء إلى الشام والتصدي للطواغيت والجبابرة... وهو أمر عجزت عن تحمله هامات الرجال العظام من أولياء الله تعالى، ولو لم يكن إلا تفويضها أن تكون القائمة بمهام الولاية والإمامة لكفى به قدراً وجلالة وعظمة لامرأةٍ سبقت نساء

الأولين والآخرين - إلا أُمها المطهرة - بالتصدي لأعتى الجبابرة وأطغى الطواغيت. . وهذا التفويض العظيم ليس اعتباطياً وحاشا لله تعالى أن يفوض حفظَ الإمامة والولاية إلّا إلى مَنْ كان على مستوى عالٍ من الولاية وعلو المقام في العصمة والولاية!.

إنَّ السبق بالفضائل والتشرف بالمهام والمقامات العالية التي أشرنا إليها دلالة قاطعة على تقديمها على مريم ابنة عمران عليها السلام بالقطع واليقين، وذلك لأن التشرف المذكور من لوازم الولاية الإلهية على العباد التي يخصُّ بها المولى تبارك اسمه المقربين من عباده المصطفين الأخيار. . . فدعوى سيادة مريم وآسية على الصدّيقة الحوراء زينب (صلوات الله عليها) تعتبر جفاءً لها وللحقيقة ولعلاقة القربى الروحية والنسبية بمولى الثقلين أمير المؤمنين وسيدة نساء العالمين اللذين امتاز بعضُ الأنبياءُ على غيرهم بشدةِ قربهم منهما والتمسك بولايتهما، فكيف بمن كانت من نتاج لقاحهما المقدس الذي حرَّم اللهُ تعالى أنْ تمسه النار. . . فما الدعوى المذكورة سوى استصغارٍ لمقامها الشامخ والرتبة التي رتبها الله تعالى فيها. . !. .

وزبدة المخض: بناءً على فرض صحة صدور خبر عكرمة، يمكننا القول بأنَّ الأخبارَ الدالةِ على سيادةِ هؤلاءِ النسوة الصدِّيقات المعصومات (سلام الله عليهنَّ) على عوالم زمانهنَّ مقيِّدةٌ لخبر عكرمة الدال على السيادة المطلقة وصارفة له عن مضمونه، باعتبار أن الخبر المقيِّد يضيِّق من مفهوم الخبر المطلق ويضيِّق من سعة دائرته بكونهنَّ أفضل نساء أهل زمانهنَّ فقط، فالأخبار المقيِّدة دالة على أنهنَّ سيِّدات أهل الجنَّة أيضاً باعتبارهنَّ يمثلن نساء أهل زمانهن، فكلُّ واحدةٍ منهنَّ أفضل نساء أهل زمانها في الجنَّة التي هي امتداد لأفضليتهنَّ في الدنيا، عدا مولاتنا المطهرة الصدّيقة الكبرى عليها السلام فإنها أفضلهنَّ في الدنيا والآخرة.

(الوجه الخامس): على فرض صحة صدور خبر عكرمة عن المعصومين عليهم السلام فإنه لا يشير إلى الأفضلية على عامة النساء وإنَّما يشير إلى الأفضلية من ناحية أنهنَّ زوجات اثنين من المعصومين هما رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام، فقد جاء في

الأخبار بأن مولاتنا أُم المؤمنين خديجة ومريم وآسية هنَّ من جملة أزواج النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله في الجنَّة، ومولاتنا المعظمة سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام هي زوجة لأمير المؤمنين في الدنيا والآخرة، ولا يشاركها في هذا الاختصاص أحدٌ من نساء العالمين على الإطلاق... وخيريَّتهُنَّ على نساء العالمين إنَّما هي من حيث الاقتران بأعظم إمامين من أئمة الهدى وأساس وجود الأئمة الأطهار عليهم السلام، وبهذا التقييد - أي: بالاقتران بأعظم معصومَين يُعتبران بمثابة أساس وجود بقية الأئمة الطاهرين عليهم السلام - نكون قد أخرجنا أنفسنا من ورطة إشكالٍ عويصٍ قد يطرأ على بالِ أحدٍ مفاده: أنه لِمَ لا تكون زوجات الأئمة الآخرين أفضل من غيرهنَّ مع كونهنَّ مقترنات بمعصومين...؟

الجواب: فلربما تكون زوجات الأئمة الطاهرين عليهم السلام اللاتي هنّ أمهات الأئمة عليهم السلام هنَّ أفضل النساء بعد النسوة المنصوص عليهنَّ في الأخبار الشريفة كمولاتنا الحوراء زينب وفاطمة بنت أسد وغيرهن ممّن قام الدليل الأخباري على أفضليتهنَّ كمريم وآسية وخديجة، فنساء بقية الأئمة الطاهرين عليهم السلام لعلَّهنَّ في الدرجة الثانية بالأفضلية أو لعلَّهنّ - على أقل تقدير - مساويات في الفضيلة لبعض النسوة السابقات كآسية عليها السلام باعتبارها غير معصومة ذاتاً كالصدِّيقتين مريم وخديجة عليهما السلام...!.

هذا كلُّه بناءً على النظرية القائلة: بأن أُمهات أئمتنا الطاهرين عليهم السلام لسن بمعصومات ذاتاً، وأما بناءً على نظرية عصمتهنَّ الذاتية السابقة على زواجهنَّ بالمعصومين عليهم السلام فلربما يتساوين (عليهنَّ السلام) مع الصدّيقة مريم عليها السلام على أقل تقدير، ولربما يترجح بعضهن على بعض من حيث العصمة العالية والكمال الرفيع، وهو القدر المتيقن من منطوق الخطاب المدلول عليه في الأخبار المقيِّدة لخبر عكرمة الذي حصر السيادة بأربع نساء، هذا كلّه بناءاً على فرض صحة صدور خبر عكرمة؛ وإلَّا فالأخبار الأُخرى هي المعتَمَد في التقييد كما سوف نوضّح في الوجه السادس، ولا يجوز العدول عن القدر المتيقن إلى غيره المشكوك كما هي الحال في خبر عكرمة.

(الوجه السادس): إنّ خبر سيادة النساء الأربع (أي: خبر عكرمة) تتعارض دلالته - على فرض صحة صدوره عن رسول الله - مع الأَخبار الأُخرى الدالة على وجود نساء أفضل من السيِّدة مريم وآسية بنت مزاحم، وما استقصيناه في البحار بلغ مجموعه أربعة أخبار، وهي أخبار تجاوزت حدَّ الاستفاضة، ثلاثة منها بطرقٍ شيعية صحيحة، والخبر الرابع روي بطريقين في مصادر العامة؛ ونستعرض من هذه الأخبار خبرين:

(الخبر الأول): وهو ما رواه المحدِّث المجلسي[1] عن علل الشرائع ومعاني الأخبار وغيبة النعماني بإسنادهم عن الدقاق عن الأسدي عن النخعي عن النوفلي عن محمّد بن سنان عن المفضل عن ثابت بن دينار عن سعيد بن جبير قال: قال يزيد بن قعنب: كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب وفريقٍ من عبد العزّى بإزاء بيت الله الحرام إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أُمّ أمير المؤمنين عليه السلام وكانت حاملةً به لتسعة أشهر، وقد أخذها الطلق، فقالت: ربّ إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإني مصدِّقة بكلام جدي إبراهيم الخليل، وإنه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت وبحق المولود الذي في بطني لما يسرت عَلَيَّ ولادتي. قال يزيد بن قعنب: فرأينا البيت وقد انفتح من ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا، والتزق الحائط، فرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح، فعلمنا أن ذلك أمر من أمر الله عزَّ وجلَّ، ثم خرجت بعد الرابع وبيدها أمير المؤمنين عليه السلام ثم قالت: **إني فُضِّلتُ على من تقدَّمني من النساء** لأن آسية بنت مزاحم عبدت الله عز وجل سراً في موضع لا يحب أن يعبد الله فيه إلا اضطراراً، وإن مريم بنت عمران هزت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطباً جنياً، وإني دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة وأوراقها، فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف، يا فاطمة سميه عليّاً فهو عليٌّ، والله العليّ الأعلى يقول: إني شققت اسمه من اسمي، وأدبته بأدبي، ووقفته على غامض علمي،

(1) بحار الأنوار: ج 35 ص 8 ح 11.

وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي، ويقدسني ويمجدني، فطوبى لمن أحبه وأطاعه، وويل لمن أبغضه وعصاه..».

وفي روضة الواعظين: عن يزيد بن قعنب مثله. قال المجلسي معقباً: روى العلامة (رحمه الله) في «كشف اليقين» و«كشف الحق» هذه الرواية من كتاب «بشائر المصطفى» عن يزيد بن قعنب مثله، وزاد في آخره: قالت: فولدت علياً ولرسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثون سنة، وأحبَّه رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله حباً شديداً، وقال لها: اجعلي مهده بقرب فراشي، وكان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله يلي أكثر تربيته، وكان يطهر عليًّاً في وقت غسله ويوجره اللبن عند شربه، ويحرك مهده عند نومه، ويناغيه في يقظته، ويحمله على صدره ويقول: هذا أخي ووليّ وناصري وصفيي وذخري وكهفي وظهري وظهيري ووصيي، وزوج كريمتي، وأميني على وصيتي، وخليفتي، وكان يحمله دائما ويطوف به جبال مكة وشعابها وأوديتها.

وهذا الخبر الشريف صحيح سنداً، إذ إن كلَّ رواته ثقات أجلاء، وواضح بدلالته القطعية في تفضيل مولاتنا الصدِّيقة فاطمة بنت أسد (سلام الله عليها) على من تقدّمنها من النساء كمريم وآسية... وقد أورد المجلسي[1] (رحمه الله) في الباب نفسه خبرين مثله بأربعة أسانيد: أحدها شيعي، والثلاثة المتبقية بطرقٍ سنيَّة عن أنس وعائشة وخالد بن السريّ، وهي مؤيدة للخبر المتقدم والذي بعده، والعمدة على أخبارنا وليس على أخبار المخالفين، فيكون المحصَّل من هذه الأسانيد هي ستة: ثلاثة منها بطرقٍ شيعية، والثلاثة المتبقية بطرقٍ سنية، فيكون خبر تفضيل سيّدتنا فاطمة بنت أسد عليها السلام خبراً مستفيضاً بل هو فوق حدّ الاستفاضة بضميمة الأخبار العامية وغيرها من الأخبار الشيعية التي فاتنا البحث عنها في المصادر الشيعية الأُخرى.

(**الخبر الثاني**): ما رواه المحدِّثُ المجلسيّ (رحمه الله) أيضاً عن روضة الواعظين بإسناده إلى جابر بن عبد الله الأنصاري قال: سألتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله

---

(1) أُنظر: بحار الأنوار: ج35 ص35 ح37 وص99 ح33.

عن ميلاد أميرِ المؤمنين عليِّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: آه آه لقد سألتني عن خيرِ مولودٍ ولِدَ بعدي على سنَّةِ المسيح عليه السلام ، إنّ اللهَ تبارك وتعالى خلقني وعليَّاً من نور واحدٍ قبل أنْ خلقَ الخلقَ بخمسمائةِ ألف عام، فكنَّا نسبح اللهَ ونقدسَهُ، فلمَّا خلقَ اللهُ تعالى آدمَ قذف بنا في صلبه، واستقررتُ أنا في جنبه الأيمن وعليٌّ في الأيسر، ثم نقلنا من صلبه في الأصلاب الطاهرات إلى الأرحام الطيبة، فلم نزل كذلك حتى أطلعني الله تبارك وتعالى من ظهر طاهرٍ وهو عبد الله بن عبد المطلب فاستودعني خيرَ رحمٍ وهي آمنة، ثم أطلع الله تبارك وتعالى عليَّاً من ظهر طاهرٍ وهو أبو طالب واستودعه خيرَ رحمٍ وهي فاطمةُ بنت أسد. ثم قال: يا جابر ومن قبل أنْ وقع عليٌّ عليه السلام في بطن أُمِّهِ كان في زمانِهِ رجلٌ عابدٌ راهبٌ يُقال له المثرم بن دعيب بن الشيقتام، وكان مذكوراً في العبادة، قد عَبَدَ اللهَ مئةً وتسعين سنة ولم يسأله حاجة، فسأل ربَّه أنْ يريه وليَّاً له، فبعث اللهُ تبارك وتعالى بأبي طالب إليه، فلمَّا أنْ بصر به المثرم قام إليه فقبَّل رأسَهُ وأجلسه بين يديه، فقال: من أنت يرحمك اللهُ؟ قال: رجل من تهامة، فقال: مِنْ أيِّ تهامة؟ قال: من مكة، قال: ممن؟ قال: من عبد مناف، قال: من أيّ عبد مناف؟ قال: من بني هاشم، فوثب إليه الراهبُ وقبَّلَ رأسَهُ ثانياً وقال: الحمد لله الذي أعطاني مسألتي ولم يمتني حتى أراني وليّه، ثم قال: أبشر يا هذا فإنَّ العليَّ الأعلى قد ألهمني إلهاماً فيه بشارتك، قال أبو طالب: وما هو؟ قال: ولدٌ يخرجُ من صلبك هو وليُّ اللهِ تبارك اسمه وتعالى ذكره، وهو إمامُ المتقين ووصيّ رسولِ ربِّ العالمين، فإنْ أدركتَ ذلك الولدَ فاقرأه مني السلام وقل له: إنَّ المثرمَ يقرأ عليكَ السلامَ [يقرؤك السلام] وهو يشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه وأنَّك وصيُّه حقاً، بمحمدٍ يتمُّ النبوَّة وبك يتمُّ الوصيَّة. قال: فبكى أبو طالبُ عليه السلام وقال له: ما اسم هذا المولود؟ قال: اسمه عليٌّ، فقال أبو طالب عليه السلام إني لا أعلمُ حقيقةَ ما تقوله إلا ببرهانٍ بيِّنٍ ودلالةٍ واضحة، قال المثرم: فما تريد أنْ أسألَ اللهَ لك أنْ يعطيك في مكانك ما يكونُ دلالة لك؟ قال أبو طالب عليه السلام : أريد طعاماً من الجنَّةِ في وقتي هذا، فدعا الراهب بذلك فما

استتم دعاؤه حتى أُتي بطبقٍ عليه من فاكهة الجنة رطبة وعنبة ورمان، فتناول أبو طالب عليه السلام منه رمانة ونهض فرحاً من ساعته حتى رجع إلى منزله فأكلها فتحولت ماءً في صلبه، فجامعَ فاطمةَ بنت أسد فحملت بعليٍّ عليه السلام وارتجت الأرضُ وزلزلت بهم أياماً حتى لقيت قريشٌ من ذلك شدةً وفزعوا وقالوا: قوموا بآلهتكم إلى ذروة أبي قبيس حتى نسألهم أن يسكنوا ما نزل بكم وحلَّ بساحتكم، فلما اجتمعوا على ذروة جبل أبي قبيس فجعل يرتج ارتجاجاً حتى تدكدكت بهم صمُ الصخور وتناثرت، وتساقطت الآلهةُ على وجهها، فلما بصروا بذلك قالوا: لا طاقة لنا بما حلَّ بنا، فصعد أبو طالب عليه السلام الجبل وهو غير مكترث بما هم فيه، فقال: أيها الناس إن اللهَ تبارك وتعالى قد أحدثَ في هذه الليلة حادثةً، وخلَقَ فيها خلقاً، إنْ لم تطيعوه ولم تقروا بولايته وتشهدوا بإمامته لم يسكنْ ما بكم ولا يكون لكم بتهامة مسكنٌ، فقالوا: يا أبا طالب إنَّا نقول بمقالتك، فبكى أبو طالب عليه السلام ورفع يده إلى الله عزَّ وجلَّ وقال: (إلهي وسيدي أسألك بالمحمدية المحمودة وبالعلوية العالية وبالفاطمية البيضاء إلا تفضلت على تهامة بالرأفة والرحمة) فوالذي فلقَ الحبَّةَ وبرأ النسمةَ لقد كانت العربُ تكتب هذه الكلمات فتدعو بها عند شدائدها في الجاهلية وهي لا تعلمها ولا تعرف حقيقتها. فلما كانت الليلةُ التي ولِدَ أميرُ المؤمنين عليه السلام أشرقت السماء بضيائها، وتضاعف نور نجومها، وأبصرت من ذلك قريش عجباً، فهاج بعضُها في بعضٍ وقالوا: قد أحدث في السماء حادثة، وخرج أبو طالب وهو يتخلل سكك مكة وأسواقها ويقول: يا أيها الناس تمت حجةُ اللهِ، وأقبل الناسُ يسألونه عن علَّةِ ما يرونه من إشراق السماء وتضاعف نور النجوم، فقال لهم: أبشروا فقد ظهر في هذه الليلة وليٌّ من أولياءِ اللهِ يكملُ اللهُ فيه خصالَ الخير، ويختم به الوصيين، وهو إمام المتقين، وناصر الدين، وقامع المشركين وغيظ المنافقين، وزين العابدين، ووصي رسول رب العالمين، امام هدى، ونجمٌ عليٌّ [علا]، ومصباحُ دجى، ومبيد الشرك والشبهات، وهو نفس اليقين ورأس الدين، فلم يزل يكرر هذه الكلمات والألفاظ إلى أن أصبح، فلما أصبح غاب عن قومه أربعين صباحاً. قال

جابر: فقلت: يا رسول الله إلى أين غاب؟ قال: إنه مضى يطلب المثرم، وقد مات في جبل اللكام، فاكتم يا جابر فإنه من أسرار الله المكنونة وعلومه المخزونة، إنَّ المثرم كان وصف لأبي طالب عليه السلام كهفاً في جبل اللكام وقال له: إنك تجدني هناك حيَّاً أو ميتاً، فلما مضى أبو طالب عليه السلام إلى ذلك الكهف ودخل إليه وجد المثرم ميتاً جسداً ملفوفة مدرعة [الأصح: ملفوفاً في مدرعته] مسجى بها إلى قبلته، فإذا هناك حيتان: إحداهما بيضاء والأخرى سوداء، وهما يدفعان عنه الأذى، فلما بصرتا بأبي طالب عليه السلام غربتا في الكهف، ودخل أبو طالب إليه فقال: السلام عليك يا وليّ الله ورحمة الله وبركاته، فأحيا اللهُ تبارك وتعالى بقدرته المثرمَ فقام قائماً يمسح وجهه وهو يقول: «أشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبدُهُ ورسولُهُ وأن عليَّاً وليُّ اللهِ والامام بعد نبي الله». فقال أبو طالب عليه السلام: أبشر فإنَّ عليَّاً قد طلع إلى الأرض، فقال: ما كانت علامة الليلة التي طلع فيها؟ قال أبو طالب عليه السلام: لما مضى من الليل الثلث أخذت فاطمةُ ما يأخذ النساء عند الولادة، فقلت لها: **ما بالك يا سيِّدة النساء؟** قالت: إني أجد وهجاً، فقرأتُ عليها الاسمَ الذي فيه النجاة فسكنتْ، فقلتُ لها: إني أنهضُ فآتيكِ بنسوة من صواحبك يعنك[تعنكِ] على أمرك في هذه الليلة، فقالت: رأيك يا أبا طالب، فلمَّا قمتُ لذلك إذا أنا بهاتف هتف من زاوية البيت وهو يقول: أمسك يا أبا طالب فإنَّ وليَّ الله لا تمسه يدٌ نجسة، وإذا أنا بأربع نسوة يدخلن عليها، وعليهن ثياب كهيئة الحرير الأبيض، وإذا رائحتهن أطيب من المسك الأذفر، فقلن لها: السلام عليكِ **يا وليّةَ اللهِ**، فأجابتهنَّ ثم جلسن بين يديها ومعهنَّ جؤنة من فضة، وأنسنها حتى ولِدَ أميرُ المؤمنين عليه السلام فلمَّا ولِدَ انتهيت إليه فإذا هو كالشمس الطالعة وقد سجد على الأرض وهو عليه السلام يقول: (أشهد أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ وأشهد أنَّ عليَّاً وصيُّ محمدٍ رسولِ الله، وبمحمدٍ يختم اللهُ النبوة وبي يتمُّ الوصية، وأنا أميرُ المؤمنين). فأخذته واحدة منهنَّ من الأرض ووضعته في حجرها، فلما نظر عليٌّ في وجهها ناداها بلسان ذلق ذرب: السلام عليكِ يا أماه، فقالت: وعليك يا بني فقال: ما خبر

والدي؟ قالت: في نعم الله ينقلب، وصحبته يتنعم، فلما سمعت ذلك لما تمالكت [لم أتمالك] أنْ قلت: يا بني ألست بأبيك؟ قال: بلى ولكني وإياك من صلب آدم، وهذه أمي حواء، فلما سمعت ذلك غطيت رأسي بردائي وألقيت نفسي في زاوية البيت حياء منها، ثم دنت أخرى ومعها جؤنة فأخذت عليّاً عليه السلام فلما نظر إلى وجهها قال: السلام عليك يا أختي، قالت: وعليك السلام يا أخي، قال: فما خبر عمي؟ قالت: خير وهو يقرأ عليك السلام، فقلت: يا بني أي أخت هذه وأيُّ عم هذا؟ قال: هذه مريم ابنة عمران وعمي عيسى ابن مريم، وطيبته بطيب كان في الجؤنة، فأخذته أخرى منهن فأدرجته في ثوب كان معها، قال أبو طالب عليه السلام فقلت: لو طهرناه لكان أخف عليه، وذلك أن العرب كانت تطهر أولادها، فقالت: يا أبا طالب إنه ولدَ طاهراً مطهراً، لا يذيقه حرّ الحديد في الدنيا إلا على يد رجل يبغضه الله ورسوله وملائكته والسماوات والأرض والبحار، وتشتاق إليه النار، فقلت: من هذا الرجل؟ فقلن: ابن ملجم المرادي لعنه الله، وهو قاتله في الكوفة سنة ثلاثين من وفاة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، [قال أبو طالب عليه السلام: فأنا كنت في استماع قولهن ثم أخذه محمد بن عبد الله ابن أخي من يدهنَّ ووضع يده في يده وتكلم معه، وسأله عن كل شيء، فخاطب محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلم عليَّاً عليه السلام بأسرار كانت بينهما] ثم غبن النسوة فلم أرهنَّ، فقلت في نفسي: لو عرفت المرأتين الأُخريين فألهم الله عليَّاً عليه السلام فقال: يا أبي أمَّا المرأة الأولى فكانت حواء، وأمَّا التي أحضنتني فهي مريم بنت عمران التي أحصنت فرجها، وأمَّا التي أدرجتني في الثوب فهي آسية بنت مزاحم وأمَّا صاحبة الجؤنة فهي أم موسى بن عمران، فالحق بالمثرم الآن وبشره وخبره بما رأيت فإنه في كهف كذا في موضع كذا، فخرجت حتى أتيتك وإنه وصف الحيتين [فلما فرغ من المناظرة مع محمد ابن أخي ومن مناظرتي عاد إلى طفوليته الأولى] فقلت: أتيتك أبشرك بما عاينته وشاهدت من ابني علي عليه السلام فبكى المثرم ثم سجد شكراً لله ثم تمطى فقال: غطني بمدرعتي، فغطيته فإذا أنا به ميت كما كان، فأقمت ثلاثا أكلم فلا أجاب فاستوحشت لذلك وخرجت الحيتان فقالتا لي: السلام عليك يا أبا طالب،

فأجبتهما، ثم قالتا لي: الحق بوليِّ اللهِ فإنَّك أحق بصيانته وحفظه من غيرك، فقلت لهما: من أنتما؟ قالتا: نحن عمله الصالح خلقنا الله من خيرات عمله، فنحن نذب عنه الأذى إلى أن تقوم الساعة فإذا قامت الساعة كان أحدنا قائده والآخر سائقه ودليله إلى الجنة ثم انصرف أبو طالب عليه السلام إلى مكة. قال جابر: فقلت يا رسول الله، الله أكبر!! الناس يقولون: أبا طالب مات كافراً! قال: يا جابر الله أعلم بالغيب، إنه لما كانت الليلة التي أسري بي فيها إلى السماء انتهيت إلى العرش فرأيت أربعة أنوار فقلت: إلهي ما هذه الأنوار؟ فقال: يا محمد هذا عبد المطلب وهذا أبو طالب وهذا أبوك عبد الله، وهذا أخوك طالب، فقلت: إلهي وسيدي فبما نالوا هذه الدرجة؟ قال: بكتمانهم الإيمان وإظهارهم الكفر، وصبرهم على ذلك حتى ماتوا»[1]. انتهى.

الخبر الشريف المتقدِّم، واضحٌ في تصريحه بأنّ السيِّدة الصدّيقة فاطمة بنت أسد عليها السلام وليَّةٌ لله تعالى مطلقاً وسيِّدةٌ على نساء زمانها والأزمنة التي سبقتها والتي تليها بقرينة الإطلاق الموجود في لفظ سيِّدنا وليّ الله أبي طالب عليه السلام: «ما بالك يا سيدة النساء؟» ويخرج من هذا الإطلاق ما دل الدليل عليه وهو مولاتنا المعظمة فاطمة الزهراء عليها السلام وابنتها الحوراء زينب وأُمّ كلثوم (سلام الله عليهما). . . وإنْ كان القدر المتيقن هو الحمل على أفضليتها على من تقدمها مطلقاً بقرينة ما جاء في الخبر الأول بقولها: «إنّي فُضّلت على من تقدَّمني من النساء. . »، وتبقى أفضليتها على من تأخر عنها - غير ما استثناه الدليل - مشكوكاً، فننفيه بالأصل.

ولو فرضنا عدم انعقاد الإطلاق ههنا على عموم السيادة على من تقدَّمها، وحملنا اللفظ «يا سيِّدة النساء» على سيادتها على نساء زمانها فقط، فلا ريب في أنها أفضل ممن تقدَّمها لقاعدة الجمع العرفي بين الأخبار الشريفة الظاهرة في الإطلاق والتقييد، وفي موردنا المذكور نضم الخبر الأول إلى الثاني من باب

(1) راجع البحار ج 35 ح 12 ص 10.

توسعة دائرة المضيَّق وهي (نساء زمانها) إلى الأوسع وهي (نساء من تقدَّمها)، أو تفسير دائرة المقيَّد بالدائرة الأوسع وهي من تقدَّمها من النساء من دون استثناء لواحدة ممن تقدَّمها من النساء على السيِّدة فاطمة بنت أسد (سلام الله عليها)، فإذا ضممنا الخبر الثاني إلى الخبر الأول - الصريح في كونها أفضل من السيِّدة مريم عليها السلام وآسية بنت مزاحم رضي الله عنها بقرينة قولها (صلوات الله عليها): «إنِّي فُضِّلتُ على نساءِ مَنْ تقدَّمني من النساء لأن آسية عبدت الله عزّ وجلَّ... وإنّ مريم بنت عمران هزّت النخلة اليابسة بيدها...» - فتكون النتيجة أفضليتها على مَن ذكرنا، وبالتالي يكونُ هذانِ الخبرانِ ناسخَين لخبر عكرمة أو حاكِمَين عليه بناءً على فرض صحة صدوره من النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

والحاصل: إنَّ خبر تفضيل مولاتنا السيّدة الصدّيقة فاطمة بنت أسد (سلام الله عليها) على السيّدة مريم عليها السلام هو خبرٌ مستفيضٌ، وبالتالي يكون مقدَّماً على خبر عكرمة - لو سلّمنا بصحة صدوره - بل هو حاكمٌ على خبر عكرمة، وعند التعارض بين الخبر الواحد وبين الخبر المستفيض، يجب شرعاً تقديم المستفيض على الخبر الواحد الذي لا يوجب علماً ولا عملاً، مضافاً إلى أن الخبر الواحد لا يصلح في أن تُبنى عليه عقيدةٌ ولا عملٌ، فتقديمه على الخبر المستفيض خلاف القواعد الأُصولية وقواعد التعادل والتراجيح المأمور بها شرعاً والمعمول بها في الوسط العلمي، وما ادَّعاه صاحب الشبهة يُعَدُّ مخالفةً صريحةً لما أشرنا إليه آنفاً.

(**الوجه السابع**): ما جاء في بعض الأخبار الدالة على أفضلية ذرية أمير المؤمنين وسيِّدة النساء عليهما السلام على عامة النساء حتى على مريم عليها السلام، وأنَّ أسماءَ هذه الذرية مكتوبةٌ على ساقِ العرش، وأن آدم عليه السلام افتخر بهم وأن الله تعالى فضّلهم على العالمين، ولفظ الذرية خاص بالمعصومين من ذرية أمير المؤمنين وسيّدة النساء عليهما السلام ولا يشمل بقية الذرية غير المعصومة، لأن العرش طاهر لا يبلغه إلا طاهر ولا يستقر عليه إلا الطاهر المعصوم الكامل بالعصمة والطهارة بمقتضى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[1]؛ أي:

(1) سورة فاطر، الآية: 10.

الكامل باليقين والعمل الصالح، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾[1]؛ أي: الكاملون بالطهارة، وحيث إنَّ مولاتنا السيِّدة الصدّيقة الكبرى زينب عليها السلام من أكمل المعصومات يقيناً وعملاً، وحيث إنَّها من أبرز مصاديق أولاد أبيها أمير المؤمنين وأُمّها سيِّدة نساء العالمين عليهما السلام، وبالتالي هي من أبرز مصاديق الذرية المعصومة بمقتضى ما جاء في الصحيح بأنَّ اللهَ تعالى حرَّم ذريةَ سيّدة نساء العالمين عليها السلام على النار، والتحريم على النار يستلزم العصمة الذاتية لتلك الذرية الطاهرة (صلوات الله عليها)، فقد روى الصدوق (رحمه الله) في «معاني الأخبار» خبرين بسندين صحيحين هما:

(الخبر الأول): بأسناده عن أبيه (رحمه الله) قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن صالح، عن محمد بن مروان، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: هل قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ فاطمةَ أحصنتْ فرجَها، فحرَّم اللهُ ذريتَها على النار»؟ قال: «نعم، عنى بذلك الحسن والحسين وزينب وأُمّ كلثوم عليهم السلام».

(الخبر الثاني): الصدوق بإسناده إلى محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، قال: حدثنا العباس بن معروف، عن علي بن مهزيار، عن الحسن بن علي الوشاء، عن محمد بن قاسم بن الفضيل، عن حماد بن عثمان، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن فاطمة أحصنتْ فرجها فحرَّم الله ذريتها على النار»؟ فقال: «المعتقون من النار هم ولد بطنها: الحسن، والحسين، وزينب، وأم كلثوم».

وبالجملة: إنّ مولاتنا الصدّيقة الكبرى الحوراء زينب عليها السلام من تلك الذرية الطاهرة التي حرَّم الله تعالى على النار أن تمسَّها، وأنَّها ممن نُقِشَ اسمها على ساق العرش، ولأجلها مع أبويها الشريفين خلق اللهُ العرشَ والفرش والكرسي والفلك والملكوت، ما يعني أنها معصومة بالعصمة الذاتية وأنها من الذوات

(1) سورة الواقعة، الآية: 79.

العالية المطهرة التي شرَّفها الله تعالى بعلو الدرجات وشموخ المقامات، ما يعني أيضاً أفضليتها على مريم وآسية عليهما السلام.

أخبار العرش:

وثمةَ خبران من هذه الأخبار الشريفة الدالة على أن مولاتنا الصدّيقة زينب الكبرى وأُختها أُم كلثوم عليهما السلام هما من ذرية أهل البيت عليهم السلام الذين كُتِبَتْ أسماؤهم على ساق العرش، ما يستلزم أفضليتها على السيِّدة مريم وآسية عليهما السلام؛ والخبران هما الآتيان:

(الخبر الأول): ما رواه المحدِّث المجلسي رحمه الله بإسناده إلى أبي سعيد الخدري في خبرٍ طويل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبي ذر وسلمان والمقداد وعمار وحذيفة وغيرهم من خيرة أصحابه وهو يعدد فضائل ذريته الطاهرة ويفتخر بها قال النبيُّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «. . . وأن أبي آدم لما رأى اسمي واسم علي وابنتي فاطمة والحسن والحسين **وأسماء أولادهم** مكتوبة على ساق العرش بالنور قال: إلهي وسيدي هل خلقتَ خلقاً هو أكرم عليك مني؟ فقال: يا آدم لولا هذه الأسماء لما خلقت سماءً مبنية، ولا أرضاً مدحية، ولا ملكاً مقرباً، ولا نبيَّاً مرسلاً، ولا خلقتك يا آدم، فلما عصى آدم ربَّه وسأله بحقنا أن يتقبل توبته ويغفر خطيئته فأجابه، وكنَّا الكلمات التي تلقاها آدم من ربِّه عزَّ وجلَّ، فتاب عليه وغفر له فقال له: يا آدم أبشر فإن هذه **الأسماء من ذريتك وولدك**، فحمد آدم ربَّه عزَّ وجلَّ وافتخر على الملائكة بنا، وإنَّ هذا من فضلنا وفضل الله علينا، فقام سلمان ومن معه وهم يقولون: نحن الفائزون، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنتم الفائزون ولكم خُلِقَتْ الجنَّة، ولأعدائنا وأعدائكم خُلِقَت النارُ».

وبما تقدَّم يتضحُ بأنَّ مولاتنا الحوراء زينب عليها السلام مصطفاة من بين نساء العالمين فاسمها مكتوب على ساق العرش باعتبارها من تلك الذرية الطاهرة المصطفاة، وهي فضيلة عظمى لمولاتنا الحوراء زينب الكبرى عليها السلام سبقت بها السيّدةَ الصدّيقةَ الصغرى مريم عليها السلام التي لم يُسبق في علم الله تعالى أن اسمها كُتِبَ على العرش لأنَّ مَنْ يُكْتَب اسمه على ساق العرش المحاذي للكعبة إنما

يكون مِنْ خيرة عباده المعصومين المصطفَين على عامة خلقه، والسيِّدة الحوراء عليها السلام من تلك الصفوة التي لا يُقبَلُ عملٌ من العباد إلا بالطواف حول اسمها المنقوش على ساق العرش، وبالتالي فهي وأختها أفضل من مريم عليها السلام .

(الخبر الثاني): ما رواه المجلسي (رحمه الله) في الصحيح بأسناده عن الشيخ المفيد في الاختصاص عن محمد بن الحسن بن عبد الله الأطروش الكوفي قال: حدثنا أبو عبد الله جعفر بن محمد البجلي، قال: حدثني أحمد بن محمد بن خالد البرقي قال حدثني عبد الرحمن بن أبي نجران عن عاصم بن حميد عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قال أميرُ المؤمنين عليه السلام : «إن الله تبارك وتعالى أحدٌ واحدٌ تفرَّد في وحدانيته، ثم تكلم بكلمة فصارت نوراً، ثم خلق من ذلك النور محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وخلقني وذريتي، ثم تكلَّم بكلمةٍ فصارت روحاً فأسكنه الله في ذلك النور وأسكنه في أبداننا فنحن روح الله وكلماته فبنا احتج على خلقه فما زلنا في ظلة خضراء حيث لا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار ولا عين تطرف نعبده ونقدِّسُه ونسبِّحُه وذلك قبل أن يخلق الخلق وأخذ ميثاق الأنبياء بالإيمان والنصرة لنا. . .»؛ انتهى الخبر، وهو طويل اقتصرنا على موضع الشاهد منه.

يتضح من قوله الشريف: «**خلقني وذريتي**» بأن الحوراء زينب عليها السلام تعتبر عرفاً وعقلاً وشرعاً من أبرز مصاديق ذرية أمير المؤمنين عليه السلام باعتبارها من الصلب العلوي الشامخ والرحم الفاطمي المطهَّر، فالحوراء زينب عليها السلام هي من ذريتهما مباشرةً ومن دون وسائط، فهي من الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة التي لم تنجسها الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسها من مدلهمات ثيابها، فكانت تتدرج في النزول من صلبٍ طاهر إلى رحمٍ مطَّهر. . . وهكذا تتنقل في أصلاب النبيين من أجدادها إلى أرحام الصدّيقات المطهرات من جداتها لتستقر في أعظم صلب وأطهر رحم على العموم، فهي من الذريّة الأولى للصلب العلوي والرحم الفاطمي (عليهما آلاف التحية والسلام). . . ومن كانت بهذا المستوى من التطهير كيف لا تكون من أعلى عليين. .؟!

وبضميمة الأخبار التي سقناها سابقاً والمصرِّحة بأن الحوراء العقيلة وأُختها أُمَّ كلثوم عليها السلام من ذرية الصدّيقة الكبرى مولاتنا سيّدة الحور فاطمة الزهراء عليها السلام التي حرَّمها الله وذريتها على النار، تكون الحوراء زينب (سلام الله عليها) ممن احتج اللهُ بها على عامة خلقه، ولا يكونُ الاحتجاجُ إلا بالأفضلية والأشرفية، وبالتالي فإنها أفضل من مريم بنت عمران عليها السلام، فتأملوا جيداً فإنه دقيق.

من خلال ما قدّمناه من الإطلاقات والمقيِّدات الأخبارية المقرونة بمقدمات الحكمة الأُصولية، يتضح بأن مولاتنا زينب الكبرى عليها السلام مفضَّلة على مريم عليها السلام، فلا يجوز - والحال هذه - الاعتماد على خبر عكرمة لإنشاء تفضيل مريم على الحوراء زينب بنت أمير المؤمنين وبنت سيدة نساء العالمين عليهما السلام اللذين لو أنجبا ألف ولدٍ لكانوا أفضل خلق الله على الإطلاق باعتبارهم أساس الولاية الإلهية وعماد الفطرة التوحيدية، فهم أُناسٌ لا يُقاسُ بهم أحدٌ على الإطلاق على حدّ قول أمير المؤمنين الإمام الأعظم مولانا عليّ بن أبي طالب عليه السلام... فهؤلاء العظماء لا نظير لهم في عوالم الوجود على الإطلاق، فلا يساويهم نبيٌّ مرسل ولا ملك مقرب ولا عبد امتحن الله قلبه بالإيمان... إنهم نور الله تعالى في أرضه وسمائه، فسبحان من خلق وسبحان من وهب وسبحان من فضّل..!!.

إشكالٌ وحلٌّ:

مفاد الإشكال: إنكم أشرتم إلى أفضلية الصدّيقة الكبرى مولاتنا فاطمة الزهراء وابنتها الحوراء زينب عليهما السلام في حين أن الآية الثانية والأربعين من سورة آل عمران ظاهرة في أفضلية مريم عليها السلام على عامة النساء من دون استثناء كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]؛ فالإصطفاء على نساء العالمين، يفيد تقديم السيّدة مريم عليها السلام على غيرها من النساء حتى مولاتنا الزهراء وابنتها زينب الحوراء عليهما السلام..

(1) سورة آل عمران، الآية: 42.

والجواب: إن التدبر في دلالة الآية يكشف النقاب عن وجود اصطفاءين وتطهير واحد، بمعنى أن الله تعالى قد اصطفاها مرتين وطهّرها مرةً واحدة؛ والاصطفاء الأول مقرون بالتطهير في الآية الشريفة وهو يختلف بطبيعته عن الاصطفاء الثاني؛ لأن الأول: اصطفاء نفسي وهو إخبار إلهي بأنه تعالى اختارها من بين نساء عالمها لتكون ذات كرامة ومنزلة عنده سبحانه وتعالى، وورد في خبر الحكم بن عتيبة عن الإمام أبي جعفر عليه السلام بأن «اصطفاءها الأول عبارة عن اختيارها من ذرية الأنبياء المصطفين المرسلين».

والحاصل: إن الاصطفاء تارة يكون بمعنى الاختيار لتكون ذات منزلة وكرامة عند الله تعالى، وأخرى بمعنى الاختيار للعبادة؛ أي: تقبلها لها. . . وكلا المعنيين يفيدان الاختصاص الإلهي للسيّدة مريم عليها السلام لتكون العابدة لله تعالى من بين نساء زمانها بسبب مقتضيات ذاتية في روح مريم عليها السلام.

وأما الاصطفاء الثاني فإنه مقرون بسيادتها على العالمين من جهة الحيثية الخارجية وهي تقديمها على غيرها من سائر النساء وهي ولادتها للنبي عيسى عليه السلام من غير زوج؛ فهذا التقديم ليس مطلقاً من جميع الجهات بل هو تقديم جزئي من حيث الإشارة إلى الولادة من دون زوج. . . ويشير إلى ما ذكرنا قوله تعالى في الآية الحادية والتسعين من سورة الأنبياء: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ وقوله تعالى في الآية الثانية عشرة من سورة التحريم: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾.

هاتان الآيتان تخصان مريم عليها السلام بشيء عجيب وهو ولادة النبي عيسى عليه السلام من دون أن تقترن برجل، ما يعني أنها مصطفاة من بين عامة نساء العالمين قاطبةً من حيث تفردها بولادة ولدٍ من دون زوج. . . هذا هو المعنى الصحيح للاصطفاء الثاني لمريم عليها السلام؛ وليس صحيحاً ما زعمه بعض الموتورين من المشايخ والسادة الجهلة بحقائق التفسير وأخبار عترة النبي الكريم صلى الله عليه وآله من أن الاصطفاء الثاني في ذيل الآية هو اصطفاء نفسي كلي لمريم عليها السلام على عامة النساء بحيث يشمل

تقديمها على سيدتنا الزهراء عليها السلام وغيرها من نسوة بني هاشم... بل الصحيح هو ما أشرنا إليه من أن الاصطفاء الثاني في الآية يراد منه الاصطفاء الخارجي المتعلق بولادة عيسى عليه السلام من دون أن تقترن مريم عليها السلام برجلٍ وهو ما دلت عليه الأخبار الشريفة التي يتغاضى عنها الموتورون من عمائم السوء....

وأما التطهير الوارد في الآية فهو اعتصام بعصمةٍ من الله تعالى، فمريم عليها السلام مصطفاة معصومة، وهي ليست الوحيدة في باب العصمة والتطهير والتصديق بكلمات الله وكتبه وكونها محدثة... فهذه أُمور لا تختص بها بل توجد في غيرها من نساء آل هاشم وعلى وجه الخصوص بنات أمير المؤمنين مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام وأمه الشريفة فاطمة بنت أسد عليها السلام.

وما أفدنا سابقاً في معنى الإصطفاءين هو ما كشفت عنه الأخبار الشريفة مؤيَّدَةً بسياق الإطلاق والتقييد الواردين في الآية الشريفة، فالاصطفاء الأول مقيّد، والاصطفاء الثاني مطلق بسبب خصوصية التشريع والإعجاز... ولولا الأخبار المفسِّرة للإصطفاءِ الثاني لكنا حملناه على الاصطفاء النفسي الدال على تقديمها على سائر النساء، إلا أن الأخبار القطعية الصدور دلت على أن المراد منه هو الاصطفاء المتعلق بولادتها عيسى عليه السلام من دون زوجٍ...

فليحذر الموتورون من عمائم السوء من التقول على الله تعالى بغير علمٍ، فتصيبهم فتنة أو يصيبهم عذابٌ أليم...!

(الوجه الثامن): إنَّ خبر عِكرمة مصداقٌ لآية النبأ الناهية عن الأخذ بأخبار الفسَّاق من الشيعة فضلاً عن المخالفين والمعاندين لولاية أمير المؤمنين وأهل بيته الطيبين المطهرين عليهم السلام، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[1].

وحيث إنَّ عكرمة معروفٌ ببغضه لأمير المؤمنين وأهل بيته الطيبين عليهم السلام وباعتقاده بولاية غيرهم من أعمدة النفاق والكفر؛ فلا يجوز الأخذ بما رواه، لا

(1) سورة الحجرات، الآية: 6.

سيَّما أنَّه من فرقة الحرورية الأباضية، وهي طائفة من الخوارج تظهر العداوة والبغضاء لأهل بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم)، وكان عكرمة من المدافعين عن عائشة، وكان ينادي في السوق مدعياً أنَّ آية التطهير نزلت في نساء النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فقد قال السيوطي في الدر المنثور: «وأخرج ابن أبي حاتم وابن عساكر من طريق عكرمة عن ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ. . .﴾[1] قال: نزلت في نساء النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم».

ونقل السيوطي في الدر المنثور: أخرج ابن جرير وابن مردويه عن عكرمة في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ. . . . .﴾ «إنه قال ليس بالذي تذهبون إليه إنما هو نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم».

وقد ذمه أعلام المخالفين واتهموه بالكذب لا سيَّما شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى 748هـ) في «سير أعلام النبلاء» حيث ذكر الكثير من كلمات العلماء القادحين فيه، وكذلك فعل في كتابه الآخر «ميزان الاعتدال» حيث قال: «وقد وثقه جماعة واعتمده البخاري، وأمَّا مسلم فتجنبه، وروى له قليلاً مقروناً بغيره وأعرض عنه مالك وتحايده إلا في حديثٍ أو حديثين. . .». ثم عرّج على كلمات القوم بما لا يدع مجالاً للشك في كذب عكرمة وعدم وثاقته وأمانته. . . إلخ.

بعد هذه الكلمات المتضافرة الحاكية عن انحراف عكرمة عن جادة الحق وتهكمه على أهل بيت العصمة (سلام الله عليهم) وانحرافه عنهم وميله إلى عائشة بنت أبي قحافة. . . لا يصح القول بجواز الاعتماد عليه في تفسير الذكر الحكيم والسنَّة النبويَّة وتحديد سيدات أهل الجنة. . .

والعجب من صاحب الدعوى كيف يعتمد على خبر رواه عكرمة المعروف بحبِّه لعائشة وبغضه لآل محمد عليهم السلام مع أنه يظهر البراءة منها ومما ارتكبته من جنايات وقبائح. . .؟! أليس عكرمة المحبّ لعائشة والمدافع عنها ناسباً إليها آية

(1) سورة الأحزاب، الآية: 33.

التطهير أوجب أنْ تُرفض أخباره بدلاً من ابن عباس الذي يقف صاحبُ الدعوى منه موقفاً سلبياً ناعتاً له بنعوت تدل على رفض أخباره، في حين أنَّ الأولى به كان رفض أخبار عكرمة الناصبي..؟! كما أن الواجب عليه هو الاعتماد على أخبارنا الشريفة ونبذ أخبار غيرهم التي منها خبر عكرمة عن ابن عباس.

ألا هلمَّ فاسمع! وما عشت أراك الدهر عجبا! وإنْ تعجب فعجب قوله!.. ليت شعري إلى أيِّ أسناد استند؟! وعلى أيِّ عمادٍ اعتمد؟! وبأيَّةِ عروةٍ تمسك؟! لبئس المولى ولبئس العشير، وبئس للظالمين بدلاً، استبدل والله الذنابي بالقوادم والعجز بالكاهل، فرغماً لمعاطس قومٍ يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون...!.

الدعوى الثانية:

وهي التزام الشيخ ياسر حبيب صاحب الدعوى بمنطوق النص الوارد في رواية عكرمة التي ادَّعى صراحتها على أنّ النساء الأربع في خبر عكرمة أفضل من عامة النساء ومنهنَّ مولاتنا الحوراء زينب الكبرى عليها السلام، بل ادَّعى وجودَ رواياتٍ في هذا المضمون، وهذا المنطوق مقدَّم على المفهوم الحملي بحسب تسميته المنطقية المبتدعة التي أسقطها على العقيدة والفقه مع أنه يبغض الفلسفة على حدّ زعمه..!!.

ويقصد بالمفهوم الحملي: أفضلية مولاتنا الحوراء زينب الكبرى عليها السلام على آسية بنت مزاحم رضي الله عنها ومريم بنت عمران عليها السلام، وأنّ المنطوق الدال على أفضلية مريم وآسية مقدَّمٌ على المفهوم الحملي الدال على أفضلية مولاتنا السيِّدة العظمى الحوراء زينب عليها السلام على الجليلتين المذكورتين.

خلاصة دعواه: إنّ روايةَ عكرمة صريحةٌ في تفضيل مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم عليهما السلام على مولاتنا الحوراء الصدِّيقة الكبرى زينب عليها السلام وغيرها من النساء العلويات من آل محمد (عليهنَّ السلام)، مدعياً أنَّ التفضيل المريمي والآسيوي منطوقٌ، والتفضيل الزينبي مفهوم حملي، وهو يناهض المنطوق اللفظي.

الإيراد على الدعوى الثانية بوجوهٍ هي الآتية:

(الوجه الأول): إنّ تقديم مولاتنا الصدّيقة الحوراء زينب الكبرى عليها السلام على مَن تقدَّمها كالصدّيقة مريم وآسية عليهما السلام ليس مفهوماً حملياً - كما ادّعى الشيخ الكويتي - لأنَّ المنطوق الوارد في النصوص المطلقة والمقيَّدة التي اعتقد صاحب الدعوى بها كعصمتها وعلمها وجلالة قدرها عند النبيّ الأعظم وأهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام كافية في كونها منطوقاً حاكماً على خبر عكرمة، لا سيَّما النصّ الصحيح الوارد عن مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام مخاطباً عمته عقيلة الهاشميين الصدِّيقة الكبرى زينب عليها السلام: «أَنتِ بحمدِ اللهِ عالمةٌ غير معلّمةٍ وفهمةٌ غير مفهمةٍ»؛ فإنَّه محكمٌ وقطعيٌّ في دلالته الصريحة على عظمة مولاتنا الحوراء زينب الكبرى عليها السلام ومحكمٌ في وفور علمها اللدُّنيّ الموهوب من قبل ربِّ العالمين، حيث يدل على أنها صاحبة العلم الحضوري الذي لا يُسدّد به إلا الخواص من عبيده المعصومين المطهرين (سلام الله عليهم)، وعلى وجه الخصوص العبد الصالح الخضر عليه السلام وأهل بيت العصمة والطهارة (صلوات الله عليهم أجمعين)، وقد اعترف صاحبُ الدعوى بأنَّ مولاتنا الحوراء زينب الكبرى عليها السلام كانت مسددةً بهذا العلم الحضوري وأقرَّ بعصمتها أيضاً، لكنّ المثير للاستغراب كيف أنّه يقرُّ بعصمتها وتسديدها بالعلم الحضوري - مع ما للعصمة والعلم الحضوري من أهمية عظمى على الصعيد التفضيلي للمقام الزينبي على مقام غيرها ممن تقدَّمها من النساء المعصومات فضلاً عن غير المعصومات منهن كآسية وسيدتنا أم المؤمنين خديجة عليها السلام بناءً على المشهور من عدم عصمتها وليس على مبنانا في عصمتها الذاتية - ويدّعي في الوقت عينه أن السيِّدة الطاهرة الحوراء زينب (روحي فداها) ليست أفضل من آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران عليهما السلام . . ؟!! وهو تناقض واضح من بعض الحيثيات، إذ كيف تكون الحوراء زينب عليها السلام ذات علمٍ حضوري وذات عصمة ذاتية بحسب اعتراف المدَّعي ثم تُعتَبَرُ أدنى ممن لا عصمة ذاتية لديها كآسية ولا علم حضوري لديها كمريم عليها السلام . . !؟ إن صدر كلامه ينقض ذيله . . . !.

وبعبارة أُخرى: كيف تتقدَّم آسية بنت مزاحم رضي الله عنها مع عدم عصمتها بالاتفاق - نصاً وإجماعاً - على الحوراء زينب الكبرى عليها السلام التي أقرَّ المدَّعي بعصمتها واختصاصها بالعلم الحضوري على إحدى من ذكرهنّ خبر عكرمة عنيت بها آسيةَ بنت مزاحم..؟! وهل يصحُّ عقلاً ونقلاً تفضيلُ غير المعصوم على المعصوم عليه السلام، وكذا تفضيل ذي العلم الاكتسابي على ذي العلم اللدني؟! نعم؛ إن التقديم المذكور يتمُّ وفقاً لمبدأ الأشاعرة - أتباع مدرسة أعمدة السقيفة - القائلين بصحة تقديم المفضول على الفاضل، حيث يزعم صاحب الدعوى أنه مناهض لهم ولكلٍّ ما يمت إليهم بصلة لا سيّما العقيدة التي منها العصمة!!! فكيف يناهض عقيدتهم بتقديم المفضول على الفاضل وهو يعتقد بما يعتقدونه ويقرُّ بما يميلون إليه؟!!.

ميول المدَّعي إلى نظرية «تفضيل المفضول على الفاضل»:

يبدو لنا من ظاهر استدلال صاحب الدعوى أنَّه متأثرٌ بنظرية المخالفين القائلين بجواز تقديم المفضول على الفاضل لحكمة إلهيَّة، وتأثره بتلك النظرية إنَّما هو بفعل الرواسب التي شبَّ عليها خلال مطالعاته في كتب المخالفين وتأثّره بكلام ابن أبي الحديد المعتزلي الذي حمد الله تعالى في مطلع شرحه لنهج البلاغة قائلاً: «الحمد لله الذي قدَّم المفضولَ على الفاضلِ لحكمةٍ ارتآها..»!!.

فقد ذهب المعتزلة والأشاعرة (خذلهم الله تعالى) إلى جواز تقديم المفضول على الفاضل إبطالاً منهم لإمامة أمير المؤمنين وإمام المتقين مولانا عليّ بن أبي طالب (سلام الله عليهما) الذي ملأت فضائلُه ومناقبُه الخافقين، إذ لم يكن بمقدورهم إنكارها وهي تستتبع التقديم على الجميع، وبالتالي تستلزم كونه إماماً على عامة المسلمين، فلجأوا إلى اختراع القاعدة المذكورة المخالفة لصريح الكتاب الكريم نظير قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1].

وكذلك مخالفتها لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله الذي اشتهر عنه أنه كان لا ينصِّب

(1) سورة يونس، الآية: 35.

على المدن والقرى إلا الأفضل والأورع، ولو لم يكن إلا قصة تبليغ سورة براءة لكفى بها واعظاً، وبهذا يتضح بطلان الدعوى المتقدِّمة ومخالفتها لأحكام العقل السليم الدال على قبح تقديم المفضول على الفاضل.

بالإضافة إلى أنَّ دعوى «أن الله تعالى فضَّل المفضول على الفاضل لحكمة ارتآها الله تعالى. .» تعتبر افتراءً عليه تبارك اسمه من حيث إنَّ عامة المخالفين يعتقدون بأنَّ الخلافة أو الإمامة إنما تكون بالانتخاب أو الشورى وليس بالنصِّ الإلهي كما نعتقد نحن الإمامية، وبالتالي فإنَّ الدعوى أنَّ الله تعالى قد قدّم أبا بكر وعمر وعثمان لحكمة ارتآها هي مخالفة صريحة للكتاب والسنَّة ودليل العقل فضلاً عن كونها كذباً وافتراءً على الله تعالى كما أشرنا أعلاه. . . !.

إنْ قيل لنا: يجوز تقديم المفضول على الفاضل لعلَّةٍ وعارضٍ فيبطلُ ما يزعمه الشيعة الإمامية. . !.

نقول في الجواب: لا يجوز تقديم المفضول على الفاضل لعلَّةٍ وعارضٍ؛ لأنَّ تقديمه عليه، له وجهُ قبحٍ، ومع حصول وجهِ القبح لا يحسن ذلك كما لا يحسن الظلم، وإنْ عرض فيه وجهٌ من وجوهِ الحسن ككونه نفعاً للغير - مع كونه ظلماً وهو قبيحٌ شرعاً وعقلاً - لا يصحُّ بأيِّ حالٍ من الأحوال، ولو صحَّ ذلك لعلَّةٍ، لصحَّ تقديم الفاسق المتهتك على أهل الستر والصلاح، وتقديم الكافر على المؤمن المعصوم عليه السلام وذلك باطل عقلاً ونقلاً كما أشرنا إليه آنفاً.

والخلاصة: يظهر من الشيخ المدَّعي توافقُهُ مع ابن أبي الحديد بتقديم المفضول على الفاضل لحكمةٍ ارتآها الله تعالى. . !!!.

ولو سلَّمنا جدلاً بعدم تمامية ما دل على تفضيل مولاتنا عقيلة الهاشميين الحوراء زينب (سلام الله عليها) على آسية ومريم؛ إلا أن إطلاقَ صاحبِ الدعوى الحكمَ بتفضيل آسية ومريم على غيرهما من النساء الهاشميات والتاليات لهنَّ من أزواج أئمة الهدى[1] ومصابيح الدجى (صلوات الله عليهم)، مخالفٌ لما دلت

(1) كمولاتنا السيّدة الجليلة فاطمة بنت الإمام الحسن بن علي عليهما السلام أُم الإمام الباقر عليه السلام، =

عليه الأخبار القطعية - أو على أقل تقدير الأخبار الظنية المعتبرة شرعاً - من تفضيل بعض الطاهرات الهاشميات على مريم وآسية بالقطع واليقين، وقد أوردنا قسماً من الأخبار الشريفة الدالة على أفضلية السيِّدة الطاهرة فاطمة بنت أسد (صلوات الله عليها) على مريم وآسية، فبطريق أَوْلى تكون السيِّدة المطهرة زينب عليها السلام أفضل من مريم وآسية بطريق الأولوية، أو على أقلّ تقدير من باب المساواة بين الحوراء زينب الكبرى عليها السلام وبين جدتها الصدّيقة فاطمة بنت أسد عليها السلام لأجل النصِّ الوارد عن مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام: «أنتِ عالمة غير معلّمة..» الدال على علمها الحضوري المخصوصة به باعتبارها من أعاظم الأولياء المقربين، وللعموم المحكم عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنَّا أهلُ بيتٍ لا يُقاس بنا أحدٌ من الناس»، وحيث إنَّ مولاتنا الحوراء زينب الكبرى (سلام الله عليها) من أهل هذا البيت الطاهر بالقطع واليقين، فهي بالتالي أفضل من السيِّدة العذراء مريم بنت عمران عليها السلام وآسية بنت مزاحم رضي الله عنها بالأولوية القطعية...

وهكذا فإنّ تخصيص مفهوم «أهل البيت» بأئمة الهدى عليهم السلام فقط دون الصدّيقتين الطاهرتين «أُمّ كلثوم الكبرى والصغرى» من أولاد سيّدة النساء

= وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يسميها: «الصدّيقة» وكان الإمام الصادق عليه السلام يقول فيها: «كانت صدّيقة لم يُدرك في آل الحسن مثلها». وكذلك الحال في أم الإمام موسى الكاظم عليه السلام مولاتنا حميدة عليها السلام حيث جاء في موثقة المعلّى بن خنيس قال: «إنَّ أبا عبد الله عليه السلام قال: «حميدة مصفاة من الأدناس كسبيكة الذهب، ما زالت الإملاك تحرسها حتى أُديت إليَّ كرامةً من الله لي والحجة من بعدي». فالسيّدة فاطمة بنت فاطمة بنت الإمام الحسن عليه السلام صدّيقة، ما يعني أنها معصومة، ومولاتنا حميدة مصفاة من الأدناس وقد كانت هدية من الله للإمام الصادق عليه السلام وكرامة من الله له ولإبنه الإمام الكاظم عليه السلام.. ما يعني أنها معصومة... والعصمة دلالة السيادة على نساء زمانها وبالتالي تكونان أفضل من آسية غير المعصومة نصاً وإجماعاً... وبناءً عليه لا يصح الإستدلال بخبر عكرمة على السيادة المطلقة، بل غاية ما يدل عليه هو السيادة لكل واحدة منهن على أهل زمانها.

(صلوات الله عليها) وأولاد الإمامين الحسنين عليهما السلام، يحتاج إلى دليل أو قرينة قطعية من الأخبار تصرف مولاتنا الحوراء زينب الكبرى واختها أُمّ كلثوم (صلوات الله عليهما) عن مفهوم أهل بيت العصمة والطهارة (صلوات الله عليهم)، وأظنُّ أنَّ صاحبَ الدعوى الشيخ ياسر حبيب يعتقد بأن الحوراء زينب الكبرى وأُختها (سلام الله عليهما) من أهل البيت عليهم السلام . . ! كيف لا؟ وقد جاء في زيارة مولانا الوليّ الكبير عليّ الأكبر (صلوات الله عليه) في رجب وشعبان عن المعصوم عليه السلام : (أشهدُ لقد شكر الله سعيك وأجزل ثوابك وألحقك بالذروة العالية حيث الشرف كلُّ الشرف وفي الغرف السامية كما منَّ عليك من قبلُ **وجعلك مِن أهلِ البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. . .**»؛ فإذا كان مولانا المعظم عليّ الأكبر عليه السلام من أهل البيت عليهم السلام مع أنَّه أبعد قليلاً بالعلاقة النسبية من مولاتنا الحوراء عليها السلام بالنسبة إلى أمير المؤمنين وسيِّدة نساء العالمين الزهراء البتول عليهما السلام حيث إنَّهما عميدا البيت الهاشمي وأساس وجود الأئمة الطاهرين (سلام الله عليهم) ومنه تفرع الإمام الحسين وابنه عليّ الأكبر (سلام الله عليهما)! وإذا كان الإمام عليه السلام يشهد بأنَّ علياً الأكبر عليه السلام من أهل البيت (صلوات الله عليهم) فكيف سيكون حاله في الخطاب مع مولاتنا الحوراء زينب عليها السلام فهل تراه لا يشهد لها بما شهد لمولانا المعظَّم عليٍّ الأكبر عليه السلام . .؟!! لا أظنُّ عاقلاً يفصل بين المخاطبَين (الحوراء زينب وعليّ الأكبر عليهما السلام) وهي التي لها فضل على الإمامة وتبليغ الرسالة ورفع مقام التوحيد والولاية ومعالم الدين ومقارعة الظالمين مع ما فيها من الرقة الأنثوية والوحدة والوحشة بين أوباشٍ وذئاب كاسرة. . . ولكنها وقفت كالطود الشامخ الذي لا تهزه العواصف ولا تؤثر فيه المعاول. . . إنها روحُ سيّدة نساء العالمين وروح زعيم العالمين إمام المتقين أسد الله الغالب مولانا عليّ بن أبي طالب عليهما السلام . . !!

وإذا لم يكن تفضيل مولاتنا المعظَّمة الحوراء زينب الكبرى عليها السلام على مريم وآسية كافياً ووافياً عند عُمْي الأبصار وعُمْهِ البصائر بما أوضحناه آنفاً، لكان تقديم مولاتنا فاطمة بن أسد عليها السلام كافياً في إبطال دعوى الشيخ المعهود على

كون مريم وآسية بنت مزاحم أفضل من مولاتنا زينب الكبرى عليها السلام، وبالتالي يبطل الاستدلال بخبر عكرمة من الأساس، وإذا بطل الاستدلال بخبر عكرمة على تفضيل مريم وآسية على مولاتنا الصدِّيقة الكبرى زينب عليها السلام بسبب بطلان تمامية الدعوى، ثبتت بالتالي أفضلية مولاتنا المعظَّمة فاطمة بنت أسد ومولاتنا السيّدة الكبرى زينب عليها السلام على مريم وآسية من دون سيِّدة نساء العالمين مولاتنا فاطمة الزهراء بنت رسول الله عليها السلام باعتبار عدم وجود خبرٍ آخر يدل على أفضلية آسية ومريم على عقيلة الهاشميين (سلام الله عليها)، إذ ليس في أخبارنا ما يدل على أفضلية مريم وآسية على مولاتنا زينب عليها السلام سوى خبر عكرمة، فإذا سقط الاستدلال بخبر عكرمة لعدم نهوضه على صحة الدعوى، فلا ريب ساعتئذٍ في تقديم مولاتنا جدَّة الهاشميين فاطمة بنت أسد وزينب وأختها أُم كلثوم (سلام الله عليهنَّ) على آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران، بل لا ريب في تقديم بعض الهاشميات على مريم وآسية كمولاتنا أُم المؤمنين خديجة (صلوات الله عليها) بحسب ما أشرنا إليه فيما مضى من بحثنا هذا، كما لا ريب في تقديم بعض الصدّيقات من أمهات أئمتنا الأطهار عليهم السلام على آسية بنت مزاحم، لما لهؤلاء النسوة من الجلالة والطهارة والقداسة ممّا يعجز اللسان بيانه... فلو لم يكن إلا إنجابهنَّ لأولادهنَّ المعصومين عليهم السلام لكفى به تفضيلاً على آسية على أقل تقدير... فيسقط من الأساس الاستدلال بخبر عكرمة للقرائن التي ذكرناها، وذلك لعدم جواز الحكم بالتبعيض بين آسية ومريم (صلوات الله عليهما) من حيث كونهنَّ خيرة نساء أهل الجنة على حدّ تعبير عكرمة... فإذا لم يتمّ الاستدلال على صحة كون إحداهنَّ خيرة نساء أهل الجنَّة، فلا يصح الاستدلال برفيقتها الأُخرى الوارد ذكرها في خبر عكرمة، باعتبار أن الحكمَ على إحداهنَّ يستلزم الحكم على الأُخرى من حيثيةٍ واحدة وهي كونهنَّ خيرة نساء أهل الجنَّة كما زعم خبر عكرمة... فتأمل.

وثمة كلامٌ رشيقٌ ومتينٌ للعلامة الجليل الدربندي (أعلى الله مقامه الشريف) في كتابه (أسرار الشهادة)، قد اطلعنا عليه خلال تنقيبنا عن مناقب تلك الحرّة

الطاهرة (سلام الله عليها) فوجدناه متيناً يؤكد ما ذهبنا إليه من تفضيل الصدّيقة الكبرى العقيلة الحوراء زينب (سلام الله عليها) على مريم وآسية وغيرهما من نساء ما قبل الإسلام، لكنْ من المفيد ذكره تتميماً وتأكيداً للدليل الذي أسسناه بتفضيل أولاد الأئمة الطاهرين عليهم السلام على من عداهم:

رأي العلاَّمة الجليل الدربندي (قُدِّسَ سرُّه):

قال العلَّامة المسدَّد الشيخ الدربندي (أعلى اللهُ مقامَه الشريف) في كتابه الجليل الموسوم بـ : «إكسير العبادات في أسرار الشهادات» المجلس العاشر من المقام الثالث في بيان فضائل النسوة المسبيات عليهنَّ أفضل التحية والسلام: «كان يختلج ببالي في أغلب الأوقات من تلك الأربع سنين أنَّ مقتضى القاعدة أن تكون الأخبار في فضائل ودرجات النسوة الطاهرات المسبيات يوم الطف من قبيل الأخبار البالغة حدّ التواتر والتسامع والتضافر ولا سيّما في بيان شأن وفضائل الصدّيقة الصغرى زينب وأختها أم كلثوم وبنات أمير المؤمنين عليه السلام وبنات الإمام الحسن عليه السلام وبنات سيِّد الشهداء عليه السلام ، بل مقتضى القاعدة أنْ تكون الأخبار الواردة في أفضليتهنّ على سيّدات النّساء في الأمم السّابقة مثل مريم وهاجر وآسية في غاية الكثرة ونهاية الوفور، فما العلّة والسّبب في سكوت الحجج الطّاهرين عليهم السلام عن بيان ذلك؟ وما الوجه والسرّ في عدم وصول الأخبار إلينا بعد فرض صدورها عنهم عليهم السلام ؟.

أَوَمَا تدري أنّ ما وصل إلينا في شأن زيارة المعصومة أعني فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر عليه السلام المدفونة في قم لم يصل مثله إلينا في شأن زيارة واحدة من تلك النسوة الطّاهرات المسبيّات؟.

وأمّا ما أشرنا إليه من فضائلهنّ وشؤونهنّ ومراتبهنّ في تضاعيف جملة من مطالب هذا الكتاب، فإنّما كان من قبيل الاستنباطات الدّقيقة الرّقيقة، ومقتضى الأصول المحكمة التي عرفت طريقتنا في استخراجها، فمثل ذلك لا يدفع البحث ولا يزيل الإشكال.

والحاصل: إنّ لبَّ السؤال ومحصَّل الإشكال، أنّه لم يصل إلينا في بيان

شأنهنّ وفضلهنّ ما وصل في شأن العبّاس وعليّ الأكبر، ولا مثل ما وصل في شأن بني هاشم المستشهدين بين يدي الإمام عليه السلام، حيث ورد في شأنهم «ليس على وجه الأرض شبيهون لهم»، فهذا الإشكال كان ممّا يضيق به صدري، ولم أجد لإزالته جوابا إلى هذه الأيام.

فما ألهمني الله تعالى ووفقني لفهمه هذه الأيام، هو أنّ هذه القضيّة من قبيل القضايا التي من شأنها أنّها خفيت علينا حقيقة حالها لشدّة نورها، وكثرة وضوحها، وإفراط ظهورها، فإنّ الشيء قد يختفي حاله من هذه الجهة كما يختفي حاله من ضدّها.

فكيف لا؟ فإنّ ما ورد في شأن تلك النسوة الطاهرات الطيّبات والبنات الهاشميّات، ولا سيَّما الصدّيقة الصغرى وأختها أم كلثوم عليهما السلام، وما وصل إلينا في فضائلهنّ ومقاماتهنّ ودرجاتهنّ في ألسنة الملائكة والحجج الطاهرين من آل طه ويس، وألسنة جميع الأنبياء والمرسلين والأوصياء والصدّيقين والشهداء الصّالحين، لم يرد في شأن أحدٍ بعد حجج الله المعصومين عليهم السلام.

أوليست تلك النساء الطّاهرات وتلك البنات الهاشميّات حرم الرّسول وحرم أمير المؤمنين عليه السلام وحرم الحسن والحسين عليه السلام وبضعات كبد الزّهراء البتول عليها السلام؟! فهنّ ودائع الرسول في ألسنة الصديق والعدو، وهنّ اللاتي قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في شأنهنّ أخذاً من أمين الوحي جبرائيل عليه السلام أخذاً من الله سبحانه وتعالى: «أنّ من حامى لهنّ وذبّ عنهنّ يوم الطّف يكون في جنات عدن مع النبيّين والمرسلين».

وهنّ اللاتي كان الإمام عليه السلام يستغيث يوم الطّف لأجلهنّ قائلاً: «أما من ذاب يذب عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟».

وهنّ اللاتي شجّع الإمام عليه السلام أصحابه وعترته الهاشمية في المحاماة لهنّ والذب عنهنّ.

وهنّ اللاتي لم يرد العبّاس عليه السلام التقوّي على الأعداء بشرب الماء، وهو قد اغترف من ماء الفرات لمّا ذكر عطشهنّ.

وهنّ اللاتي أراق الإمام عليه السلام الماء من يده وهو على الفرات لأجل المحاماة لهنّ لمّا قال واحد من الأعداء: «يا حسين إنّ العسكر هجموا على خيام النساء، وهنّ اللاتي لم تنقطع توجهات الإمام عليه السلام في المحاماة لهنّ والذب عنهنّ إلى وقت الشهادة. . . وهنّ اللاتي تكون مصائبهنّ شطراً من شطري مصائب آل الرسول.

وهنّ اللاتي أورثت مصائبهنّ الأشجان والأحزان على معشر أهل الملأ الأعلى، من أحزاب الملائكة وأرواح الأنبياء والمرسلين، والأوصياء والصدّيقين، والشهداء والصّالحين، والحور والغلمان في قصور الجنان، وبكى عليهنّ كلُّ شيء ممّا يرى وممّا لا يرى.

وهنّ اللاتي صبّت على سيّد الشهداء لأجلهنّ مصائب لو أنّها صبّت على الأيام صرن لياليا، وقد أحرقت قلبه الشّريف، وأكثر البكاء لأجلهنّ.

وهنّ اللاتي كان يزيد ميزان الأحزان والأشجان المصبوبة على قلب الإمام عليه السلام لأجلهنّ، على ميزان الفرح والبشاشة والسرور لأجل الشهادة، وهكذا الكلام في المستشهدين بين يدي الإمام عليه السلام ، وهكذا الكلام في سادات المستشهدين – أي: فتيان بني هاشم – وهكذا الكلام في ساداتهم، أعني العبّاس وعليّ الأكبر والقاسم، فهذا غاية الكلام ونهاية المرام.

فالنّساء الطّاهرات والبنات الطيّبات اللاتي تكون حالتهنّ وأوصافهنّ كذلك، تكون وصائفهنّ اللاتي كنّ معهنّ ممّن لا يشك في أفضليتهنّ على سيّدات النّساء في الأمم السابقة، كمريم، وآسية، وهاجر، ونحوهنّ.

فهل تريد بعد ذلك أن يرد في شؤونهنّ وفضلهنّ ما يفيد الظن، كأخبار الآحاد أو القطع كالمتواترات؟ أيكون بعد «عبّادان» قرية؟ أليس كل الصّيد في جنب الفراء؟ أليس ما ذكرنا من القطعيّات التي ظهر نورها وسطوعها واتضح منارها؟ أتعدّ مثل ذلك من قبيل الاستنباطات الدّقيقة الرّقيقة؟ كلا ثمّ كلا.

نعم؛ إنّ ذلك من قبيل التوجّهات والالتفاتات الدّقيقة الرّقيقة اللّطيفة النّورانيّة الملكوتيّة، على أنّ مفاد الاستنباطات الدّقيقة الرّقيقة غير منحصر في الظّن، فكم من استنباطات دقيقة تفيد القطع واليقين]؛ انتهى كلامه رفع الله في الجنان مقامه.

والخلاصة: إن الدليل الدال على أفضلية مولاتنا فاطمة بنت أسد عليها السلام على غيرها ممن تقدّمها إنما هو من خلال المنطوق في الأخبار وليس من خلال المفهوم الحملي حسب دعوى الشيخ الكويتي، وهذا المنطوق يستلزم بالدلالة الالتزامية تفضيل مولاتنا الصدّيقة الكبرى (سلام الله عليها) على النسوة الثلاث المذكورات في خبر عكرمة، وهو كافٍ في إبطال دعواه الفاسدة.

(الوجه الثاني): إنّ تقديم المنطوق على المفهوم إنّما يُعتبر صحيحاً في حال كان المنطوق في خبر عكرمة حجّةً شرعيةً وخالياً من الإشكالات في الدلالة والسند، وأمّا لو كان جامعاً للإشكالات والمحاذير التي تمنع من الأخذ به، فلا يصحّ - والحال هذه - أنْ يكونَ المنطوقُ مرجَّحاً على المفهومِ المعارضِ له.

بالإضافة إلى ذلك: إنّ تقديم وليَّة الله مولاتنا السيِّدة الطاهرة الصدّيقة فاطمة بنت أسد عليها السلام ومولاتنا وليَّة الله الصدّيقة الكبرى الحوراء زينب عليها السلام لم يكن من جهة المفهوم الحملي - بحسب زعم المدَّعي - بل كان من جهة المنطوق المدلول عليه بالأخبار، وهو أصحّ سنداً ودلالةً من المنطوق الذي اعتمده صاحب الدعوى، بل لا يُقاس خبرُ عكرمة بمنطوق تلكم الأخبار الدالة على أفضلية مولاتنا المعظمة فاطمة بنت أسد ومولاتنا المعظمة الحوراء زينب عليها السلام على من تقدمهنَّ من النساء، والمقتضي أو السبب في عدم المقايسة إنَّما هو عدم جواز ترجيح خبر عكرمة على أخبار تفضيل مولاتنا فاطمة بنت أسد وحفيدتها مولاتنا زينب عليها السلام؛ باعتبار أن خبر عكرمة عاميٌّ - وفيه ما فيه من الإشكالات التي أشرنا إليها - فلا يجوز شرعاً تقديمه على أخبار أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام الآمرة بعرض الأخبار المتعارضة المنسوبة إليهم على كتاب الله وسنَّة نبيه وآله الطاهرين عليهم السلام وعَرضها أيضاً على أخبار العامة، فما وافق أخبار العامة فيجب تركه ويؤخذ بما خالفهم، وحيث إنَّ خبرَ عكرمة هو من أخبار العامة

ومخالف لأخبار أئمتنا الطاهرين عليهم السلام الكاشفة عن أفضلية مولاتنا فاطمة وحفيدتها الحوراء زينب (صلوات الله عليهما)، فلا يجوز التمسك به لإثبات أفضلية مريم وآسية بنت مزاحم على غيرهما من النساء حتى على فاطمة بنت أسد والعلويات الصدّيقات الطاهرات.

وبعبارة أخرى: إنّ عبارة «المنطوق النصيّ مقدَّمٌ على المفهوم الحملي» التي أطلقها صاحب الدعوى. . . لا تفيدُ أدلةَ العصمة التي اعتقد بها صاحب الدعوى بحقّ مولاتنا زينب عليها السلام ؛ لأنها أدلة منطوقية وليست محمولية حتى يجوز له القول بأنّ «المنطوق النصيّ مقدَّمٌ على المفهوم الحملي».

إن القاعدة المتقدِّمة «المنطوق النصيّ مقدَّم على المفهوم الحملي» صحيحةٌ بحسب الأُصول الرجالية والفقهية والمنطقية، لكنَّ المدَّعي استخدم أُسلوب المغالطة فيها وقلبها رأساً على عقب، فجعل خبرَ عكرمة لوحده منطوقاً من دون النظر إلى غيره من الأخبار المنطوقة، نافياً - قصوراً أو تقصيراً - كون الأخبارَ الأُخرى - التي أقرَّ المدَّعي بكاشفيتها عن عصمة الحوراء زينب (سلام الله عليها) - منطوقاً معارضاً لخبر عكرمة، بل جعل تلكم الأخبار محمولاً منطقياً جهلاً منه أو تجاهلاً لتلك الأخبار المنطوقة. . . !.

ولو كانت أدلةُ العصمةِ القائمة بحقّ مولاتنا زينب عليها السلام وكذا الأخبار المنطوقية بحق مولاتنا فاطمة بنت أسد عليها السلام مفاهيمَ حملية - بحسب الفرض المدَّعى - لأمكن مجاراته بها ظاهراً على ما ادّعاه، ولكنّ تلك الأدلة على العصمة والتفضيل ليست إلّا أدلّةً منطوقية لا يجري فيها ما أفاده المدَّعي من عدم جواز تقديم المفهوم الحملي على المنطوق اللفظي، وهي قاعدة منطقية صحيحة يستعملها الفلاسفة في محاوراتهم وهي مستنبطة من القاعدة الرجاليَّة الأُصولية القائلة «بوجوب تقديم الرواية على الدراية» لأن الدراية فرع الرواية، ولا نرفع اليد بالرواية عن الدراية، لأن الدراية شرطٌ في قبول الرواية؛ وهذه القاعدة الأُصولية هي من قواعد التعادل والتراجيح التي عمل بها أعلام الإمامية منذ عصر الشيخ المفيد (رحمه الله) ويراد من الدراية الواردة في القاعدة التأويل بالأقيسة

والاستحسانات والظنون الشخصية، ولا يراد منها الدلالات الالتزامية المقترنة بألفاظ الرواية، إذ إن لكلّ منطوق لازم له لا ينفك عنه أبداً، فاللازم تابع للمنطوق الملزوم في الرواية، فهذا اللازم لا يجوز طرحه لعدم انفكاكه عن المنطوق، وهو المقصود بالقاعدة المذكورة الدالة على وجوب تقديم الرواية على الدراية المبنيَّة على التأويلات والاجتهادات الغريبة عن النصّ - أي الرواية - باعتبارها اجتهادات مخالفة لمنطوق الرواية التي يجب تقديمها على التأويلات الشخصية؛ والقاعدة المتقدمة الذكر صحيحة عند الإمامية إلَّا أنّ صاحب الدعوى أراد أن يرينا براعته في علم المنطق الذي هو قسم من الفلسفة التي يكرهها شخصياً ويحاربها بشراسة وعنف، فوجدها وسيلةً مقنعة ليصطاد بها البسطاء من المغرمين به، فاستعاض بها عن تلك القاعدة التي يعمل بها أعلام الإمامية ضمن شروط خاصة، ولكنه أعرض عنها واستبدلها بمادة منطقية لا يمكن القدح بها عند العوام بسبب ضعف مداركهم العقليَّة والنقليَّة... فخلط في تطبيقها على مورد تفضيل آسية بنت مزاحم ومريم عليهما السلام على مولاتنا الحوراء زينب عليها السلام ومولاتنا فاطمة بنت أسد عليها السلام اللتين تُعتبران من أبرز مصاديق أهل بيت النبوة والرسالة والسلالة الهاشمية الاسماعيلية الطاهرة المتقدّمة على السلالة الإسحاقية التي أنبتت مريم بنت عمران عليها السلام... وفاطمة بنت أسد وحفيداتها الطاهرات كالحوراء زينب وأُمّ كلثوم (عليهنَّ السَّلام) من تلك السلالة الاسماعيلية المقدَّسة.. والتقديم الإلهي المذكور لتلك الذوات الهاشميَّة لم يكن اعتباطياً (والعياذ بالله تعالى) بل لأجل مقتضيات ذاتية في تلك السلالة الاسماعيلية المطَّهرة.

لقد وقع الشيخ الكويتي في اشتباه تطبيق القاعدة على موردها من حيث عدم التأمل جيداً في النصوص الدالة على تفضيل أهل بيت النبوة والرسالة على آسية بنت مزاحم ومريم عليهما السلام... أو من حيث جهله بتلكم النصوص الواضحة في تفضيل من ذكرنا على السيِّدة مريم وآسية بنت مزاحم... أو من حيث تجاهله لتلك النصوص لغايةٍ في نفسه؛ والظاهر لنا من خلال تتبعنا لمنهجه الحشوي الانتقائي أنه يروم التشكيك في معالم التشيع لإضعاف الشيعة في ولائهم لأهل

البيت عليهم السلام والبراءة من أعدائهم تقرباً إلى المخالفين، ولا يغرنكم تظاهرة بالعداوة لعائشة. . ! فإنها طنطنة لا تنطلي إلا على العوام المغرورين الذين لا يسيرون على هدىً من ربهم بل هم همج يميلون مع كلّ ريحٍ وينعقون مع كلّ ناعقٍ.

فلو تدبّر في أدلة عصمة الحوراء زينب عليها السلام – مع أنه يعتقد بعصمتها – ولو تدبّر أيضاً في الأخبار الدالة على علوّ فضلها وشأنها وأنّها كريمة أمير المؤمنين وسيِّدة النساء بعد أُمّها بل هي آية من آيات أُمّها الطاهرة الزكيَّة، وأنّ الله تعالى تدَّخل في خصوصياتها كتسميتها عليها السلام حيث سماها زينب، في حين أن مريم عليها السلام كانت تسميتها بهذا الاسم من صنع أُمّها ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[1] وما ذلك التدَّخل في تسميته تعالى لها إلا لعلو قدرها عنده سبحانه ووجاهتها لديه. . . كما أنها أيضاً الصدِّيقة التالية لأُمّها الصدّيقة الكبرى الطاهرة فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) مباشرة، وأنها عالمة غير معلَّمة بشكلٍ مطلَق، وأنها من أهل بيتٍ لا يُقاس بهم أحدٌ على الإطلاق، وأنها المسلّمة والصابرة والمجاهدة والعارفة وغير ذلك من صفات الكمال والجمال التي اتصفت بها هذه الحرّة الكريمة بحيث لا يلحقها لاحق ولا يسبقها سابق إلا أُمّها سيّدة نساء العالمين. . لعَرَفَ أنّها مقدَّمة على عامة النساء مطلقاً عدا أُمّها (صلوات الله عليهما).

والخلاصة: دعوى تقديم المنطوق النصيّ على المفهوم الحملي دونها خرط القتاد؛ وذلك لسقوط المنطوق النصيّ الذي اعتمده صاحب الدعوى وهو نصٌّ أشعريٌّ رواه العامة بإسنادهم إلى عكرمة عن ابن عباس، ولا خير في كثير من نجواهم بسبب تركهم الدخول من الباب الذي أمر الله تعالى بالدخول منه ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

(1) سورة آل عمران، الآية: 36.
(2) سورة البقرة، الآية: 189.

(الوجه الثالث): إنَّ تقديم المنطوق النصيّ على المفهوم الحملي إنَّما يكون في موردٍ يكون فيه المفهوم ضيّقاً غير قابلٍ لتوسعة المنطوق، أو في حال كان المنطوق تام الشروط في مقابل المفهوم الحملي، وعمدة الاستنباط يقوم على المفاهيم الحمليَّة المقتنصة من المنطوق المتصل أو المنفصل، وتفضيل سيدتنا المعظَّمة الحوراء زينب عليها السلام على مريم العذراء عليها السلام هي من القضايا التي دلت عليها الأخبار المنطوقية والحمليَّة في آنٍ معاً؛ وكلاهما حجّة تعبديَّة لا يجوز طرح أحدهما؛ لأنه من باب طرح الحجَّة الثابتة بالدليل والبرهان وقد دلت عليه الآيات والأخبار التي يتساوى فيها المنطوق والمفهوم في الكثير من الاستنباطات، ولو فرضنا جدلاً عدم وجود إمكانية لتقديم المفهوم المنفصل على المنطوق، فيبقى للمنطوق المساحة الواسعة التي تؤهله لأنْ تكون الأرجحية له على المفهوم، وهذا خاصٌّ في القضايا الفقهيَّة، ولا مجال للتقديم المذكور في المجال العقائدي الذي يعتمد على القطع واليقين وبعضِ المفاهيم المقرونة بالشواهد والقرائن... وحيث إنَّ صاحبَ الشبهة يعتقد بعصمة العقيلة زينب عليها السلام فلا يجوز - والحال هذه - أن يقدِّمَ الظنَّ على اليقين المطلوب في المجال العقائدي، فكيف تكون الحوراء زينب (سلام الله عليها) معصومةً كما اعترف هو بذلك، وفي الوقت نفسه تكون آسية بنت مزاحم الواردة في خبر عكرمة أفضل من مولاتنا زينب عليها السلام، مع أن التفضيل يترشح من علو الدرجات..؟ وهل ثمة درجة أعلى وأعظم من العصمة...؟! وأنَّى لغير المعصوم أن يبلغَ درجة ومقام المعصوم عليه السلام مهما اشتد يقينه وبلغ الذروة عمله... ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1] ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[2].

---

(1) سورة الزمر، الآية: 9.

(2) سورة يونس، الآية: 35.

والظاهر من صاحب الدعوى أنَّه لا يعتمد على الدليل العقلي - فضلاً عن تجاهله للدليل النقلي في التفضيل الزينبي على الآسيوي والمريمي - في بيان المطالب العقائدية، وهو دليل اعتمده عامة متكلمي الشيعة الإمامية في مقام تفضيل المعصوم عليه السلام على غيره من عامة المكلفين على الإطلاق، كما أنّهم يعتمدون عليه في مقام بيان التفاوت بين نفس المعصومين عليهم السلام بضميمة الآيات والأخبار الدالة على أفضلية معصومٍ على معصوم آخر، فالدليل العقلي على التفضيل لم يكن دالاً لوحده على أفضلية الحوراء الزينبية على العذراء المريمية عليها السلام ، بل كان منضماً - كما أشرنا - إلى الدليل النقلي، ومسألتنا حول تفضيل الحوراء العقيلة (سلام الله عليها) من هذا القبيل، وهو موضع وفاق بين متكلمي الإمامية من دون منازع إلّا من الفرقة الحشويَّة القشرية التي تتعبد بالظنون الأخبارية كيفما كانت ومن أيٍّ مصدرٍ جاءت من دون الاعتماد في المجال العقائدي على المنهج العلمي العقلي المترشح من النصّ الشرعي في أغلب الأحيان، وهو منهجٌ يعتمد على الشواهد والقرائن واستقصائها في مضامين الروايات ثم صرف الجهد في تحليل ودراسة القرائن العقلية للنصوص الشرعية الصحيحة لا النصوص الهزيلة المتناثرة في بعض كتبنا مع كونها من مصدرٍ أشعريّ أو معتزليّ لا يعتمده المحصِّلون من أعلام الإمامية، فالظاهر لنا بالقطع واليقين من خلال اطلاعنا على أفكار المبتدع صاحب الشبهة أنَّه ينحى المنحى الحشوي القشري الذي يتزعمه ابن الوليد أستاذ الشيخ الصدوق الذي رفض الاعتقاد بتنزيه المعصوم عن السهو والنسيان واعتبر القائلين أو المعتقدين بعصمته عن السهو قد صعدوا أول درجة من الغلو بالمعصوم عليه السلام ، وقد سار على نهجه تلميذه الشيخ الصدوق كما هو معلوم في باب السهو من كتابه المعروف بـ: «من لا يحضره الفقيه».

إنّ المدرسةَ الحشويةِ القشرية تنبذ الاعتماد على الأدلة العقلية في باب العقائد الشيعية، ولهم نظير في بقية المذاهب السنيّة الأربعة حيث اقتصروا على النصوص الدينية في مجال الأُصول الاعتقادية لا سيَّما في مسألتي رؤية الله تعالى

بالبصر وعصمة الأنبياء بالتفصيل المذكور في كتب الإلهيات، من دون أن يحكّموا أدلة العقل القاضي باستحالة الرؤية البصرية لله تعالى واستحالة صدور المعصية من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وغيرها من المسائل الاعتقادية التي يتوسط العقل بصوابيتها منضماً إلى النصوص الدينية المؤيدة للدليل العقلي القاطع المعتمد على القرائن والشواهد العقلية والنقلية معاً في أغلب الأحيان والتي يجب على الباحث أنْ يلمَّ بها ويجعلها ملاكاً ومناطاً لاستنباط الأحكام الإلهية المتعلقة بالأنبياء والأولياء المطهرين عليهم السلام كمبدأ العصمة وتقديمه على أيّ صفة مهما علّت تلك الصفة بأصحابها؛ لأن مبدأ العصمة هو المحور في تفضيل إنسان على آخر.

إنَّ الحملة التي يشنها صاحبُ الدعوى على الدلالة الحمليَّة التصورية المستنبطة من القرائن والشواهد القطعية، لا تختلف بطبيعتها وجوهرها عن المسلك الحشوي القشري المنكر للدلالات التصورية المعتَمِدة على القرائن القطعية، فما ظهر من المدَّعي من نبذه للمفهوم الحملي في مقابل المنطوق النصيِّ، ينمُّ عن جهله أو عدم قدرته على استيعاب القرائن المنفصلة العقلية والنقلية الأُخرى التي أشرنا إلى قسمٍ منها، وسنشير إلى مثيلاتها الأُخرى في مطاوي البحث.

إنَّ الإستعلاء والتغاضي عن الاستزادة من المفاهيم الحَمْليَّة تحت ذريعة أنَّ المنطوق مقدَّمٌ على المفهوم الحملي هي في الواقع دعوى هزيلة وواهية وتعصُّب أعمى ضد المفاهيم العقليَّة والمنطقيَّة والحكميَّة الشرعيَّة ولا تمت إلى البحث العلمي بصلةٍ على الإطلاق، وهي مجافية للحقيقة والواقع، وذلك لأنَّ المفهوم الحملي مستنبط من مقدماتٍ نقليَّة روائية، فيغدو الأخذُ بالمفهوم الحملي من معاني تلك الروايات التي استُنبَط منها هذا المفهوم، إنْ لم يكن المفهوم الحملي من أبرز مصاديق تلك الروايات المقطوعة الصدور.

إضافة إلى ذلك: إنَّ استعراض صاحب الشبهة وتبنيه لأقوالٍ وتصوراتٍ تاريخيةٍ لمؤرخين أشاعرة وشيعة في مقام الاستدلال على إثبات قضايا فقهية

وعقائدية وتاريخية عُرِضَت عليه فأجاب بردود حمليَّةٍ معلومةٍ في منهجه القشري الحشوي في مقابل الدلالات التصديقية الواضحة في الفقه والعقيدة الجعفريين، وتقديمه تصوراتِهِ الحمليَّة على الدلالات التصديقية حتى صارت مفاهيمه الحملية ضرورات يقينية، لا يعدو كونه استدلالاً علميَّاً بمقدار ما هو تقليدٌ للآخرين وضعفٌ في الاستدلال العلمي لإثبات القضايا العقائدية والفقهيَّة. . . فالأحرى به أنْ تختمر عنده التصورات الحمليَّة المترشحة من دلالات تصديقيَّة كمورد بحثنا حول تفضيل مولاتنا المعظمة العقيلة زينب عليها السلام على السيِّدة مريم عليها السلام فضلاً عن آسية بنت مزاحم الواردة في خبر عكرمة الذي جعله صاحب الشبهة دلالة تصديقية في مقابل الأخبار اليقينية الدالة على تفضيل مولاتنا فاطمة بنت أسد والصدّيقة الكبرى بعد أُمّها سيِّدةِ نساءِ العالمين مولاتنا المعظَّمة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها). . . أليست هذه مفارقة عظيمة تكشف عن واقعه الحشوي القشري. . !!؟.

(الوجه الرابع): لو سلَّمْنا جدلاً بصحة خبر عكرمة، وسلَّمنا جدلاً أيضاً بخروج مولاتنا زينب الكبرى عليها السلام عن مورد تعارض الأخبار الدالة على أفضلية سيدتنا فاطمة بنت أسد (سلام الله عليها) على الجليلتين مريم وآسية عليهما السلام لوجود النصّ، باعتبار أَنَّ أخبار تفضيل فاطمة بنت أسد عليها السلام هي خاصةٌ بها من دون الصدّيقة الكبرى مولاتنا زينب عليها السلام ، إلَّا أنّ مقتضى التعارض بين الأخبار الدالة على أفضلية مولاتنا فاطمة بنت أسد على مريم وآسية على وجه الخصوص، كافٍ في إسقاط خبر عكرمة الذي تمسك به صاحب الدعوى، لا سيّما أنّ الأخبار في أفضلية سيدتنا الشريفة فاطمة بنت أسد (سلام الله عليها) فاقت حدَّ الاستفاضة، فلا يجوز تقديم الخبر الواحد كخبر عكرمة على تلكم الأخبار المستفيضة المعاكسة لخبر عكرمة.

وقد ذكرنا سابقاً خبرين من تلك الأخبار ولم نتعرض لخبر ابن شاذان وينبغي استعراضه هنا تتميماً للغرض فنقول:

بالإضافة إلى الخبرين اللذَين ذكرناهما سابقاً للإشارة إلى أفضلية مولاتنا

فاطمة بنت أسد عليها السلام على مريم وآسية، ثمة خبر ثالث رواه صاحب البحار عن أمالي الطوسي بطريقين: أحدهما عامي والآخر إمامي رواه إبن شاذان، وهو يشير بوضوح إلى تصريح مولاتنا فاطمة بنت أسد عليها السلام بتفضيل الله تعالى لها على كل مَن تقدّمها من النساء الوارد ذكرهنَّ في خبر عكرمة وتستثنى مولاتنا خديجة عن التفضيل الفاطمي لخروجها حكماً وموضوعاً عن مفهوم «مَنْ تقدمني مِن النساء» الوارد في خبر يزيد بن قعنب؛ وذلك لأن مولاتنا فاطمة بنت أسد عليها السلام أكبر سناً من مولاتنا خديجة الكبرى عليها السلام فلا يصدق على خديجة مفهوم التقدم بالسنّ على السيّدة فاطمة عليها السلام حتى ينطبق على السيِّدة خديجة عليها السلام مفهوم التقدم الزمني على السيّدة فاطمة بنت أسد، وتستثنى أيضاً مولاتنا المطهرة السيِّدة الزهراء عليها السلام عن العموم بدلالة الأخبار الكثيرة الدالة على أنها سيِّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهذا الخبر دلالة قطعية على تفضيلها على عامة النساء اللاتي تقدَّمنها، فيبطل الاستدلال بخبر عكرمة من الأساس. . .

وها نحن نستعرض لكم خبر ابن شاذان الدال بصراحةٍ تامة على علوّ فضل مولاتنا فاطمة بنت أسد عليها السلام لا سيّما الشاهد في استدلالنا وهو قولها عليها السلام: «قالت: معاشر الناس! إنّ الله عز وجل اختارني من خَلْقِهِ وفضلَّني على المختارات ممن كنّ قَبْلي وقد اختار آسية بنت مزاحم وإنّها عبدت الله سرّاً في موضعٍ لا يحب أنْ يُعبَدَ اللهُ سرّاً فيها [فيه] إلَّا اضطراراً وإنّ مريم بنت عمران اختارها الله حيث يسَّرَ عليها ولادة عيسى فهزت الجذع اليابس من النخلة في فلاة من الأرض حتى تساقط عليها رطباً جنياً، وإنّ الله تعالى اختارني وفضّلني عليهما وعلى كلّ مَن مضى قبلي من نساء العالمين. . .»[1]، والخبر الشريف هو التالي:

روى الشيخ الطوسي (رحمه الله) في أماليه بإسناده عن محمد بن أحمد بن الحسن بن شاذان، عن أحمد بن محمد بن أيوب، عن عمرو بن الحسن القاضي، عن عبد الله بن محمد، عن أبي حبيبة، عن سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن

(1) بحار الأنوار: ج35 ص35 ح37 وص9 ج11.

عائشة، قال ابن شاذان: وحدثني سهل بن أحمد، عن أحمد بن عمر الربيعي [الربيقي] عن زكريا بن يحيى، عن أبي داود، عن شعبة، عن قتادة، عن أنس، عن العباس بن عبد المطلب، قال ابن شاذان: وحدثني إبراهيم بن علي بإسناده عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام ، عن آبائه عليهم السلام قال: كان العباس بن عبد المطلب ويزيد بن قعنب جالسين ما بين فريق بني هاشم إلى فريق عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام إذ أتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم أمير المؤمنين عليه السلام وكانت حاملة بأمير المؤمنين لتسعة أشهر وكان يوم التمام، قال: فوقفت بإزاء البيت الحرام وقد أخذها الطلق فرمت بطرفها نحو السماء وقالت: أي رب إني مؤمنة بك وبما جاء به من عندك الرسول، وبكل نبي من أنبيائك وبكل كتاب أنزلته، وإني مصدِّقة بكلام جدي إبراهيم الخليل، وإنه بنى بيتك العتيق، فأسالك بحق هذا البيت ومن بناه، وبهذا المولود الذي في أحشائي الذي يكلمني ويؤنسني بحديثه، وأنا موقنة أنه إحدى آياتك ودلائلك، لما يسَّرت عليَّ ولادتي، قال العباس بن عبد المطلب ويزيد بن قعنب: فلما تكلمت فاطمة بنت أسد ودعت بهذا الدعاء، رأينا البيت قد انفتح من ظهره، ودخلت فاطمة فيه، وغابت عن أبصارنا، ثم عادت الفتحة والتزقت بإذن الله، فرمنا أن نفتح الباب لتصل إليها بعض نسائنا فلم ينفتح الباب، فعلمنا أن ذلك أمرٌ من أمر الله تعالى، وبقيت فاطمة في البيت ثلاثة أيام، قال: وأهل مكة يتحدثون بذلك في أفواه السكك، وتتحدث المخدرات في خدورهن، قال: فلما كان بعد ثلاثة أيام انفتح البيت من الموضع الذي كانت دخلت فيه، فخرجت فاطمة وعليٌّ عليه السلام على يديها، ثم قالت: معاشر الناس إن الله عز وجل اختارني من خلقه **وفضَّلني على المختارات ممن كنَّ قبلي**، وقد اختار اللهُ آسية بنت مزاحم، وإنها عبدت الله سراً في موضع لا يجب[في نسخة: لا يحب] أن يعبد الله فيها[1] إلا اضطراراً، وأن مريم بنت عمران اختارها الله حيث يسَّر عليها ولادة عيسى، فهزت الجذع اليابس من النخلة

(1) في البحار ج35 ص9 هكذا: «لا يجب أن يعبد الله فيه» وهو الصحيح.

في فلاة من الأرض حتى تساقط عليها رطباً جنياً، **وأن الله تعالى اختارني وفضَّلني عليهما وعلى كلٍّ من مضى قبلي من نساء العالمين**، لأني ولدت في بيته العتيق، وبقيت فيه ثلاثة أيام، آكل من ثمار الجنَّة وأوراقها، فلما أردت أن أخرج وولدي على يدي هتف بي هاتف وقال: يا فاطمة سميه عليَّاً فأنا العليُّ الأعلى، وإني خلقته من قدرتي، وعزّ جلالي وقسط عدلي، واشتققت اسمه من اسمي، وأدبته بأدبي وفوضت إليه أمري، ووقفته على غامض علمي، وولد في بيتي وهو أول من يؤذن فوق بيتي، ويكسر الأصنام ويرميها على وجهها، ويعظمني ويمجدني ويهللني، وهو الامام بعد حبيبي ونبيي وخيرتي من خلقي محمد رسولي، ووصيه، فطوبى لمن أحبه ونصره، والويل لمن عصاه وخذله وجحد حقه.

قال: فلما رآه أبو طالب سُرَّ وقال عليٌّ عليه السلام: السلام عليك يا أبه ورحمة الله وبركاته، ثم قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما دخل اهتز له أمير المؤمنين عليه السلام وضحك في وجهه وقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، قال: ثم تنحنح بإذن الله تعالى وقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢)﴾[1] إلى آخر الآيات فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أفلحوا بك، وقرأ تمام الآيات إلى قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)﴾[2] فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنت والله أميرهم [أمير المؤمنين] تميرهم من علومك فيمتارون، وأنت والله دليلهم وبك يهتدون. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة: اذهبي إلى عمه حمزة فبشريه به، فقالت: وإذا خرجت أنا فمن يروِّيه؟ قال: أنا أرويه، فقالت فاطمة: أنت ترويه؟ قال: نعم فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسانه في فيه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، قال: فسمي ذلك اليوم يوم التروية، فلما أن رجعت فاطمة بنت أسد رأت نوراً قد ارتفع من عليٍّ عليه السلام إلى أعنان السماء، قال: ثم شدته وقمطته بقماط، فبتر

(1) سورة المؤمنون، الآيتان: 1، 2.
(2) سورة المؤمنون، الآيتان: 10، 11.

القماط، قال: فأخذت فاطمة قماطاً جيداً فشدته به، فبتر القماط، ثم جعلته في قماطين فبترهما، فجعلته ثلاثة فبترها، فجعلته أربعة أقمطة من رق مصر لصلابته، فبترها، فجعلته خمسة أقمطة ديباج لصلابته فبترها كلها، فجعلته ستة من ديباج وواحداً من الأدم، فتمطى فيها فقطعها كلها بإذن الله، ثم قال بعد ذلك: يا أمه لا تشدي يدي فإني أحتاج أن أبصبص لربي بإصبعي، قال: فقال أبو طالب عليه السلام عند ذلك: إنه سيكون له شأن ونبأ، قال: فلما كان من غد دخل رسول الله على فاطمة، فلما بصر عليٌّ عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه وضحك في وجهه، وأشار إليه أن خذني إليك، واسقني بما سقيتني بالأمس، قال: فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت فاطمة: عرفه ورب الكعبة، قال: فلكلام فاطمة سمي ذلك اليوم يوم عرفة، يعني أن أمير المؤمنين عليه السلام عرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما كان اليوم الثالث - وكان العاشر من ذي الحجة - أذن أبو طالب في الناس أذاناً جامعاً وقال: هلمّوا إلى وليمة ابني عليّ، قال: ونحر ثلاثمأة من الإبل وألف رأس من البقر والغنم، واتخذ وليمة عظيمة وقال: معاشر الناس ألا من أراد من طعام عليٍّ ولدي فهلمّوا وطوفوا بالبيت سبعاً سبعاً، وادخلوا وسلّموا على ولدي عليّ عليه السلام، فإن الله شرَّفه، ولفعل أبي طالب شرف يوم النحر. انتهى.

هذا الخبر الشريف، مشهور شهرةً عظيمة في دلالته على علو فضل سيِّدة النساء فاطمة بنت أسد وابنها أمير المؤمنين (سلام الله عليهما)، بل قد أجمع على الأخذ به عامة علماء الإمامية، وهو بمنطوقه العام الواضح الذي لا ريب فيه ولا مرية تعتريه يترجح ويتقدّم على خبر عكرمة الذي أصرّ صاحب الدعوى على التمسك به في إحدى أجوبته على المقارنة بين مولاتنا وسيدتنا المطهرة زينب عليها السلام وبين السيدة مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم.

الإشكال على خبر ابن شاذان والردّ عليه:

إنْ قيل لنا: إنّ خبر ابن شاذان وأمثاله ليس فيه ذكر لمولاتنا زينب عليها السلام وبالتالي فلا يمكن الاستدلال به على تفضيلها على مريم وآسية بنت مزاحم حسبما جاء في خبر عكرمة.

قلنا له: عدم وجود ذكر لمولاتنا الصدِّيقة الكبرى زينب عليها السلام في تلكم الأخبار الشريفة لا يلغي شرافتها وسيادتها على غيرها ممن ذكرهنّ خبر عكرمة لا سيّما أنّ صاحب الدعوى اعترف بأنّ مولاتنا العقيلة زينب عليها السلام معصومة، ولديها العلم الحضوري، وبالتالي فإن مَن كان معصوماً يتقدّم على غير المعصوم، وحيث إنّ آسية غير معصومة فلا بدّ أنْ تهتزّ دلالة خبر عكرمة على أفضلية آسية على مولاتنا العقيلة زينب عليها السلام التي ثبتت أفضليتها على آسية بأدلة العصمة التي تمسك بها صاحب الدعوى.

وبعبارة أُخرى: إنَّ الواحد من المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) أفضل بكثيرٍ من غير المعصوم مهما أُوتي - غير المعصوم - من نصيبٍ في الخير والصلاح، فلا يمكن قياسُ المعصوم عليه السلام على غير المعصوم؛ لأن العصمة تعني الأفضلية من كلّ النواحي والحيثيات والصعد النفسية والسلوكية والخارجية، فيبقى الصالحُ غير المعصوم أدنى بمراتب كثيرة من المعصوم عليه السلام ، ومن المعلوم بالحكمة الإلهية وأحكام العقل السليم بأن الأدنى لا يمكن أن يدرك مقام الأعلى ولا أن يصل إلى مقام المعصوم سوآءٌ أكانت تلك المقامات دنيوية أو برزخية أو أُخروية؛ لأن للمعصوم عليه السلام هداية ذاتية خاصة بخلاف غيره من آحاد المؤمنين الصالحين المحتاجين إلى من يملك الهداية الخاصة، قال تعالى موضحاً للنكتة الحكميَّة المتقدِّمة: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1].

والحاصل: إذا اختلّت الدلالة في خبر عكرمة فلا يجوز - والحال هذه - الاعتماد عليه في تفضيل بعض اللاتي ذُكِرْنَ فيه على غيرهنّ من النساء الفاضلات.. فيبقى حديث خبر ابن شاذان وأمثاله حجة قاطعة على مَن ألقى السمع وهو شهيد.

(الدعوى الثالثة): إنكاره صحة الحديث المشهور «علماء أُمتي كأنبياء بني

(1) سورة يونس، الآية: 35.

إسرائيل» الدال على دخول مولاتنا الصدّيقة زينب عليها السلام في مصاديق مفهوم العلماء من آل محمد عليهم السلام ، مدَّعياً بأنّ الحديثَ مرسَلٌ ولا أصل له؛ وبالتالي فلا يصلح أنْ يكون دليلاً على أفضلية مولاتنا زينب عليها السلام على مريم وآسية. . .

الإيراد على الدعوى الثالثة بوجهين:

(الوجه الأول): العجب من صاحب الدعوى كيف ينكرُ الخبرَ المشهور شهرةً عظيمةً بحجةِ ضعفِ سنده لإرساله في حين أنَّه يعتمدُ على خبرِ عكرمة الغاية في الضعف من حيث إنَّ رواة سنده كلّهم من المخالفين الذين لا يجوز للفقيه الموالي الورع التمسك به في تشييد المطالب العقائدية - كما في مورد بحثنا من تفضيلِ نساءٍ على نساءٍ - فضلاً عن المطالب الفقهية الناصعة، مع وضوح كون الإرسال حجَّةً شرعيةً وعقليةً وعرفيةً عند المحصّلين من العلماء والفقهاء فيما لو كان مدعوماً بالقرائن المتصلة والمنفصلة وإلَّا فلا يصح الاعتماد عليه بالإجماع. . . لأن حجيّة الخبر المرسل إنَّما تدور مدار القرائن المتصلة والمنفصلة بما هي بالحمل الشايع الصناعي لا الحمل الذاتي.

وبعبارةٍ أُخرى: إن الصحيح عند الأعلام المحصّلين هو العمل بالخبر المرسل الموثوق الصدور المدعوم بالقرائن والشواهد، وليس بما هو خبرٌ خالٍ من القرائن والشواهد؛ لأنَّ الضعفَ السندي يوهنُ سند الخبر بما هو سندٌ لا بما هو دلالة مدعومة بالقرائن والحجيَّة النوعية الرافعة من ضعفه والقائمة على صحة التمسك به.

لا شكَّ أن الإرسال السندي في غاية السقوط الاستدلالي على المطالب الفقهية والعقائدية مشروطاً بعدم الاعتبار الدلالي، أي في حال عدم قيام ما يثبت صحته، ولا يُقاس بالخبر الصحيح سنداً الواضح في بيان حال الرواة الثقات. . . فلا يُساوى أو يُقاسُ المرسلُ الخالي من القرائن والشواهد بالصحيح المعتبر. . . ولا يتساوى خبر الفساق والمراق من ولاية أهل البيت عليهم السلام مع خبر الثقات الأجلاء، فضلاً عن حرمة ترجيح خبر الفساق على خبر الثقات. . . نعم؛ لو كان

المرسلُ صحيحاً من حيث الدلالة لوجود قرائن منفصلة خارجية أو داخلية متصلة لوجب القول بصحته والاعتداد به في تعيين المطالب الشرعية والعقائدية.. إذ قد يكونُ المرسَلُ صحيحَ الإسناد في رواته المحذوفين من السند - كما هو في مورد بحثنا حول حجية خبر «علماء أُمتي كأنبياء بني إسرائيل» - ولكنَّ المصنِّفين حذفوا رواته لاعتبارات علمية أو عرفية وما شابه ذلك، كما حصل لروايات ابن أبي عمير وأمثاله حيث عدَّ أعلام الإمامية مراسيله بمنزلة الأسانيد الصحيحة... ولكنَّ مقامنا الذي نبحث فيه عن سيادة عقيلة الهاشميين الصدّيقة الحوراء زينب الكبرى عليها السلام - باعتبارها من العلماء المعصومين من أُمّة جدِّها النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم - ليس مخالفاً للقرائن والأدلة الشرعية المعتبرة، فلا يجوز طرحه وإهماله من الأصل في مورد تفضيل عقيلة الهاشميين الصدّيقة الكبرى زينب عليها السلام على السيِّدة مريم بنت عمران عليها السلام وآسية بنت مزاحم رضي الله عنها.

بالإضافة إلى أنَّ المرسَلَ قد يكونُ مدعوماً بشهرةٍ علمية أو عملية أو قرينة قطعيَّة تؤكدُ صحتَهُ كما في كثيرٍ من المراسيل التي اعتمدها أعلام الإمامية في ممارسة استنباطاتهم الفقهية، ولا يخفى على المتدرج في الحوزة العلمية، فضلاً عن الفقيه المتمرس، عدمُ جواز طرح العمل به كمرسلٍ لأنَّه مرسَلٌ بما هو مرسل وإلَّا لما صحّ التمسكُ بمراسيل ابن أبي عمير والصدوق وغيرهما من محدثي الإمامية لما في مراسيلهما من قرائن تثبتُ صحةَ ما أرسلوه إرسال المسلَّمات القطعية كما لا يخفى على الفقيه البصير المتقن، فيكون العمل بالقرينة القطعية هو المتعيَّن شرعاً، وهو ما عبَّر عنه أعلام الإمامية بالخبر الموثوق الصدور، وهو مسلك عمل به أعاظم فقهاء الطائفة كالطوسي والمرتضى والمفيد وغيرهم من فحول الطائفة المحقة.

تهافت المدَّعي في نتائجه: إنَّ مَنْ لا يريدُ العملَ بالخبر المرسَلِ - الذي هو أحدُ أقسامِ الخبر الضعيف - لأنه ضعيفٌ، لا يجوز له العمل بكافة مصاديق الخبر الضعيف الذي منه خبر عكرمة، فلا يجوز له التبعيض في الأخذ والعطاء فيأخذُ بما اشتهت نفسُهُ ويطرح ما لم يقدر على فهمه أو لم يمجه فهمه وإدراكه،

لا سيَّما في المطالب العقائدية كمسألةِ تفضيل غير المعصوم على المعصوم عليه السلام ، فإنَّ ذلك غيرُ جائزٍ شرعاً وعقلاً حسبما أشرنا مراراً وتكراراً . . !.

(الوجه الثاني): إنَّ الخبرَ الواردِ عن النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم : «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» هو خبرٌ اشتُهِرَ وروده في المصادر الحديثيَّة عند الشيعة الإمامية، وتبعهم المخالفون على ذلك إلَّا من بعضِ الأكابر عندهم كالزركشي والسيوطي النافيين لحجيَّةِ الحديث من الأصل. . . واشتهاره عند الشيعة يغني عن البحث في إسناده، فهو موردُ قبولٍ عند الأعلام قديماً وحديثاً مع الاختلاف بين الجميع على دلالة مفهوم العلماء هل هو خاصٌ أم عامٌ كما سوف نوضّحُ بإذن الله تعالى وتسديد وليِّه الحجَّةِ القائم (أرواحنا لتراب مقدمه الفِداء).

وبعبارةٍ أُخرى: ينبغي النظر إلى تعقلِ الخبرِ قبل البحث في إسناده، لأنَّ تعلق الفعل بالفاعل لا بدَّ أن يكونَ معقولاً قبل إسناده إلى فاعلٍ معيَّنٍ، ومن هذا القبيل صحة العمل بالخبر المرسل المعقول، ولا داعي شرعاً إلى الخوض في إسناده ما دامت الدلالة مدعومةً بالقرائن المحفوفة به داخلاً وخارجاً. . . !.

بالإضافةِ إلى ذلك: نحبُّ أنْ ننبّهَ إلى مسألةٍ جِدُّ مهمة في علم الرجال وهي:

أنَّ الإرسال وإنْ كان من وسائل التضعيف للخبرِ المرسَل عند بعض الأعلام من دون أنْ يشترطوا شروطاً قبل الإسقاط؛ إلا أن ثمةَ مسلكاً آخر عند القدماء من الرجاليين والأصوليين - وهو الأقوى عندنا - يذهب إلى البناء على إسقاطه عندما يقع التعارض ويستقر بين ما جاء في خبرٍ مسْنَدٍ ليس فيه شيء من موجبات الضعف وبين ما جاءَ به الخبرُ المرسَلِ، مع عدم إمكان الترجيح عليه بكثرة الرواية ولا ردّه بالغلو أو الاضطراب ولم تبقَ وسيلةٌ لردّه أو لترجيحِ غيرِهِ عليه إلَّا تضعيفه بالإرسال والمناقشة السندية، ومن أبرز هؤلاء الأُصوليين السيّد العلَّامة حسين البروجردي (رحمه الله تعالى)؛ وهو أحد أكابر الحركة الاجتهادية في القرن الماضي؛ فقد أخذ بعامة المراسيل التي لم تبتلِ بالاضطراب دون التعارض،

بمعنى أنَّه لم يلجأ إلى التضعيف بالإرسال حتى مع استقرار التعارض، فالسيِّد المحقق البروجردي (رحمه الله) لم يناقش بالإرسال قبل التعارض بل يعتمد المرسَل بصورة واسعة - حسبما حكاه عنه أحد السادة الأفاضل من تلامذته في كتابه (المنهج الرجالي) - إلَّا الخبر المضطرب فلم يعتمده، وهو ديدن القدماء من الأعلام، ومال إليه بعض المتأخرين، ولذلك شاع عن العلَّامة البروجردي (رحمه الله) الاعتمادُ على مرسلات العياشي والصدوق في الفقيه بلا مناقشة، كما اعتمد على روايات في سندها «بعض أصحابنا» و«عمّن ذكره» و«عن رجلٍ» وأمثال ذلك، كما اعتمد على مراسيل ابن أبي عمير التي قبلها الأصحاب وعملوا بها، وصرّح أيضاً بأن المرسل ينجبرُ بعمل الأصحاب وهو مسلك مشهور أعلام الإمامية، كما أنه صرّح بأن الإرسال لا يضرُّ مع كثرة الرواية، بالإضافة إلى اعتماد العلامة البروجردي على ما هو أوغلُ - في عدم الاتّصال - من الحديث المرسل وهو الحديث «المُسْتَكْشَفُ» من إجماع القدماء على فتوى، حيث يُستدلُّ به على وجودِ نصٍّ معتَمَدٍ لأهلِ الإجماع وإنْ لم يُذْكَر في الكتب والجوامع الحديثية ولم يدوَّن فيها، بل يُستكشَفُ الخبرُ من وجود الحكم في كتابٍ مثل «النهاية» للشيخ الطوسي وغيرِهِ من متونِ الكتبِ القديمة كالهداية والمراسم والمقنعة ونحوها باعتبار أن تلك الكتب موضوعة لجمع عبارات المتون مما وصل إلى مؤلفيها من أخبار الأئمة الطاهرين عليهم السلام مع إعراضهم عن أخبار كانت بمرآهم ومع ذلك لم يفتوا بمضمونها بل تسالموا على عدم اعتبار ما فيها... فيُعلم بذلك عدم اعتنائهم بما في ظاهرها، فمن هنا نستكشفُ من هذا التسالم - مع ظهور الأدلة على خلافه - وجودَ نصٍّ معتبرٍ واصلٍ إليهم يداً بيد من الأئمة المطهرين عليهم السلام، غاية الأمر عدم ضبطه في الجوامع التي بأيدينا بل كان كثيرٌ منها موجوداً في الجوامع الأوليَّة ولم يذكرها المشايخ الثلاثة في جوامعهم... فهذا التسالم منهم من أقوى الأمارات على وجود نصٍّ في المسألة وإنْ لم يصل إلينا كمتأخرين عنهم بقرون عدة.

ونقل أحدُ العلماء عن أستاذه العلَّامة المحقق السيِّد البروجردي (رحمه الله تعالى) في آخر المقدمة الأولى من كتابه «ترتيب أسانيد الكافي» ما نصه: «إن القرائن القطعية الكثيرة دلتنا على أن الجوامع المتأخرة لم تستوعب جميع ما كان في الجوامع التي صنّفها أهل الطبقات السابقة، بل ومن الأخبار الدالة على الأحكام، ولذلك صار كثيرٌ من الفتاوى التي ورثها الخلف عن السلف وضبطها فقهاؤنا في كتبهم المصنَّفة لضبط الفتاوى المأثورة خاليةً عن الدليل الدالّ عليها، ولذلك اضطرب كثيرٌ من علمائنا المتأخرين في تلك الفتاوى من جهة عدم وجود الخبر الدال عليها، ولذلك لا يمكننا المسارعة إلى إنكار تلك الأحكام بمجرد عدم وجدان الخبر الدال عليها».

بما قدَّمنا آنفاً؛ يتضحُ عدمُ اشتراطِ قوةِ السند في بعض الأخبار، فيصحُ العملُ بالخبر المرسل شريطةَ عدمِ اضطرابِهِ وتعارضِهِ مع أخبارٍ أُخرى. . . وقد اتضح أيضاً بأنَّ السيِّد البروجردي (رحمه الله تعالى) لم يعرض عن الخبر المرسل فحسب بل تعداه إلى العمل بالخبر المستكشف، فهو يعمل بمضمون الخبرين المرسل والمستكشف من إجماعٍ يتكئ على فتوى.

مضافاً إلى ذلك؛ فإنَّ كون الخبر المذكور «علماء أُمتي. .» مرسَلاً؛ أي: بلا سندٍ، لا يخدش في صحته والاعتداد به في إثبات المطالب العلميَّة والفقهيَّة، لا سيَّما وأنَّ القرائنَ المنفصلةِ قد دلت على صحته واعتباره، وهو المعبَّر عنه عند الأُصوليين بالخبر الموثوق الصدور، فالعبرة فيه إنَّما هي في الأخذ بالقرائن والشواهد، حتى لو كان سندُ الخبرِ ضعيفاً، وليست العبرةُ في الخبر صحة سنده مع كونه ضعيفاً في متنه ودلالته؛ فحتى لو كان الخبرُ صحيحاً من الناحية السندية إلَّا أنّ دلالتَهُ ومتْنَهُ يخالفان الكتابَ والسنّةَ، لم يجز الأخذُ به والإتكالُ عليه، والعكس هو الصحيح؛ بمعنى أنّه لو كان السند ضعيفاً إلَّا أنّ دلالته ومتنه مما دلت القرائن الخارجية والداخلية على صحته واعتباره لوجب الأخذ به والعمل بمضمونه. . ومن هذا القبيل جرت سيرة الأعلام منذ غيبة مولانا الإمام المعظَّم الحجة بن الإمام الحسن العسكري عليه السلام على العمل بالأخبار الضعيفة سنداً

ولكنها صحيحة وقوية دلالةً، أو كونها معتضدة بآيةٍ من كتاب الله أو روايةٍ من سنَّةِ النبيِّ الأعظم وآله؛ وهو مسلك مشهور الأُصوليين القدامى كالمفيد والطوسي وأضرابهما، وتبعهم على ذلك مشهورُ المتأخرين.

وبناءً على هذا؛ فقد أخذ المشهورُ بالأخبار الضعيفة سنداً وعملوا بها، ومنها الأخبار المرسلة سوآء أكانت الأخبار المرسلة معتضدة بالكتاب والسنة والقرائن الأُخرى أم لم تكن معتضدة بها، كأخبار ابن أبي عمير والصدوق، وهو ما تعارفوا على تسميته بجبر الخبر الضعيف سنداً بعمل المشهور؛ بمعنى أنّ الخبر الضعيف يصبح قوياً إذا عمل به المشهور، لأنّ عملهم توثيقٌ نوعيٌّ يعدُّ بمثابة قرينةٍ صالحةٍ لقبوله والعمل بمضمونه... وهكذا لو أعرضوا عن خبرٍ قويٍّ من الناحية السنديَّة فإنّه يصبح ضعيفاً من ناحية الدلالة بسبب إعراضهم عنه وهجرانهم له إذا لم تتوفر القرائن الدالة على صحته؛ فالإعراض عن دلالةِ الخبر يوجب وهنَهُ حتى لو كان السَّنَدُ قوياً، وعملهم بدلالة الخبر يجعله قوياً حتى لو كان السند ضعيفاً.

قال العلامةُ الحليّ في مقدِّمة كتابه المعتبر: «فما قبله الأصحاب أو دلت القرائن على صحته عُمِلَ به، وما أعرض الأصحابُ عنه أو شذَّ، يجب طرحه».

من خلال هذا العرض يتضح بأنَّه لا ضيرَ في العمل بالخبر المرسَل ما لم يعارضه خبر قطعيّ الدلالة؛ وحيث إنَّ الخبرَ المشهور «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل..» من الأخبار المرسَلَة التي عمل بمضمونها أعلام الطائفة، فإنّ عملَهم يوجبُ جبرانَ سندِهِ ويحوّلُه من الضعف إلى القوة، لا سيّما وأنَّه قد قامت القرائن القطعية على أن المراد به هو أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام... فدعوى أنّه ضعيفٌ يجبُ طرحُه دونها خرط القتاد، إذ ليس كلُّ ضعيف سنداً يجوز طرحه وإلا لأدَّى ذلك إلى طرح الكثير من الأخبار الضعيفة سنداً مع اشتهار العمل بها في الأوساط العلمية الشيعيَّة.

بالإضافة إلى ما ذكرناه آنفاً: إنَّ ثمة أخباراً أُخرى مشابهة لمضمون المرسَل

المتقدِّم تؤكدُ مضمونَه، ما يعني خروجَ الخبرِ من الضعفِ إلى القوة؛ ومن هذه الأخبار ما رواه الشيخ النراقي في عوائد الأيام في عدة مضامين، منها:

ما رواه عن جامع الأخبار عن النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أفتخرُ يومَ القيامة بعلماء أُمتي فأقول: علماء أُمتي كسائر الأنبياء قبلي».

وما رواه أيضاً في العوائد عن الفقه الرضوي عن العالم عليه السلام قال: «منزلة الفقيه في هذا الوقت كمنزلة الأنبياء في بني إسرائيل».

ولا يخفى أنَّ لسانَ هذينِ الخبرينِ هو بيانُ فضلِ آلِ محمدٍ عليهم السلام حيث إنّهم العلماءُ بالمعنى الحقيقي لا المجازي فلا يصحُ إطلاقُ العالمِ بالمعنى الحقيقي على غيرهم إلا مجازاً؛ وذلك لأنَّ أهلَ بيت العصمة والطهارة (صلوات الله عليهم) كسائرِ الأنبياء من جهة التبليغ والعصمة والطهارة، فالأنبياء عليهم السلام يتميَّزون عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام بالنبوة التشريعية فقط وليسوا أفضلَ منهم من الجهاتِ الأُخرى كالولاية المطلقة والعصمة والطهارة الكلِّيتين، وبقية الصفات العالية التي لم يسبقهم إليها سابقٌ من الأنبياء والمرسلين والأولياء المقربين عليهم السلام؛ فهم آيات الله العظمى وغاية الكمال والجلال والجمال، ليس قبلهم ولا بعدهم كمالٌ وجمال وجلال. . !.

إشكالٌ عويصٌ:

ربما يُقال: إنَّ هذه الأخبار تقصدُ العلماءَ من شيعة آلِ محمدٍ عليهم السلام من حيثيَّة التبليغ والتنزيل في الشرافة والثواب والأجر دون أهل بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم)؛ فتنتفي الحاجة إلى الاستدلال به على كونه خاصاً بالمعصومين عليهم السلام؛ وهو ما ذهب إليه بعضُ الأعلام، أحدهم العلامة السيِّد الخوئي في كتابه مصباح[1] الفقاهة في مقام بيان الردّ على أدلة نظرية ولاية الفقيه العامة فقال: [وأما الروايات الدالة على «أنَّ علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» وفي

(1) أُنظر: مصباح الفقاهة ج5 ص44، مبحث ولاية الفقيه.

الفقه الرضوي: «بمنزلة أنبياء بني إسرائيل» فهي ناظرة إلى وجوب تبعية الفقهاء في التبليغ والتنزيل من هذه الجهة، بعد القطع بأنه لم يرد التنزيل من جميع الجهات بل في الجهات الظاهرة، فهي كما في زيد كالأسد، إذ هو في شجاعته لا في جميع الجهات حتى في أكله الميتة مثلاً.

والنكتة في ذلك واضحة، إذ أنبياء بني إسرائيل لم يكن كلُّهم نبيًّاً [أنبياءً] لجميع الناس ورسولاً عاماً، بل كان بعضهم نبيَّ بلده، وبعضهم نبيَّ محلته، وبعضهم نبيَّ مملكة، نظيرهم في ذلك العلماء، وأنه يجب لكلِّ قوم أن يتبع عالمه، كما كان الواجب لبني إسرائيل أن يتبعوا نبيهم في التبليغ.

ويمكن أن يكون التنزيل في الشرافة والثواب والأجر، وأنهم مثلهم، وهذا أمر واضح لو لاحظت التعليم والتعلمات العرفية لجزمت بذلك، مثلاً فتلميذ المدرسة الثانية لعلو المدرسة أعلم من معلم المدرسة الابتدائية وهكذا، فالفقهاء وإن كانوا فقهاء وتلامذة المدرسة المحمدية مثل معلم الأمة السابقة من الأنبياء لعلو هذه المدرسة، بل **بعضهم أفضل من بعض هؤلاء الأنبياء**، وبالجملة والتنزيل في هذه الرواية من هذه الجهة، وهذا هو الظاهر»؛ انتهى كلامه.

تقرير كلام العلاّمة الخوئي:

كلام العلَّامة الخوئي واضحٌ في تبنيه لدلالة الخبر بقرينة عدم رفضه له وتأويله بما يتناسب مع الأُصول وإلَّا لما كان ثمة حاجة للتأويل المذكور؛ ما يعني أنَّ الخبرَ موضعُ وفاقٍ بين أعلام الإمامية قديماً وحديثاً وإنْ اختلفوا في تفسير مفهوم العلماء الوارد فيه، فالمشهور - وهو خيرتنا أيضاً - اعتقدوا بأنَّ مفهومه خاصٌ بأهل البيت (سلام الله عليهم أجمعين) لأن مورده هو تنزيل العلماء منزلة الأنبياء من جهة العصمة وليس من جهة التبليغ فحسب، ولا دخل لغيرهم في ذلك مهما علا شأنهم من حيث عدم عصمتهم؛ إلَّا أن العلَّامة السيِّد الخوئي ذهب إلى أوسع من ذلك، فقد عمَّم المفهومَ على العلماء من أُمة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من حيث تبعيتهم للأنبياء في التبليغ والتنزيل، وبالتالي لهم ما

للأنبياء من الفضل والثواب؛ وهذا لا يعني أنهم أفضل من الأنبياء من جميع الجهات (حاشا وكلا) بل إنهم كسائر الأنبياء من حيثية تبليغ معارف آلِ محمد عليهم السلام ، فهم بمنزلة الأنبياء من الحيثيَّة التبليغية الظاهرية إلا أنهم يفترقون عن الأنبياء من حيث التبليغ لآل محمَّدٍ عليهم السلام بخلاف الأنبياء فإنهم كانوا مبلِّغين لمعالم الحق العام، والعلماء يبلِّغون معالم الحقّ الخاص وهو الولاية لآل محمَّد عليهم السلام ، فيفترقُ علماءُ شيعةِ آلِ محمَّدٍ عن آلِ محمَّد عليهم السلام في الجهة التبليغية والحيثية العرضية والتبعية لآلِ محمَّدٍ عليهم السلام ، إذ لولا آلُ محمد (صلوات الله عليهم) لم يكن للعلماء من شيعتهم أيُّ دورٍ على الإطلاق، بخلاف آل محمد عليهم السلام فإنهم متبوعون لا تابعون. . . فلا يقاسُ آلُ محمَّدٍ عليهم السلام بالأنبياء فضلاً عن العلماء؛ لأنَّ آلَ محمَّدٍ أفضل بكثير من الأنبياء، وإثبات ذلك له موضع آخر في البحوث العقائدية، وهو موضع إجماع بين أعلام الإمامية المحصِّلين منهم لا الكسالى الذين ينعقون مع الناعقين. . . فالعلماء الربانيون المتوفرة فيهم الشروط المعتبرة – إذ ليس كلّ عالم يعتمر عمامة على رأسه يعتبر عالماً ربانيّاً – هم بمنزلة الأنبياء من جهة تبليغهم معارف آلِ محمَّد عليهم السلام ، أو من ناحية أنَّ أمرَ الأُمَّةِ بيدِ العلماء كما كان أمر الأمم السالفة بيد الأنبياء، فلهم التصدي للمصالح النوعية الدينية والدنيوية حِسْبَةً إلى الله تعالى؛ فهم ليسوا كسائر أفرادِ الأُمَّةِ الذين لم تثبت لهم تلك الفضيلة، وإنْ لم يثبت بذلك لهم كلّ ما ثبت للنبيّ الأعظم وآله الطيبين الطاهرين عليهم السلام من وجوب الطاعة وسائر شؤون الرسالة كالولاية على الأموال والأنفس والأعراض كما توهم ذلك مؤسسو نظرية ولاية الفقيه العامة الذين اعتمدوا على دعاوى لتدعيم نظريتهم، منها الخبر المتقدم «علماء أُمتي. . » وهو خطأ محض؛ وقد فندنا هذا الرأي الضعيف في كتابنا «ولاية الفقيه العامة في الميزان «فليراجع.

الإيراد على الإشكال العويص المتقدِّم:

بغضِّ النظر عن كون مولاتنا الطاهرة الزكية العقيلة زينب (سلام الله عليها) من أهل بيت العصمة والطهارة (صلوات الله عليهم) باتفاق الجميع؛ فلا ريب

حينئذٍ في أنها من علماء هذه الأُمة - بحسب رأي العلامة الخوئي - بطريق أولى، باعتبارها أفضل منهم بالقطع واليقين؛ فلا تصح مقارنتهم بها أصلاً فأين الثرى من الثريا! ولو سلَّمنا بالتنزيل المتقدِّم، فيسري إلى مقامها الطاهر ما كان سارياً على علماء الأُمة من حيث إنَّ لهم الفضل والثواب كالأنبياء، فهم كالأنبياء من جهة التبليغ والتنزيل، بل هي أفضل من الأنبياء من هذه الجهة كما هو واضح في سيرتها الجهادية الواضحة التي لا ينكرها إلا مكابر ومعاند؛ وإنْ كنا لا نتوافق مع المائلين إلى كونها مثل بقية العلماء، بل لا نجيز لأنفسنا الاعتقاد بذلك، وذلك لأنها من أبرز مصاديق مفهوم أهل البيت (سلام الله عليهم) لغةً وعرفاً واصطلاحاً حسبما أشرنا سابقاً، فلها (سلام الله عليها) ما لهم عليهم السلام من علو الدرجات والفضائل والخصائص طبق القذة بالقذة والنعل بالنعل...

المرسل النبوي خاصٌ بأهل البيت عليهم السلام:

والحاصل: كلُّ ما ذكرناه حول الخبر المتقدِّم لا يعمُّ العلماءَ قطعاً بأيِّ شكلٍ من الأشكال بسبب عدم عصمتهم، فهم كغيرهم من بقية الناس معرّضون للخطأ والنسيان وغلبة النوازع النفسيَّة على ذواتهم؛ بل الخبر المشار إليه متعلق بالذوات الطاهرة من آل محمد (سلام الله عليهم أجمعين) باعتباره خاصاً بأهل بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم أجمعين) للقرينة الواضحة في مضمون الخبر من حيث تنزيل العلماء منزلة الأنبياء من جهة العصمة والمقام والطهارة؛ وهو القدر المتيقن من الخبر، وغيره مشكوك فيه، فننفيه بالأصل المحكم.

بما تقدَّم يتضح: أن المرسل النبوي المذكور خاص بهم ولا علاقة لغير المعصومين بمدلوله؛ ودعوى عدم صدوره عنهم (صلوات الله عليهم) لا تقوم على أساسٍ علميٍّ متين لأجل عدم وجود دليل ينفي صدوره عنهم؛ بل الصحيح صحة صدوره عنهم ولا أقل من احتمال صدوره عنهم - فلا يجوز ردّه بدعوى إرساله - باعتباره مدعوماً بالأخبار الأخرى المتوافقة معه من حيث الدلالة والمضمون؛ فهو مظنون الصدور كغيره من الأخبار المظنونة الصدور التي قام

الدليل على اعتبارها وهو ما يطلق عليه «الظن المعتبر» تمييزاً له عن «الظن غير المعتبر» كما هو معلوم في علم الأُصول؛ لا أنه «محتمل الصدور» الذي يتساوى فيه الصدور وعدم الصدور من دون النظر إلى القرائن المرجِّحة لأحدهما على الآخر. . . والقول بعدم صحة صدور الرواية عنهم عليهم السلام يبقى مجرد تخرص وافتراء؛ ولا تساعد عليه القرائن المتصلة والمنفصلة.

القرائن الدالة على أن المرسل النبوي صادر منهم عليهم السلام:

الظاهر القوي صحة نسبة المرسل إليهم (صلوات الله عليهم) لقرائن تشهدُ بذلك، منها:

(القرينة الأولى): كثرة اشتهاره بين أعلام الطائفة قديماً وحديثاً[1]؛ وعملهم به في موارد متعددة لا سيَّما في مورد تفضيل آلِ محمَّدٍ عليهم السلام على الأنبياء عليهم السلام باعتبارهم علماء هذه الأُمَّة كما في الخبر الصحيح: «نحن العلماء وشيعتنا المتعلمون وساير الناس غثاء. .»؛ وهو القدر المتيقَّن في مقام التخاطب - ويراد به المقدار المقطوع إرادته للمتكلِّم - حيث إنَّ المتيقنَ من الأدلة بمعونة ما ورد بحقهم في الكتاب الكريم والسنَّة المطَّهرة هو أن المراد من أولي العلم وأهل الذكر وأشباههما الواردة في الكتاب هم أهل البيت عليهم السلام دون سواهم؛ فهم المصداق الأعظم لمفهوم العلماء وأهل الذكر. . . وغير المتيقن مشكوك فيه، فيُنفى بالأصل المحكم باتفاق الجميع.

إنَّ مساواة أهل البيت عليهم السلام لأنبياء بني إسرائيل في الحيثية التبليغية، فضلاً عن حيثية العصمة؛ لا تلغي أفضلية آلِ محمَّد عليهم السلام من الحيثيات الأُخرى على الأنبياء كافة، وذلك للقرائن الأُخرى من الآيات والأخبار الدالة على الأفضلية، باعتبارهم نفس النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله وروحه التي بين جنبيه، ومن المعلوم باتفاق الجميع في أنَّ النبيَّ الأعظم صلى الله عليه وآله أفضل من عامة الأنبياء والمرسلين، فما ثبت

---

(1) ونعني بكلمة قديماً: المتأخرين لا المتقدِّمين، وحديثاً: متأخري المتأخرين بحسب الاصطلاح.

له، يثبت لآل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام إلا ما ورد الدليل على استثنائه عنينا به النبوة التشريعية فقط..!!.

وبالجملة: إنَّ اشتهار العمل بالمرسل النبوي المتقدِّم لم يكن من فراغٍ، وإلا لأدَّى اشتهاره بين أعلام المتأخرين إلى إساءة الظن بهم والقدح بعلمهم وتقواهم من حيث توهم تقوِّلهم على أئمة الهدى عليهم السلام بخبرٍ لم يُعلم كونه منهم (صلوات الله عليهم أجمعين)...! بل إنَّ العملَ به هو فرعُ الاطمئنان بصدوره عنهم (سلام الله عليهم) أو من باب الظن المعتبر أو مطلق الأمارات الظنية الواردة عنهم كما لا يخفى، باعتبار أنَّ العمل فرع الاطمئنان أو الظن المعتبر بصحة صدوره عن أئمة الهدى وسفن النجاة صلوات الله عليهم.

الشهرة بين المتأخرين كافية في قبول المرسل:

إنّ عدم اشتهار المرسل المذكور بين المتقدِّمين لا يلغي حجية شهرته بين المتأخرين، فحجية الشهرة ليست منحصرة في صفوف المتقدّمين، بل تكفي شهرته بين صفوف المتأخرين ومتأخري المتأخرين، وكم من أخبار قد اشتهرت في أوساط المتأخرين ولم تكن مشهورة بين المتقدِّمين، لذا فإن الفقهاءَ المتأخرين عملوا بالخبر المشهور اعتماداً منهم على القرائن المؤيدة له، وهو نفس ما اعتمده المتقدِّمون باعتمادهم على القرائن والشواهد؛ لأنَّ حجيَّةَ الشهرة تكشف عن قرينةٍ شاهدةٍ على صحة الحديث المنسوب إلى المعصوم عليه السلام، ضرورة أنَّ المدار إنَّما هو على الوثوق والاطمئنان إليه، فإذا كان ما حصل من الشهرة سوآء أكانت شهرة قديمة أو متأخرة فإنّها تكون بمنزلة الظنِّ النوعي المفيد للوثوق، من هنا اعتقد ثلةٌ من أعلام الإمامية بصحة كفاية الشهرة المتأخرة الحاصلة بعد زمن الشيخ ومنهم العلامة الفقيه المامقاني (رحمه الله) في مقباس الهداية، وهو وجيه وقوي، فقال: «ضرورة أن المدار على الوثوق والاطمئنان، فإذا حصل من الشهرة الحاصلة بعد زمن الشيخ فما المانع من جعلها بمنزلة توثيق الشيخ، ومن تأخر عنه».

وتعدى العلَّامة الفقيه الراحل الشيخ محمد تقي الفقيه العاملي (رحمه الله)

في كتابه «قواعد الفقيه» ذلك إلى كفاية الشهرة ولو في آخر طبقة من طبقات الفقهاء فقط، فتكون حجَّةً لمن يأتي بعدها، فقال: «ثم إنه هل المراد بالأصحاب خصوص القدماء منهم أو كلّ طبقة بالنسبة لمن تأخر عنها؟ إحتمالان: والذي يظهر من التعليلات الجابرية في كلامهم هو الأول ولكن الظاهر عدم الخصوصية، لاتحاد المناط، أعني الوثوق، فإنه متى حصل، كان مشمولاً لآية النبأ، والمستفاد منه مطلق الوثوق من مطلق السبب لا وثوق خاص».

الكلام المتقدِّم سديد؛ وهو ما كنَّا نميل إليه قبل الاطلاع على نظر هذين العالمين: المماقاني والفقيه العاملي (رحمهما الله) لأنَّ الغاية من العمل بشهرة المتقدِّمين هي حصول الوثوق من خلال القرائن، وهذا بعينه متوفر في الشهرة المتأخرة عن الشيخ إلا أنْ تقومَ القرائنُ والشواهد على خلاف ذلك.

(القرينة الثانية): ثمة أخبار متعددة تؤكد وتدعم الخبر المتقدم، تشيرُ إلى أنهم أفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين كالذي رواه صاحبُ البحار نقلاً عن الشهيد الثاني في منية المريد عن مقاتل بن سليمان قال: «وجدت في الإنجيل مكتوباً أن الله تعالى قال لعيسى عليه السلام: عظّم العلماء واعرف فضلهم فإني فضّلتهم على جميع خلقي إلا النبيين والمرسلين كفضل الشمس على الكواكب وكفضل الآخرة على الدنيا وكفضلي على كلِّ شيء».

فخبر مقاتل بالرغم من إرساله المحض وعدم الاعتداد به من ناحية السند إلا أنَّ أعلام الإمامية لم ينكروه عند التعرض له أصلاً، بل عملوا به وأوَّلوه بالعلماء الربانيين من حيث كونهم أولى الناس بعد الأنبياء من حيثية التبليغ فقط، والظاهر لنا أن المراد من العلماء في خبر مقاتل بن سليمان هم أوصياء أنبياء بني إسرائيل، وهو القدر المتيقن من فحوى الخطاب، ولو فرضنا تعميمه على العلماء الربانيين، فإنه خاص بالحيثية التبليغية وبثّ المعارف اليقينية المقتبسة من مشكاة النبوة والولاية، ولا يشمل أهل بيت رسول الله محمد صلى الله عليه وآله لما تقدم منا مراراً من أنَّ آلَ محمَّدٍ عليهم السلام أفضلُ من عامة الأنبياء بلا منازعٍ بالإجماع والنصّ.

(القرينة الثالثة): كون الخبر مرسلاً لا يُعَدُّ عيباً فيه، بعد تسالم أعلام الطائفة على العمل بالمراسيل المقرونة بالشواهد والقرائن، فيكون العمل بالقرائن لا بنفس الخبر بما هو خبرٌ مرسلٌ بالحمل الذاتي، بل بما هو خبر مقرون بالشواهد والقرائن بالحمل الشايع الصناعي وهو حمل العرضيات، فإن الخبر الضعيف لو غضضنا النظر عنه بما هو خبر ضعيف سنداً فإنَّه يتعلق به حكمٌ إلزاميٌّ وهو حرمة ردّه ما دام محتمل الصدور، وقد بيَّنا في بحوثنا الأُخرى حرمة ردّ الخبر الضعيف من الناحية الصناعيَّة.

الأدلة الدالة على حرمة طرح الخبر الضعيف سنداً:

ونضيف إلى ما ذكرناه في بحوثنا الأُخرى حول حرمة ردّ الخبر الضعيف، أن العلَّة في حرمة ردِّ الخبر الضعيف مَرَدُّها إلى الأمور الآتية:

(الأمر الأول): ورود الأخبار الصحيحة الناهية عن ردّ كلّ خبرٍ لا يحتمله المطَّلع عليه، أو أنْ يكون المطّلِعُ عليه جاهلاً بالحيثيات والقرائن المكتنفة له، فيكَّفر مَنْ يدين به مع احتمال كونه صادراً من خزانة آل محمد عليهم السلام وهو ما أشارت إليه بوضوح صحيحة أبي عبيدة الحذاء قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «واللهِ إنَّ أحبَّ أصحابي إليَّ أورعُهم وأفقهُهُم وأكتمُهم لحديثنا، وإنَّ أسوأَهم عندي حالاً وأمقتهم للذي إذا سمع الحديث ينسب إلينا ويروى عنا فلم يقبله اشمأز منه وجحده وكفر من دان به وهو لا يدري لعلَّ الحديثَ مِنْ عندنا خرج وإلينا أُسند، فيكون بذلك خارجاً عن ولايتنا».

فقوله الشريف عليه السلام: «ينسب إلينا ويروى عنا» واضح المعنى من حيث حرمة ردّ الخبر المنسوب إليهم عليهم السلام بسبب النسبة الاحتمالية الصدورية؛ أي: لمجرد احتمال كونه صادراً عنهم (صلوات الله عليهم)، إذ ثمّة نهيٌّ واضح عن ردّ الخبر المحتمل صدوره عنهم عليهم السلام، يُرجى التأمل.

وبعبارةٍ أُخرى: ما دام الخبر الضعيف سنداً مطابقاً للأُصول التشريعية والأركان العقائدية، ولا يحلل حراماً ولا يحرِّم حلالاً؛ فلا يجوز طرحه، إذ لعلَّه

من عندهم صدر ومن خزائنهم ورد، فيؤدي الطرح إلى إنكار أحاديثهم، وهو يستلزم الكفر.

(**الأمر الثاني**): إن للخبر الضعيف أحكاماً مغايرة لأحكام الخبر المعتبر، ومغايرته لغيره لا تعني أنَّه لا حكم له، بل له حكم بحرمة ردِّه فيما لو لم يتعارض مع الدلالة القطعية للكتاب الكريم والسنَّة الطاهرة، وحرمة ردِّه هي السائد بين الأصوليين والأخباريين فلم يشذ منهم أحد سوى ضعيف التحصيل، وحرمة ردّه تختلف عن حجيَّة الخبر، فحرمة الرد تشمل حتى الخبر الضعيف، ويشهد لما قلنا أن صاحب الوسائل قد عقد باباً يبلغ العشرات من الروايات الصحيحة الدالة على حرمة رد الخبر الضعيف لمجرد ضعفه السندي وهي على كثرتها تؤكد القاعدة المسلَّمة التي أشرنا إليها من حرمة رد الخبر لأجل ضعفه السندي. . . وقد ذكرنا في بحوثنا الأخرى الرجالية أن الخبر الضعيف في مصطلح الدراية والحديث يختلف عن الخبر الموضوع والمدسوس، فالخبر الموضوع هو الخبر الذي عُلِم وضعه وكان مخالفاً للكتاب الكريم وسنَّة نبيه وآله الطيبين الطاهرين صلى الله عليه وآله وسلم بخلاف من توفرت فيه شرائط الحجيَّة التي منها عدم معارضة الخبر الضعيف للكتاب والسنّة الطاهرة، وما كان بهذه الصفة لا يمكن أن يُوْصَفَ بأنه مدسوس أو موضوع.

(**الأمر الثالث**): التسليم الإجمالي طبقاً للأوامر الصادرة منهم عليهم السلام بوجوب التسليم لهم ولأخبارهم إلا ما دلت القرائن القطعية على خلافه، أو التسليم المطلق على فرض الصدور الواقعي منهم عليهم السلام شريطة عدم معارضته للمحكمات، وعلى كلا التسليمين المفروضين، يجب على الفقيه الجامع لشرائط الفتوى التريث والتأني وعدم التسرع والتهور بطرح الخبر المجمل أو المتشابه الدلالة، ذلك كلُّه على قاعدة ما ورد عنهم بقولهم عليهم السلام : «أمر الناس **بمعرفتنا والردّ إلينا والتسليم لنا**» ثم قال: «وإن صاموا وصلوا وشهدوا أن لا إله إلا الله وجعلوا في أنفسهم أن لا يردوا إلينا، كانوا بذلك مشركين».

(**الأمر الرابع**): إنْ لم يوجبُ الإرسالُ المجبور بعمل المشهور العلمَ

والاطمئنان عند المشكّك صاحب الشبهة، فهو يدخل - أَقَلَّهُ - في باب التصور الذي هو أحد الدرجات النازلة للعلم الموجب للاحتمال المنجِّز للفحص والتنقيب، فيؤدي إلى وجوب عرضه على المحكمات من الكتابِ والسنَّةِ والعقل كما أشرنا في الأمر الأول، ولا يخفى على اللبيب أنّ التصور بعد التبيُّن ينضوي على جملة من التصديقات الخفية بتوسط براهينها.

والفحص عن الدلالة التصدِّيقية للخبر المرسل لا يقلُّ أهميةً عن وجوب التدقيق في أقوال الحكماء والمؤرخين وبعض العلماء من المراجع الذين يغوص صاحب الشبهة إلى شحمة أُذنيه في تتبع أقوالهم وسيرتهم والمغالاة فيهم. . . ! إذ إنّ البحث والتنقيب يجب أنْ يكون عن القرائن والشواهد المصححة للخبر المرسَل وليس عمّا يحبّه ويهواه صاحب الشبهة. . . ! لأنّ ذلك كلَّهُ يجب أنْ يكون قائماً على قاعدة التدبر المستقل في سنن الماضين واللاحقين، بغضّ النظر عن هويتهم وطبيعتهم، وعلى قاعدة قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

فإذا ما كان تتبع أقوال العلماء والحكماء بهذه الأهمية من النتاج الفكري البشري لاستلهام الهمم من سيرتهم وأقوالهم - لأن البحث العقلي يركّز على ما قيل لا على مَنْ قال - فكيف الحال فيما لو كان البحث مركَّزاً على الأقوال المنسوبة إلى الناطقين عن الوحي الإلهي بغض النظر عن صحة النسبة إليهم من الناحية الصدورية السندية ما دام البحث في المضمون من حيث هو هو لا من حيث النسبة الصدورية. . !.

وبعبارةٍ أُخرى: إنَّ البحث في أقوال وسيرة الحكماء يعطي زخماً في تنشيط الحركة السلوكية والنظرية عند كلّ باحثٍ في تتبع نشاط أولئك الحكماء والعلماء مع أن نشاطهم هو نتيجة الجهد البشري، وهو جهد مهما تواصل واستمر وتكامل

(1) سورة الزمر، الآية: 18.

يبقى نتاجاً بشرياً ناقصاً ومحدوداً، والقول بمحدوديته لا يعني التفريط والتهاون فيه وإقصاءَه ونبذه، بل هو ضروري لا بدّ منه في الجملة، إلا أن الكلام - كلّ الكلام - إنَّما هو في تخطئة حصره وحبسه وتقوقعه على كلمات الحكماء والعلماء من البشر من دون توسعته وانفتاحه على الأقوال المنسوبة والمنتسبة إلى الناطقين عن الوحي الإلهي بغضّ النظر عن صحة نسبة تلك الأقوال إليهم؛ لأن البحث إنَّما هو على الصعيد التصوري لا التصديقي، والبحث التصوري لا يمكن التفريط بأهميته؛ لأن قوام البراهين التصديقية بسعة وشمولية الثروة التصورية تؤدي إلى الإذعان التصديقي، وليكن من هذا القبيل البحث في الخبر المرسل باعتباره محتمل التصور في نسبته إلى الناطقين عن الوحي الإلهي، فقلة الفحص عنه يعتبر من قطع القُطَّاع وسرعة الجزم التي تنمُّ عن انعدامٍ في التوازن العلمي بسبب الخلل والتفريط في تحصيل المقدمات الفكرية المنطقية المؤدية إلى عدم التسليم بالنتيجة وبالتالي الإنكار والجحود. . !.

وبعبارةٍ ثالثة: إنَّ عدمَ الوصولِ إلى النتيجة لم يكن ذاتياً من المقدِّمات، وإنَّما هو نابعٌ من التسرع أو حسن الظن بأقوال المشاهير أو حبّ الشهرة أو ضعف القدرة الفكرية وهو من التقليد العفوي، فيجب على الواقعين في المحذور أن يتنبهوا إلى دراسة التصورات والتصديقات بتأنٍ ورويةٍ لكي يحصلوا على النتائج الصحيحة، وذلك لأن الإثارة العلمية والتنبه إلى المزيد من تلك التصورات والتصديقات لا محالة يحصل بسعة الاطّلاع، ولا معنى - ساعتئذٍ - للاقتصار على أقوال الحكماء من البشر دون الاطلاع على أقوال الحكماء الإلهيين.

وبهذا يتضح أن المنهج المعرفي العقلي لقراءة روايات المعارف والاستنباط العقائدي لا يتوقف على البحث الرجالي المحض، ولا على إحراز الصدور والتحقق والتثبت منه ما دامت الدلالة التصورية في المنهج المعرفي العقلي موصلة إلى الدلالة التصديقية.

إن ما أشرنا إليه من الأمور الأربعة في حرمة ردّ الخبر الضعيف هو من جملة الأركان الأساسية في علاج الأخبار الضعيفة بشتى أصنافها، وهي ما تقتضيه قواعد الترجيح والموازنة في علم الرجال والدراية، ومَنْ ابتغى أمراً آخر وراء ذلك، فقد نفخ في غير ضرام، ولم ينظر بعين التحقيق في أخبارهم الشريفة.

حرمة ردِّ المرسل النبوي المتقدم:

ومما تقدَّم يتضح: بأن المرسل النبوي الذي نحن بصدده، هو أحد أقسام الخبر الضعيف، لا يجوز ردُّه لمجرد إرساله بما هو إرسال محض، فتشمله أحكام حرمة ردّ الخبر الضعيف، وذلك لأمرين هما:

(**الأمر الأول**): إنَّ المرسَل المتقدِّم لايقل عن كونه متشابهاً، ولا يجوز ردّ المتشابه الأخباري لمجرد كونه متشابهاً، بل لا بدَّ من إعمال القواعد الصناعيَّة في معالجته كعرضه على المحكم الكتابي والأخباري قبل البتّ به؛ إذ يجب الفحص والتنقيب عن المحكم المفسِّر أو الموضِّح للخبر المتشابه ما دام الاحتمال قائماً في مضمون الخبر، واعتباره دليلاً شرعياً من خلال عرضه على المحكمات من الكتاب والسنَّة والعقل.

(**الأمر الثاني**): عدم جواز الحكم بالردّ أو النفي مع عدم وجود دليلٍ على النفي، بل الواجب تقرير قيام المعنى الوارد في الخبر المجمل بمعناه والعمل بمقتضاه من وجوب الفحص والتنقيب حتى يستقيم معناه بمقتضى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

فكما أنّه لا يجوز ردّ المتشابه الكتابي، بل يتوجّب عرضه على المحكم الكتابي الآخر؛ فكذلك لا يجوز ردّ الخبر المتشابه بل يجب عرضه على المحكم الأخباري الآخر حتى يستقيم معناه طبقاً للقواعد الحكمية العقلية والرجالية، وهو

(1) سورة آل عمران، الآية: 7.

ما دلت عليه الأخبار الشريفة، فقد روى المحدّث الحر العاملي بإسناده عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي حيون مولى الرضا، عن إمامنا المعظَّم أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «من ردَّ متشابه القرآن إلى محكمه فقد هُدي إلى صراطٍ مستقيم، ثم قال عليه السلام: إنَّ في أخبارنا محكماً كمحكم القرآن، ومتشابهاً كمتشابه القرآن، فردوا متشابهها إلى محكمها ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلوا».

وفي الصحيح عن عبد الله بن أبي يعفور قال: وحدثني حسين بن أبي العلاء أنه حضر ابن أبي يعفور في هذا المجلس قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به ومنهم من لا نثق به؟ قال: إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلا فالذي جاءكم به أولى به».

والمتشابه في مقابل المحكم، فهما متعارضان ظاهراً، ولا بدَّ من إرجاع المتشابه المجمل بمعناه إلى المحكم الموضِّح والمفسّر للمتشابه، وحيث إنّ المحكم هو المضبوط المعنى والدلالة بحيث لا تعتريه شائبة، فلا بدَّ من البناء عليه والعمل به، لذا عرّفه المشهور بالوجوه التالية:

الأول: إنَّه ما اتضح معناه وظهر بوضوحٍ لا لبسَ فيه لكلِّ عارفٍ باللغة.

الثاني: إنَّه ما كان محفوظاً من النسخ.

الثالث: ما كان محفوظاً من التخصيص.

الرابع: ما كان محفوظاً مِن الإجمال والإبهام.

الخامس: ما كان متضمناً لترتيب الإفادة، إمَّا مع تأويلٍ أو من دونه لوضوحِ معناه.

وقد فصَّلنا الأمر حول حقيقة المحكم والمتشابه في كتابنا الموسوم بـ «علم اليقين في تنزيه سيِّد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم عن العبوس»؛ فليُراجع.

والمحصّلة: لا يجوز طرحُ الخبرِ المرسَل لمجرد إرساله وإجماله بما هو هو بعنوانه الأولي، بل الواجب عرضه على المحكمات من الكتاب والسنَّة الشريفة

والعقل، وبالتالي لا يجوز رمي الخبر المتقدم بالضعف لمجرد كونه ضعيفاً سنداً ومبهماً دلالةً بنظر المتناول له للوهلة الأولى والنظرة البدْوية..!.

(القرينة الرابعة): ما في تحف العقول عن الإمام المعظَّم أبي عبد الله الحسين عليه السلام قال: «إن مجاري الأمور والأحكام بيد العلماء باللَّه تعالى، الأمناء على حلاله وحرامه».

وقد تسالم على الأخذ به عامة فقهاء الإمامية واستدلوا به على أنَّ أزمة الأمور بيد العلماء من آل محمَّد (صلوات الله عليهم أجمعين)، وكذلك الخبران الدالان على أن العلماء أمناء الرسل وأنهم ورثة الأنبياء وغيرهما من الأخبار الكثيرة، وهو واضح لدى أعلام الإمامية من دون منازع على الإطلاق.

وينبغي أنْ نزيد على ما أفاده غيرُنا من العلماء الأعلام تعليقاً على تلكم الأحاديث التي أشرنا إليها آنفاً ما يوضح حقيقة المراد من كون العلماء ورثة وأمناء بعد الأنبياء بالآتي:

إنَّ تعميم لفظ العلماء لغير أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام لا يلغي دور المقصودين من مفهوم الأمناء والوراثة، فأهل البيت عليهم السلام ورثة وأمناء حقيقيون، بينما العلماء من شيعتهم ورثة وأمناء عنهم وليس عن الأنبياء مباشرة، فهم ورثة ظاهريون يحفظون تراثَ آلِ محمَّد عليهم السلام حفظاً مجازياً لا حقيقياً، بخلاف أهل البيت عليهم السلام فإنهم ورثة وأمناء حقيقيون مباشرة من دون توسط وسائط بينهم وبين الأمانات باعتبار أن الله تبارك اسمه قد ورَّثهم وفوّضهم على الحفظ والوراثة، فهم حافظون بأمره تعالى وليس بأمر الأنبياء السابقين عليهم، فعندهم عامة مواريث الأنبياء العلمية والعملية... وأنَّى يكون ذلك لعلماء شيعتهم..!!.

ويمكن - بل هو الظاهر أيضاً من مفهوم العلماء - أنْ يكونَ المراد بالعلماء - في الأخبار الدالة على أنهم أفضل الخلق بعد الأنبياء - هم أوصياء الأنبياء، وأمَّا أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام فهم فوق هذه المنزلة بدرجاتٍ؛ باعتبار أنهم أفضل من الأنبياء لأدلة لسنا ههنا في مقام بيانها إذ لها مجال فقهي وعقائدي آخر. نعم، ينطبق على أهل بيت العصمة عليهم السلام أنهم ورثة الأنبياء في كل شيءٍ،

وذلك للإطلاق في لفظ «ورثة» الوارد في صحيح البختري عن مولانا الإمام المعظم أبي عبد الله عليه السلام قال: «العلماء ورثة الأنبياء»، وهؤلاء الورثة هم سادة الورى من آل محمد عليهم السلام ، فهم العلماء الحقيقيون والورثة الحقيقيون الوارد فيهم قولهم الشريف حسبما جاء في الوسائل باب صفات القاضي، كما في الصحيح عن جميل عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: «يغدو الناس على ثلاثة أصناف: عالم ومتعلم وغثاء، فنحن العلماء وشيعتنا المتعلمون وسائر الناس غثاء»؛ فخبر جميل بن دراج ونظائره بطرق متعددة يكون حاكماً ومفسِّراً لكلّ حديث ورد فيه لفظ «العلماء» ويكون المراد به أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام إلَّا إذا قامت قرينة على أن المراد من العلماء هم الفقهاء كالرواية التي ذكر فيها الفرق بين علماء هذه الأمة وعلماء اليهود.

ولا يخفى على الفقيه البصيرِ أنَّ تقييدَ وحصرَ لفظِ «العلماء» بهم (صلوات الله عليهم) بقوله الشريف: «نحن العلماء» يفيدُ كونهم العلماء الحقيقيين على عامة الخلائق - باعتبار أنَّ مفهومَ أُمَّةِ محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم أعمُّ من كونه خاصاً بالتابعين له في عصره بل يشمل ما قبل وما بعد رحيله - وغيرهم من شيعتهم هم المتعلِّمون، والأنبياء من أعظم مصاديق شيعتهم لا سيَّما ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾[1].

فآلُ محمَّد عليهم السلام هم العلماء على عامة الخلق حتى الأنبياء، والأنبياء من شيعتهم المتعلمين منهم والمتلقين عنهم، لذا فإن الأنبياء هم شيعتهم الحقيقيون، وهو ما أكدته الأخبار الشريفة، فقد ورد في تفسير الآية المتقدمة الكاشفة عن كون إبراهيم خليل الرحمان عليه السلام أحد أركان التشيُّع العظيم. . . ما جاء في «كتاب تأويل الآيات الباهرة» وغيره من كتب التفسير والحديث نقلاً عن تفسير محمد بن العباس بن ماهيار بسنده إلى أبي بصير قال: سأل جابر الجعفي أبا عبد الله عليه السلام عن تفسير قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ فقال: إن الله لما

(1) سورة الصافات، الآية: 83.

خلق إبراهيم كشف له عن بصره فنظر فرأى نوراً إلى جنب العرش فقال: إلهي ما هذا النور؟ فقال له: هذا نور محمَّدٍ صلى الله عليه وآله صفوتي من خلقي، ورأى نوراً إلى جنبه فقال: إلهي وما هذا النور؟ فقيل له: هذا نورُ عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام ناصر ديني.

ورأى إلى جنبهم ثلاثة أنوار فقال: إلهي وما هذه الأنوار؟ فقيل له: هذا نور فاطمة عليها السلام فطمت محبيها من النار ونور ولديها الحسن والحسين عليهما السلام فقال: إلهي وأرى أنواراً تسعة قد حفوا بهم؟ قيل: يا إبراهيم هؤلاء الأئمة عليهم السلام من ولد عليّ وفاطمة عليهما السلام فقال: إلهي أرى أنواراً قد أحدقوا بهم لا يحصي عددهم إلا أنت؟.

قيل: يا إبراهيم **هؤلاء شيعتهم شيعة عليّ** عليه السلام، فقال إبراهيم عليه السلام: وبمَ تُعرف شيعته؟ قال: بصلاة الإحدى والخمسين والجهر ببسم الله الرحمان الرحيم والقنوت قبل الركوع والتختم باليمين، فعند ذلك قال إبراهيم: اللهم اجعلني من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام قال: فأخبر الله في كتابه فقال: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ﴾.

ولا يخفى أنَّ المراد من «شيعته» هم الكاملون في المعرفة والعمل، وليس المراد بهم الناقصين من المحبين، ولا ريب في أنَّ مولاتنا الصدِّيقة زينب الكبرى عليها السلام من أعظم الكاملين في العلم والعمل فهي قطعاً من شيعة أبيها تماماً كتشيّع جدّها إبراهيم الخليل عليه السلام لأبيها أمير المؤمنين وإمام المتقين (صلوات الله عليه وآله) الطيبين الطاهرين..!!.

ويوضِّحُه ويفسّره ما ورد بحقهم من أنهم الشهداء على الناس بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾[1].

وأوضح من الكلّ في إرادة أهل البيت عليهم السلام من مفهوم العلماء الوارد في

(1) سورة البقرة، الآية: 143.

الأخبار هو ما ورد من قولهم عليهم السلام: «مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الأمناء على حلاله وحرامه. .».

فلا ريب في أن مفهوم العلماء بالله تعالى بالمعنى الحقيقي منحصرٌ بالأئمة الطاهرين وأولادهم المعصومين عليهم السلام باعتبارهم الورثة الحقيقيين للأنبياء، والوريث يجب أنْ يكونَ أميناً على تركة المورِّث بحفظها من التلاعب والاندثار. . . وأين هذا من العلماء الذين يزيدون على التركة العلمية تارةً وينقصون منها تارة أُخرى مع كونهم مأمورين بالحفاظ على هذه التركة العلميَّة، ولكنَّهم ما بين قاصرٍ ومقصّرٍ بالحفاظ على التركة العلمية التي أُمِروا بالحفاظ عليها. . . وإذا حفظوا شيئاً من تراث آل محمد عليهم السلام فلا يكون حفظاً حقيقياً باعتباره مخلوطاً بتراث المخالفين كما هو واضح في الأخبار المتعارضة أو المضطربة والمدسوسة التي لا يمكن لأيِّ أحدٍ من العلماء تمييزها، إلا الخواص من شيعتهم المخلصين المسددين، يضاف إلى ذلك ردّ المقصّرين لبعض أخبارهم الشريفة أو تأويلها بما يتناسب مع المخالفين مما يستلزم نقصان معانيها وهو خلاف الحفظ للتراث، وهذا بخلاف حفظ آل الله عليهم السلام الخالي من النقصان والزيادة. .!!. لا ريب في أنَّ أهل بيت العصمة عليهم السلام هم الأمناء الحقيقيون على إرث الأنبياء والمرسلين، وهم المقصودون في الزيارات المتعددة وأهمها زيارة وارث الصحيحة سنداً والتي جاء فيها لفظ الوراثة بقول صفوان عن مولانا الإمام المعظّم أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ آدَمَ صَفْوَةِ الله، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ نُوحٍ نَبِيِّ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ إِبْراهِيمَ خَلِيلِ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ مُوسى كَلِيمِ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ عِيسى رُوحِ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ مُحَمَّدٍ حَبِيبِ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلامُ وليّ اللهِ» وفي نسخة أخرى إضافة: [السلام عليك يا وارث فاطمة الزهراء. .]، وهم المعنيون أيضاً بما جاء عن مولانا وإمامنا المعظَّم عليّ الهادي (صلوات الله عليه) في الزيارة الجامعة الشريفة الكبيرة: «السلام عليكم يا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط العلم. . . وورثة الأنبياء».

والخلاصة: إنَّ أهل بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم) هم القدر المتيقن من مفهوم الخطاب، وغيرهم مشكوك فيه، فننفيه بأصالة العدم، فهم المصداق الأوحد الأوفى للمفهوم الحقيقي للفظ العلماء وهو ما أوضحه النصّ المتقدم: «نحن العلماء وشيعتنا المتعلمون..».

إنَّ أهل البيت عليهم السلام هم علماء الخلق فضلاً عن الأُمَّةِ، وأمَّا الفقهاء فهم متعلمون، وإطلاق لفظ «العلماء» عليهم من باب المجاز، يُحْمَل على كونهم علماء بالحلال والحرام من الطرق الظاهرية تبعاً لما وصلهم من أخبار أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام ، ولا ريب في أنَّ مولاتنا زينب الكبرى وفاطمة بنت أسد عليهما السلام ليستا من المتعلمات بل هما عالمتان من العلماء الربانيين والمحدَّثين عن الله تعالى، فعلمهما لدنيٌّ وليس كسبيَّاً تحصيليَّاً كما هو متعارف عند الفقهاء والأعلام، فالفرق واضح بعون الله تعالى عند الفطن، والله الموفق للصواب.

وبناءً على ما قدّمنا أعلاه؛ فإنّ الخبرَ المشهور: «علماء أُمتي كأنبياء بني إسرائيل» صحيحٌ من ناحية الدلالةِ باعتبار عمل المشهور به وتسالمهم على الأخذ بمضمونه، وهذا العمل نفسه يُعتبر تزكيةً له، فلا يجوز طرحه لمجرّد الإرسال ما دامت الدلالة متطابقة مع الكتاب والسنَّة المطهَّرَيْنِ كما أشرنا إليه سابقاً، ومورد الشاهد فيه هو أنَّ آلَ محمّدٍ كأنبياء بني إسرائيل من حيث العصمة والحجيَّة - وإنْ كان آلُ محمَّد أعظم منهم في العصمة والحجية والطهارة والعلم والعمل - لذا فهم علماء هذه الأُمَّة، ولا يرادُ من «علماء أُمتي» عموم العلماء، فإنّ ذلك غير جائز إطلاقه عليهم، وذلك لعدم عصمتهم في مقابل عصمة الأنبياء المدلول عليها في مفهوم النبوة الوارد في الحديث: «أنبياء بني إسرائيل»؛ فثمةَ تلازم في الخبر بين العلماء وبين الأنبياء من حيث الشبه في الصفات والذات، فعلماء الأُمَّة في الخبر معصومون كعصمة الأنبياء، وهؤلاء العلماء هم آل محمَّد عليهم السلام لا أحد سواهم، والعلماء - مهما علت منزلتهم الروحية والنفسية - ليسوا بأفضل من الأنبياء الذين هم صفوة الناس والخيرة من خلقه تعالى بسبب عصمتهم التي هيأتهم إلى درجة النبوة، فهم أفضل الخلق ممن لا عصمة عندهم؛ وبالتالي لا

يجوز القول أو الاعتقاد بأنْ يكونَ العلماءُ من رعية آل محمَّد أفضلَ من الأنبياء، وكلّ مَن اعتقد بهذا فقد خرج من دين الله عزَّ وجلَّ؛ فلا بدَّ - والحال هذه - أنْ يكونَ العلماءُ الواردون في الخبر - مورد البحث - هم آل محمد عليهم السلام [(1)]، وهذا ما أكدته الأخبار الشريفة من أنّ أبا الحسن عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام أخو النبيّ ونفسه وأنه خير الناس من بعده، وزوجته الطاهرة الزكية خيرة النساء على الإطلاق ولولاها لما تكاملت نبوة كلّ نبي، ونسلهما خير نسل، وولداها الإمامان الحسنان عليهما السلام سيدا شباب أهل الجنة، فيعمّ هذا المفهوم كل نبي مات شاباً أو كهلاً أو شيخاً كبيراً لأنّ أهل الجنَّة لا كهول فيهم. . . وهكذا بالنسبة إلى الذرية الطاهرة المعصومة من أئمة أهل البيت عليهم السلام فهم نفس النبيّ والوصيّ عليهما السلام لا ينفصلون عنهما أبداً بالفضائل والدرجات والمناقب. . . ولو كانت النبوةُ باقيةً مستمرةً بعد النبيّ الأعظم محمد صلى الله عليه وآله، لكانت متسلسلةً في هؤلاء المطهرين واحداً تلو الآخر، وما قصروا عنها أبداً إلّا لمانع في الحكمة الإلهية العامة، لا لقصورٍ في الاستعداد والقابلية. . !.

والخلاصة: إنّ أهل البيت عليهم السلام هم المقصودون في المُرْسَل المتقدِّم: «علماءُ أُمتي. . .»، وقد أوضحنا ذلك بإسهابٍ في كتابنا الجليل «ولاية الفقيه العامة في الميزان» عند مناقشتنا للطائفة السادسة من الأخبار التي اعتمدها دعاة ولاية الفقيه العامة؛ فليُراجَع.

إنَّ أهلَ البيت عليهم السلام هم القَدَرُ المتيقَن مِنْ مفهوم «علماء أمتي» وفي أخبار كثيرة عُبِّرَ عنهم بأنهم «أفضل من أنبياء بني إسرائيل» ومن عداهم مشكوكٌ فيه فالأصل عدمه؛ وحيث إنّ مولاتنا الصدِّيقة الصغرى زينب الكبرى عليها السلام من أبرز مصاديق العلماء بالله تعالى وحججه المطهرين عليهم السلام بمقتضى قول مولانا الإمام

(1) فالمراد بالعلماء خصوص أمير المؤمنين وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام ويشهد لهذا ما جاء في خبر جميل عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «نحن العلماء وشيعتنا المتعلمون، وسائر الناس غثاء» الكافي: ج1 ص34.

المعظَّم السجاد عليه السلام: «يا عمَّة أنتِ بحمد الله عالِمة غير معلَّمة وفَهِمَة غير مفهَّمة»؛ فلا ريب حينئذٍ في كونها من هؤلاء العلماء من آل محمّد عليهم السلام الذين دل عليهم المرسلُ المتقدِّم وغيره من الأخبار التي على شاكلته، على أنها أحد مصاديق آل محمّد بشهادة المعصوم لها في ذلك، وبالتالي تكون (صلوات الله عليها) أفضل من الأنبياء، فضلاً عن السيِّدة مريم عليها السلام وآسية بنت مزاحم رضي الله عنها...

بالإضافة إلى ما تقدّم: إنها عليها السلام مصداقٌ كامل من مصاديقِ قولِ أمير المؤمنين وإمام المتقين عليّ عليه السلام: «إنّا أهلُ بيتٍ لا يُقاسُ بنا أحدٌ من الناس»؛ ولا خلاف عند أعلام الإمامية في أن مولاتنا الحوراء زينب الكبرى عليها السلام هي من أبرز مصاديق هذا البيت الشريف الذي لا يُقاسُ به أحدٌ على الإطلاق لا نبي مرسَل ولا مَلَك مقرَّب ولا عبد امتحن الله قلبه بالإيمان...

المرسل النبوي صحيح سنداً ودلالةً:

يتضح مما تقدَّم: إنَّ الخبر المشار إليه أعلاه: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» صحيح بالوجوه الآتية:

(الوجه الأول): إن الخبرَ المتقدِّم بالرغم من ضعفه السندي الظاهر إلا أنَّه مجبور بعمل المتأخرين به وإفتائهم به في مقام الاستدلال الفقهي والعقائدي، وعملهم يجبرُ ضَعْفَه السندي بمقتضى القاعدة الأُصولية الصحيحة: «إن عمل المشهور بخبرٍ ضعيفٍ يجبر ضعفه، وإعراضهم عن خبرٍ صحيحٍ سنداً ودلالةً يوجب وهنه وسقوطه عن الحجيَّة»؛ لأنَّ عملهم توثيقٌ نوعيٌّ عمليٌّ للمخبر به، فيثبت به كونه ثقةً، كما أنَّ إعراضهم عن الخبر الصحيح تضعيفٌ عمليٌّ للمخبر به، ولا عبرة بقول المخالف بحقِّ المرسل المذكور من متأخري المتأخرين، وهو هنا المحدّث الحر العاملي (رحمه الله تعالى) الذي ضعَّف الخبر في الفائدة الخامسة والثمانين من فوائده الطوسيَّة، ناعتاً إياه بأنه من تلفيقات المخالفين الذين يغالون بعلمائهم في مقابل أئمة الهدى ومصابيح الدجى عليهم السلام، فتضعيفه

للخبر من حيثية كونه وسيلةً للاستغناء بالعلماء عن الأئمة المطهرين عليهم السلام ؛ ولكنَّه بالرغم من تضعيفه للخبر إلَّا أنَّ الظاهر من تأويله للخبر رجوعه عن ذلك من خلال عرضه للوجوه المنطبق عليها الخبر، ومالَ وعدلَ عنه إلى ما اعتقده مشهور المتأخرين من صحة دلالة الخبر المنطبقة على الاحتمالين اللذَيْنِ أشرنا إليهما خلال بحثنا المبارك، بل إنَّه احتمل اثني عشر وجهاً قابلاً للانطباق على الخبر، وقد ذكر خمسة وجوهٍ في انطباق الخبر على أئمة الهدى ومصابيح الدجى عليهم السلام ، ويظهر منه ميلُهُ للأخذ بالخبر حرصاً منه على عدم طرحه؛ لأنَّ الأخبار تنهى عن طرح الخبر المنسوب إلى أهل البيت عليهم السلام ما دام قابلاً للأخذ به وعدم مخالفته للكتاب الكريم وسنَّةِ النبيّ وآله الطيبين عليهم السلام . . . !.

وهذا الميل أو التردد لدى المحدِّث الحر العاملي (رحمه الله) كافٍ لعدم ردّ الخبر من الأصل، وبهذا يكون الخبر في غاية الصحة والمتانة لعدم وجودِ شذوذٍ يمنع من الأخذ به على الإطلاق، وهو ما أكده في المقدِّمة السابعة من الباب الأول في كتابه الآخر المسمى بـ: «الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة» تحت عنوان: «وجوب الرجوع في جميع الأحكام إلى رواة الحديث فيما رووه عنهم عليهم السلام » الحديث رقم ثلاث وعشرون، قال (رحمه الله تعالى): [وقد روى الخاصة والعامة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال: «علماء أُمتي كأنبياء بني إسرائيل].

وإذا ضممنا كلا قوليه في كتابيه المذكورين تكون النتيجة أنه ممن يعترفون بصحة المرسل النبوي، فقد أثبت في بداية كلامه في الفائدة الخامسة والثمانين من كتابه «الفوائد الطوسيَّة» أن بعض المتأخرين نقلوا الحديث من غير كتب الحديث، وعدم وجود مخالفٍ للخبر بينهم كما هو مفهوم كلامه في دعوى الإجماع في كتابه «الإيقاظ من الهجعة». . وعبارته واضحة الدلالة على أنَّ الخبر مما أجمع عليه الخاصة والعامة، وهو (رحمه الله) تعالى من جملة الخاصة القائلين به والمجمعين على صحته.

ولا عبرة بأقوال متأخري المتأخرين كما يظهر من كلام بعض المحشين على العروة الوثقى ممّن شكَّك في المرسل المذكور، إذ إنّ تشكيكه في غير محله، فهو

لا يعدو كونه اجتهاداً في فهم الخبر بما وسعه فهمه الضيِّق القابل للردِّ والنقاش، كما أنّ خروجه من ربقة المجمعين لا يقدح في أصل الإجماع القائل بصحة صدور الخبر عن المعصوم عليه السلام . . !!.

ونقصد بالمجمعين ها هنا: الشهرة القائمة بين المتأخرين، فهي شهرة بالمعنى الأعم لا بالمعنى الأخص، وقد يكون هناك شهرة للمرسل المتقدِّم بين المتقدِّمين إلا أنَّها لم تصل إلينا لظروفٍ موضوعية خفيت علينا، وعدم وجود شهرة له عند المتقدمين لا يضر بشهرته عند المتأخرين، فهناك العديد من الروايات لم يكن لها ذكر عند المتقدمين بسبب عدم اطلاعهم عليها، وبعد ذلك ظهرت عند المتأخرين، لذا تكفي الشهرة المتأخرة بالتفصيل الذي أشرنا إليه سابقاً. . . يرجى التأمل.

بالإضافة إلى ما تقدَّم: إنَّ المحدِّث الحرّ العاملي نفسه (رحمه الله) قد أثبت وجوب الأخذ بكلِّ خبرٍ منسوبٍ إلى أئمة الهدى وقادة الخلق عليهم السلام في كتابه: «الفصول المهمة في أصول الأئمة عليهم السلام» حيث عقد باباً كبيراً تحت عنوان: «عدم جواز الجزم بكذب الأخبار المنسوبة إليهم (صلوات الله عليهم)؛ ما يعني أنَّه لم يَسمح لنفسه بطرح المرسَل المتقدِّم وإلا لأدَّى ذلك إلى طرح أخبارهم مع أنّه روى أخباراً تحرِّم تكذيب كلّ خبرٍ منسوب إليهم. . . وإقراره بها يُعتبر حجَّة شرعية عليه، بمقتضى ما ورد بالمستفيض عنهم (سلام الله عليهم) قولهم الشريف: «إقرار العقلاء على أنفسهم جائزٌ».

ملاحظة مهمة: إنَّ حرمة ردّ كلّ خبرٍ منسوبٍ إليهم عليهم السلام مشروطة بعدم مخالفة الخبر للمباني الإعتقادية والفقهية عند الشيعة الإمامية، وإلا لجاز الأخذ بالأخبار المنسوبة إليهم بطرقٍ عامية تتوافق مع المباني الإعتقادية والفقهية لتلك الفرق، وهو أمرٌ خالفه أعلام الإمامية في عملية الإستنباط الفقهي والعقدي طبقاً لموازين التعادل والتراجيح في قبول أو ردّ الخبر.

(الوجه الثاني): لو سلَّمنا بعدم صدور المرسَل المتقدِّم - واقعاً وثبوتاً - عنهم (صلوات الله عليهم)، ولكنْ لا ريب في شموله لأخبار: «من بلغه ثوابٌ من

الله تعالى»؛ حيث إنّ هذه الأخبار المعتبرة المستفيضة دالَّةٌ على حسن انقياد العبد نحو الطاعة - ولا فرق في الطاعة بين أن يكون متعلقها فرعاً فقهياً أو أصلاً اعتقادياً، ما دام المتعلقان يصبان في الطاعة والإمتثال - وهي أخبارٌ كافية في إثبات استحباب الأخذ بكلّ ما وردت فيه رواية صحيحة الدلالة ولو لم تكن بشرائط الحجّيّة السنديَّة، وحتى لو لم تكن ثابتةً واقعاً، إذ إنّ مجرد التسليم بما ورد عنهم عليهم السلام ظاهراً كافٍ في صحة التمسك بالخبر المرسل بسبب الانقياد إليهم والبخوع والإذعان لأمرهم (صلوات الله عليهم).

مضافاً إلى شهادة حكم العقل بحسن إيجاد ما يحتمل كونه محبوباً عند الله تعالى، واستحقاق الأجر بسببه، هذا وإنْ لم يكن موجباً لصيرورة الفعل بعنوانه المخصوص به مستحبّاً شرعياً إلَّا أنّ غايةَ مفادِها رجحانُ إيجادِ الفعل الذي بلغ فيه ثواب أو ما هو ملزوم للثواب، أعني الأمر الشرعي، وهذا لا يدلّ على استحبابه شرعاً بعنوانه المخصوص، إلَّا أنّه يستفاد منها بضميمة حكم العقل رجحانُ إيجادِه ما لم يكن فيه احتمال حرمته ذاتاً إذا كان إيجاده لأجل كونه ممّا ورد فيه أمر شرعي أو حاكياً عن أمر شرعيٍّ، أو لرجاء كونه محبوباً عند الله تعالى من حيثية انقياد العبد نحو الطاعة؛ فهذه الحيثية الانقيادية، يجعله راجحاً ومحبوباً عند الله تعالى ولو لم يكن له حسنٌ ذاتيٌّ من حيث السند مع قطع النظر عن هذا العنوان.

تطبيق المرسَل على قاعدة «مَنْ بلغه ثوابٌ»:

وكيفية تطبيق المرسَل على القاعدة من جهة العمل بمضمونه على نيابة الفقهاء الأتقياء عن آل الله تعالى إنَّما هو في مجالي التبليغ والإرشاد، وهما مقامان عمليان يترتب عليهما العمل بإرشاداتهم وتعليماتهم كمشرعين ومقننين نيابةً عن الحجج الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، وتشريعهم في طول تشريع أهل بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم) وليس في مقابل تشريعهم وتقنينهم وإلَّا عُدَّ تشريعهم اجتهاداً في مقابل نصوصهم الشريفة وتشريعاتهم المنيفة.

ولا ريب في أنَّ سيدتنا الطاهرة الصدّيقة الصغرى الحوراء زينب عليها السلام في طليعة العلماء الربانيين الذين يجب العمل بإرشاداتهم وتعليماتهم ووصاياهم وأوامرهم ونواهيهم من حيث كون التعليم والإرشاد من آثار الحجيَّة التبليغية والإرشادية الثابتة لها بالقطع واليقين، بل هي (صلوات الله عليها) في أعلى درجات الحجية التشريعية في مقام العلم والعمل، فيكون المرسلُ المتقدِّم كاشفاً عن حجيتها وأفضليتها على عامة علماء الطائفة من هذه الحيثية التبليغية الإرشادية، فضلاً عن مساواتها بالأنبياء العظام من بني إسرائيل في الجهات الأربع الأُخرى: العصمة - العلم - العمل - ومقارعة الظالمين.

إنَّ سيّدتنا الطاهرة الزكيَّة (سلام الله عليها) هي الأكثر مطابقة للقاعدة المذكورة من حيثية احتمال صدوره عنهم (سلام الله عليهم)، فلا مجال لردّه لضعف سنده وإلَّا لكان الردُّ خلاف التسليم لأخبارهم الشريفة ولو كانت محتملة الصدور ما دامت لا تخالف الكتاب الكريم والسنَّة المطهرة والقرائن والشواهد الأُخرى.

(الوجه الثالث): لو تنزلنا عن الوجه المتقدِّم، وقلنا بأن المرسل لا ينطبق على علماء الطائفة باعتبار دلالته على عصمة علماء الأُمة المراد بهم أهل البيت عليهم السلام وليس شيعتهم الرواة المجتهدين، فلا ريب في شمول مفهوم العلماء لها (أرواحنا لها الفداء) من حيثية كونها معصومة مطهرة لا تفترق عن أبيها وأمها وسائر بقية آل الله تعالى، وهو أمرٌ قد اعترف به صاحب الشبهة من كونها (روحي فداها) المعصومة صاحبة العلم الحضوري؛ وهو تسليم منه بعلو فضلها، ولكنه نقض ما قاله من دون دراية والتفات، وأفسده بعد إحكامه وإبرامه فوقع في التيه والريبة... وما ربك بظلّام للعبيد.

وعلى كلِّ حالٍ: إن المرْسَل المتقدِّم خاصٌ بالمعصومين عليهم السلام، ولا علاقة له أصلاً بالعلماء التابعين للمعصومين عليهم السلام، وما ذهب إليه بعض المتأخرين من أنّه يشمل علماء الشريعة دونه خرط القتاد، وذلك لأن القدر المتيقن من معنى العلماء الوارد في المرسَل إنَّما هو آل محمَّد عليهم السلام كما جاء في الأخبار الصحيحة

بأن آل محمد هم العلماء، وغير المتيقن مشكوك فيه، فينفى بالأصل العدمي، فكونهم عليهم السلام هم العلماء يكون حاكماً على أيّ تفسير يصرفه عن آل محمد عليهم السلام إلى غيرهم من رواة شيعتهم؛ فيتعين أن تكون سيّدتنا الطاهرة الزكية زينب عليها السلام من العلماء المعصومين المنصوص عليهم في المرسَل المتقدم.

مولاتنا الطاهرة الزكيَّة من أبرز مصاديق مفهوم «العلماء» الوارد في المرسَل النبوي:

لا ريب في أنَّ سيدتَنا الطاهرة الزكيَّة زينب الكبرى (سلام الله عليها) داخلةٌ في حجيَّتِهِ من حيثيتين:

(الحيثية الأُولى): حيثية كونها معصومة؛ وقد أقرَّ صاحبُ الدعوى بأنها عليها السلام معصومة وذات علمٍ حضوريٍّ.

(الحيثية الثانية): حيثية كونها من أبرز مصاديق العلماء المعصومين من آل محمَّد عليهم السلام كما جاء في الحديث المستفيض بطرق متعددة عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: «يغدو الناس على ثلاثة أصناف: عالم ومتعلم وغثاء، فنحن العلماء، وشيعتنا المتعلمون، وسائر الناس غثاء».

والحاصل: إنَّ إقرارَ صاحبِ الدعوى بأنَّ سيدتنا الطاهرة الزكيَّة (سلام الله عليها) معصومةٌ، دلالةٌ واضحة على أنها مصداقٌ جليّ من أبرز مصاديق العلماء المعصومين من آل طه وياسين باعتبارها (روحي فداها) من أهل العصمة والطهارة بحسب إقراره، وإقراره على نفسه حجَّة عليه بمقتضى ما ورد عنهم في الخبر المشهور شهرة عظيمة: «إقرار العقلاء على أنفسهم جائز»؛ الذي يفيد بأنّ إقرار العاقل على نفسه يكون حجةً عليه، والمدّعي عاقلٌ قد أقرَّ بأمرٍ قطعيّ - وهو عصمة مولاتنا الحوراء زينب (سلام الله عليها) - فينفذ إقراره على نفسه كغيره من العقلاء المقرين على أنفسهم بجناياتٍ ودعاوى. . . ! ونحن ندينه بما دان به نفسه، ونلزمه بما ألزم به نفسه لقاعدة الإلزام المقررة عند عامة فقهاء الإمامية وهي قاعدة مأخوذة من الخبر المستفيض: «ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم»؛

والإلزام حجّةٌ شرعيةٌ وعقلائيةٌ، لا يمكنه التملص منها والهروب من أسرها، والعاقبة للمتقين. . .

وفي كلا الجهتينِ أو الحيثيتينِ المتقدِّمَتينِ تكونُ مولاتُنا الطاهرة الزكية (سلام الله عليها) من أظهر مصاديق الخبر الآنف الذكر، فيكون صاحبُ الشبهة قد خصم نفسه وألزمها بما أقرَّه على نفسه، ولله المنَّة والفضل. . ! وسيعلم الذين ظلموا آلَ محمَّدٍ أيَّ منقلبٍ ينقلبون.

وبما تقدَّم معنا: يتضح بأنَّ سيدتنا المباركة المطهرة الحوراء زينب (سلام الله عليها) من جملة الحجج الأطهار (سلام الله عليهم) فينطبق عليها الخبر الشريف: «علماء أُمتي كأنبياء بني إسرائيل»؛ وبالتالي تكون أفضل من السيِّدة مريم عليها السلام، بل إنَّ مريم بنت عمران عليها السلام لا تضاهيها فضلاً وشموخاً وعصمة وطهارة. . !! ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

وأنَّى لمريم عليها السلام أنْ تضاهي بنت أمير المؤمنين وبنت سيّدة نساء العالمين الزهراء البتول عليهما السلام. . ! وهي من قال بحقها الإمام الأعظم والإكسير الأكبر مولانا أسد الله الغالب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «إنَّا أهلُ بيتٍ لا يُقاسُ بنا أحدٌ».

فقوله الشريف: «لا يُقاسُ بنا أحدٌ» نكرة في سياق النفي، وهذا يفيد العموم؛ أي: إنّه لا يقاس بآل محمد عليهم السلام أحد من الخلق أجمعين، لا نبيٌّ مرسل ولا ملك مقرب ولا عبد امتحن الله قلبه بالإيمان؛ وحيث إن السيِّدة الطاهرة الزكيَّة زينب الحوراء عليها السلام من آل محمَّد عليهم السلام فلا تُقاسُ بها السيِّدة مريم بنت عمران عليها السلام ولا آسية بنت مزاحم رضي الله عنها ولا حواء عليها السلام، فإنها وتر موتور في الفضائل والمفاخر كآبائها الطاهرين عليهم السلام وأين الثرى من يد المتناولين. . !. وأقول كما قال إمامنا الرضا عليه السلام معرّفاً الإمام من آل

(1) سورة المائدة، الآية: 54.

محمد عليهم السلام ومعمماً الفضائل والمفاخر للأولياء من آل محمد عليهم السلام كعمته الحوار زينت عليها السلام : «. . . كيف وأنى وهو بحيث النجم من يد المتناولين ووصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا؟ أتظنون أن ذلك **يوجد في غير آل الرسول** صلى الله عليه وآله وسلم؟ كذبتهم والله أنفسهم، ومنتهم الأباطيل، فارتقوا مرتقاً صعباً دحضاً تزل عنه إلى الحضيض أقدامهم، راموا إقامة الإمام بعقول حائرة بائرة ناقصة وآراء مضلة؛ فلم يزدادوا منه إلا بعداً، قاتلهم الله أنى يؤفكون، ولقد راموا صعباً وقالوا إفكاً وضلوا ضلالاً بعيداً ووقعوا في الحيرة. . ».

نعم، لقد راموا إسقاط سيِّدة الطهر والقداسة والعصمة الحوراء زينب عليها السلام من عليائها ومقامها الربوبي وإنزالها عن رتبتها التي رتبها الله تعالى فيها، فقدَّموا عليها السيّدة مريم عليها السلام وآسية بنت مزاحم رضي الله عنها . . . كيف وأنى وهي بحيث النجم من يد المتناولين ووصف الواصفين، فأين الاختيار؟ وأين العقول عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا . .؟ أتظنون أن ذلك يوجد في غير آل الرسول. . . .؟ كلا ثم كلا . . .

فذلكة البحث: قد ظهر - بعون الله تعالى وتوفيق الحجج الطاهرين عليهم السلام - هشاشةُ وضعفُ ما ذهب إليه صاحب الدعوى من تفضيل مريم عليها السلام على العقيلة الطاهرة الحوراء زينب عليها السلام . . ! وهذا إنْ دل على شيءٍ فإنَّما يدل على عدم توفيقه وضعف تحصيله العلمي ككثيرٍ من العمائم المنخرطة في حوزاتنا العلمية وحاضرتنا الشيعيّة. . !.

ومصيبتنا اليوم تكمن في ظهور عمائم على الفضائيات تملك المال والجاه الحزبي، فتخفق خلفها النعال، فتتبجح بكثرة الأنصار والأعوان، فترى نفسَها فوق مقام المحاسبة والمراقبة، فتنصِّب نفسَها على الأُمَّة، فتفتي بما لا تعلم، فهي مصداق ما كشفه أمير المؤمنين والإمام الصادق (صلوات الله عليهما) في ذمهما للمفتين بغير علمٍ، كما في الكافي الشريف بإسناده عن محمد بن يحيى عن

بعض أصحابه وعلي بن إبراهيم عن أبيه عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن إمامنا المعظَّم الصادق عليه السلام، وبسند آخر عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن محبوب رفعه عن أمير المؤمنين أنَّه قال: «إِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الْخَلْقِ إِلَى الله عَزَّ وجَلَّ لَرَجُلَيْنِ رَجُلٌ وَكَلَه الله إِلَى نَفْسِه فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، مَشْعُوفٌ بِكَلَامِ بِدْعَةٍ، قَدْ لَهِجَ بِالصَّوْمِ والصَّلَاةِ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنِ افْتَتَنَ بِه، ضَالٌّ عَنْ هَدْيِ مَنْ كَانَ قَبْلَه، مُضِلٌّ لِمَنِ اقْتَدَى بِه فِي حَيَاتِه وبَعْدَ مَوْتِه، حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِه، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِه.

ورَجُلٌ قَمَشَ جَهْلاً فِي جُهَّالِ النَّاسِ، عَانٍ بِأَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ - أي: أَسِيرٌ في ظُلُمَاتِ الفِتْنَةِ -، قَدْ سَمَّاه أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِماً ولَمْ يَغْنَ - أي: لم يلبث يوماً تاماً - فِيه يَوْماً سَالِماً بَكَّرَ - أي: خرج للطلب بكرةً ليجمع الشبهات والآراء الباطلة - فَاسْتَكْثَرَ مَا قَلَّ مِنْه خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ حَتَّى إِذَا ارْتَوَى مِنْ آجِنٍ - أي: شرب حتى ارتوى من العلم الفاسد - واكْتَنَزَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ - أي: عدَّ ما جمعه كنزاً وهو غير طائلٍ لا نفع فيه - جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِياً ضَامِناً لِتَخْلِيصِ مَا الْتَبَسَ عَلَى غَيْرِه، وإِنْ خَالَفَ قَاضِياً سَبَقَه لَمْ يَأْمَنْ أَنْ يَنْقُضَ حُكْمَه مَنْ يَأْتِي بَعْدَه كَفِعْلِه بِمَنْ كَانَ قَبْلَه، وإِنْ نَزَلَتْ بِه إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ الْمُعْضِلَاتِ هَيَّأَ لَهَا حَشْواً مِنْ رَأْيِه ثُمَّ قَطَعَ بِه، فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ غَزْلِ الْعَنْكَبُوتِ لَا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ، لَا يَحْسَبُ الْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَ، ولَا يَرَى أَنَّ وَرَاءَ مَا بَلَغَ فِيه مَذْهَباً، إِنْ قَاسَ شَيْئاً بِشَيْءٍ لَمْ يُكَذِّبْ نَظَرَه، وإِنْ أَظْلَمَ عَلَيْه أَمْرٌ اكْتَتَمَ بِه لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِه لِكَيْلَا يُقَالَ لَه: لَا يَعْلَمُ ثُمَّ جَسَرَ فَقَضَى فَهُوَ مِفْتَاحُ عَشَوَاتٍ - أي: **إنّه يفتحُ على الناسِ الشبهات** - رَكَّابُ شُبُهَاتٍ - **أي يبتدع الشبهات** - خَبَّاطُ جَهَالاتٍ، لَا يَعْتَذِرُ مِمَّا لَا يَعْلَمُ فَيَسْلَمَ ولَا يَعَضُّ فِي الْعِلْمِ بِضِرْسٍ قَاطِعٍ فَيَغْنَمَ، يَذرِي الرِّوَايَاتِ ذَرْوَ الرِّيحِ الْهَشِيمَ - **أي: يطرحُ الرواياتِ كما تطرحُ الريحُ النَّبْتَ اليابسِ المتفتت** - تَبْكِي مِنْه الْمَوَارِيثُ، وتَصْرُخُ مِنْه الدِّمَاءُ، يُسْتَحَلُّ بِقَضَائِه الْفَرْجُ الْحَرَامُ ويُحَرَّمُ بِقَضَائِه الْفَرْجُ الْحَلَالُ، لَا مَلِيءٌ بِإِصْدَارِ مَا عَلَيْه وَرَدَ - أي ليس ثقةً علمية في

تفسير ما يرد عليه من العلوم المتشابهة – ولا هُوَ أَهْلٌ لِمَا مِنْه فَرَطَ مِنِ ادِّعَائِه عِلْمَ الْحَقِّ».

أشارت الروايةُ الشريفة إلى الصفات التي يتصفُ بها المفتون بغير علمٍ ومنهم صاحبُ الشبهة، وهي الآتية:

(**الصفة الأولى**): إنَّه يعتمد على عقله الضعيف ونفسه الأمَّارة بالسوء.

(**الصفة الثانية**): يحبُّ نشرَ البِدَعِ والتشكيك في الأحكام والعقائد والفضائل والمكارم.

(**الصفة الثالثة**): يتظاهر بالصلاح والتقوى والولاء لآل محمد عليهم السلام والبراءة من أعدائهم.

(**الصفة الرابعة**): ضالٌ عن السلف الصالح من رواة أصحاب الأئمة الأطهار (سلام الله عليهم)، فلا يروي عنهم بمقدار ما يروي عن أعدائهم.

(**الصفة الخامسة**): يجمع الشبهات والأضاليل والآراء الباطلة.

(**الصفة السادسة**): أسير في ظلمات الفتن.

(**الصفة السابعة**): يسميه الناس عالماً، وليس فيه ما يدل على العلم الصحيح.

(**الصفة الثامنة**): يجمع ما لا فائدة أُخروية فيه للناس البسطاء.

(**الصفة التاسعة**): ينصّب نفسه للناس قاضياً زاعماً أنه يخلصهم من الضلال، في حين أنّه يكون السبب والعلّة في إضلالهم وانحرافهم عن الصراط المستقيم.

(**الصفة العاشرة**): يفتي برأيه المحشو بالأقيسة والاستحسانات العاميَّة ليضلَّ الناس عن الحقِّ والصواب.

(**الصفة الحادية عشرة**): لا يدري أنه ضالٌّ مضلٌّ، بل يعتقد بأنه عالم جهبذ رغم كونه جاهلاً بالجهل المركب.

(**الصفة الثانية عشرة**): ينكر كلَّ علمٍ يخالفُ حشو رأيه.

(**الصفة الثالثة عشرة**): يخفي على الناس جهله؛ لكي لا يقال بأنه لا يعلم.

(**الصفة الرابعة عشرة**): يفتح على الناس الشبهات والآراء الفاسدة، ويقنعهم بها مستغلاً جهلهم، فيتعصَّبون لباطله.

(**الصفة الخامسة عشرة**): يسيرُ في دروبِ الجهل والضلال.

(**الصفة السادسة عشرة**): لا يعتذرُ من جهله وإساءته إلى العلماء المخلصين لأهل بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم).

(**الصفة السابعة عشرة**): ليس متمكناً من العلم القطعي.

(**الصفة الثامنة عشرة**): يطرح الروايات المحكمة كما تطرحُ الريحُ الهشيمَ.

(**الصفة التاسعة عشرة**): يفتي بغير علمٍ فيخلطُ الحلالَ بالحرام، والحقَّ بالضلال، والنورَ بالظلام، والمحكم بالمتشابه.

(**الصفة العشرون**): ليس ثقةً علميةً بما يفتي[1]، وليس أهلاً لكي يجلس مجلس الإفتاء وبيان الحق.

لقد اجتمعت كلّ هذه الخصال الباطلة في ذات المدّعي صاحب شبهة تفضيل مريم عليها السلام على سيِّدة النساء بعد أُمّها الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام من

(1) الغريب العجيب من الشيخ الكويتي كيف تهكم علينا بحلقة خاصة عبر قناته فدك من العام 1436هـ؛ لأن العلماء لقبونا بأسد الشيعة وحكم علينا بالفسق ونهى المؤمنين عن الإصغاء إلينا حقداً علينا وازدراءً بنا وانتقاصاً منا في الوقت الذي لقب فيه نفسه بثقة الإسلام والمسلمين. . .مع أن اللقب المذكور لا يطلق إلا على الرواة الأجلاء المحصلين والجامعين لأخبار الغر الميامين. . بالإضافة إلى أن اللقب بثقة الإسلام والمسلمين أعظم مدحاً من لقب أسد الشيعة، وهو معنى مجازي يشير إلى شجاعة صاحبه ووقوفه بوجه الأباطيل والأراجيف، كما أنه ليس بأعظم من لقب آية الله العظمى ولقب إمام وحكيم وقدوة الأولين والآخرين وسلطان المؤلفين وولي أمر المسلمين. . .كل هذه الألقاب لا تضر بأصحابها ولا يخرجون من الدين لأن ذويها ممن يحبهم الشيخ الموتور ويتفانى بالدفاع عنهم ليغطي على تبعاته كي لا يصدرونَ بحقه الفتاوى. . .فباؤه تجر وباء غيره لا تجرَّ. . ! سبحان ربك رب العزة عما يصفون، والموعد يوم القيامة وهنالك يخسر المبطلون.

دون خجلٍ أو حياء مما ارتكبه وافتراه لتصدِّيه مقاماً ليس له بسبب جهله وعمله بالقياس والاستحسان كما هو ديدن غيره من عمائم هذا العصر، وهو ما أوضحناه خلال نقدنا على دعاويه الباطلة التي لا يفطن إليها إلا صاحب البصيرة بعلوم آل محمد عليهم السلام .

وعمله بالقياس هو الذي أوقعه في الشبهة والضلال عن الحق، فجعلنا في مقام الردِّ عليه، حرصاً منا على سلامة المسيرة العلميَّة للحوزة الشيعية المباركة على قاعدة: «إذا ظهرت البدع في أُمتي فعلى العالم أنْ يُظهر علمه وإلا فعليه لعنة الله تعالى» لكي يحذره الناس في دينهم ودنياهم إلا إذا تاب إلى ربِّه وعاد إلى رشده، وأصلح ما بينه وبين آل محمد عليهم السلام ، فساعتئذٍ يكون من العباد الصالحين ويعفو الله عما سلف، ويكون أخاً لنا في الدين.

لقد أوقع صاحبُ البدعةِ الناسَ في الضلال والحيرة كما فعل غيره من جهلة الحوزات العلمية الشيعية قديماً وحديثاً، وهم ثلةٌ تقف وراءها جهاتٌ سياسية عالمية وإقليمية ليقلبوا الموازين العلمية الشيعية من خلال المآزر والعمائم الشيعية المبسوطة اليد مستفيدةً ممّا تملكه من أموالٍ طائلة تشتري النفوس والذمم، والناس على عادتهم يميلون مع كلِّ من يقربهم من الضلالة لينعموا برغد العيش الذي لا يكونُ إلَّا باتباع الشهوات وركوب الضلالات، فهم عبيدٌ لشهواتهم ونزواتهم على حساب الدين ومعالم الأئمة الطاهرين عليهم السلام ، وهم مصداقٌ كاملٌ للحكمة الحسينية (على صاحبها آلاف السلام)، والتحية وقد جاء فيها قوله الشريف عليه السلام لمَّا نزل كربلاء: «أمَّا بعد فإِنَّ النّاسَ عَبيدُ الدُّنْيا، وَالدّينُ لَعْقٌ عَلى أَلْسِنَتِهِمْ يَحُوطُونَهُ ما دَرَّتْ مَعائِشُهُمْ، فَإِذا مُحِّصُوا بِالْبَلاءِ قَلَّ الدَّيّانُونَ».

ولو أنَّ الناسَ تمسكوا بالحقِّ المتمثل بآلِ محمد عليهم السلام لمَّا انحرفوا واتبعوا كلّ أمرٍ مريب، ولكنهم لم يأخذوا العلم من مصدره فاتبعوا كلّ صائح وناعقٍ كما قال الإمام الأعظم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لكميل بن زياد النّخعيّ: «يا كميل بن زياد إنّ هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، فاحفظ عنّي

ما أقول لك: النّاس ثلاثة: عالمٌ ربّاني، ومتعلَّمٌ على سبيل نجاة، وهمجٌ رعاع، أتباع كلّ ناعق، يميلون مع كلّ ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركنٍ وثيق...».

إنَّ تقسيمه عليه السلام للناس إلى ثلاثة أصناف هو قسمةٌ منطقية صحيحة؛ وذلك لأنّ طبيعة البشر بحسب الواقع ثلاث: إمّا عالمٌ بالحقيقة، عارفٌ بالله تعالى وذائدٌ عن حياض حججه المطهرين (سلام الله عليهم)، وإمّا شارع في ذلك فهو طور السّفر إلى الله يطلبه بالتّعلّم والاستفادة من العالم الرباني، وإمّا لا ذا ولا ذاك، وهو العامّيّ السّاقط الَّذي لا يعبأ اللهُ تعالى به.

وصدق عليه السلام في قوله الشريف: «أنّهم همج رعاع أتباع كلّ ناعق»؛ وذلك لأنهم ينتقلون من تقليد شخصٍ إلى تقليد آخر، لأدنى خيال وأضعف وَهْمٍ مما يتناسب وشهواتهم ومصالحهم، فمن يفتي لهم بالتراخيص يقدسونه ويرفعونه فوق أكتافهم، ومن أحجم بفتواه عن الدخول في الشبهات والمحرمات أدخلوه في سلك المرضى والمتحجرين..!. لا عجب في ذلك فإنهم همج رعاع يميلون مع كلِّ ريح وينعقون مع كلّ ناعق يصدهم عن السبيل.

قال ابن الأثير: في حديث مولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «وسائر النّاس همج رعاع».

والهمج اصطلاحاً هم: رذالة النّاس، وهو لغةً: ذباب صغير يسقط على وجوه الغنم والحمير، وقيل: هو البعوض، فشبّه به رعاع النّاس، يقال: هم همج هامج على التّأكيد، ومنه حديثه أيضاً: «سبحان من أدمج قوائم الذّرّة والهمجة» هي واحدة الهمج، وقد استعير لفظ الهمج هنا للدلالة على الأسقاط من النّاس والجهلة، ويقال للرّعاع من النّاس: همج، والرّعاع بالمهملات وفتح الأوّل: العوام والسّفلة. وفي الحديث: «نحن العرب وشيعتنا منّا وسائر النّاس همج أو هيج، قال الرّاوي: قلت: وما الهمج قال: الذّباب، قلت: وما الهيج؟ قال: البقّ». وفسّر رعاع النّاس بسقاطهم وأخلاطهم، والواحد رعاعة، رجل رعاعة وهجاجة؛ أي: ليس له فؤاد ولا عقل، وهو من الرّعرعة وهي اضطراب الماء

على وجه الأرض؛ لأنّ العاقل يوصف بالتثبّت والتّماسك، والأحمق بعكس ذلك.

بعد معرفة معنى الكلمتين؛ أي: الهمج والرّعاع، يتّضح ما وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «أتباعُ كلِّ ناعق إلى آخره»، وفي الحقيقة هو تفسير لهم وبيان ما لا ينفكّ عنهم، فيثبت الوصف على كلّ من لم يكن داخلاً في القسمين: العالم الرّبّانيّ، والمتعلَّم على سبيل نجاة.

والتّطبيق قهريّ وعقليّ فمن شاء فليدخل إمّا في الصّنف الأوّل أو الثّاني الممدوحين، أو يكون من الهمج الرّعاع.

وقال عليه السلام : «قصم ظهري رجلان: عالمٌ متهتّك، وجاهلٌ متنسّك، هذا ينفّر الناس بتهتّكه، وهذا يضلّ الناس بتنسّكه».

وقال عليه السلام : «أقلّ الناس قيمةً أقلّهم علماً، قيمة كلّ امرئ ما يُحسنه، وكفى بالعلم شرفاً أنه يدّعيه مَن لَا يحسنه ويفرح إذا نُسِبَ إليه، وكفى بالجهل ذمّاً أنه يبرأ منه مَن هو فيه ويغضب إذا نُسب إليه، والناس عالمٌ ومتعلّمٌ وساير الناس همجٌ رُعاع لَا خير فيهم».

هذا هو حال الجهلاء. . ! وما أكثرهم في حوزاتنا العلمية اليوم حيث صار يدَّعي العلمَ رعاعٌ من الناس هم أحوج إلى من يعلّمهم ويرشدهم. . ! ولكنَّ الإعلام المسيَّس رفع أقواماً لا نصيب لهم من علوم آل محمد عليهم السلام ووضع أعلاماً نيِّرة لها أُسوة حسنة بسادة الورى ومصابيح الدجى الذين حبسهم الطواغيت في بيوتهم فَقَصَروا الدولة على الصبيان بدل العلماء، وهذا هو واقع الشيعة اليوم حيث نصَّبوا الصبيان قوامين عليهم وأبعدوا وتباعدوا عن العلماء. . . ! ولا عجب في ذلك، إذ كلَّ إناءٍ بما فيه ينضح. . !! فقد تعبدوا بغير طريقة آل محمد عليهم السلام وأخذوا من غير علومهم ومعارفهم فصاروا كحمار الطاحونة يدور ولا يبرح من مكانه. . !!.

لقد تمسك المدَّعي صاحب الشبهة بالقياس **رافضاً الأخبار** الصريحة في سيادة مولاتنا فاطمة بنت أسد عليها السلام على العذراء مريم عليها السلام فضلاً عن سيادة

مولاتنا المعظمة العقيلة زينب عليها السلام أو **أنَّه غيرُ مطلعٍ عليها**؛ وهو في كلتا الحالتين صار مصداقاً لقول أمير المؤمنين عليه السلام: «يذري الروايات ذرو الريح الهشيم»؛ أي: يضيِّعُها فلا يعمل بها، أو يتأول فيها تأويلات فاسدة لجهله بها... لا لشيءٍ إلَّا لأجل عمله بالقياس لغايةٍ في نفسه، باتت معالمها واضحةً لكلِّ طالبٍ للحقِّ ومنفتحٍ على الواقع والحقيقة... ووراء الأكمة ما وراءها!! والعمل بالقياس محرَّم عندنا نحن الشيعة لابتنائه على المزاج الشخصي في مقابل التعبد بالأخبار والنصوص وهو ما يسمَّى بالاجتهاد في مقابل النصّ الذي اعتمده المخالفون عن بَكْرَةِ أَبيهم ومال إليهم بعض الشواذ من المحسوبين على التشيُّع في عصرنا الحاضر، ويرجع الميل المذكور إلى أسبابٍ متعددة منها: الانفلات من القيود الدينية، والتقرب إلى الفكر البكري، وتأسيس القاعدة الشعبية القائمة على التفاعل مع الفكر الوحدوي الممهد لبسط النفوذ والسيطرة وحبّ الشهرة...!.

وهو عين ما أجاد به مولى المؤمنين الإمام الصادق (سلام الله عليه) كما جاء في الكافي بإسناده عن الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ أَبِي شَيْبَةَ الْخُرَاسَانِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ أَصْحَابَ الْمَقَايِيسِ طَلَبُوا الْعِلْمَ بِالْمَقَايِيسِ، فَلَمْ تَزِدْهُمُ الْمَقَايِيسُ مِنَ الْحَقِّ إِلَّا بُعْداً، وإِنَّ دِينَ الله لَا يُصَابُ بِالْمَقَايِيسِ».



الخاتمة

نقول وبالله تعالى نستعين: إن الغاية التي من أجلها أسهبنا الكلام في هذا البحث الكريم بتفنيد ما زعمه الشيخ ياسر حبيب الكويتي، هي التنبيه من الانحرافات العقائدية والفقهية التي تطلُّ علينا بين الحين والآخر من قبل علماء سوء تزيوا بزيّ العلماء ولديهم خلفيات بترية تريد تقويض التشيع من الأساس وهدم بنيانه الشريف الصلب الذي عجز عن تقويضه المخالفون من خارج الطائفة، فعمدوا إلى هدمه من الداخل بمعاول ظاهرها شيعي ولكنَّ واقعها بكريٌّ عمريّ... فعلى المؤمنين الموالين: فقهاء، علماء، طلبة علوم، تجار، أطباء، كسبة... إلخ، أن يصغوا إلى الحقّ وأن يتدبروا جيداً في أقوال أئمتهم الطاهرين عليهم السلام من خلال الرجوع إلى الإمام الحجَّة القائم عليه السلام (أروحنا لتراب مقدمه الشريف الفداء) عبر الاستغاثة به والطلب منه (أرواحنا فداه) أن يوفقهم لسلوك طريق الحق واتباعه... لأنه إمام الهدى والحق، يرفع الحيرة والشك من نفوس الطالبين للهداية والحق والصواب، فإنه لن يبخل عليهم بإيصالهم إلى معرفة الحق وسلوك طريقه إلهاماً وتوفيقاً وتسديداً، أو عبر الفقهاء والعلماء العدول المخلصين بالولاء لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام والتبري من أعدائهم، ولا نقصد بالفقهاء كلّ من تسنم عرش المرجعية أو تشدق بمصطلحات دينية أو بإجازات اجتهاد هزيلة تُباع وتُشترى في هذا الزمان ولا تعبَّر عن واقع من أُعطيت له ممّن يُعتبَر من الكسالى غير المحيطين بقواعد الاستنباط الفقهي وبمفاهيم الولاية لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام والبراءة من أعدائهم... كما أنّنا لا لم نقصد بالعلماء كلَّ من اعتمر عمامةً على رأسه... بل نقصد بهم من كان متقناً قواعدَ الاستنباط وعارفاً بمقاماتهم الشامخة، مؤمناً بكلّ ما جاؤوا به ودعوا إليه... وليكن في بال الشيعة أن من طلب الهدى فلن يضلَّ عنه

بمقتضى قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

فَلْتَحْذَرْ عمائم السوء ممن أنتجتهم مصانع أحزاب الدعوة المتلونة بمظاهر التشيع وهي في الواقع رموز بكريَّة - عمريَّة - بترية ملفّقة، تكيد للتشيع الحقد والضغينة. . . !.

وقد قمنا في بحثنا هذا بما أوجبه علينا ديننا وتكليفنا الشرعي من إلقاء الحجَّة على عوام الشيعة وعلمائها حتى لا يقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[2]؛ لأنَّ لله تبارك شأنه الحجَّة البالغة: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[3].

وقد فندنا خلال بحثنا المبارك - دفاعاً عن الصدّيقة الكبرى الحوراء زينب (سلام الله عليها) - مزاعمَ الشيخ ياسر حبيب وكمال الحيدري وأضرابهما ممن اغتر بهم الكثير من عوام الشيعة والمتزيين بزيّ العلم. . . فقد حاول الشيخ المذكور بمكره ودهائه أنْ يضلَّ القواعدَ الشيعيَّة بتظاهره بالكراهية لعائشة وأصحاب السقيفة؛ لأنه يعلم يقيناً مدى بساطة وهشاشة عوام الشيعة الذين يعومون على شبر ماءٍ بمجرد أن يروا معمماً يعلن عداوته لأصحاب السقيفة وهو يبطن الإيمان بهم وبمنهاجهم الفقهي والمعرفي؛ وهو ما خبرناه من خلال ترصدنا لكلمات هذا وذاك ممن جعل نفسه في مصافّ الفقهاء والمتكلمين. . . ! وقد نصحنا أحدُ الأكابر من إخواننا علماء الطائفة بألا نهبط إلى درك جهل هؤلاء المعممين الضالين وأن لا نردَّ عليهم. . . وهم مشكورون على نصيحتهم؛ إلا أننا لمّا رأيناهم تمادوا في غيّهم وضلالهم وقد اغتر بهم جهلاء كثيرون، شمرنا عن ساعد الجهاد في سبيل سادة الخلق (سلام الله عليهم) للوقوف ضد أولئك

---

(1) سورة العنكبوت، الآية: 69.
(2) سورة الأعراف، الآية: 172.
(3) سورة الأنعام، الآية: 149.

الموتورين وتعرية حقائقهم الخبيثة على القاعدة النبوية الشريفة: «**إذا ظهرت البدع في أُمتي فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله**»؛ مع علمنا القطعي المسبق بأنَّ أكثرَ الجهلة من المعممين لن يتقبلوا كلامنا، بل سيزداد سبُّهم ولعنهم لنا..! ولكنَّ ذلك قليلٌ في جنب طاعة الله وطاعة وليّ أمره الحجَّة بن الإمام الحسن العسكري (صلوات الله عليهما) بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾[2] وعلى قاعدة قول مولانا الإمام المعظَّم موسى الكاظم عليه السلام للفضل بن يونس: «**أبلغ خيراً وقل خيراً ولا تكن إمّعة**» فقال الفضل: وما الإمّعة؟ فقال عليه السلام: «لا تقل أنا مع الناس وأنا كواحدٍ من الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا أيها الناس، إنما هما نجدان، نجد خير، ونجد شر، فلا يكن نجدُ الشر أحبّ إليكم من نجد الخير».

وفي حديثه الشريف إشارة واضحة عند المتبصرين في المعارف الحقَّة بأنَّ على المؤمن أن يقف موقفاً، فإمَّا أن يكونَ مع الحقِّ وإلا فهو مع الباطل...!.

ونحن بردِّنا هذا على الشيخ ياسر حبيب، تماماً كردِّنا السابق على كمال الحيدري في كتابنا «السيف الضارب في الردّ على منكري اللقاء بالإمام الحجَّة الغائب (سلام الله عليه) لم نبتغِ سوى وجه الله تعالى ولنردَّ المعالم من هذا الدين لمّا رأينا أنَّ الأهواءَ هي الحاكمة على التصرفات والأقوال والأفعال، فأردنا أنْ يكونَ الحقُّ هو الحاكم، وأنْ تكونَ كلمةُ أئمةِ الهدى عليهم السلام هي العليا، وكلمة غيرهم هي السفلى.... وحيث إنَّ الشيخ ياسر حبيب قد جعل كلمة رواة البترية والنصب لآلِ محمد عليهم السلام هي العليا لمّا أسقط سيدتنا الطاهرة الزكية الحوراء زينب عليها السلام من مقامها الشامخ عبر خبر عكرمة الناصبي عن ابن عباس الذي لا يعتقد الشيخ ياسر بصدق إيمانه - كما هو مقرر في أحد أجوبته عن ابن عباس في

(1) سورة الذاريات، الآية: 55.

(2) سورة النساء، الآية: 135.

موقعه الإلكتروني - ارتأينا في أنْ يكونَ الردُّ خالصاً لجمال طلعتها المباركة وروحها المطهرة، كيف لا؟ وهي وليَّةُ الله الكبرى وسيدتُنا المعظَّمة التي من أجلها نموت ونحيا. . . ولو كلفنا الدفاع عنها حياتنا وسمعتنا. . . فإننا لا نبالي بما سيؤول إليه أمرنا من قبل جهات لا تتورع عن الحرام دفاعاً عن قادتها - كالبتريين الجدد وأنصار هذا الشيخ الذين لا يوقرون عالماً رفع من مقام أولياء الله تعالى، بل غايتهم رفع مقام من يحبون - فإننا نتمثل بقول مولانا وليّ الله عليّ الأكبر لأبيه المعظم سيِّد الشهداء عليه السلام: «**يا أبه أفلسنا على الحق؟ فقال: بلى يا بني والذي إليه مرجع العباد فقال: «أبه إذن لا نبالي بالموت إذا كنا على الحق والهدى**»، وأتمثل بقول عمار بن ياسر (رضي الله تعالى عنه): «**والله لو بلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أننا على الحق وهم على باطل**». . .

وإن دفاعنا عن مقام تلك الحرَّة الزكيَّة (سلام الله عليها) من خلال تفنيدنا لاعتقاد الشيخ ياسر حبيب بتفضيل مريم على الحوراء زينب (سلام الله عليها) سيزيد من افتراء ونقمة الشيخ المذكور وأتباعه علينا بالسبّ والشتم والقدح كعادتهم المعروفة؛ إلا أن لنا في آلِ محمد (سلام الله عليهم) أُسوة حسنة، فلا يهمنا سخطهم، ولا نبالي بنعيقهم وضجيجهم ما دمنا على طريق ولاية العترة الطاهرة عليهم السلام ومن الملتجئين إلى كهفهم وحصنهم. . . وقد سبق هجومهم علينا قبل تصنيفنا لهذه الرسالة، ويا ليتهم علماء يتكلمون بعلمٍ، وينتقدون بعلمٍ وعدل. . . ولكنَّهم أناسٌ غوغائيون لا يعرفون سوى لغة السبِّ والشتم والكذب والقذف والتسقيط بغير حق، ونشكوهم إلى الله تبارك مجده حيث لا يترك ظلامة مؤمن هجر الأحبة والأصحاب والعشيرة والأقرباء في سبيل رفعة آل محمد والذود عن حياض ولايتهم الشريفة. . . فالهجوم علينا متشعب الأطراف لا يقتصر على جانب البتريين والنواصب فحسب، بل عمَّ المتجلببين بثوب التبري من أعداء آل محمد؛ وهذا إنْ دل على شيءٍ فإنَّما يدل على حاله الازدواجية النفسية والعقائدية التي يعيشها هؤلاء المتشيعون في وقتنا الحاضر من جهة،

وعلى حقدهم علينا بسبب وقوفِنا بوجه مشاريعهم ومناهجهم الفكرية المنحرفة من جهة أُخرى. . !.

ولو كانوا من أهل البصائر في العقيدة والولاء، لكانوا شكرونا على ما بذلنا من جهد في سبيل رفعة مقام أولئك الأطهار (سلام الله عليهم). . . إلا أن ضيق قابلياتهم الولائية أوقعهم في التيه والحيرة والإسفاف والسقوط في أحضان من لا يقدر على دفع عقبة كؤود تعترضهم يوم الحشر الأكبر. . . ! بل سيكون ولاؤهم له حسرةً يوم القيامة بما كانوا يفعلون بالموالين من غمزٍ وهمزٍ وقذفٍ بهم لأجل دفاعهم عن العترة الطاهرة وتنزيهها عن كلِّ ما يسيء إلى كرامتها ومقامها وعلو قدرها عند الله المتعال. . . مع أن التعصب للحقّ إنَّما يجب أن يكون شرعاً وعقلاً للسيّدة الحوراء زينب (سلام الله عليها) وليس للشيخ ياسر حبيب. . . لذا ننصحهم بأن لا يكونوا كأتباع قادة البترية الحديثة يتعصبون للباطل الذي يكتنزه قادتهم، فإن الحقَّ أحقُّ أنْ يتبع وإن الهدى هو هدى آل محمد. . . إعرفوا الحقَّ تكونوا من أهله ودعاته وارفضوا الباطل من أية جهة صدر، واعلموا أن العظيم هو من كان عظيماً بطاعته لله تعالى وبتنزيهه لآلِ محمدٍ عليهم السلام عن كلِّ ما يقلل من شأنهم وعلو مقامهم، وكان تقياً في عقيدته وأقواله وأفعاله، والوضيع هو من كان ضعيفاً في معارفه وولائه وقليل الورع والتقوى. . . . ويا ليت الشيخ ياسر حبيب وازن بين ما يجهر به من العداوة لأعمدة السقيفة - بحسب دعواه ببغضه الشديد لأولئك الطواغيت - وبين الولاء العميق لعترة النبيّ والوليّ عليهما السلام ؛ وهو ما لم يوفَّق إليه من حيث التبري والتولي، فلم تكن عداوته خالصة تجاه أعداء آل محمد، من جهة ركونه إلى أخبار أعدائهم، كما لم تكن ولايته لأهل البيت عليهم السلام خالصة أيضاً من جهة ضعفه في تحصيل المعارف المتعلقة بذواتهم ومقاماتهم وعلو قدرهم. . . كما لم يوفَّق في الكثير من الاعتقادات والأحكام التي انحرف بها إلى جانب التفريط اعتماداً منه على آراء فقهية وعقائدية شاذّة وفاسدة التقطها من هنا وهناك لتصبَّ في خانة المخالفين وتزيد من تعصب البتريين الجدد لباطلهم. . .

إنْ تخلّف الكثيرين من علماء الإمامية - سوآء كانوا من المتأخرين أو بعض

الشواذ من المتقدمين - عن حقائق التشريع والطرق الصحيحة الموصلة إليه، أدَّى إلى وقوعهم في تضاربٍ وتعارضٍ وتهافتٍ في فتاوى وعقائد تثير العجب والاستغراب. . . وقد أفلح المحقق سديد الدين الحمصي الذي نقل عنه الشهيد الثاني في كتابه «شرح البداية في علم الدراية» قوله (رحمه الله): «إنه لم يبقَ للامامية مفتٍ على التحقيق؛ بل كلُّهم حاكٍ».

ويا ليتهم حكوا عن الحق، بل لم يحكِ بعضهم إلا عن قياسٍ عاميٍّ، ومنهاجٍ عمريٍّ يأمر بترك السنّة النبوية، ويمنع تدوين الأحاديث ونشرها، عملاً بالقاعدة التي ابتدعها: «حسبنا كتاب الله»؛ وقد تأثر بهم الشيخ ياسر حبيب - وغيره من المتزيين بزي العلم - تقصيراً أو قصوراً؛ فضلوا وأضلوا. . .! وإذا دعتنا الحاجة إلى استعراضِ بعضٍ مما وقع فيه الشيخ المذكور، فسنفعل بإذن الله تبارك مجده، لنكشف الغطاء عما كان مستوراً. . . لنريه وجه الخلل الذي وقع فيه ظناً منه أنه صواب وفلاح واجتهاد، مع أنه ليس إلا تقليداً لغيره ممن شطح في الاستدلال والبيان. . . . فالتقطه من هنا وهناك وجعله باباً من أبواب الاجتهاد[1] بهتاناً وزوراً. . !.

كما أننا لن نرحم المرجعيات المنحرفة التي سلطت أتباعها علينا لتسب

---

(1) عرض الشيخ الكويتي على موقعه الإلكتروني إجازة بالاجتهاد المتجزىء من قبل أحد السادة من آل الطباطبائي، متلطياً وراءَه ليبرّر انحرافاته. . . وهما من أبعد الناس عن الاجتهاد؛ فلا المعطي بمستوى الفقاهة المطلوبة، ولا المعطى له أهل لذلك؛ فكلاهما في خانةٍ واحدة من الضعف في الاستدلال، وبالتالي يحتاجان إلى تدريبٍ طويل على كيفية الاستنباط، وإنْ دعتنا الحاجة إلى فضح المعطي فسنرد وسنكشف عن بعض فتاويه التي تذكّرنا بفتاوى أبي حنيفة. . . وإذا كان الاجتهاد على نسق المعطي والمعطى له، فعلى الإسلام السلام، وعلى الاجتهاد التعزية والغفران. . .!

هذا مضافاً إلى أن دعوى المعطي بأن المعطى له واسع العلم وعالماً بالأحاديث الشريفة. . . تنمُّ عن جهل المعطي بحقيقة علم المعطى له وبما أجاب عنه من مسائل مبثوبة في موقعه الإلكتروني والتي منها جهله بأخبار تفضيل العلويات من آل محمد على السيّدة مريم وآسية كما أوضحنا في كتابنا هذا، فأين أصبحت دعوى علمه بالأحاديث الشريفة يا تُرى. . . احكموا يا أولي الألباب. . .!؟

وتقذف وتبهت من لم يتوافق مع نهجها وفكرها السياسي والديني، فإننا بعون الله تعالى سنكشف زيفها العلمي إذا دعت الحاجة إلى ذلك، وسوف نُري القواعدَ الشيعية مدى الجهل الذي تغطُّ فيه بعض مرجعياتهم المصطنعة التي رفعتها مصانع السياسة وخنادق الأحزاب. . . !.

ونحن ننصح الجميع ممن يتطاول علينا من صعاليك العمائم الناصبية والبترية بأن لا يجربونا بعد اليوم، فقد طفح الكيل وبلغ السيل الزبى، فإن سيفنا - وهو قلمنا - يجرح ويقتل في كثيرٍ من الأحيان بفضل الحجج المطهرين (سلام الله عليهم أجمعين). . . لأن الحقَّ يعلو ولا يُعلى عليه؛ والبدع لا يجوز السكوت عنها والمداهنة عليها، مع أننا لم نتوانَ يوماً عن محاربتها والوقوف في وجهها، ولكننا سنزيد من وتيرة الجهاد أكثر فأكثر عسى أن نفوز بكأس الفلاح والرضا عند الله والحجج عليهم السلام . . . !.

إنّ بحثنا هذا لم يكن إلا نتيجةً حتميةً لغيرتنا وحميتنا العلمية والدينية على تلك الحرَّة المصونة مولاتنا الطاهرة الحوراء زينب عليها السلام ، كما كانت الحال في ردنا السابق على كمال الحيدري والبيروتي وغيرهما ممن شككوا في عقيدتنا ومعالم تشيعنا، وكما كان ردنا على أسد قصير وقبلان وسيكون لنا - بإذن الله تعالى وتوفيق الحجّة القائم أرواحنا فداه - ردٌّ مفصَّل على بعض البتريين الجدد. . . مع أننا رددنا على بعضهم في كتابينا: «الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية» و«شبهة إلقاء المعصوم نفسه في التهلكة»!.

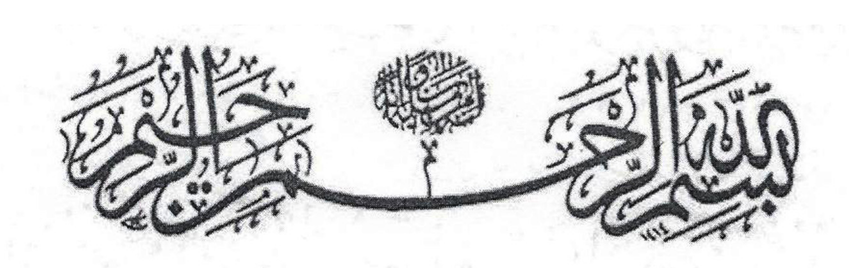
مِسْكُ الخِتامِ: إن تصنيفنا لهذا البحث، لم يكن ترفاً فكرياً ولا نعرة عصبية ولا زعامة دنيوية «أعاذنا الله تعالى منها»؛ بل إنَّما كان لأجل الصدّيقة الحوراء زينب الكبرى (سلام الله عليها) خالصاً إلى شخصها الجليل ومقامها العظيم باعتبارها وجه الله الذي يتوجه إليه الأولياء، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1] وهي الحبل المتصل بين الأرض والسماء؛ وليس وراء عبّادان قرية. . .

(1) سورة البقرة، الآية: 115.

فإليكِ يا سيّدة النساء أيتها الحوراء الإنسية. . . أتشرف بتقديم هذا المجهود الذي أرجو أن يكون زادي في قبري ومعادي؛ وأنْ أفوزَ برضاكِ يا جنَّة الفردوس، وقد جاءتني منكِ البشارة في عالم الرؤيا خلال تصنيفي لهذا الكتاب دفاعاً عنكِ يا شمس الله الطالعة وقمره المنير. . . فأرجوكِ يا روح عمري أن لا ينقطع عون أُمك الطاهرة الميمونة وعونكِ لي على فراش موتي وفي اللحد ويوم ألقاكما بالشفاعة لي يا جنَّتي الأرضِ والسماء. . . يا مشكاة النبوة ونورَ الولاية. . . يا روح الحياة وجنَّة الخلد؛ سيدتي أيتها المظلومة في الحياة عند مَنْ لا يعرف قدرَك وسموَ شأنِكِ. . . آهٍ آهٍ لظلامتكِ سيِّدتي أيتها الحوراء الإنسيَّة زينب، سلام الله عليكِ يا مهجةَ كبدِ أبيها ونورَ بصرِ أُمّها الطاهرة الشهيدة المظلومة، ودمعةَ أخوَيها. . . يا كفيلةَ اليتامى والأرامل وكفيلةَ الإمامة والإمام، وسلوةَ وليّ الأمر إمامنا المعظَّم الحجَّة القائم المهديّ عليه السلام وأرواحنا فداه. . . إليكِ أرفع هذا المجهود، فأرجو قبولَهُ عِنْدَكِ يا وليَّةَ الله الكبرى وآيته العظمى. . . !!

عبدكِ بفنائكِ يقرعُ بابَ إحسانكِ. .
محمد جميل حمود العاملي
بيروت - بتاريخ 16 ربيع الثاني 1436هـ

يا قائمَ آلِ محمَّدٍ أغثنا يا غياثَ المستغيثين



اللهم كن لوليك الحجة ابن الحسن صلواتك عليه

وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كل ساعة وليا

وحافظا وقائدا وناصرا ودليلا وعينا

حتى تسكنه أرضك طوعا وتمتعه فيها طويلا

المحتويات

الموضوع الصفحة

الفصل الثاني

تَفْضِيلُ الصدِّيقةِ الكبرى زينب الحوراء على مريم العذراء عليهما السلام